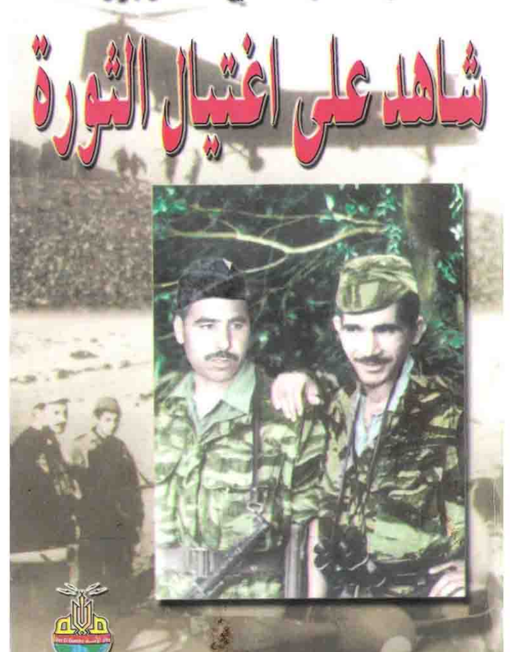
مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة

شاهد على اغتيال الثورة



مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة

تحرير: صادق بخوش
تقديم: الفريق سعد الدين الشاذلي

شاهد على اغتيال الثورة

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

الطبعة الثانية
8ماي 2000 م

الطبعة الأولى
دار الحكمة 1990

إيداع قانوني
506 / 2000

الطباعة والتوزيع المصري
شركة دار الأمة
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب 109 برج الكيفان 120 16 الجزائر
الهاتف : 04 22 20 (02)
الفاكس: 04 24 20 (02)
تصفيف ومعالجة النص: ياسين أصنام


بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

«...استمتعتُ كثيـرًا بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة» للرائد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة، عاش الحرب من أولها إلى آخرها. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.

... والكتاب مليء بالقصص الشيّقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزي حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحَرْكَة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثن بها إلى المجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي».

من التقديم

بقلم الفريق سعد الدين الشاذلي

قائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

النـــاشـــر

ردمك: ISBN: 9961-67-113-9



صورة تذكارية بعد مؤتمر الصومام مباشرة بالولاية الرابعة: من اليسار إلى اليمين:
1– العقيد سي الشريف (علي ملاح) قائد الولاية السادسة (شهيد) 2– العقيد سي امحمد (أحمد بوقرة) قائد الولاية الرابعة (شهيد)، (خلَفَ الصادق دهيليس) 3 – العقيد سي صالح (محمد زعموم) قائد الولاية الرابعة بالنيابة (شهيد)، (خلَفَ سي امحمد بوقرة) 4 – العقيد سي رزقي (عمرو أوعمران) (قائد الولاية الرابعة أثناء مؤتمر الصومام) 5 – العقيد سي الصادق (سليمان دهيليس) قائد الولاية الرابعة (خلَفَ أوعمران) 6 – الرائد سي الطيب (عمر أوصديق) عضو قيادة الولاية الرابعة.

المؤلف في سطـــور

* سي لخضر بورقعة.. أو الرائد سي لخضر كما يسميه رفاقه في السلاح. من مواليد 15 مارس 1933 بقرية أولاد تركي بلدية العمرية ولاية المدية.

* التحق بالثورة في أوائل سنة 1956 كان يكافح رفقة أبطال أفذاذ بالولاية الرابعة... سي بوقرة، وسي بونعامة، وسي صالح زعموم الذي ارتبط اسمه بقضية الإليزي...

* يتكلم عنه Yves Courrie ويقول بأن بورقعة هو الوحيد الذي رفض أن يُعدم سي صالح زعموم...

* ويتكلم عنه H. Alleg ويقول كان بورقعة قائد كتيبة الزبيرية التي قاومت بشجاعة نادرة القوات الفرنسية...

* ويتكلـم عنه المؤرخ الجزائـري محمـد تقيـة ويذكـر بطولاته بالولاية الرابعة.

* عيّن قبـيل الاستـقلال في مجلس قيادة الولايـة الرابعة ثم عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وبعد الاستقلال شارك في المجلس الوطني الأول ثم في اللجنة المركزية للمؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني سنة 1964.

* وبورقعة معروف بشدة معارضته لجيش الحدود، وهو من المؤسسين الأوائل لحزب جبهة القوات الإشتراكية « FFS ».

– أدخلوه السجن ليلة الذكرى السادسة لعيد الاستقلال في 5 جويلية 1968 رفقة المجاهد (المرحوم) سليمان عميرات وآخرين بتهمـة التحالـف مع الطاهـر الزبـيـري وكريم بلقاسم، وحكم عليه بثلاثين سنة سجنا نافذة. وعرف سجون وهران، لامبيز، تيزي وزو، الحراش إلى أن أطلق سراحه في شهر جوان 1975 إثر عملية جراحية خطيرة(...).



qui s'était fait après "[illegible]", aucun bilan détaillé n'en est publié, preuve de son caractère très incomplet [19]. La katiba Zoubiria, dirigée par Lahkdar Bourougaa, a pu résister pied à pied dans le Mongorno (Titteri) [20] ; la katiba de Tablat échappe le 18 mai à l'encerclement en infligeant des pertes exceptionnellement lourdes (31 tués) aux unités de bouclage. Pendant toute la durée de l'opération, l'A.L.N. n'a cessé de harceler postes, centres, véhicules et patrouilles, particulièrement dans l'Orléansvillois (16 harcèlements dans la seule semaine du 11 au 17 mai, 26 du 1er au 28 juin [21]).

صورة عن امدادات الجيش الفرنسي في معركة موڤورنو عن كتاب :

La Guerre d'Algérie - Henri Alleg - Ed Messidor 1981



صورة لاحدى الطائرات المسقطة في معركة موڤورنو، ويظهر في الصورة:

محمود الشامي ، ضابط من مدينة المدية (على اليسار)

علي دهلوك ، ضابط فيما بعد من قرية وامري (المدية)

تقـــديـــم

الفريق سعد الدين الشاذلي

استمتعت كثيرا بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة» للرائد لخضر بورقعة. والكتاب يقدم لنا حرب التحرير الجزائرية من وجهة نظر ضابط من ضباط الولاية الرابعة. ضابط شاب عاش الحرب من أولها إلى آخرها. والكتاب يشرح بالتفصيل أزمة الثقة التي كانت بين قيادات الداخل التي كانت تقود الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، وبين قيادات الخارج التي كانت تقوم بجمع الأموال والسلاح وتبعث بها إلى الداخل. ويذكر الكاتب كيف كانت قيادات الخارج تستغل الإمدادات التي تبعث بها إلى الولايات كورقة ضغط تكتسب بها ولاء قيادات الداخل. وكيف كانت الولاية الرابعة تعمل وتسعى لكي تحقق لنفسها اكتفاء ذاتيا. كان مصدر سلاحها الرئيسي هو ما تستطيع أن تغنمه من الجنود الفرنسيين. وكانت تعتمد في توفير احتياجاتها على ثلاثة مصادر رئيسية. المصدر الأول هو ما كانت تحصل عليه من اشتراكات من السكان المؤيدين والذي كان 200 فرنك فرنسي قديم. وكان المصدر الثاني هو ما تفرضه من الأموال على الأغنياء الجزائريين. وكان المصدر الثالث هو ما تفرضه من غرامات على من يخالف أحكام الثورة وأوامرها وعلى المنحرفين عن مبادئ الدين الحنيف والأخلاق العامة.

قد يتعجب الشاب الجزائري الذي يعيش اليوم في التسعينات، كيف استطاع المجاهدون بتلك الموارد المحدودة أن يلبوا مطالب جيش التحرير الذي كان يتصدى للقوة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة قبل أكثر من ثلاثين عاما. ويجيب الرائد لخضر عن هذا السؤال قائلا إنهم كانوا قادة وضباطا وجنودا يعيشون عيشة تقشف وكفاف. فقد كانت كسرة خبز يابسة تكفي المجاهد عدة أيام. وكانوا ينامون في العراء. وبالتالي فقد كانت مطالبهم الحياتية قليلة جدا.. أما ما كانوا يجمعونه من مصادر تمويلهم المحدودة، فقد كانوا يستثمرونه في الزراعة.. فيمدون الفلاحين برؤوس الأموال التي تمكنهم من زراعة أرضهم على أن يتقاسموا معهم المحاصيل. ونتيجة هذا التلاحم بين المجاهدين والسكان، لم

تعد مسؤولية جيش التحرير هي قتال الجيش الفرنسي فحسب، بل أنها تعدته إلى إقامة جهاز إداري وجهاز قضائي مواز لأجهزة الدولة. والذي يثير الاهتمام حقا هو أن كل ذلك كان يتم على أيدي رجال لا تتجاوز أعمارهم 25 سنة.

والكتاب مليئ بالقصص الشيقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزيه حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها أن يشق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها. وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحركة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثوا بها إلى المجاهدين... ويحكي كيف تم القضاء على العديد من الخونة الذين كانوا يتعاونون مع العدو.

كانت الولاية الرابعة تتمتع بوضع خاص حيث تدخل عاصمة البلاد في حدود مسؤوليتها، وحيث كان يسكنها الغالبية العظمى من الفرنسيين، والجزائريين المتفرنسين. وبالتالي كانت الولاية مليئة بالخونة... ومليئة بالمواطنين الذين لا تتفق إيديولوجيتهم مع أفكار الثورة الجزائرية. وكان على جيش التحرير بالولاية أن يتصدى لكل هؤلاء، بالإضافة إلى مسؤولية التصدي للجيش الفرنسي. ولعل أصعب موقف واجهه المجاهدون في الولاية الرابعة هو ذلك الموقف الذي نشأ بعد وقف إطلاق القتال في 19 مارس 1962. لقد كان هذا التاريخ هو بداية الصراع على السلطة في الجزائر. بين الحكومة المؤقتة برئاسة بن خدة من جانب وبين القيادة العامة لجيش التحرير (في الخارج) بقيادة هواري بومدين في الجانب الآخر. وبين قيادة هواري بومدين وقيادة الولاية الثالثة. كانت الولاية الرابعة - كما يحكي لخضر- تريد أن تصلح بين الطرفين، فلما فشلت في ذلك أرادت أن تقف على الحياد. ولكن الاستيلاء على العاصمة كان هدف كل من الفريقين المتنافسين(بومدين من جانب والولاية الثالثة من جانب). وزحفت قوات الطرفين على الجزائر. واشتعلت الحرب الأهلية بين الأشقاء. وسقط شهداء جدد من المناضلين بأيدي إخوانهم في السلاح. وحسم الأمر لصالح بومدين الذي حصل على تأييد الولايات الأولى والخامسة والسادسة وبعض عناصر الولاية الثانية الذين تخلوا عن العقيد سي صالح بو بنيدر «صوت العرب» الذي كان سباقا لمعارضة قيادة الأركان.

ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه.. وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي.

إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.. ولعل الجانب الحزين في هذه الثورة هو إعدام العديد من أبناء الثورة أو الزج بهم في السجون نتيجة الوشاية أو الصراع على السلطة...ولكن هذه طبيعة كل ثورة. فلكل ثورة أبطال وضحايا، وأعمال مجيدة وأخطاء. وإذا كانت الثورة قد ارتكبت بعض الأخطاء خلال مرحلة الكفاح المسلح وخلال مرحلة ما بعد الاستقلال، فإن ذلك لا يمكن أن يقلل من الانجازات الضخمة لهذه الثورة على المستوى الإقليمي والعالمي، فهي أول ثورة شعبية تنتزع الاستقلال من القوى الامبريالية بقوة السلاح وبعد صراع مسلح استمر سبع سنوات ونصف، سقط خلالها مليون ونصف مليون من الشهداء... فضربت بذلك رقما قياسيا في تاريخ الثورات. ومن أجل ذلك، فإن كل فرد من أبناء هذا الشعب الذي تحمل كل هذه التضحيات، عليه أن يبذل كل ما في طاقته لحماية المبادئ والمثل العليا التي قامت على أساسها الثورة. والله الموفق.

الجنرال سعد الدين الشاذلي

الجزائر 1990/08/14

مدخل

لماذا هذه المذكرات؟

لا تعدو هذه الصفحات التي أسجلها اليوم أن تكون مجرد مذكرات شخصية، وانطباعات عشتها عبر مرحلة الكفاح المسلح إلى فتنة الولايات بعد وقف إطلاق النار مباشرة عام 1962 إلى انقلاب 19 جوان 1965 العسكري، إلى انتفاضة العقيد الطاهر الزبيري في ديسمبر 1967 التي شاء القدر أن أشترك فيها دون رغبة مني.. ثم القبض علي من قبل مخابرات الرئيس الراحل هواري بومدين وتعذيبي ثم الحكم علي بعشرات السنين سجنا نافذا.

لقد أمدّ الله في عمري لأشهد جميع المراحل التاريخية التي مرت بها بلادي منذ الفاتح من نوفمبر 1954 الذي فجر فيه الشعب الجزائري ثورته المباركة ولم أكن أطمع في عمر يمتد بي لأن أدرك الاستقلال وأشهد أحداثه وأعيش تناقضات بناء مؤسسات الدولة الفتية، وصراع الرجال على السلطة واندساس البعض في أجهزتها لتخريب الذهنيات وتدمير الامكانيات.. وتمرير المشروع الاستعماري في الثقافة والسياسة والاقتصاد... وهو المشروع الذي فشل العدو الفرنسي في إرساء قواعده طيلة 132 سنة من الاستعمار الاستيطاني وتمرير مخططاته...

لقد كتب الله علي قدر الإشهاد على هذه المراحل التي تعد من أدق وأهم مراحل تاريخ الجزائر المعاصر بحيث عشت تجربة الثورة التحريرية فنلت شرف الجهاد جنديا مقاتلا وقائدا منظما في الولاية الرابعة وقادتني الصدفة أن أكون المعارض المباشر للقاء «الإليزي» ولصنّاع حدثه بقيادة العقيد صالح زعموم قائد الولاية الرابعة... وأن أعاني فاجعة استشهاد قائدي ومعلمي سي امحمد بوقرة... ثم فرحة الاستقلال والحرية بالنصر الذي اغتالته نزوات البعض وحبهم للمنصب. واللجوء إلى السلاح، مرة أخرى في أحداث الولايات الشهيرة، وتجربة البرلمان الفاشلة ثم اللجوء إلى المعارضة بتأسيس جبهة القوات الاشتراكية (F.F.S)، وتلتها المسؤولية الحزبية، ولما تفاقمت مظاهر الإنحراف والتعسف



من اليسار إلى اليمين

– معمر جقاقن (من البليدة) – المؤلف – محمد بونعامة (شهيد) – خالد الباي (شهيد).



المؤلف سي لخضر بورقعة مع الرائد محمد بونعامة سنة 1959 وعامل اللاسلكي عبد القادر وادفل.



الإخوة المجاهدون الواقفون من اليمين إلى اليسار:

– العقيد عمرو أوعمران (مات بعد الاستقلال) – الضابط الأول الرشيد ڤورين – النقيب مصطفى خوجة (علي خوجة) – الضابط الأول (سي اسماعيل) الرشيد عبد السلامي – الرائد سي لخضر (سعيد مقراني) – العقيد أحمد بوڤرة (سي امحمّد) – العقيد سي صالح (محمد زعموم).

الجالسون:

– النقيب عبد الله بربار – النقيب عبد الرحمن لعلى – الضابط ناصر فرّاح – النقيب عمّار موهوب عبد القادر.

لدى الكثير من القادة الجدد في الدولة والجيش، عمدت إلى التمرد والمعارضة حتى أطلق علي بعضهم صفة «المعارض الخالد»، وبعد مرحلة معاناة أهوال التعذيب الوحشي وظلمة زنزانات المعتقلات عبر التراب الوطني إلى غاية جوان 1975 لم أكن أطمع في الحياة إلى اليوم كان الموت أقرب إلي من حبل الوريد مئات المرات، لقد استشهد أمام عيني آلاف المجاهدين وما كنت أظن أني سأنجو من ذلك المصير المحتوم إن بفعل رصاصة طائشة.. أو في مواجهة أو في كمين .. أو تحت ويلات التعذيب وتوقعات الاغتيال والغدر..

أمام هذه الرعاية الإلهية التي حباني بها الله آليت على نفسي أن أؤدي الأمانة وأدلي بشهادتي للتاريخ دون مبالغة ولا زيف خالية من كل لباقة وحذلقة وتدبيج، وحسبي أن أقول إلا ما أعتقدت صدقا بقطع النظر إن وافق الحقيقة أو خالفها.

إن كتابة هذه المذكرات لا أعدها تاريخا لثورتنا العظيمة ولأحداث ما بعد الاستقلال لأنها لا تخضع للمنهجية الأكاديمية والتمحيص والمقارنة والتحليل بقدر ما تنطلق من عفوية المجاهد ابن الريف الذي نفخت الطبيعة في روحه ثورة الإيمان فيعادي من يعادي هذه الثوابت ويصادق من يصادقها... وقد كلفني التزامي بمبادئي ثمنا باهظا دفعته من روحي وجسمي وأحلامي ومطامحي...

لقد عانيت هاجس كتابة مذكراتي سنوات طويلة، وترددت كثيرا قبل أن أحول خواطري الحميمة ومعاناتي إلى مادة ومعلومات موثقة في متناول أي قارئ .. لأني أتحرج من مسؤولية الكلمة التي تقال عن الثورة إلى الأجيال الصاعدة. هذه الثورة التي لو بقي روادها الأولون على قيد الحياة أو أن بعضهم لما فكرت شخصيا في أن أدلي بشهادتي المتواضعة لأن هؤلاء المعلمين المخلص والمجاهدين الأوفياء... هم الذين صنعوا الأحداث وصاغوا التاريخ وأرضعونا لبن الثورة ومعنى التضحية في سبيل الله والوطن.

لا أحسبني أدلي بحرف واحد في أحداث الصومام 1956 وفي ملتقى العقداء في 1958 وفي انحراف قيادة الولاية الرابعة عام 1960 وفي مخططات العدو الاستراتيجية العسكرية والإيديولوجية والثقافية التي خطط لها أيام الجنرال ديغول، ولا في تلاعب قيادة الخارج بمصالح الثورة وتخلي الحكومة المؤقتة عن

الشرعية ليستأثر بها بعض قادة الولايات... بعد مؤتمر طرابلس 1962، إذن لا أحسبني أدلي بحرف واحد لو أن مصطفى بن بولعيد، والعربي بن مهيدي وسي امحمد بوقرة وعميروش... وغيرهم رحمهم الله ما زالوا على قيد الحياة. لأننا نحن الجنود كنا نعتقد أن قضيتنا في الجهاد وفوزنا في عملنا الثوري إنما يتأسسان على مدى طاعتنا الواعية لأوامر الثورة ولنداء الواجب ولم يكن يهمنا الكلام عن أنفسنا ولا عن مصائرنا كأشخاص...

لكن وبعد أن رحل صانعو مجد الثورة خرجت من ترددي إلى العمل على تسجيل خواطري مستجمعا بعض ما في الذاكرة من شتات وما علق بها من صدى الأحداث الجسام، مستلهما ماضي الثورة المجيد مستذكرا أننا كنا رغم فهمنا البسيط للأمور منسجمين مع أنفسنا مؤمنين بالنصر أو الاستشهاد في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة.

وقد كان حوارنا ونحن نلج فجر الثورة الأول جديدا في مضمونه وأسلوبه ولغته لم نعهده من قبل لأنه حوار الثورة والبعث من سحيق الموت...بحيث كان البعض يعتقد أنه يخوض مغامرة في أعماق المجهول ولكنها مغامرة مقدسة. والبعض الآخر يتصور أنه جاء متأخرا وقد فاته الكثير يرجو أن يدركه. أما فريق ثالث فيتوهم أنه في جولة أو نزهة قد لا تطول. وفريق رابع لا يهمه ما يقال ويحدث بل كان ما يعنيه هو تحرير الوطن من الوجود الاستعماري وتطهيره من لوثة الفكر والجهل والقهر والعار...الخ...

والممتع في تلك الأيام أسلوبنا الذي ابتكرناه في التعارف بيننا بحيث كلما سأل أحدنا أخاه المجاهد القادم لتوه ينضم لمسيرة الثورة، متى وأين ولد؟ يجيبه دون تفكير: «ولدت يوم فاتح نوفمبر 1954، تحت هذه الشجيرات أو على أكتاف هذا الوادي... وشهادة ميلادي بندقيتي التي فوق كتفي...».

وهل لك عائلة؟

يرد بسرعة: «أمي الجزائر وأبي ذلك العلم الذي يرفع إلى عنان السماء عبر درب الدم والشهادة...».

هل تشكو من أمر ما؟

يجيبه : «أنا مصاب بمرض مزمن منذ مائة وثلاثين عاما (130) وقد اهتديت إلى الشفاء...».

تعاقبت الأيام والسنون حبلى بالأحداث والصراع اليومي مع العدو فجرب جميع وسائل الفتك والتدمير، واستنبط أنجع خطط وأساليب التجويع وإبادة

الشعب لتركيعه وإثنائه عن رفد ثورته ودعم ثواره... أحرق الأراضي وأباد الحيوانات والأنعام، سيج الوطن بالأسلاك الشائكة وقطعه إلى مناطق محرمة يطلق النار على كل متحرك فوقها وأقام محتشدات أخطر من محتشدات النازية بحيث تميزت عليها بالعمل السيكولوجي الخطير الذي يصده ويمارسه ضباط المكتب الثاني المتخصصون في أساليب التدمير النفسي وغسل الدماغ وبث الشكوك في مقومات الشعب وفي مقدمتها هويته ولغته ودينه وإيمانه بالنصر والتحرير وثقافته وأصوله... إلى جانب العمل العسكري من خلال المخططات العديدة كمخطط شال وعمليات التاج وغيرها في الأوراس والشمال القسنطيني وبجبال جرجرة وفي كثير من مناطق البلاد الأخرى... بما فيها ولايتنا التي كانت على أهمية بالغة في مخطط العدو التدميري بالنظر إلى موقعها وقربها من نقاطه الاستراتيجية ومواقعه الحساسة...

هذه المخططات تتكامل مع جملة من المشاريع الجهنمية التي خطط لها بدقة بهدف التحضير إلى جزائر ما بعد الاستقلال وذلك بمجيء ديغول واقتناعه كرجل حرب وسياسة بحتمية استرجاع الشعب الجزائري سيادته مهما كان الثمن... ومنها مشروع قسنطينة ومشروع ألف قرية زراعية الذي احتفظ به في نظام هواري بومدين دون تغيير الإسم، وإن تغير الهدف!.

مشاريع اختراق المؤسسة العسكرية الجزائرية بعناصر مشبوهة تربت في أحضان المدرسة الاستعمارية وتشربت إيديولوجيتها وكلفت بمهمة الاستيلاء على مراكز القرار في هذه المؤسسة الحيوية في ثورة تعد فيها المؤسسة العسكرية أهم وأخطر إطار يحمي ويحافظ على إنجازات الجماهير في الثقافة والتنمية...

ومشروع التحضير لمستقبل إدارة فرنسية في الجزائر لغة وإطارا وأسلوبا واستمرارية بحيث كلف العدو معاهده ومدارسه بتخريج عدة دفعات(...) أعدت خصيصا لتضطلع بمهمة تسيير الإدارة والاقتصاد في الجزائر المستقلة وغيرها من المشاريع المعلنة وغير المعلنة.

إلا أن هذه المشاريع العدوانية لم نواجهها نحن بدورنا بمشاريع وخطط مضادة لأننا كنا دون مستوى المواجهة من جهة، وكنا في موقع الذي غلبته الأحداث على أمره لكثرتها وتشابكها، فضلا عن انصراف اهتمام بعضنا إلى هموم السلطة والقيادة وبناء البلاد من جهة أخرى.



من اليمين الشهيد بن تركية (من المدية) مع الأخ العقيد عمر اوعمران
مع جنود من كومندوس علي خوجة.



من اليسار إلى اليمين — العقيد سي امحمد بوقرة — عبد السلام (كاتب الولاية الرابعة)
— العقيد سي أحسن (يوسف الخطيب).

إنني اليوم إذ أقف لأنعي موقفنا رغم ما كنا عليه من ثورية وما حضينا به من ثقة الشعب لا أنسى أن أذكّر ببداية الشرخ الرئيسي الذي بدأ يمخر كيان الثورة منذ عهد سابق على الاستقلال، ولولاه ما كان لمشاريع العدو أن تنفذ ولدائه أن يستشري في جسد الاستقلال.

وهذا الشرخ يتمثل فيما كان بين قيادة الداخل وقيادة الخارج من خلاف وصل إلى حد التناقض في الرؤية والمواقف والممارسات بل وإلى المصادمات والتصفيات الجسدية. وإذا كانت بوادره قد ظهرت إلي العيان بعد مؤتمر الصومام 1956 وقبله قليلا... فإن استفحاله اشتد على أثر لقاء العقداء فيما بعد... واستمر ليأخذ أشكالا وأطرافا عديدة فيما بين قيادة ولايات الداخل وولايات الأطراف... ثم ما بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة إلى أن تم الانفجار في مؤتمر طرابلس 1962 وتفتت المواقف وتعددت أطراف الصراع بمستوى تباين المواقف والمصالح والمبادئ... وهكذا وجد العدو مسوغا لتمرير مشروعه العدواني وترتيب الأوضاع لخدمة أهدافه التي أصابت مقاتل الجزائر المستقلة وحرفت ثورتها وقزمت رسالتها ودمرت الحزب من داخله بنفسه وبواسطة الإدارة والجيش... ومكنت الشركات متعددة الجنسيات من نهب ثروات الشعب بأبخس الأثمان... حتي انتهى الأمر إلى ما نحن فيه في الثمانينيات وبداية التسعينيات من دمار في القواعد الاقتصادية وهشاشة في أجهزة الدولة واضطراب في بنية المجتمع تصل إلى حد التناقض الخطير بين فئات بورجوازية طفيلية أو أثرياء بدون سبب... استغلوا فوضى الاقتصاد الوطني والانحراف والاختلاسات المتعددة الوجوه... وبين فئات الجماهير العريضة التي حرمت من أدنى حقوقها الطبيعية والمدنية... يميز هذا الانحراف الاقتصادي انحراف ثقافي وإيديولوجي أخطر منه... بحيث نحن الآن في مرحلة كل ما فيها من وطني.. وسيادي... مشكوك فيه ومباح للمنحرفين والمندسين على الشعب والثورة.

إن ما نحن فيه من نتائج وخيمة هو نهايات لمقدمات بنيت على الخلاف والصراع، وحسبي أن قيادة الخارج تتحمل القسط الأوفر من مسؤولية التفجير واستمرار الصراع الذي مكن العدو من أن يضرب الثورة في عمقها ويتسرب داخل كيانها وبالتالي يخرب مسيرتها ويحرف ملامحها ويغتال مشروعها العربي والإنساني الشامل.



المؤلف مع بابا علي البشير (المعروف باسم الياس).



— المؤلف مع أحد المجاهدين

الفصل الأول

قادة الداخل يجتمعون ويرسلون العقيد العواس إلى القيادة في الخارج

1 - خصوصية الولاية الرابعة:

إن المتمعن في خارطة الولاية الرابعة بعد التقسيم الجغرافي الذي سنه مؤتمر الصومام عام 1956 يشهد مدى ما لهذه الولاية من أبعاد استراتيجية كبيرة، بحيث تحتوي على جبال وغابات وسهول... وتتاخم البحر عبر مسافة ثلاثمائة كيلومتر.

أدرك العدو قيمتها الاستراتيجية وموقعها من وجود موانئه... ومطاراته ومراكز تموينه... وتجمع قواته المختلفة وبنوكه واحتياطه من الكولون بأملاكهم ومؤسساتهم...

ولا غرو أن منطقة سيدي فرج البحرية التي دخل منها الغزاة عام 1830 تقع ضمن حدود ولايتنا... وتمتد إلى قرية طاقين الواقعة في باب الصحراء وهي القرية التي شهدت سقوط آخر جندي من قوات الأمير عبد القادر الجزائري... أدرك العدو قيمة الولاية الاستراتيجية والتاريخية ... فاحتاط لها احتياطا كبيرا وأولاها اهتماما عسكريا خطيرا دفعت ثمنه قوافل المجاهدين والشهداء... الأمر الذي فرض علينا أن نواجه التحدي الخطير بتحدٍّ أخطر منه... وما النصب التذكارية المتناثرة على طول مساحة الولاية إلا دلالةً قاطعة على هول المعارك وجسامة التضحيات وأعداد الشهداء... فرضت علينا وضعية المواجهة الصعبة اتباع منهجية قتالية خاصة واستراتيجية مدروسة وتحكم سياسي وعسكري في إمكانياتنا ومواردنا.

2 - بعض الأضواء على الولاية السادسة،

رغم تشابه الأوضاع في مختلف الولايات إبان حرب التحرير لكن في هذا التشابه خصوصيات عديدة ترد إلى ما لكل ولاية من إمكانيات متنوعة ومكانة استراتيجية تؤهلها لأن تتزود بالذخيرة والعدة والإمدادات وتكيف أفرادها مع الطبيعة الجغرافية المميزة فيها.

لكن الولاية السادسة قد أهملت منذ البداية ولم يعط لها اهتمام لائق بمكانتها كباقي الولايات الأخرى الأمر الذي أدى بالمصاليين الى التمركز بها بعد فرارهم من الشمال في شهر ماي 1957 إثر معركة ضارية مازالت حجارة وأخاديد كهوف منطقة شمال قصر البخاري شاهدة عليها إلى اليوم حيث قتل فيها خمسة وأربعون عنصرا وتم أسر ثمانية وعشرين آخر، وانسحب من بقي على قيد الحياة الى المنطقة الوسطى من الولاية السادسة التي يحدها شمالا الولاية الرابعة وغربا الولاية الخامسة ونظرا لتوفرها على مواصفات استراتيجية فقد اتخذ منها الجنرال محمد بلونيس بالتنسيق مع ضباط العدو الفرنسي مقر قيادته وتمركز جماعته الضالة...

لقد كان بلونيس كما هو معروف عضوا بارزا في الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع حرب التحرير في 1954، لكنه في غمرة الخلاف الذي نشب داخل الحركة، وانقسامها إلى مركزيين وجبهويين ومصاليين اختار هو الفريق الأخير وأصبح من أعتى أعداء ثورة التحرير واليد الضاربة لمصالي الحاج بالتنسيق مع العدو الفرنسي الذي لقي فيه مسوغا لعرقلة مسيرة الثورة وضربها بأبناء الشعب المغرور بهم...

تأثرت الولاية الرابعة بنشاطه المشبوه في بداية الثورة من سنة 1954 والى غاية 1957 وبعد مقتله استمر عناصره في محاربة الثورة طيلة سنواتها الثماني بحيث أذكر أن وحدات تابعة للولاية الرابعة اشتبكت مع ما تبقى من العناصر المصالية شهرا فقط قبل إعلان وقف إطلاق النار مع العدو الفرنسي وذلك في المنطقة الواقعة مابين البرين وعين لحجل وقد استشهد فيها ثلاثة مجاهدين وتم القضاء على عدد غير قليل من المصاليين وألقي القبض على خمس وعشرين منهم.

3- تجانس الأفكار.

من خلال معايشتي ومتابعتي لاهتمامات قادة الولايات، في العقيد عميروش، والحواس وسي امحمد والحاج لخضر والأمين خان في لقائهم المدني سابقا والذي عقد في منطقة جيجل. أستطيع القول أنهم كانوا على بينة من أمرهم.. بحيث كان لقاؤهم نتيجة تبلور أفكار اختبروها على ضوء الواقع الثوري ومتغيراته مما استدعى التنسيق وتوحيد الجهود بصورة شاملة واستراتيجية للتصدي للطوارىء والمخططات التي رسمها ديغول عند وصوله الى السلطة.

إن الممارسة الثورية اليومية واحتكاك القادة بالفعل الثوري وتعاملهم مع الأحداث ومؤامرات العدو داخلا وخارجا جعلتهم يوافقون على الإجتماع ويرسمون مصير المواجهة من خلاله.

لقد كان وصول ديغول الى السلطة الفرنسية واصراره كرجل حرب ومقاومة وداعية استعمار كبير وصاحب مشاريع أثبتت نجاعتها من خلال مخططات جنرالاته العديدة في الميدان نقطة محيرة في رزنامة العمل الثوري والسياسي وقتها بالإضافة إلى الأخطار الداخلية المتمثلة في الانقسامات الحادة داخل كيان الثورة في الوقت الذي كانت قيادة الخارج تعارض روح ملتقى التنسيق والتصدي ولم توافق على ماجاء به من مقررات تطمح الى تنسيق الجهود وتوحيد القرار فيما بين الداخل والخارج وتضع خطة شاملة تقاتل العدو في نفس الوقت من الحدود الشرقية إلى الحدود الغربية ومن البحر الى الصحراء حتى لاتعطي لهذا العدو الشرس فرصة الاستفراد بجبهة على حدة وتدمير الثورة بأسلوب القضم المرحلي.

ان التمركز حول نقطة خضوع قيادة الداخل إلى قيادة الخارج أخرت العمل الخلاق ومكنت العدو من أن يخلط الأوراق ويعمق التفرقة ويفصل بين الولايات وهو الأمر الذي بدا واضحا في عزل الصحراء عن الشمال بسبب إهمال القيادة لها وتهميشها رغم ما يتّسم به سكان الصحاري من غيرة على الوطن وعراقة في أخلاق الفروسية ومقاومة المغتصبين. لقد تمكن العدو أن يفرض ورقة فصل الصحراء عن باقي الوطن في مفاوضات إيفيان بقوة وأن يعرقل مسيرة السلام...

ومرد ذلك في اعتقادي الى أنه في الوقت الذي كان القياديون الفرنسيون

يفكرون بأسلوب استراتيجي، في تفكيك الثورة وعزل مناطقها عن بعضها البعض وقرير أفكارهم الاستعمارية وتمكين بيادقهم من البيروقراطيين الفرانكفونيين من التحكم في شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية.. كنا نحن ندور في حلقة مفرغة ونتساءل فيما اذا تجاوزت الظروف مقررات مؤتمر الصومام؟ وهل المؤتمر الثاني يعتبر شرعيا بعد أن شككت قيادة الخارج في مصداقيته معتبرة إياه إخلالا بهيمنتها على الداخل لأنها ترفض طبيعة التركيب الثوري المنبثق من فصائل المقاومة في داخل الثورة وتنظر لها بعين الريبة والمنافسة على مكانتها من الشرعية الدولية. متناسبة أن المكانة التي تبوأتها في المحافل الدولية لم تكن لتنالها لولا جهود الشعب والثورة في الداخل عبر التضحيات اليومية.

ونضرب مثلا واحدا على ذلك. عندما كانت منظمة الأمم المتحدة مجتمعة في دورة عادية عام 1960 وكان وفد جبهة التحرير لا يلقى ترحابا كافيا من قبل الوفود المشاركة وفجأة انقلبت جميع التقديرات وصار الجميع يتطلع لمقابلة وفد جبهة التحرير الذي فوجئ هو نفسه بهذا التصرف لأنه لا يعلم أن الشعب الجزائري انفجر كبركان هائج في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في الداخل.

علمنا التاريخ درسا قاسيا أن الشعوب بتماسك طلائعها وتضحياتها تبلغ قراراتها وتفرض حلولها الشرعية... وأنها هي التي تمنح طلائعها الشرعية ومصداقية العمل وليس العكس وهو الدرس الذي تأخر عن فهمه بعض قادة الخارج وظنوا أن أضواء «الكاميرا» وعدسات المصورين التي تصوب تجاههم وقتها والتشريفات التي يحضون بها من قبل ساسة الدول كانت من صنعهم كأبطال معزولين عن القضية. لقد كان وراء هذا الاعتبار آلاف من الضحايا في مؤامرة كبرى على ثورتنا وتصميم نادر الوجود من قبل قوى الشر الغربية الأمريكو-أوروبية لتدمير قلعة كبيرة وبؤرة ثورية تخيفهم من أن تشع أنوار التمرد والثورة في العالم المظلوم وتغير بالتالي جميع موازين القوى المبنية على أسس الظلم والتمايز الدوليين.

إن مشروع شال الذي دام شهورا عديدة وهدف به لأن يكون كماشة تقبض على عنق الثورة وتمنع عنها عناصر الإمداد والتزود بالعتاد والذخيرة العسكريين.. بكل أسف تم بناؤه تحت سمع وبصر القيادة العامة ولم تخطط

لعرقلته ومنعه من أن ينجز ليصبح بعد ذلك خط الموت الفاصل بين الثورة في الداخل وقواعدها الخلفية في الخارج. لقد اتبع شال مراحل عديدة لإنجازه، ففي البداية حقق مسحا شاملا «سيستيماتيكيا» لكل شيء موجود ثم انتقل إلى مراحل الإنجاز الفعلي وكان مستديم الحضور بنفسه مختارا الزمان والمكان لخنق الثورة.

أما نحن في الداخل فقد حاولنا مواجهة الوضع بشيء من الحكمة والخوف، لقد كنا نعرف كيف بدأ المشروع الجهنمي ولم نكن نعرف كيف ستكون نهايته. كان مثلنا في ذلك مثل القائد الكبير طارق بن زياد وفصائله من مجاهدي العرب المسلمين الأوائل بأن «البحر وراءهم والعدو أمامهم وليس لهم ما يقتاتون به إلا ما يفتكون من عدوهم» وإن كان يشفع لهؤلاء إيمانهم وأسلحتهم وقيادتهم المؤمنة بالنصر أو الشهادة، أما نحن فلا سلاح لنا ولا ذخيرة ولا مؤونة.. كل ما كنا نملكه هو الإصرار على مهاجمة العدو المدجج بالسلاح.. بأيد عزلاء، وافتكاك السلاح والخبز منه.. أما الجماهير التي ظلت طيلة مرحلة الثورة مصدرنا الأساسي من الرجال والمؤونة والإصرار على الجهاد.. قد أفقرها العدو وجوّعها وحاصرها في مراكز ومحتشدات أو هجّرها خارج الحدود القطرية.. لقد كنا كجنود وحدنا في ساحات الموت يحاصرنا العدو بالسلاح ويخنقنا بالأسلاك المكهربة دون أن يترك شبرا واحدا لم يمشطه بحثا عن المجاهدين والمتعاونين معهم.. مما أدى بالجنرال شال إلى تحدي الثورة في ندوة صحفية والحكم عليها بالموت بعد شهرين من إحكام خطته هذه التي حقق فيها إنجازا كبيرا في معارك ضارية لكن غير متكافئة حدثت في الولاية الخامسة، ومما قاله شال لمراسل صحيفة «لوموند» يوم 21 أفريل 1959 «من الممكن أن يكون حلا عسكريا للقضية الجزائرية في أقرب وقت ممكن وإليكم نموذجا في عملية واحدة حسب لها كل الحسابات، كان من نتائجها (2462) اثنين وستين وأربع مائة وألفين مابين قتيل وأسير في الولاية الخامسة..»

على إثر ذلك التصريح كنا متمركزين في قرية أولاد عابد شمال قصر البخاري فأمرنا القائد سي امحمد بالقيام بهجومات على العدو كان الهدف منها إعادة رفع معنويات المقاتلين والجماهير والرد على غرور شال ونزقه، وكانت خطتنا احتلال مركز تابع للدفاع الذاتي. لكن عدلنا عن تنفيذ العملية بعد أن

تأكدنا من وشاية أحد الخونة وهكذا اكتشف العدو خطتنا فتحرش بغروره ولاحق المجاهدين في هجوم كبير وقعت على إثره معركة (الرقيطة) قرب ثكنة بوغار تكبدت فيها القوات الاستعمارية خسائر هامة في الجنود والعتاد وقتل فيها ضابط فرنسي برتبة نقيب وغنمنا ستًا وعشرين قطعة سلاح (26) وأسقطنا طائرة تفجرت في الطريق الوطني رقم واحد على بعد أربعة كيلومترات من قصر البخاري واستشهد من قواتنا اثنان وعشرون مجاهدا. سيظل النصب التذكاري الرابض بتلك المنطقة شاهدا أبديا على ذلك اليوم المشهود من بين مئات الأيام الخالدة في ثورتنا.

كان هذا الحدث بداية رد بليغ على قائد مغرور ودرسًا له فصوله في معارك قادمة.

تواصلت مهاجمة عساكر العدو ورفع التحدي الذي فرضه علينا شال بعد تصريحه لصحيفة لوموند فنظمنا هجوما واسعا يوم 22 أفريل 1959 بقرية بن احسن بعد أن انتقلنا إليها من الرقيطة وكان برفقتنا أسيران فرنسيان كانا وقعا في الأسر في معركة سابقة. وكان العقيد سي امحمد ينوي إطلاق سراحهما.. لكن كثافة نيران تلك المعركة وقنابل النابالم المتساقطة علينا مدرارا قتلتهما مع من استشهد من جنودنا وهكذا قتل العدو أبناءه بنفسه. في تلك الأثناء كانت طائرة فرنسية تلقي مناشير في سماء المعركة تحمل عزاء للقائد سي امحمد ولجنوده بقتل البطلين عميروش والحواس وتتوعده بالموت القريب أتذكر تلك الأحداث بمرارة وغيض، لقد كنا فيها محاصرين بين النار والنار التي تطلق علينا من الأرض والسماء يمزقنا الجوع والعراء والعزلة المطلقة في الوقت الذي كان فيه رفاقنا في قيادة الخارج يدبجون البيانات ويختارون لها الكلمات الرنانة.. ويكفي أن أذكر هذا النموذج الذي أعلن موت عميروش والحواس وقد صدر عن القيادة العامة: «ثبت فعلا أن عميروش والحواس قد استشهدا في ميدان الشرف...»، وينتهي البيان الطويل وكان من المفروض أن يضيفوا الجمل التالية: «قتل شال 4647 (سبع وأربعون وست مائة وأربعة آلاف) من الجنود المتآمرين في الداخل وعلى رأسهم الذين عقدوا المؤتمر المشبوه وهم سي عميروش وسي الحواس وسي امحمد وعمر إدريس في انتظار القنابل الموقوتة التي ستنفجر في مناطق أخرى تصيب أبطالا آخرين...».

4 - النوايا الصادقة.

كانت نوايا قادة الداخل نزيهة لما عقدوا مؤتمرهم الذي لم يكن موجها ضد أي كان بقدر ما كان ضرورة ملحة لإعادة امتلاك زمام المبادرة وتذليل العقبات التنظيمية والتمويلية لقوات الثورة ومواجهة التطورات اللوجيستيكية لقوات العدو...

ولا أدل على هذه النوايا من المهمة الرسمية التي كلف بها العقيد الحواس من قبل المؤتمرين ليبلغها إلى القيادة في الخارج ويشتمل بعضها على:

1 - الموافقة على ضرورة إضافة ممثلين عسكريين من الحدود الشرقية والغربية للوطن إلى قيادة الداخل للوصول إلى صيغة تمثيلية عامة لكافة قواتنا المقاتلة.

- توحيد القيادة العامة وجعلها جماعية طبقا لتوصيات مؤتمر الصومام.

3 - وضع خطة مواجهة استراتيجية لمشاريع العدووبالتحديد مخطط الجنرال شال الذي استفحل وقتها وأصبح يهدد مصير الثورة بمحاولة عزلها عن قواعدها الخلفية في المناطق الحدودية وكان من أهدافه الجهنمية تفتيت قوى الثورة وعزلها ليسهل الاستفراد بها وتحطيمها نهائيا وقد خبرنا هذا الأمر نحن الذين عشنا آثاره في الداخل من خلال ملاحقتنا اليومية لمنجزاته على أرض المعركة.

من ذلك أنه ضرب حصارا محكما على الولاية الحدودية الخامسة وشن هجوما كاسحا عليها في عملية إبادة شاملة أطلق عليها الجيش الفرنسي وقتها إسم: «عملية التاج»، كما دلت بوادر أخرى ميدانية أنه كان يخطط لتعميم أسلوب الحصار ثم الهجوم الكاسح والمركز والمستمر بجميع الأسلحة إلى درجة لا يترك معها مجالا أو فرصة لخصمه أن يعيد تنظيم قواته لاستئناف المعارك وهي الخطة التي أراد بها العدو وضع حد لحرب العصابات على أن تعمم بعد ذلك على كافة التراب الوطني.

هنا نسجل الفارق بين قيادة الداخل التي كانت تتحرك طبقا لمعطيات يوفرها واقعها الحربي اليومي في مواجهة العدو وبين نوايا قادة الخارج التي كانت تخطط على الورق وتضبط حساباتها السياسية على ضوء اعتبارات سلطوية من

خارج دوائر المعركة... وكان الأولى بها والأجدر قبل التشكيك في نوايا هؤلاء أن تجمع القرائن من على أرض المعركة وتقيم عليها عملية تحليل وبذلك تتصالح مع أهداف وأبعاد مؤتمر القادة في الداخل.

5 – فشل اجتماع قادة الداخل:

فشلت المبادرة، وإن من أهم أسباب فشلها:

1 – كونها صادرة عن أصحاب الداخل وليست من صنيع قادة الخارج.

2 – تخلف الولاية الخامسة عن حضور المؤتمر.

3 – عدم مشاركة الولاية الثانية في المؤتمر مشاركة فعلية وفعالة كما أسلفنا الذكر بحيث كان موقفها موقف القوم الذين قالوا لنبيهم: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون) صدق الله العظيم.

4 – اعتبر المؤتمر من قبل قادة الخارج مؤامرة ضد الثورة وهكذا حكموا عليه غيابيا بالإعدام.

ومن أكبر الأسباب المباشرة الأخرى التي أفشلت نتائج المؤتمر: استشهاد القائدين عميروش والحواس وهما في طريق العودة من المؤتمر إلي مراكز قيادتهما بعد أن ورطا في معركة غير متوازنة مع العدو خاضاها مرغمين خارج تقديراتهما العسكرية. وكذلك استشهاد سي امحمد بوقرة قائد الولاية الرابعة بعد شهرين على استشهاد البطلين السالفي الذكر يوم الخامس من شهر ماي 1959 وهكذا تحالفت جملة من الظروف القاهرة لتحبط نتائج هذا المؤتمر الذي كان على قدر من الاستراتيجية التنظيمية في مواجهة مخططات العدو.

إن استشهاد صانعي هذا الحدث وقناعة قيادة الخارج بضرورة إفشال مفعوله كانت أهم أسباب إحباط نتائجه التي كنا نراهن عليها داخليا.

لقد استدعت بعد ذلك قيادة الخارج من بقي على قيد الحياة ممن شاركوا في المؤتمر إلى مقر قيادتها بتونس تستفسرهم الأمر وقد أطلق قادة الخارج على المؤتمر إسم: «المؤتمر المشبوه».

أما اليوم وقد مرت سنوات على الحدث أرى أنه من الضروري الوقوف عنده بموضوعية وتجرد خدمة للحقيقة والتاريخ ومقاومة لفقد الذاكرة واللامبالاة، إن

جملة من التساؤلات أعتقد أن طرحها يفيد في بلورة الصدق وتحرير تاريخنا الثوري من المغالطات وعرضه للأجيال القادمة عرضا صادقا تتولى بدورها الحكم له أو عليه.

1 - لمصلحة من عقد مؤتمر الداخل؟

2 - وما هي أهدافه؟

نعتقد أن طرح هذه الأسئلة يفيد في استقراء الحقيقة وإبانة خفايا الموقف المضاد الذي تبناه قادة الداخل منذ البدء.

أقدم اليوم شهادة للتاريخ وأقول بأني على يقين أن الدعوة لعقد المؤتمر كانت جماعية وباتفاق كل القادة المشاركين... ولم تكن من وحي ولا بإيعاز من أحدهم، لقد كانوا رحمهم الله على اتفاق تام بضرورة عقد اللقاء وما كانوا ليشكك في نواياهم أحد.. نظرا لما عرفوا به من إخلاص وتصميم وشجاعة على قتال العدو وقد برهنوا على ذلك سنوات قيادتهم للثورة وعند استشهادهم البطولي. إذن كيف يمكن اعتبار دعوتهم للملتقى مؤامرة على الثورة كما يدعون؟ لقد سبق المؤتمر مشاورات طويلة وعميقة بين القادة على ضوء المستجدات العديدة التي حدثت على مستوى الثورة في الداخل ومجيء ديغول إلى السلطة وتبنيه أسلوبا خطيرا في المناورة سياسيا وعسكريا. إن تهمة بعضهم لقادة الداخل بالتآمر هي تهمة باطلة لا أريد أن أسترسل في تقصّي خلفياتها وأبعادها... إن كل ما طمحت إليه هو تبرئة ساحة هؤلاء القادة الشهداء وتصحيح مسار تاريخ الثورة مما علق به لا سيما من قبل الذين وظفوا المنابر وتسارعوا للحديث في غياب توفر شروط الحديث وفي غياب الأطراف المعنية بالحقيقة.

لم تكن أهداف المؤتمر غير الدفاع عن مستقبل الثورة واسترداد السيادة. أما هاجس خوف قيادة الخارج من هذا المؤتمر إنما لا يتعدى موضوع تمثيل الثورة في الخارج والتكلم باسمها.. لم يكن يعنيهم مستقبل الوطن ومشاعر الجماهير وآلامهم في القرى والمداشر والجبال والمدن... بقدر ما كان يهمهم أن يقال عنهم هم قادة الثورة ولسان حالها.

لقد التزمت الولاية الرابعة بوفائها لمبادئ الثورة وعمل قادتها كل ما في وسعهم لإقرار الأمن وتوحيد صفوف الثورة ولم تتأخر في إرسالها خيرة وحداتها

عدة وتدريبا مثلها في ذلك مثل الولاية الثالثة إلى الولايتين الأولى والسادسة تلبية لطلب قادة هاتين الولايتين لوضع حد لبعض المشاكل القائمة في الولاية الأولى بالذات حيث استنزفت جهود المخلصين وفتحت شرخا في وحدة الثورة وأصبحت بعض فصائل جيش التحرير تتناحر فيما بينها دون طائل.

لقد كانت الولاية الأولى بقيادة مصطفى بن بولعيد قبلة كل الثوار ورمزا للثورة نظرا لما اتسم به قائدها من حنكة وتصميم وحكمة عظيمة حتى أنه التزم أمام رفاقه ممن أشعلوا أول شرارة في الثورة أن يلهي ويشغل قوات العدو نصف سنة كاملة بعد 1954 ريثما تلتحق به كل الجهات الأخرى التي لم تهيء نفسها جيدا في الرجال والتجهيزات وقد وفق بن بولعيد رغم إمكانياته المتواضعة.

لكن بعد موته حدث ما لم تحمد عقباه، وانتشرت عدوى الخلافات داخل الولايات بين الولاية السادسة والأولى لذا سارع القائد سي امحمد رحمه الله إلى إرسال وحدات من ولايته تحت قيادة النقيب سي موسى شريف وكلفه بالتعرف عما يجري هناك من خلاف وأحداث وقد اعتبر بعض الذين لم يتخلصوا من ذهنيات العصبية الضيقة والعشائرية القاتلة هذا العمل تدخلا في الشؤون الداخلية للولاية الأولى رغم أن نظرة القائد سي امحمد للولاية الأولى كانت دوما نظرة تقدير وإكبار فقد هدف بإرساله تلك الفصائل إلى استتباب الأمن ومعاونة الإخوة على تجاوز محنتهم بحكمة وحسن سريرة وكان اهتمامه بالثورة في جميع بقاع الوطن اهتماما كبيرا ينم عن وعي بالمسؤولية الثورية وبوحدة القتال على غرار أولئك القادة الأوائل الأفذاذ. لقد كان سي امحمد شديد العاطفة للولاية الأولى لسبقها في إشعال نار الثورة ومكانتها الاستراتيجية وموقعها في الوطن. لقد خير سي امحمد وضع هذه الولاية الخاص ودورها في استمرارية الثورة المكافحة فأعطاها اهتماما متزايدا وخصها ببعثاته المتلاحقة حفاظا على أمنها ومعرفة مصير فصائل الولاية الرابعة الذين يتوجهون إلي الحدود الشرقية للتزود بالسلاح والذخيرة.

6 - شهداء الولاية الرابعة خارج حدودها.

كان توجه فصائل مقاتلي الولاية الرابعة إلى القاعدة الشرقية معهودا، وأذكر أن عدد مجاهديها الذين استشهدوا في الولاية الأولى في ذهابهم ومجيئهم بلغ ثماني كتائب أي ما يعادل ثلاثة آلاف شهيد سقطوا بين الجبل الأبيض وبحيرة الأرنب وخنشلة... وقد استشهد بعضهم دون سلاح.

أما دور مبعوث الولاية الرابعة النقيب سي موسى شريف فلم يكن مقصورا على تمثيل قائده سي امحمد.. بل تعداه إلي تقديم عروض شاملة ودقيقة عن مجمل الأحداث والحوادث التي تنشأ هنالك وهي بدورها تحول في تقرير مفصل إلى القيادة في خارج الوطن. وقد تحمل نفس المسؤولية إطارات آخرون أذكر من بينهم سي الطيب الجغلالي وعمر محجوب ونايف وسعيد موسوني.

وإنصافا للتاريخ والحقيقة سأشير إلى بعض الحقائق التي لم تذكر في حدود معلوماتي حتى الآن. وليس الهدف منها خدش روح الثورة من جديد أو تصفية حساب قديم مع أي كان، ولكن قولة الحق هي غايتي ومقصدي.. حتى يتمكن كل طالب حقيقة من نيلها وكل باحث في ثورتنا بموضوعية وصدق أن يحقق مأربه.

ليس من المبالغة في شيء إذا أكدنا أن ما تحمّله مجاهدونا وهم في طريقهم إلي مناطق الحدود الشرقية على غرار مجاهدي الولاية الثالثة يتجاوز كل تقدير بحيث كان الواحد منهم يقطع مسافة ألفي كيلومتر ذهابا وإيابا (2000كلم) جلها في الجبال الوعرة والوديان والغابات محفوفة بالموت تراقبها قوات العدو المدججة بالأسلحة وأدوات المراقبة المشددة. هذه المخاطر العظيمة لا يطمع من خلالها المجاهد إلا في الحصول على قطعة سلاح قد يأتي بها وقد يموت دونها.

رغم حجم هذه المسؤولية وإقدام الرجال عليها خدمة لواجب الثورة تجرأ بعض أصحاب الفتنة من الدس على كتائبنا من المجاهدين والتشكيك في نواياهم وذهب بهم الأمر إلى تجريدهم من السلاح بل إلى الإجهاز عليهم وتصفيتهم جسديا... ومهما كانت الأسباب والتأويلات لا يمكنني بأي حال أن أستوعب حجم البشاعة في أن يقتل المجاهد أخاه؟

صحيح ننسى أحيانا طباع الإنسان فنحسبها خيرا لكن قتل المجاهدين من قبل بعضهم لم يكن ممكنا أبدا على الأقل في ثورتنا نظرا لعدم وجود ما يفرقنا من عقائد ومذاهب وطوائف وحتى أكون أكثر وضوحا ودقة أذكر حادثة اغتيال الشهيد البطل علي حنبلي الذي قرر العودة من تونس ليستأنف جهاده في صفوف الثورة متحديا بذلك سياج الأسلاك الشائكة والمكهربة التي ضربها العدو حول حدودنا الشرقية...لكن نظرا لتعدد جبهات الصراع في تونس وداخل

صفوف القيادة... وقع حنبلي ضحية التكتلات... ولما اشتد إصراره على العودة أخضعته القيادة لأسلوب التجويع مدة طويلة حتى كاد أن يهلك فصمم أن يهرب من سجنه ويلتحق بصفوف العدو ويموت على أيديه عوض أن يموت جوعا في سجون الثورة، كان حنبلي على يقين من أن العدو الفرنسي لن يمهله لحظة حتى يعدمه ومع ذلك آثر الموت شهيدا ويرأ ذمة الثورة من دمه الزكي...

وأما الشهيد الثاني والضحية الأخرى فهو البطل أحمد العقون الذي قرر الالتحاق برفاق السلاح في الداخل فمنعوه هو الآخر ولما أصر على عناده صفوه جسديا وتركوا جثته في العراء ظنا منهم أنه أسلم الروح لكنه في الحقيقة بقي على رمق من الحياة يئن حتى التقطه رعاة تونسيون فادعى أمامهم أنه أصيب في معركة ضد العدو الفرنسي حتى لا يبوح بسر الثورة.. فأعادوه إلي مقر القيادة التي اكتشفت أنه مازال على قيد الحياة فأمروا بقتله ثانية وبذلك يكون أحمد العقون قد استشهد مرتين ليظل حجة ناصعة ضد الزيف وتجار الثورة.

وثالثة الأثافي العقيد لطفي وخراج الطاهر، ونظرا لما كان عليه لطفي من إحساس بالمسؤولية ووعي بالمخاطر التي تحدق بالثورة في الداخل والخارج.. قرر ترك الحدود الغربية وما تتوفر عليه من أسباب الراحة ليدخل جحيم المعركة ويستشهد بذلك على بعد (20كلم) جنوب بشار في وضح النهار في معركة غير متكافئة مع العدو وفي مكان خال من الأشجار ووسائل التمويه. وبذلك يكون العقيد لطفي ورفيقه قد قدما شهادة عنوانها التضحية بالروح من أجل الوطن في الوقت الذي كان بإمكانه وهو القائد الكبير أن يكتفي بالبيانات من الخارج مثله في ذلك مثل غيره من القادة..

الفصل الثاني

قادة كبار عرفتهم، أو من فجر مظاهرات 11 ديسمبر 1960؟

1 - قوات العدو تقلد جيش التحرير وتسمم مياه الشرب.

لم يكن مشروع شال مخططا مفصولا عن تصور جهنمي متكامل لأنه ضارع عمليات مسح مركزة صاحبتها هجومات واسعة الانتشار كان هدفها إرهاق الثورة وخنق قواها عبر مسح توبوغرافي شل جميع مناطق تواجد المجاهدين ومن بين هذه العمليات، عملية «جيمال» و «كوروا» الخ...

ولكي يحقق العدو مشروعه اعتمد نظريات «ضباط لاصاص» ودهاقنة الحرب الاستعمارية من القادة المحنكين ووضعوا مخططا تنظيميا في توزيع تشكيلاتهم العسكرية على طريقة تشكيلات جيش التحرير المكونة من جماعات صغيرة سريعة التنقل والحركة تضرب وتنسحب دون ترك مجال لقوات العدو بالرد والمواجهة.

هذه المجموعات الصغيرة التي شكلوها كانت تتقدم الفيالق الكبيرة أثناء عمليات المسح وقد أطلق عليها إسم: «رأس استكشافي» و«كومندوس قنص».

يلتقي هذا التنظيم مع ما هو متبع في صفوف جيش التحرير ولا يختلف عنه إلا في أسلوب التمويل بحيث يتمولون بالسلاح والذخيرة والمؤونة من الثكنات ومراكز الحراسة المتقدمة التي تتحول عند الضرورة القتالية بعد كشف المجاهدين إلى مراكز معلومات واتصال بالقيادة المركزية التي تعطي أوامرها للطيران الحربي والدبابات والشاحنات المحملة بالجنود... لمحاصرة جيش التحرير.

رغم هذه المخططات والدهاء العدواني والحصار المعقد المضروب علينا من جميع الجوانب أقول بكل تواضع... قد حول جيش التحرير الهزائم إلى نصر وفند نظريات العدو على أرض الواقع، ويشهد بذلك جنود وضباط الجيش الفرنسي الذين عاشوا تلك المرحلة فإذا كانت المعركة تجري فوق أرض واحدة وبأدوات مختلفة، فإن طبيعة الفرد المقاتل هي التي تحسم الموقف في الأخير وتحدد النصر وتحدد الهزيمة لكن هذا التعامل اليومي مع العدو متطور في العدة والعدد شرس في الإيديولوجية متخصص في أساليب التقتيل الجماعي والمناورة... لم يكن دون متاعب وأهم متاعبنا في تلك المراحل التي لا يعرفها إلا من عاناها واحترق بنارها هي:

أ - إشكالية الحصول على الذخيرة.

لقد عرف العدو بواسطة أجهزته الخاصة وعيونه المبثوثة في كل مكان، أن الذخيرة هي مشكلة المقاتل الأساسية وهي بمثابة رئته التي يستنشق منها أكسجين الحياة، فإذا نفذت الذخيرة أحس بأنه خارج نبض الثورة يموت ببطء في العراء التام.

كانت أسلحتنا في مطلع الثورة بسيطة.. جلها من بنادق الصيد بالإضافة إلى بعض قطع قديمة من مخلفات الحرب العالمية الثانية ذات جنسيات مختلفة وتطورت بعد ذلك لأن تصبح مصادر تسلحنا متعددة مختلفة: لكن هذا التنوع والتعدد طرح علينا إشكالية جديدة تتمثل في استحالة توفير الذخيرة لمختلف هذه الأسلحة. فكان لزاما علينا أن نفكر في حل جذري لتجاوز المعضلة، بحيث لجأنا إلى عدونا وجعلناه مصدرنا الأول من السلاح وذلك من خلال هجوماتنا المكثفة على قواته وثكناته وفي كمائننا التي ننصبها بدقة ودراية.. إلى أن تفطن إلى خطة جهنمية لا يقرها منطق ولا يصدقها عقل... بحيث عمدت بعض فرقه الخاصة إلى حشو الذخيرة الحربية بمادة بلاستيكية شديدة الانفجار ودسها ضمن كمية الخراطيش العادية.

وكانوا يعلمون حق العلم أن الجندي الجزائري بعد نهاية كل معركة لا يسارع إلا لغنم الأسلحة والذخيرة... وبذلك يقع في الفخ الذي نصبوه له بكل نذالة وجبن بحيث تنفجر الخراطيش بمجرد الضغط على زناد البندقية أو الرشاشة على

وجه المجاهد. فيموت أو بشل... وفي مرحلة ثانية ساعدت القوات الفرنسية علي تسهيل عملية خروج الذخيرة المفخخة من ثكناتها لتسلم إلى جنودنا بأساليب مختلفة... ومن هنا كانت بيننا وبينهم حرب شروس تضطلع بها أجهزة المخابرات... كان النصر فيها دائما للذكاء، وسرعة البداهة ودقة المعلومات وسريتها...

وحتى نتفادى شر هذه الذخيرة المفخخة عمد جيش التحرير وقتها إلى تكوين وحدات خاصة تعني بالكشف عن الذخيرة المفخخة وكانت عملية الكشف تتم بطريقة بدائية نظرا لانعدام وسائل وأجهزة الكشف لدينا بحيث: يتم نزع الكبسولة أولا ثم تفرغ من محتواها ويكشف عما بداخلها.. ثم يعاد تركيبها من جديد ونظرا لطول الوقت الذي كانت تستغرقه هذه العملية.. كنا نأمر جنودنا أن يمتنعوا عن استعمالها قبل أن نعيدها إلى مراكزنا الخلفية ونادرا ما كنا نباغت العدو في معركة مفاجئة أو كمين فنجني منه ذخيرة غير مفخخة. من ذلك معركة جبل «موقورنو» يوم 24 أكتوبر 1958 التي استمرت طيلة ثلاثة أيام بلياليها رغم أنها في تقديراتنا.. ما كان لها أن تتجاوز ساعات قلائل...

تمكنا في تلك المعركة من إسقاط طائرتين عسكريتين ما يزال حطامهما شاهدا عليهما إلى اليوم... وغنمنا أربعة عشر ألف خرطوشة عثرنا عليها داخل الحطام... وذلك رغم كل محاولات العدو لتفجيرها جوا... هكذا غنمنا صيدا ثمينا كان سببا في تغيير معادلة تلك المعركة... التي فاجأت الملاحظين وكل الذين كانوا على علم بإمكانياتنا القتالية بما فيهم العدو نفسه الذي كان يعلم حق العلم حسب تقرير مصالحه الخاصة المؤرخ في 11 ديسمبر 1958 عدد قواتنا ونوعية أسلحتنا وكمية ذخيرتنا وحتى مواقع تمركزنا.

وبالإضافة إلي معضلة الذخيرة كانت منابع المياه والمجاري الطبيعية من صلب شاغلنا اليومية بحيث لم يكن بإمكان المجاهد أن يحمل معه أكثر من لترين من الماء يستهلكهما عادة في الساعات الأولى من المعركة، وقد كان العدو يخطط بدقة لهذا الموضوع في معاركه ضدنا بحيث يعمد بادئ ذي بدء إلى محاصرة جميع أماكن المياه والينابيع الجارية وحتى البرك... ويقوم بتسميمها لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن بعد كل نهاية معركة يسارع المجاهد إلى الارتواء بكمية

من الماء. هذه السموم ميزتها أنها تشل الجسد وتجعله في حالة إغماء كاملة حتى إذا خذر نهائيا سهل القبض عليه من قبل قوات العدو التي تظل تراقب عن بعد هذا المشهد السحيق وغير الإنساني الذي لا تقره إلا الذهنية الفرنسية وحدها.

أما السواقي والأودية الجارية فكان العدو يتمركز بالقرب منها ليمنع عنها كل اتصال والتزود بمياهها. وكم مرة عثرنا على حيوانات برية مشلولة بفعل مادة التخدير الخطيرة هذه. كالخنازير والذئاب وغيرها...

ومن سخيف الأمور أن عساكر العدو كانوا يجلبون معهم حبالا ليوثقوا بها المجاهدين المخدرين، وأن كتيبة من الولاية الرابعة وأخرى من الولاية الخامسة في جبل -سعدية- بنواحي الونشريس يوم 27 مارس 1959 ضد وحدات من قوات الهندسة الفرنسية التي كانت تعمل على شق الطرقات بين الجبال لتسهيل عملية ملاحقة الثوار في المناطق الوعرة... وكانت مدعومة من قبل القوات المحمولة جوا. تمكن ثوارنا من إسقاط طائرة من نوع «هيلوكبتر سيكورسكي» وألقي القبض على طاقمها الحربي المكون من جنديين والعجيب في هذا الحدث أن هذين الطيارين المسلحين جرى أسرهما من قبل نسوة بطلات يسكن المنطقة التي أسقطت فيها الطائرة.

لم تكن المعركة بين نسوة الونشريس والطيارين سهلة، فقد قاوم العسكريان النسوة بشراسة حتى مات أحدهما وأسر الثاني ودفع الفضول نساء القرية إلى البحث داخل حطام الطائرة الرابضة بعد إسقاطها فعثرن على حبال أوثقن بها الطيار وانطلقن في البحث عن مكان المجاهدين لتسليمه إياهم وبينما هن جادات في البحث حتى أغارت عليهن طائرة هيلوكبتر أخرى وطاردتهن فقتلت واحدة منهن وكانت تحمل رضيعها بين ذراعيها وتمكنت الباقيات من النجاة وأوصلن الأسير إلى مركز قيادة جيش التحرير ومعه (مسدسه 38 وبندقية العسكرية الأمريكية الصنع).

وعندما أخبرن المجاهدين بأن رفيقتهن تأخرت مع رضيعها البالغ من العمر خمسة عشر شهرا انطلق مجاهدان تصحبهما امرأة في البحث عن المرأة وهي عادة المجاهدين بعد كل معركة أو غارة يشنها العدو، لكن المشهد كان مروعا ومهولا تجاوز كل تقديرات التراجيديا الإنسانية. لقد شاهد مجاهدونا

جثة المرأة الهامدة وقد فارقت الحياة منذ أكثر من ست وثلاثين ساعة ورضيعها متشبث بصدرها ماسك بثدي أمه يقتات من بقايا الحليب المخزون في هذا الجسد الساكن؛ كانت اللوحة سريالية في خيالها، واقعية في مأساتها، عظيمة في دلالتها.

أما أسير النسوة الطيار السجين فقد صرح لنا في اليوم الموالي متحدثا عن ظروف وملابسات سقوط طائرته قائلا: «لقد اتجهت في الوجهة غير التي أمرت بها من قبل قائد قاعدتنا وبالتالي خرجت عن مجال الخطة التي رسمت لي فكان مآلي السقوط...».

ورد عن سؤالنا عن مهمته القتالية قال: «أعطيت لي الأوامر بالالتحاق بمركز قيادة المعركة الجارية في جبل سعدية...».

وعن مكان مركز قيادة المعركة: أجاب «بأنه يقع على قمة باب البكوش يبعد عن ميدان المعركة ببضعة كيلومترات في اتجاه الشمال الغربي من جبل «سعدية» وأضاف «قد اخترت أن أقطع هذه المسافة الواقعة ما بين القاعدة ومركز قيادة العمليات فوق ميدان المعركة تجنبا لشدة الرياح الناسفة فوقعت وكانت الكارثة».

أما عن سر وجود كمية هائلة من الحبال في طائرته المسقطة صرح قائلا «جئنا بها لكي نوثق بها المجاهدين المخدرين بفعل السم الذي دسسناه لهم في مياه تلك الجهة» ويعني تلك التي تقع في الجنوب الشرقي لجبل سعدية وباب البكوش وجبل كعريشة وتعد من المناطق الاستراتيجية التي يحدها من الشمال الشرقي السهل الذي يتوسط مابين هذه البقاع ومدينة الأصنام «الشلف» ومن الشرق الطريق الذي يربط مدينة برج بونعامة بمدينة فيالار».

ونظرا لقيمتها الاستراتيجية وصراعنا مع العدو بشأنها أذكر أننا أضعنا بها خمسة آلاف شهيد (5000) أثناء سنة 1959 وحدها.

ولا أنسى أن أشيد اليوم بتلك العائلات التي رفضت الالتحاق بمراكز التجمع «لاصاص» وفضلت أن تظل تقاسم المجاهدين وضعهم الخطير على أن تخضع لأوامر العدو ومن بين هؤلاء تلك النسوة اللائي أسرن الطيارين وقيدن أحدهما

في الوقت الذي جاء بحبال في طائرته لتقييد المجاهدين، إنها سخرية القدر ووصمة عار في جبين تاريخ الجيش الفرنسي المغرور في معاركه مع مجاهدي ثورة التحرير الجزائرية.

كنا نزداد إقداما وشجاعة لما نرى أولئك الجنود المجهولين من شعبنا يتقدموننا في معاركنا الضارية مع العدو... لقد أخلصوا ماعاهدوا الله عليه.

تحيتي التي لا أملك إلا أن أطلقها لجماهير جبل سعدية وباب البكوش وكعريشة وبطيحة.. ولكل شبر أرض، وكل مواطن وشجرة وصخرة حمت المجاهدين، وبركة ماء روت عطشهم ساعات المحنة والعذاب.

تعد المعركة السالفة الذكر، وبعض المعارك العديدة الأخرى.. نتائج مقدمات كنا نجهلها في الولاية. دفعنا إليها مخطط شال الجهنمي الذي سقط علينا كالصاعقة ولم نحسب له أي حساب، وكانت بذلك خسائرنا فضيعة في الأرواح والمعدات... بدأ مخطط شال ينفذ في الولاية الخامسة في شهر فيفري 1959 دون أن نكون على علم به، ولابعملية (كورون) الخطيرة. فلا القيادة العامة بالخارج أشعرتنا بهذا المخطط ولا نحن استطعنا بوسائلنا الخاصة أن ننتبه إليه رغم توفر المؤشرات الدالة عليه. وهكذا واجهنا مخططا عسكريا محكما لم نعبئ له الجماهير... ولم نهيء قواتنا عسكريا ونفسيا للتعامل مع الوضع الجديد الذي فرضه علينا العدو فكانت الكارثة. والغريب في الأمر أننا علمنا في شهر مارس 1959 أن منطقة الونشريس التابعة للولاية الرابعة وضعت ضمن الخريطة العسكرية الفرنسية كمنطقة تابعة للغرب الجزائري الذي شمله المخطط الجهنمي وبمجرد أن عاينا عملية شق الطرق بتلك المناطق وتواجد قوات العدو بأعداد كبيرة ترابط باستمرار... اعتقدنا جهلا أن مهمتها لا تتعدى شق الطرقات في المناطق الوعرة فأمرنا القائد سي امحمد بوقرة أن نهاجمها ببعض كتائبنا المتواجدة في المنطقة الوسطى لمنعها من إنجاز مخططها... وفعلا تحركت قواتنا وأصابت مواقعها بدقة فقتلت وخربت بعض ما أنجز... واستراح بالنا.. لكن المفاجأة كانت كبيرة والكارثة كانت ثقيلة... بحيث بعد هذه العملية مركزنا قوات كبيرة في مواقع واحدة دون أن نعلم أن جيش العدو ينفذ منذ شهور مخطط مسح شامل ومركز استعمل فيه عشرات الآلاف من الجنود والضباط

والخبراء وآلاف الدبابات والمدرعات والسيارات والمدافع المحمولة... تدعمها الطائرات والصواريخ... وقد امتد هذا المسح تحت إسم : «كوروا» الهلال على طول مساحة الغرب الجزائري وصولا إلى مواقع ولايتنا في الوسط. وهو بدوره امتداد لعملية كبيرة اسمها: «كورون»... وبفضل هؤلاء الفارين من الموت المحقق علمنا حقيقة مشروع الجيش الفرنسي... وتأكد لدينا أن قوات الهندسة الفرنسية التي هاجمناها سابقا هي في الحقيقة قوات أمامية تدعمها محميات تقوم بدراسة «طوبوغرافية» شاملة للميدان ريثما تلحق بها حملة الإبادة الشاملة التي كان من أهدافها القضاء على عنصر الحياة وتدمير الثورة من غرب البلاد إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها...

بدأنا فورا نتدارك الوضع في خطة وقائية لتفادي حجم الخسائر الباهضة في الأرواح والمعدات كما وقع في الولاية الخامسة، فباشرنا هجوماتنا المتتالية والمركزة في شهر مارس 1959 على قوات العدو لمنعها من التمركز وبناء التحصينات وشق الطرق، وقد انضم إلى قوات ولايتنا جنود وضباط المنطقة السابعة من الولاية الخامسة على إثر اشتداد الحصارعليهم... فتجمع لدينا ما لا يقل عن ألف مجاهد (1000) منقسمين كالتالي:

أ - خمس كتائب من الولاية الرابعة.

ب - كتيبتان من الولاية الخامسة.

ج - وبعض الفصائل الأخرى.

استمرت المقاومة والتصدي اليومي الكثيف أربعا وأربعين يوما دون هوادة، وصل فيها القتال أشده... رغم عدم التكافؤ الصارخ بين القوتين، واتسع مجال المعارك ليشمل كافة مناطق الولاية الرابعة وصولا إلى ناحية تابلاط.

ونظرا لحجم الخسائر الكبيرة، التي مني بها العدو في قواته ومعداته استدعى الجنرال شال وقتها قوات إضافية لشد عضد قواته، كانت خطتنا الاستراتيجية في العمليات اليومية متواصلة وذات بعدين بحيث فتحنا على العدو جبهتين جبهة تتصدى فيها لقواته في معارك خاطفة تنقض عليه بسرعة وكثافة، والثانية تتمثل في ضرب خطوطه الخلفية لإرباكه وإثارة البلبلة في صفوفه.

2 - هل نجح الجنرال شال في مخططه؟

يبدو للوهلة الأولى أن الجنرال شال حقق مشروعه الذي خطط له بدقة وخبرة عسكرية فائقة بدعمه في ذلك ديغول بكل الوسائل المادية والمعنوية الكبيرة إلى درجة أن توهم أنه أحكم قبضته على الثورة وقضى عليها نهائيا، لكن حجم الأحداث والوقائع التي عرفتها تلك المرحلة تبين عكس ذلك تماما، فحين كانت فرنسا تحتفل بفرحة انتصارها على ثورتنا تعرض الجنرال ديغول إلى محاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة... ولولا فشل هذه المحاولة لتغيرت موازين كثيرة في فرنسا... لن أتوقف عند هذا الموضوع وأتركه للمؤرخين وأصحاب الاختصاص.

إن الأهم في رأينا هو توضيح الخطة التي واجهنا بها مشروع شال في ولايتنا على الأقل.

أ - إعادة تقسيم قواتنا :

لم نتقيد بخطة ثابتة في مواجهة العدو ولا بتقسيم وحيد في قواتنا.. لكن جمعنا كل قواتنا وأقمناها مع خطة متغيرة حسب الظروف والمستجدات والطوارئ، وهو أسلوب حرب العصابات التي فرضها اللاتوازن بين القوتين بحيث لجأنا إلى التقسيم التالي:

I - قسمنا الوحدات إلى أفواج.

II - قسمنا الأفواج إلى مجموعات صغيرة.

كان الهدف من هذا التقسيم هو عدم تمكين العدو من مواجهة قواتنا ولا حتى كشفها في عمليات المسح الشامل الذي كان يقوم به بحيث فوتنا عليه فرص المصادمة غير المتكافئة.

III - تكثيف العمليات المحدودة والهجومات المضادة السريعة والخاطفة على العدو في مراكز تجمعه وفي المدن إلى جانب المعمرين.

IV - نقل المعركة من الجبال إلى المدن والمناطق الآهلة لفك الحصار على القرى والمداشر التي ظلت تتعرض لعمليات المسح... والاقتراب من الجماهير باعتبارها مصادرنا من التموين اليومي...وتحسيسها بدورها وتحريضها ضد عدوها... الذي تمكن بوسائل دعائية وأجهزته المخابراتية المتخصصة لا سيما

ضباط «لاصاص».. أن يوهمها ويغالطها بأنه قضى على الثورة قضاء مبرما، وأن لا حل أمامها إلا الخضوع له ومبايعته على مصيرها.

كل هذه الاحتياطات اتخذناها في نهاية 1959 بحيث أصبحت ولايتنا تضم ست مناطق عوضا عن خمس مناطق سابقا. ونقلنا فضاء المعركة من الجبال والقرى والمداشر إلى المدن والتجمعات السكانية الكبيرة بعد أن كانت قصرا على جيش العدو وبعض نشاطنا السياسي وكانت هذه النقلة الجديدة صفعة دوخت العدو وخلطت أوراقه وصار الحديث عن المجاهدين في أوساط المعمرين والخونة كالحديث عن العفاريت الهادفة من السماء، وأصبح المحافظ السياسي في جيش التحرير هو هدف العدو الأول لأنه يقوم بدور المربي والمحرض والموجه في أوساط الجماهير ومصدر تمويل المجاهدين بالسلاح والأموال واللباس والغذاء..

وهكذا تمكنا رغم خسائرنا الباهضة من تفويت الفرصة القاضية على العدو وتحاشينا مواجهته في معارك غير متكافئة بحيث تعاملنا مع قواته الكلاسيكية بأسلوب تكتيكي، محلي يقوم على المفاجأة والسرعة والاستنزاف اليومي... مستغلين عنصر معرفة ميدان المعركة ودعم الجماهير لنا.. وخبرتنا الواسعة في الحرب... وهكذا فشل شال في تحقيق مشروعه كما اعترف شخصيا بذلك... وسقطت أسطورة الجيش الفرنسي الدولية ورفع عن الخونة والمعمرين وهمهم بأنهم في مأمن من ضربات المجاهدين الذين يشبهونهم بذئاب الغاب... بل واستردت الجماهير ولا سيما سكان المدن ثقتهم في قوتهم وفي استمراريتها وتصميمها على التحرر...

3 – اجتماع وملابسات :

قرر مجلس الولاية الرابعة في أكتوبر 1960 في إطار إعادة تقسيم الولاية لمجابهة مستجدات الوضع... أضاف المنطقة السادسة التي تحتوي منطقة العاصمة والساحل وأقر ذلك في اجتماع عقد في ظروف خاصة ومكان خاص كذلك.

عقد هذا الاجتماع بإحدى ضواحي بئر التوتة، وتم فيه اعتماد التقسيم المشار إليه نظرا للقيمة الاستراتيجية لتلك المنطقة باعتبارها العمود الفقري للولاية الرابعة، ومركز تجمع سكاني كبير لا سيما من الأوروبيين، وتشمل منطقة عاصمة البلاد المركز العسكري والسياسي والتجاري... بموانئه ومطاراته وثكناته..

ورغم صعوبة التنقل والحصار المشدد.. وعيون العدو المنتشرة في جميع الأماكن والمداهمات والدوريات المستمرة... تمكنا من الوصول إلي بئرتوتة وعقدنا الاجتماع الذي نعتبره تاريخيا... في إحدى المزارع التي يملكها أوربي ولا تبعد عن محطة قطار بئر توتة إلا بضعة أمتار حيث تعج بجيوش العدو وإلى جانب الطريق الرسمي التي لا تهدأ فيه حركة السيارات والشاحنات ذهابا وإيابا ودوريات المراقبة والتفتيش المستديمة.

لقد وقع اختيارنا على هذا المكان لمغالطة العدو الذي لا يمكن أن يضع في حسبانه أن ضباط جيش التحرير قد يجتمعون في هذا المكان المحفوف بالمخاطر وفي مزرعة رجل أوروبي لا يصدق أن يخون من وجهة نظرهم وطنه فرنسا مقابل إرضاء «الفلاقة».

لقد وصلت تلك المزرعة رفقة مساعديَّ وهما بوسماحة محمد المعروف بمحمد البرواقية الذي عين في ذلك الاجتماع على رأس منطقة الجزائر العاصمة والساحل والمرحوم روشاي بوعلام المشهور باسم سي الزوبير وقد تم تعيينه يومها نائبا لسي بوسماحة.

حضر معنا الاجتماع الهام مسؤولو الناحية الساحلية وشهيدان هما المرحوم سي جعفر وأحمد البلي وكذلك شخصان آخران مازالا على قيد الحياة وهما خالد وحجال بناني.

وقد أمضينا في تلك المزرعة ليلتين صحبة مالك المزرعة الذي يعد من بين الأوروبيين الشرفاء الذين وقفوا إلى جانب الثورة والمجاهدين ودافعوا عن شرعيتها وأخلصوا لها أيما إخلاص ومنهم من استشهد جزاء موقفه الإنساني.. وقبل الاجتماع اتصل به بعض المناضلين في منطقة بورقيقة فوافق على أن تحتضن مزرعته الاجتماع الهام وكان من قبل يختلف إليه المجاهدون الذين ضاقت بهم السبل فيكرمهم. وأذكر أنه بعد الاجتماع أهدى لنا جهاز «ترانزيستور» جديدا وكان حديث العهد في بلادنا ونادرا جدا.. أهداه خصيصا إلى روشاي بوعلام لخفة روحه وإتقانه الفرنسية.. وسهولة تعامله مع الأوروبيين... وليس لأمر آخر إذ لم يكن يعرف أي أحد منا ولا يعلم شيئا عن أسمائنا وسبب تواجدنا بمزرعته ولا عن نوع المهمة التي جئنا من أجلها، إن كل ما كان يعرفه عنا أننا جماعة من المجاهدين جئنا نختفي في مزرعته طلبا للراحة بعد حصار وإرهاق كبيرين.

لكن روشاي بوعلام (سي الزوبير) رحمه الله أبى إلا أن يكرمني بهذا الجهاز (المذياع) مدركا حاجتنا إليه ونحن في الجبال نلتقط أخبار ثورتنا وأخبار العالم، أهداه لي لحظة وداع مؤثرة لا يمكن أن أنساها ما بقيت حيا لقد ودعت فيه إلى الأبد الرفيق الشجاع والشقيق الودود والصديق المخلص.. كان أقرب الناس إلى قلبي وفكري، قاسينا معا المرارة والعذاب وحلاوة الجهاد.. حاولت لحظتها أن أوقف دموعا انفجرت رغما عني فلم أفلح نظر إليّ سي الزوبير بعيون ترقرقت دمعا حارا وربت على كتفي قائلا: «أن في طريقي الآن كما اتفقنا إلى العاصمة وأرجو أن لا يؤلمك فراقي فقد نلتقي وقد لا نلتقي ..وأهديك هذا المذياع وستستمع منه بإذن الله إلى صوت الجزائر نذيعه من الجزائر، لا من خارجها..».

وفعلا شاءت الأقدار أن أتابع على موجات ذلك المذياع صوت الشعب الجزائري وهو يتهدر ساخطا على العدو في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ونحن نرابط على أعالي الجبال قرب موزاية .

لقد قلبت تلك المظاهرات الشاملة جميع الموازين، وعرّت الاستراتيجية الفرنسية ومن ورائها الحلف الأطلسي، وأكد الجزائري من خلالها أنه لا يقبل بما دون الحرية والاستقلال التامين.. لكن رغم انتصار الجماهير في تلك الانتفاضة فقد فقدت الثورة مئات الشهداء إلى جانب أسر قائد تلك الانتفاضة ومخططها بوسماحة الذي جرح وألقي عليه القبض من قبل قوات العدو في منطقة بني موسى، وقد تم تهريبه بعد ذلك من قبل جيش التحرير في ظروف صعبة.

هذا وسأعرض لهذا الموضوع بالتدقيق لاحقا نظرا لأهميته على المستوى الذاتي والموضوعي.

تولى القيادة من بعده وعضده نائبه سي الزوبير الذي لم تسعفه الحياة طويلا فسقط شهيدا في هذه الانتفاضة الضخمة ورسم ببطولته رمزا للحرية فداه بحياته وحياة رفاقه المجاهدين.

إن استشهاد سي الزوبير في شوارع العاصمة وارتفاع تمثاله الأشم اليوم في ساحة بلكور دعامة وجواب لكل المشككين في تحدي الثورة كل أنماط الحصار والدعايات وإثبات أنها ليست ثورة مغاور وجبال ولكن ثورة عارمة تتوزع على

خارطة البلاد كافة وتقض مضاجع العدو في كل شبر من الوطن وتقلقه حتى فوق أراضيه الفرنسية نفسها من خلال عمليات فدائيينا هناك.

كثر الحديث وتشعب منذ الاستقلال إلي يومنا هذا عن حيثيات مظاهرات 11 ديسمبر 1960 واختلف المؤولون فيمن فجر هذه الأحداث الضخمة؟ ولا أحسب أن منْ تكلم في هذا الموضوع جاء بالحقيقة إلي اليوم، لذا رأيت من واجبي وأنا الذي خططت مع رفاقي لهذا الحدث الجلل أن أدلي بشهادتي للتاريخ والله على ما أقول شهيد.

إذن بفضل تلك الحفنة من ضباط جيش التحرير الوطني، تؤازرهم جماهير غاضبة رافضة هيمنة العدو تحقق انفجار 11 ديسمبر العظيم ولم يكن عملا عفويا جانبيا قامت به الجماهير بعيدا عن تخطيط جيش التحرير.

إن القبض على بوسماحة في بني موسى جريحا والحكم عليه بالإعدام من قبل قوات العدو واستشهاد سي الزوبير وعدد من ضباطنا وجنودنا من بينهم خير الدين الذي كان برتبة نقيب في جيش التحرير، والسعيد بوراوي والضابط عبد الرحمن المدعو الوناس بحي باب الوادي وخالد وسي رضا في البليدة وسي توفيق في برار، وسي اسماعيل وسي اعمر سقطا في بوفاريك... وإلقاء القبض على تقية محمد الخ... إن هذه القائمة المقتضبة لا تترك مجالا للتشكيك في أن المخطط والمدبر والمنفذ مع جماهيرنا هي الثورة المسلحة التي كانت على أتم الوعي بما ستجنيه في الداخل والخارج من تلك الانتفاضة الشعبية الرافضة ... ولم تكن مجرد مغامرة دفعت فيها الجماهير إلى الانتحار.. كما يحلو لبعض المزيفين أن يزعموا.

زلزلت حوادث 11 ديسمبر كيان العدو، وأثبتت له أن يد الثورة تتعدى الجبال إلى المدن وتحرك الجماهير متى تشاء وكيف تشاء وتدمر مؤسساته العسكرية والمدنية على السواء وهي فوق ذلك كله رسالة بالغة البيان موجهة إلى القيادة الفرنسية وعلى رأسها ديغول المتغطرس، والرأي العام الدولي الرسمي والشعبي، بأن الشعب الجزائري مصمم على استرجاع سيادته مهما كان الثمن وظروف التصدي.

ما زالت حروف الرسالة النارية التي بعث بها إلينا من قلب الأجيج قائد الانتفاضة روشاي بوعلام قبل أن يستشهد وشاء القدر أن تصلني بعد أن فاضت روحه إلي بارئها بعد أكثر من عشرة أيام فكانت خطاب شهيد لم يمت حتى أوقد جذوة نور في سراج الدرب الصعب.. ثم رحل منتصرا.. رسم إلينا البطل في رسالته حجم الانتصارات والدمار الذي حققه الشعب ضد العدو في الداخل وصورته الأسطورية في الخارج عند الحكومات والمنظمات والدول والشعوب، وعندما أجلس اليوم في صمت أرمق ذلك الدرب الرهيب والسراط المسيج بالموت والنصر أسأل نفسي كيف كنا قلة وكان العدو كثرة وكنا ضعفاء وكان الأقوى وكنا عزلا وكان المدجج.. وكان الفرق بيننا وبينه كالفرق بين السماء والأرض ومع ذلك تمكنا من أن نتصدى لمخططات جنرالاته العتاة وترسانته الضخمة المزودة بأعلى وأدق الأسلحة والأجهزة الالكترونية الفتاكة والغازات المحرمة دوليا يلقيها علينا من الجو والبحر والأرض وطائراته النفاثة وأسلاكه الشائكة ومخططات أجهزته الاستخبارية المتقدمة... كيف استطعنا أن نواجه كل هذا وغيره ونفشل عملياته وننقل معاركنا من الجبال إلي المدن ونحدث الزلزال الرهيب في عقر داره على مرأى ومسمع ضباطه ومراكزه وثكناته وقواعده.. ونحول نظرية الهزيمة إلى نظرية للنصر المحتوم في الداخل والخارج..؟

أسئلة يستحيل الجواب عنها خارج منطق ثورتنا التحريرية المتميزة.. ويصعب استيعاب ديناميتها دون معايشة ضميرها الداخلي، ذلك السر الذي يحدس ويعاني على مستوي الوجدان وفي أغوار الروح ولا يلمس ظاهريا... أنه التزام الضمير وانضباط الإرادة والتوحد في الشهادة أو النصر وأشياء أخرى لا نعلمها، كلها معطيات تجانست وتناغمت لتصوغ بيان الواجهة وإعلان النصر..

4 - ذكريات وأبطال، من عبان رمضان إلى بن مهيدي

قال - بعضهم أن الرجل يكتشف لما تمتحنه الصعاب - ولا نحسب أن المقاتلين الجزائريين والقيادات الجزائرية امتحنت في فصائلها وإقدامها وصبرها، وعبقريتها الثورية بمثل ما امتحنت في ثورة التحرير العظيمة.

إن بعض المواقف والبطولات تعد من الخوارق أحيانا لفرط ما أبدع فيها الرجال المؤمنون بقضيتهم.

مازالت بعض هذه المواقف لبعض الرجال عالقة بذاكرتي لا تفارقها أبدا.

لقد حدث أن ألتقي أول مرة قادة كبارا من قادة ثورتنا مع فوج مسلح في جنوب الشريعة بغابة مورفة وذلك قبل انعقاد مؤتمر الصومام 1956 والقادة هم العربي بن مهيدي وعبان رمضان وبن يوسف بن خدة قدموا جميعا من العاصمة، وكان في استقبالهم الإخوة المجاهدون :

- أوعمران، وسي الصادق.

- والشهيدان: امحمد بوقرة والطيب الجغلالي.

أول مرة وقعت عيناي على رجال طالما سمعت عنهم وأحببتهم... وتمنيت رؤيتهم، وقد كتب لي الله أن أسمع من بعضهم حكما خالصة، من هؤلاء الشهيد العربي بن مهيدي، هذا الرجل الذي جمع صفات الحكيم وميزات القائد كان متوسط القامة هادئ الطبع يهمس حين يتكلم له بريق تشعه عيناه فيمنع عن الناظر التحديق فيه.. في وجهه بقايا طفولة تستأنس بها فيخيل إليك أنك تعرفه منذ الأبد، بسيط في سلوكه وهندامه يضع برنسه فوق زيه العسكري ويحمل مسدسه لا غير.

أما عبان رمضان، فكانت تبدو عليه مظاهر الصحة ممتلئ الجسم عريض المنكبين لا بالطويل ولا بالقصير سمح الوجه مستديره نظراته لا تستقر على شيء معين.. لما يتحدث ينتفض جسده من فرط الانفعال، كان كل حديثه إلينا باللغة الفرنسية مما اضطر بعض الرفاق لأن يترجموا فحوى كلامه إلي العربية... ارتدى «قشابة» أخفت بذلته العسكرية وسلاحه، كان اللقاء مفاجئا ومفيدا بحيث لأول مرة نرى قادتنا الكبار عن كثب ونستمع إليهم.. وقد صادف أن شبانا جزائريين من المجندين في الجيش الفرنسي فروا يومها والتحقوا بالثورة بقيادة الشهيد البطل عمر بوشاوي الذي أشرف على تنظيم عملية الالتحاق بالثورة وذلك بعد أن خبر قدرة مجموعته علي حرب العصابات التي تعلموها في الفيتنام وشهدوا هزيمة ديان بيان فو، فقالوا في أنفسهم لم لا تكون «ديان بيان فو» جديدة في الجزائر...؛ كان أحدهم يحمل مدفعا رشاشا من نوع 29/24 يثير شهيتنا جميعا ونعتقد أن الذي يفوز به يكون كمن ملك الدنيا كلها لكونه يعادل يومها كل ما لدينا من بنادق.

أثارت هذه القطعة الحربية نقاشا وجدلا طويلين حول من يقاتل بها العدو؟ وبعد لأي تدخل عبان رمضان وقال كلمة ما فتئت تمخر ذاكرتي وتتردد عبر عقود الزمن.. قال رحمه الله: «إن قوة الثورة لا تكمن في السلاح فقط ولا في نوعيته، ولا حتى في شجاعة الرجال وحدها بل تكمن أساسا في قوة التنظيم والانضباط...». على بساطة هذا المنطق وعفويته وعمقه تمكن عبان أن يحسم إشكالية عظيمة ويجيب عن مئات الأسئلة المحيرة ويقنعنا نحن الذين كنا في بداية طريق الثورة كمن يطأ باب نفق مظلم طويل لا يدري نهايته، فمن منا كان يستوعب محتوى هذا الكلام الذي يدعونا إلى الانضباط والتنظيم في الوقت الذي كانت حاجتنا إلى السلاح أكثر من حاجتنا للحياة..

وبعد أن تمرست بأحداث الثورة وعشت حقيقتها من بدايتها إلى عمليات شال وانتفاضة 11 ديسمبر.. أدركت مغزى حكمة ذلك الرجل العظيم ونظرته الثاقبة في صميم المستقبل.

تحياتي وتحيات إخواني الذين سبقونا إلى الشهادة وتحية المخلصين من مجاهدي ثورتنا لذلك الذي أعطى حياته للوطن وبقي نشيدا خالدا يردده أطفال بلاده إلى الأبد.

أما الحكمة الأخرى التي استقيتها في ذلك اللقاء فقد انبثقت من معلمي وقائدي الشهيد العربي بن مهيدي في بساطته وهدوئه المعهودين، استقصى الإخوة الذين التحقو بنا فرارا من الجيش الفرنسي من غابة بوشاوي عن أمورهم، فتبين أن من بينهم شخصين من الغرب الجزائري وهما الشهيدان حدو عبد القادر من وهران والمحفوظ من تلمسان، سألنا القائد بن مهيدي عن أقرب مدينة منا فأجبناه: «تابلاط» عندها حدد كلمة السر وأمر أن تتجه مجموعة من المجاهدين في دورية استطلاعية تلتقي فيها بمجموعة أخرى من الغرب الجزائري في نواحي تيارت بين أفلو وفرندة وتكون كلمة سر مجموعة الوسط تابلاط ترد عليها مجموعة الغرب بتيموشنت وقد حمل خطابه بهذا الشأن إلى شخصين .. على أن تقوم الدوريتان بعمليات عسكرية رمزية مشتركة... بهذا المدلول البسيط في التعامل الثوري علمنا بن مهيدي درسا خالدا في الوحدة الوطنية وفي صنع المعجزات بكل تواضع .. فمن أين لفرنسا وأجهزتها الاستخبارية أن تكشف هذا السر وتدرك مدلول الحكمة الثورية البسيطة والعميقة في نفس الوقت...

إن سر انتصار ثورتنا ينبع من هذه العفوية وما فيها من صدق السريرة وتصميم على الفوز وإقدام وإخلاص تحركه إرادات رجال من أصول فلاحية يتمتعون بسرعة البداهة وصفاء الحدس وحب مفرط للوطن، لقد كان القادة يتخذون قراراتهم في أوقاتها المناسبة وتحمل على التنفيذ بكل انضباط ودقة ولم نكن نحمل شعارات دون أن نمارسها.

كتب لي الله أن أكون ضمن الدورية التي أمرها بن مهيدي حاملة كلمة السر للالتقاء بأختها في الغرب الجزائري ثم ودعنا مع رفاقه طالبا سفوح أكفادو الشاهقة لحضور مؤتمر الصومام، وبدأنا نحن رحلتنا يوم 25 جوان 1956 ووصلنا فرندة في أواخر شهر جويلية 1956 عشنا خلال تلك المدة أحداثا جساما واشتبكنا مع العدو في معارك عديدة كانت ضارية فقدنا فيها شهيدا واحدا جاءنا من بلكور، كان تعداد مجموعتنا خمسا وأربعين مجاهدا بقيادة الشهيد البطل سي عبد العزيز المعروف آنذاك بصوت العرب لشدة حرصه على سماع إذاعة صوت العرب التي كلما التقط جهازه موجاتها أمر الجميع بالتزام الصمت والسكوت حتى أطلق عليه المجاهدون اسم صوت العرب، كان نائبه في دوريتنا سي عيسى، اصطدمنا في معركة ثالثة مع قوات العدو الفرنسي يوم 14 جويلية 1956 بقرية البراكنية جرح فيها مجاهدان.. وبعد يومين من هذه المعركة اشتبكنا من جديد مع العدو في معركة أخرى في الونشريس...

حملنا الجريحين اللذين معنا حتى وصلنا مدينة تيارت وقد اشتدت آلامهما في غياب الاسعافات وانعدام الدواء وكادا أن يموتا متأثرين بجراحهما مما استدعى القائد سي عبد العزيز إلى المغامرة والقيام بدور خارق للعادة للعثور على الدواء.

5 - دورية وأبطال أو الصداقة مع الشيوعيين!

نزل القائد سي عبد العزيز إلى السوق الذي يعج بالناس جاؤوا لقضاء حوائجهم من كل صوب يبيعون ويبتاعون.. أما هو فكان هدفه العثور بجميع الوسائل على دواء للجريحين.

ولكي يموه على العدو ويضلل طريقه اشترى حمارا وذهب يسوقه وصادف أن رأى شخصا كان يعرفه تحاشى أن يلاقيه مباغتة ريثما يتأكد منه جيدا، اقترب

منه وذكره باسمه دون أن يكشف عن سر وجوده في هذا السوق.. ثم انتحى به مكانا بعيدا عن العيون وذكره بأيام الدراسة التي جمعتهما سابقا في جامع الزيتونة المعمور. ولما تأكد سي عبد العزيز من عواطف زميله ولد العربي (أو سي جعفر فيما بعد).. وافق على دعوته والذهاب إلى منزله.. وعلى طاولة الغداء تجاذبا ذكريات المراهقة واستذكرا معا دراستهما بجامع الزيتونة المعمور.. وفي غمرة الود الشديد صارح سي عبد العزيز زميله بحقيقته وعن سبب مجيئه إلى السوق، تفاجأ الرجل ولم يصدق أذنيه لكنه تدارك الوضع وقام مسرعا لشراء الدواء وجميع اللوازم الضرورية الأخرى، ورافق سي عبد العزيز متخفيين حتى انتهيا إلينا ليلا.. واستمرت العلاقة الحميمة مع سكان تلك المنطقة إلى أن حاصرنا العدو على إثر وشاية أحد الخونة.

تصدينا له في بداية المعركة ولكن نظرا لكوننا نجهل جغرافية المنطقة آثرنا الانسحاب على المواجهة ، وحتى لا نعرض سكان تلك القرية إلى انتقام العدو على عادته، وأثناء عملية الانسحاب صادف أن عثرنا في طريقنا على خيمة تسكنها امرأة وزوجها بحرسان الحلفاء.. كان الزوج غائبا يومها فتولت المرأة دور الدليل في الفجر الباكر وقادتنا في اتجاه مكان آمن بعيدا عن العدو وجواسيسه وكنا نسمع على مقربة منا صليل آلياته الحربية الكبيرة وعرباته المجنزرة التي دفع بها إلى ساحة المعركة، ومن العجيب أن المرأة قادتنا بذكائها الفطري إلى مكان يقام فيه حفل زفاف قروي كبير كان من بين مدعويه زوجها.

كانت كل مظاهر الفرح والغبطة حاضرة في ذلك الحفل البهيج، النسوة والأطفال والرجال والخيل وبنادق الصيد وأصوات الدفوف وصيحات المزامير تملأ أجواء القرية.. الجميع يمرح في هذا العرس الجميل...

استقبلنا أصحاب العرس بغبطة جمة وأحاطونا بالرعاية والإكرام بعد أن تيقنوا أننا جنود جيش التحرير، والتحمنا بهم وشاركهم بعض ألعابهم البهلوانية على ظهور الخيل وتحولنا من «ئلاقة» تلاحقنا قوات العدو إلى مواطنين عاديين نعيش الفرحة بعفوية أهل الريف وكانت تلك حيلة موّهنا بها على العدو الذي كان جادا في ملاحقتنا والقضاء علينا.

اغتنمنا فرصة هذا الحشد الشعبي الكبير وحولناه إلى اجتماع ثوري متميز في جميع مواصفاته. بحيث قمنا بعملية شرح وتوعية واسعة تحدثنا فيها عن

أهداف ثورتنا ودور القلة المؤمنة بالجهاد ورسالة الجماهير في أداء الواجب الديني والتاريخي وذكرناهم بمآثر مجاهدينا من الصحابة والتابعين وكل ثوار الجزائر المشهورين وبصرناهم بفضائل الاستقلال وخيراته التي ستعود على شعب الجزائر كله.. واستمرت هذه الحملة يومان كاملان أنجزنا خلالها عملا ثوريا لا مثيل له حتى أن السكان الذين اجتمعوا في ذلك العرس أهدونا بنادقهم وذخيرتهم وأعطونا المؤن وشاركهم في ذلك كل أجوارهم ثم تولى قائدنا تنصيب بعض أبناء المنطقة مسؤولا عليهم.. شعرت بحدسي أن أرواحهم قد التحمت بنا أو كأنهم من أهل الكهف الذين استفاقوا بعد قرن وربع القرن من التخدير والعذاب والقهر ويعود الفضل في هذا الإنجاز العظيم إلى تلك المرأة البدوية العزلاء في تلك الخيمة المقفرة، وقد قادتنا ببصيرة الصدق وعفوية القلب في ذلك السبيل الخيِّر.

لم يسعفنا الحظ كي نلتقي بمجموعة المجاهدين في غرب البلاد طبقا لأوامر القائد العربي بن مهيدي، لكن كفانا ذاك العرس فضلا حيث ربحنا ثقة الجماهير ودعمها وجندناها في صفوفنا يتقدمها سي جعفر زميل قائدنا في الزيتونة الذي أصبح مسؤولا على تلك المنطقة ورقي فيما بعد إلى رتبة نقيب في جيش التحرير بالمنطقة السابعة في الولاية الخامسة إلى أن ألقي عليه القبض في سنة 1959 وظل سجينا إلى غاية الاستقلال.

بعد هذه المهمة عادت دوريتنا إلى ولايتنا الأصلية وفي طريق العودة التقينا مجموعة مسلحة تنتمي إلى التنظيم الشيوعي وعلى رأسها شخص يدعى «المرشح مايو» الذي توفي في أفريل 1956 بقرية بني دوال، حاول الفوج الشيوعي أن يعرف المزيد عن الثورة التحريرية فكان أن دار حوار طويل وشامل بيننا شرحنا فيه كل أسباب وأهداف ثورتنا وأسلوب عملنا الثوري... لكنهم اغتنموا الفرصة وسألونا لم لا ننظم في حركة غير منظمة الحزب الشيوعي؟ واجهناهم بنفس الأسلوب ودعوناهم أن ينظموا إلى ثورة الشعب الجزائري.. فأبوا وبقي كل على دينه ولم يمنعهم ذلك من أن يسلمونا قطعتي سلاح عربون صداقة واحترام ثم افترقنا كل في طريقه ولم نرهم ثانية ولم نحاربهم، لأنهم كانوا يقاتلون نفس العدو الذي نقاتل دون اعتبار لاختلافاتنا الإيديولوجية والمذهبية. لم تكن هذه المرة الأولى التي التقينا فيها الشيوعيين وعبروا عن حسن نيتهم

في التحالف معنا بحيث كانوا قد أرسلوا إلينا كمية من الأسلحة متكونة من عشر رشاشات رفقة امرأة أوربية يقال أنها شقيقة «المرشح مايو» تحملت المخاطر والمشاق وظلت حلقة وصل بيننا وبين الشيوعيين وكان وسيطنا إليهم الشهيد سي الشريف الربيع من قرية اولاد سلامة التي كانت تابعة لبوقرة، وقد تمت عملية تسليمنا الأسلحة في قرية بولبان قرب حمام ملوان... هذا في الوقت الذي كان المصاليون يحاربوننا في كل مكان على قوتهم وتنظيمهم ويفتكون بالجماهير العزل.

5 - البطل القومي، من فلسطين إلى الجزائر

ظل سي عبد العزيز قائدنا في تلك المهمة الكبيرة التي دامت عدة شهور معلما عبقريا وأخا وفيا وقائدا محنكا ومجاهدا مضحيا بحياته مؤثرا أي مجاهد من أتباعه على نفسه، وما مهمته التي أداها يوم نزل سوقا لا يعرفها.. إلا شهادة ثمينة على وفائه لمبادئ ثورته التي آمن بها.. وكان بإمكانه أن يأمر أحد جنوده فينزل السوق ويبتاع الدواء لجرحانا، لكنه آثرنا على نفسه وجازف بحياته.. فكان الله في عونه وأكرمنا به فكتب له الفوز ونصر به المجاهدين في تلك المهمة الناجحة.

لم يكن سي عبد العزيز مجاهدا عاديا ولا شخصا كأي من الناس، بل كان من رهط الرجال الأسطوريين بدأ حياته النضالية طفلا ولبس حلة البطل القومي وهو مراهق.. حتى لقي ربه وروحه على كفه.

بدأ سي عبد العزيز حياته النضالية بمغامرة لا يصدقها عقل، بحيث ما أن علم أن الجنود المجاهدين العرب خرجوا لمحاربة الجيش الصهيوني على أرض فلسطين العربية وتحرير القدس عام 1948 وهو دون العشرين من عمره حتى هب لنصرة القضية وخرج من مقر سكناه بالعاصمة متوجها مشيا على الأقدام إلى فلسطين... غير عابئ بأخطار الطريق ولا بما قد يصيبه... وقد تمكن من اجتياز الصحراء الجزائرية الليبية بمشقة كبيرة... رغم الحصارات الأمنية الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.. المشددة، لكنه وقبل أن يدرك فلسطين علم بهزيمة الجيوش العربية على أيدي عصابات الجيش الصهيوني تدعمها اللعبة الدولية.. أدركته هذه الأخبار المحبطة وهو في الأراضي الليبية فقرر أن يحط الرحال

بقاهرة المعز، ويحول مشروع الجهاد بالسلاح إلى مشروع جهاد الجهل والأمية اللذين فرضتهما عليه فرنسا في وطنه فتوجه إليه ودخل الأزهر الشريف في القاهرة العظيمة.. تلك المدينة التي يصعب على الغرباء مثله أن يصادفوا فيها مقاما، لكن فضائل الأزهر عوضته عما شعر به من غربة... وتأقلم بسرعة مع محيطه وصار من طلبته المتيمين بعلومه وحلقاته وشيوخه الأفاضل...

أقام الشاب عز الدين بالقاهرة مدة من الزمن يعب من علوم جامعتها ويتعلم من نضالات أحزابها ويتعرف يوميا على مجالات جديدة لم يعهدها في وطنه الذي بسط العدو فوقه سلطة القتل والتجهيل، ولم يلبث أن فكر ثانية في الارتحال إلى بلد عربي آخر... وكان أن حل بتونس وانتسب إلى جامع الزيتونة المعمور وهناك أحس أنه قريب من موطنه الجزائر.. يتابع أخباره ويلاحق مستجداته... واحتك سي عبد العزيز في تونس بالطلبة الجزائريين الموجودين بأعداد كبيرة وكان من بينهم الطالب ولد العربي الذي التقاه بعد ذلك صدفة في سوق مدينة «سوقر» في صيف سنة 1956 وتعرف أيضا إلى السيد أحمد عبد اللاوي أحد ضباط جيش التحرير الذي مازال على قيد الحياة إلى اليوم.

ولما أتم تعليمه العربي عاد إلى الجزائر، حتى اندلعت الثورة فكان من أوائل السباقين إليها... فخدمها بعلمه وعرقه ودمه... بعد أن لقن العدو دروسا في التخطيط العسكري والتضحية وألهم جنوده قيما لا غنى عنها... التحق بالرفيق الأعلى ليحيى عند ربه مع الأنبياء والصديقين.

الفصل الثالث
سي صالح زعموم يتفاوض مع ديغول

1 - سي صالح في قصر الإيليزي مع ديغول.

كثر الحديث عن موضوع ذهاب قائد الولاية الرابعة سي صالح زعموم إلي قصر الإيليزي صحبة بعض رفاقه من قيادة ولايته والتقائهم بالرئيس ديغول في ظروف سرية وغامضة، وتعددت التأويلات حول شخص الرجل وأسلوب تفكيره والنوايا المبيتة من وراء هذا اللقاء الذي خرج به عن الإجماع الثوري وتخطى حدود قيادته وصلاحياته كقائد ولاية من بين ست ولايات أخرى حتى أن البعض رماه بالخيانة والتهور وما إليه من التهم..

آليت على نفسي إلا أن أقدم شهادة صريحة عن شخص سي صالح وعن جميع ظروف وملابسات ذلك الحدث الكبير الذي لو فصلناه عن تلك الحيثيات والملابسات والعراقيل التي عشناها داخل ولايتنا لحق لنا أن ندين سي صالح ونعتبره مرتجلا في القضايا المصيرية وربما خاننا للإجماع. والقضية إذن من هو سي صالح؟ وكيف كان يفكر؟ وما هو أسلوبه في قيادة الثورة؟ ما موقعه في نظر رفاقه المجاهدين ولدى قادة الولايات الأخرى؟ كيف راودته فكرة التوجه إلي فرنسا ومقابلة ديغول؟ هذه قلة من أسئلة عديدة يطرحها المرء على نفسه سعيا لمعرفة الرجل وتمثل واستيعاب ما أقدم عليه أحسن تمثل واستيعاب.

تعرفت شخصيا إلى سي صالح في قرية بني مسيرة في شهر أكتوبر سنة 1956 وكان لقاؤنا الأول إثر عودتي ضمن الدورية التي نفذناها في غرب البلاد كما ذكرت سابقا. أما هو فقد عاد من مؤتمر الصومام رفقة سي امحمد بوقرة، كانت مناسبة اللقاء شرح قرارات وتعليمات مؤتمر الصومام، وقد علمت يومها فقط أن سي صالح أصبح عضوا في قيادة الولاية الرابعة.

كان رحمه الله طويل القامة رشيقها، قليل الكلام وإذا تكلم يدرك ما يقول يتقن العربية جيدا والفرنسية، واسع الثقافة لم يتجاوز وقتها الثلاثين من عمره

يحظى باحترام الجميع، انتقل سي صالح إلي الخارج في نهاية سنة 1957 لأداء مهمة رسمية كلفته بها ولايته وكان الهدف منها:

أ - جلب الأسلحة من الخارج إلى الثوار.

ب - تحسين سير الأفواج التي كانت تنتقل من الولاية الرابعة إلي شرق البلاد وغربها، وكثيرا ما تعرضت لمضايقات تصل أحيانا حد التصفية الجسدية... تنقل سي صالح عبر الجبال والمغاور والكهوف والوديان حتى وصل المغرب الشقيق فالتقى أفرادا من القيادة في الحدود المغربية ثم تركهم ليلتحق بقيادة الخارج في مقرها الرسمي بتونس، لكنه سرعان ما اكتشف تناحرهم وخلافاتهم الهامشية فباءت مساعيه بفشل ذريع. فقرر العودة لكنهم منعوه عارضين عليه أن يضطلع بمهمات في الخارج ويأتمر بأوامرهم، أصيب سي صالح بصدمة نفسية حادة وآلمه أن يرى قيادة الخارج، رغم ما هم عليه من بذخ ونعيم يتآمرون على بعضهم البعض ويكيلون المكائد ويتناحرون من أجل منافع شخصية لا ناقة للثورة فيها ولا جمل، بدا له جحيم مواجهة العدو في الداخل خير له ألف مرة من ذلك النعيم المزيف الذي يتبارى فيه هؤلاء باسم الثورة والثوار فقرر العودة فارغ اليدين إلاّ من كتاب ما زلت أذكر عنوانه إلى اليوم: «العملية المزيفة» وقد أصبح بعد ذلك لا يفارقه كأنه طالعه أو هو الدرس الأول الذي استوفاه من مهمته التي استغرقت خمسة أشهر ثقال في الخارج.

استأنف نشاطه بكل جد وتفان إلى جانب سي امحمد بوقرة وقد كان مساعده إلى أن عقد اجتماع عقداء الداخل بعد مؤتمر الصومام في الولاية الثانية، أطلعه قائده سي امحمد بوقرة على نتائجه وكلفه بتنفيذها كاملة.

عملنا في بداية الأمر على إرسال وحدات رمزية إلى الولايتين الأولى والسادسة بهدف وضع حد للخلافات التي كانت قائمة، لكن ذلك لم يدم طويلا حتى فقدت الثورة بعض دعائمها المتمثلة في شخصي القائدين عميروش والحواس، وبعد شهرين فقط استشهد سي امحمد في جنوب المدية يوم 5 ماي 1959، وهكذا أصبح الأخ صالح زعموم آليا قائدا رسميا للولاية الرابعة.

عرفت ولايتنا في عهد توليه القيادة جملة من المشاكل الهامة، بحيث شغر مجلس قيادة الولاية من إطاراته لا سيما بعد خروج عمر أوصديق والرائد

عز الدين إلى الخارج.. كما اشتد الحصار على الثورة وتكثفت عمليات العدو الكبيرة والمركزة، فعندما حاول سي صالح زعموم سد بعض الثغرات فأمر بعقد أول اجتماع يحضره بوصفه قائدا للولاية يوم 14 جانفي 1960 في الروابح قرب شمال بوغار، وبعد أن قيم تلك المرحلة الصعبة ونتائج عملية «لاكروا» اختار أعضاء مجلس ولايته وكانوا على التوالي:

1 - سي صالح زعموم قائد الولاية.

2 - محمد بونعامة نائبا له.

3 - عبد الحليم مسؤولا سياسيا، وقد اختير لهذا المنصب بناء على ما يتمتع به من ثقافة واسعة ولكونه تخرج من الكلية الحربية المصرية.

4 - سي لخضر مسؤول الاتصالات والأخبار.

وأن هذين الشخصين الأخيرين كان لهما دور مركزي في تحضير اللقاء الذي جمع سي صالح بالجنرال ديغول في قصر الإيليزي لاحقا.

ومن نتائج ذلك الاجتماع ضم المنطقة الخامسة إلى ولايتنا بعد أن كانت تابعة للولاية السادسة وقد وقع ذلك إثر الحوادث المؤسفة التي جرت في الولاية السادسة وكان من نتائجها اغتيال سي الطيب الجغلالي النائب الأول للقائد سي الحواس وضباط آخرون وهم:

- سي خالد كاتب الولاية السادسة.

- الضابط حميد الذي عين على رأس القبائل المتوجهة إلى الولايات المتضررة.

- سي جيلالي قائد فرقة رجال الصاعقة «الكومندوس» الذي كان مكلفا بمكافحة المصاليين في جبل بوكحيل.

كما تقرر في ذلك الاجتماع الهام إيفاد مبعوثين إلى الولايات:

الأولى والثانية والسادسة للنظر فيما إذا كان ممكنا تطبيق بعض أو كل قرارات اجتماع العقداء قبل استشهادهم؟

2 – سي صالح القائد الحكيم،

من مظاهر الحكمة التي تحلى بها القائد سي صالح الموقف الذي اتخذه بشأن بعض الحوادث إبان قيادته للولاية الرابعة، ففي بداية توليه القيادة اتصل مباشرة بالقيادة العامة الموجودة وقتها في المغرب الأقصى لإطلاعها على المستجدات في الداخل بعد استشهاد قائد الولاية وما اتخذ من ترتيبات جديدة. تم الاتصال أولا بالعقيد هواري بومدين عبر «الشفرة» الخاصة، فرد بدوره أن أعطونا مهلة للدراسة واستخلاص النتائج على أن يقدم الجواب في اتصال لاحق.

وفي الغد وأثناء نفس التوقيت الليلي، تم اتصال ثان بالقيادة في الخارج وجاء الرد هذه المرة غير واضح ولا قابل للتصديق، اجتهدت أجهزتنا لفك رموز المكالمة وبعد محاولات عديدة تأكدنا من محتواها(...) ولكن ظننا أن العدو استطاع بما لديه من أجهزة تصنت واستخبار دقيقة أن يكشف أمرنا ويرسل إلينا ذلك الجواب المخزي في كلمة وقحة ونابية بهدف إحداث البلبلة والشك في صفوفنا وقد تعود أن يفعل كلما تمكنت أجهزة مخابراته من كشفنا فيدس لنا برقيات عاجلة وموجهة.

وبكل هدوء، وحكمة طلب القائد سي صالح مرة أخرى الاتصال بالعقيد هواري بومدين عبر جهاز الراديو وبلغة «المورس» للتأكد نهائيا من الحقيقة... لكن سرعان ما اكتشف العدو الأمر واشتعلت بيننا وبينه حرب اتصالات، وأدرك نوع الموجة التي نرسل عليها خطابنا، فواجهنا بوضع اسطوانة للمطرب العربي عبد الوهاب، فاختلط صوت العقيد هواري بومدين بصوت المطرب والموسيقى ... التي كانت تصدح بأغنية «بافكر في اللي ناسيني وأنس اللي فاكرني..» وقد تعمد العدو الأغنية بمحتوى كلماتها المواتية للظرف...

بدت بوادر الطمأنينة والارتياح على وجه سي صالح إذ اعتقد أن اللعبة من صنع المخابرات الفرنسية وأن الكلمة الوقحة التي صفعت أذنيه بالأمس هي أيضا من قبل المخابرات المعادية... لكن هذه الحقيقة لم تعمر قليلا حتى ذهل مرة أخرى عندما تأكد أن تلك الكلمة المكتوبة بالشفرة أمس هي نفسها التي صدرت من فم بومدين في مكالمة اليوم.. وقد كان رفقته سي بونعامة.. لم يرد على الوقاحة بمثلها لكنه تصرف بما تسمح به الحكمة إذ كتب مباشرة إلي تلك

القيادة في الخارج وقال: «أشعر بمسؤوليتي التاريخية تجاه ما تقومون به من أعمال... وإني لأقترح عليكم أن تولوا مسؤولا على الولاية الخامسة وليكن مسؤول المنطقة الرابعة أو أحد تختارونه، وإذا لم توفوا بذلك سأكون مضطرا لأن أخبر القاعدة الجماهيرية بما يجري بيننا وأعلمها بتصرفكم الأرعن المنافي لأخلاق الثورة...».

ما إن أتم خطابه حتى جاء الرد سريعا وفيه مظاهر خوف قيادة الخارج من انفضاح أمرهم أمام الجماهير في الداخل فوافقوا على تعيين السيد طارق قائدا بالنيابة للولاية الخامسة، وهكذا بدأ تعاون نزيه بين الولاية الرابعة والخامسة فأرسل قائدنا إثرها سي لحسن الخطيب في مهمة اتصل فيها مباشرة بمسؤولي المناطق في الولاية الخامسة ولما وصل إلى منطقة البيض (سيدي الشيخ) اشتبك مع العدو فاستشهد رفقة البطل المجدوب والبطل مغربي يحيى... وهذه شهادة صريحة على وجود نية التعاون الثوري المشترك بين قائدنا وقائد الولاية الخامسة بالنيابة ... بحيث بقي سي صالح يسير على هدى قائده ومعلمه سي امحمد بوقرة الذي كان يعتبر الجزائر وحدة لا تتجزأ وأن القتال من أجل استقلالها يحملنا على الشهادة فوق جميع أراضيها دون تمييز...

كما أرسل سي صالح مبعوثين آخرين إلى كل من الولاية الأولى والسادسة تتميما للمهمات التي كان يشرف عليها سي امحمد بوقرة ويرسل إليها مبعوثيه، وأوفد كذلك سي بونعامة إلى الولاية الخامسة... ولأسباب عملية أكيدة ذهب محله سي حسان، وأذكر أني بقيت على اتصال دائم بمبعوثي الولاية الأولى والسادسة سي حليم وسي لخضر بوصفي مسؤولا على تنظيم الأفواج ومرافقتها إلى خارج حدود ولايتنا.

3 - محادثات قصر الإليزي..

ما زال لقاء «الإليزي» المشهور الذي جمع قادة الولاية الرابعة سي صالح قائد الولاية ورفيقه سي محمد بونعامة المسؤول العسكري وسي لخضر المسؤول السياسي يوم 10 جوان 1960 والرئيس الفرنسي ديغول، مازال هذا اللقاء مثار جدل وتأويل نظرا للسرية الكاملة التي تم فيها ونظرا لامتناع المقربين من الموضوع عن الحديث والتزام الصمت ... وبصفتي واحدا من هؤلاء

فإني أرى من واجبي الوطني أن أعيد تمثيل الحقيقة التاريخية كما حدثت أول مرة، وأن أضع القضية كلها في إطارها العام حتى تحدد مسؤولية هؤلاء القادة إن لهم أو عليهم..

إن تجربة القائد سي صالح مع القيادة العليا في الخارج كما ذكرنا بعضها كانت مريرة ومحبطة بالإضافة إلى ما عانته ولايتنا من عزلة عن ولايات الأطراف ذات المنافذ إلي الأقطار المجاورة التي كان من الممكن أن تخفف علينا مرارة العزلة بمدنا بالسلاح والذخيرة... فضلا عن الحصار المضروب حولنا والذي تجاوز كل التقديرات لا سيما عند مجيء الجنرال ديغول إلى السلطة... وفصل الجماهير في محتشدات عن الثورة واعتبار كل الأرض مناطق محرمة... واستمرار القتال اليومي في عمليات مسح كبرى كان هدفها القضاء على جيوب الثورة... وعدم تمكين قواتنا من فرص إعادة بناء نفسها وتجديد رجالها... لكن هذا الوضع على أهميته لم يكن هو الوحيد الذي كان يقف وراء لقاء «الإيليزي» وأن اللقاء لم يكن بدافع اليأس والخضوع للأمر الواقع وهو ما يبرره حديث القائد سي صالح ومواقفه تجاه مقترحات «De Gaulle» «ديغول» في قصر الإيليزي.

مقدمة اللقاء:

أعدت ترتيبات اللقاء بمشاركة أطراف جزائرية وأخرى فرنسية وكان آخر مراحلها لقاء 02 جوان 1960، الذي عقد بمدينة المدية وتقرر فيه نهائيا سفر سي صالح زعموم إلى قصر الإيليزي ومقابلة ديغول يوم 9 جوان 1960 هذا على أثر وصول العقيد الفرنسي جاكان «Le colonel JAQUAN» سرا إلي مقر دائرة المدية صحبة ثلاثة أشخاص ووجدوا في انتظارهم برنار تريكو «B. Tricot».

والعقيد ماتون «Mathon» وثلاثة من قيادة الولاية الرابعة... تولى في ذلك الاجتماع سي لخضر القائد السياسي للولاية تقديم رفاقه قائلا: «أيها السادة أعرفكم بسي صالح زعموم مسؤول الولاية، وسي محمد بونعامة المسؤول العسكري، أما سي عبد اللطيف فلم يحضر هذا اللقاء نظرا لانشغاله بمهمات أخرى...».

انحصر الاجتماع في ضبط اللمسات الأخيرة لقررات اللقاء المنتظر.. وصعد الجميع بعدها مباشرة إلى مدارج طائرة هيلوكوبتر في حدود الساعة الرابعة بعد

الزوال، وطارت بهم إلى مطار الدار البيضاء حيث كانت طائرة انجليزية الجنسية في انتظارهم لتقلهم إلى العاصمة باريس.

تناول الجميع على متن الطائرة وجبة العشاء الخفيفة وامتنع القائد سي صالح ورفيقيه عن تناول لحم الخنزير وشرب الكحول واكتفيا بأكل الخبز والجبن وبعض الفاكهة..

وقد ذكر الصحفي والمؤرخ الفرنسي إيف كوريار «Y.COURRIERE» في الصفحة 94 من كتابه «نيران اليأس»، أن سي لخضر أتى على علبة الجبن بأكملها.. لأنه لم يعرف من قبل مذاق «الكامنبار» لكن الكاتب نسي أن فرنسا الاستعمارية حرمت الشعب الجزائري قرنا وربع قرن من أدنى ضروريات الحياة البسيطة وأن سي لخضر مثله في ذلك مثل بقية أبناء الشعب الجزائري البسطاء المحرومين الذين عاشوا لا يعرفون غير الخبز واللبن وبعض الخضار، وبعد انتهاء العشاء استأنف الفريقان الحديث من جديد في موضوع اللقاء... وفاجأ سي صالح محدثيه بقوله: «لا بد أن تسهلوا لي مهمة لقائي مع بن بلة وبقية الزعماء المسجونين»، ارتبك المسؤولون الفرنسيون... وكانت خدعة سياسية أراد بها سي صالح أمرين اثنين:

1 - أنه ورفاقه جزء لا يتجزأ من القيادة في الداخل وفي الخارج على حد سواء.

2 - دفع السلطات الفرنسية إلى اعتبار الزعماء الخمس المسجونين لديها أصحاب حقوق وطنية وليسوا مجرد أسراء خارجين عن القانون كما روجت لهم وسائلها.

رد برنار تريكو عليه قائلا: «إن مقابلتك بين بلة تجعله يخبر الحكومة المؤقتة ويفسد عليكم بالتالي لقاءكم الرئيس ديغول».

ابتسم سي صالح ولم يضف.

تدارك تريكو الأمر من جديد وأردف قائلا: «حسنا سأعرض طلبك على الجنرال».

نزلت بهم الطائرة في ناحية معدة مسبقا في مطار أورلي ودون ترقب وجدوا ثلاث سيارات في انتظارهم رفقة رجل واحد وقد لف الظلام المكان، أما الرجل فهو حاكم دائرة رامبوي في باريس «Rambouillet».

لم يكن الحاكم على علم بهؤلاء، ولا من أين جاؤوا، أو لم جاؤوا كل ما كان يعلمه أنه مأمور عليه أن يرتب ظروف إقامة الرجال الخمسة ليلة أو ليلتين فحسب.

أركب الحاكم في سيارته الخاصة القائد سي صالح ومرافقه الجنرال تريكو، أما الجنرال نكو« NICOT » الرئيس العسكري لديوان ميشال دوبري، فقد أركب سي محمد بونعامة في سيارته، بينما تسلل العقيد ماتون خلف مقود سيارته ليصطحب معه سي لخضر.. تحركت السيارات الثلاث مشعلة أضواءها الخافتة في طريقها إلي رامبوي.

توقفت عند مدارج قصر فخم تلفه غابة كثيفة الأشجار الباسقة وهو قصر رئاسي رتب خصيصا ليكون مقر إقامة القادة الثلاث.

طلب القادة من المسؤولين الفرنسيين حرية البقاء مجتمعين في غرفة واحدة... فكان لهم ما طلبوا وبقوا في غرفة واسعة تحتوي على مستلزمات الإقامة وتفضي بدورها إلى غرفة تريكو عبر باب مشترك...

وفي صباح اليوم الموالي عاد العقيد الفرنسي ليقول لسي صالح ورفيقه علي مائدة فطور الصباح: أن إجراءات لقاء الجنرال ديغول تمت وأن الموعد تقرر يوم 10 جوان 1960 على الساعة العاشرة ليلا بقصر الإيليزي.

طلب القائد سي صالح من محدثيه تحديد رزنامة عمل تتقيد بما اتفقوا عليه في اللقاءات السابقة بالمدية وتكون محاور الحديث مع الجنرال ، ثم أضاف: هل تتم مخاطبتنا الجنرال بمناداته سيادة الرئيس أو أيها الجنرال؟

أجابه تريكو: «ناده أيها الجنرال « Mon Général » .

تعمد سي صالح طرح هذا السؤال ليتأكد من أن ديغول سيفاوضهم بصفته العسكرية أو بصفته المدنية..؟

ثم سأل سي لخضر تريكو من سيشارك إلى جانب الجنرال في هذا اللقاء؟

قال تريكو: «لا أحد غيري وماتون» ومرة أخرى أخطأ الفرنسيون.

غادر الجميع القصر في الساعة الثامنة من ذلك اليوم على متن ثلاث سيارات اخترقت بهم شارع الإيليزي بمحلاته الفاخرة وأضوائه الزاهية ومقاهيه

وقاعاته السنمائية... وشبابه النشوان بسعادة الحرية. أين هذا النعيم من عذاب وشقاء الجزائر وتشريد شعبها، وذبح أطفالها على أيدي عساكر فرنسا وأقدامها السوداء...».

غرق كل القادة في البحث عن العلاقة بين حياة الفرنسيين الغزاة وحياة الجزائريين المضطهدين علي أرضهم...؟

أما رفاقهم من الضباط الفرنسيين فكانوا حيرى ومصدومين بالصيد الثمين الذي أوقعوه في شباكهم ... دون أن يعلموا عن مصير أكله وهضمه مستقبلا..؟

توقفت السيارات الثلاث أمام قصر الإيليزي بعد أن أخلى من موظفيه وحراسه... وأغلقت مكاتبه.. وقاعاته.. وقف أمامهم العقيد الفرنسي دو بونيفال «De bonnival» دقائق قبل الدخول على الجنرال تعلوه علامات القلق والحيرة.. هل يفتشهم كما جرت العادة عند كل دخول أي زائر مكتب الجنرال...؟ مرت هذه اللحظات الحرجة ... وتذكر العقيد أنه رتب كافة الشروط الأمنية في مكتب الرئيس بحيث نصب في أعلى القاعة وراء الستار رماة مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية بقيادة حارس الجنرال الشخصي هنري دجودر «H.Djouder» صوبوا جميعا أسلحتهم نحو سي صالح ورفيقيه على أهبة إطلاق النار عند أي حركة تحدث من قبل القادة.. في الوقت الذي حمل كل من تريكو و ماتون مسدسات.

فتح باب مكتب الجنرال عند الساعة العاشرة بالتحديد وظهر ديغول واقفا بقامته الفارعة وذراعيه الطويلتين... وأشار إليهم بالجلوس قائلا بصوته الغليظ المتميز: «أيها السادة تفضلوا بالجلوس»، توسط سي صالح رفيقيه قبالة الجنرال وإلى يمينه جلس سي لخضر وعن يساره جلس سي محمد بونعامة، وكان الجنرال يتوسط معاونين وهما تريكو و ماتون.

كان سي صالح يدرك أن ذلك اللقاء ليس هدية يقدمها للعدو، وأنه لا يفاوض من فراغ.. ولا من موقع الضعيف المهزوم... وإنما يعتمد على تاريخه الشخصي والنضالي وإلى الانتصارات العسكرية التي حققها جيش التحرير على أرض المعركة والانتصارات السياسية التي حققتها ديبلوماسية الثورة النشيطة في

الرأي العام الدولي وفي دورات الأمم المتحدة المتعاقبة... وأن الفرنسيين يعلمون حق العلم رصيده النضالي في المنظمة الخاصة التابعة لحزب الشعب وأنه رفيق كريم بلقاسم و أوعمران ومن بين الأوائل الذين التحقوا بثورة التحرير، إلى جانب كونه من المقربين من القائد العظيم سي امحمد بوقرة ومحل ثقة الجميع وأنه قائد محنك وسياسي داهية..

فتح باب التفاوض مع الجنرال ديغول وهو على بينة من نتائج المجلس الوطني في دورته الثالثة التي انعقدت في طرابلس ودامت من يوم 16 ديسمبر 1959 إلى 20 جانفي 1960، وقد سجل فيها الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الجزائري ولوحظ فيها اهتمام الرأي العام الدولي والإفريقي بالخصوص والعربي بالأخص بموضوع تحرير الجزائر وظهر بعد ذلك جليا في ندوة رؤساء الدول الإفريقية في أديس أبيبا وفي أروقة منظمة الأمم المتحدة حيث اعترفت بها سبعة عشر دولة...

وهكذا جلس على مائدة المفاوضات الند للند مقدرا حجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه، مدركا خطورة ديغول كشخصية حربية وعسكرية من الطراز الأول، عرفت الثورة في عهده أخطر مراحل حروبها وأكثرها بشاعة وإجراما... فضلا عن كونه رجل المراحل الصعبة والظروف الحرجة في تاريخ فرنسا المعاصر فهو الذي قاد حركة مقاومة النازية في الأربعينيات... وجاء لينقذ بلاده من جديد في حربها ضد الشعب الجزائري مستعملا جميع الأساليب والطرق العسكرية لإخراج بلاده وقوات الحلف الأطلسي من مأزق كاد أن يعصف بوحدة فرنسا نفسها وقد وظف كافة وسائل الفتك والدمار والتفرقة والدس وبذلك يكون قد تجاوز في خطورته دور النازيين المحترفين، فحول الجزائر إلى فرن تكتوي فيه لحوم شعب بأكمله... ومع ذلك كله فشلت القوة في القضاء على الإرادة الجماعية...

انطلقت جولة المفاوضات بين طرفي الصراع... كان هم سي صالح ورفاقه استثمار جملة من المعطيات أهمها فشل فرنسا في تدمير الثورة بقوة السلاح طيلة ست سنوات مما أدى إلى تعاقب سقوط الجمهوريات وكانت آخرها الجمهورية الرابعة...:

– إرغام ديغول للحصول منه علي مبدإ تقرير مصير الشعب الجزائري.
– الدفع بالحوار إلى مداه الأخير.
– استغلال حالة التململ والتصدع المستشري داخل قواته بين دعاة الجزائر الفرنسية وغيرهم.

استهل ديغول اللقاء بقوله : «أريد أن أقول لكم قبل أن تبدأ الحديث، أن موقفي الذي أعبر عنه هو موقف فرنسا..».

وفي أقل من ساعة واحدة تم عرض وتلخيص كل ما جاء في المفاوضات الأولية في المدية.. وبعد أن استمع الجميع لهذا العرض الذي قدمه أعوانه.. استأنف الحديث من جديد وقال: «إن استفتاء سيقع بشرط أن يضع المقاتلون الجزائريون أسلحتهم في أماكن يتم تحديدها مسبقا والاتفاق عليها بين الطرفين».

تدخل سي صالح وتلاه سي محمد بونعامة ثم سي لخضر وانتهى الطرفان إلي الاتفاق على مبدإ تقرير المصير طبق شروط موضوعية وسلمية أضاف سي صالح قائلا لديغول: «أرجو ألا تعتبروا مجيئنا إلى الإيليزي هو موقف انعزالي أو معارض لأي من رفاقنا في جيش وجبهة التحرير الوطني».

وتلاه سي لخضر بقوله: «سنعمل على الاتفاق مع باقي المسؤولين والقادة في الداخل... وعليه لا بد أن تسهلوا مهمة تنقلنا عبر مختلف الولايات» . وافق ديغول على هذا الطلب وأردف قائلا: «سيوجه نداء إلى الحكومة المؤقتة ندعوها فيه مرة أخرى إلى وقف إطلاق النار».

تناول الكلمة من جديد سي صالح وقال: «لا بد أن نوافي كافة مسؤولي الولايات الأخرى بما بحثناه واتفقنا عليه هنا... وإذا استمعت الحكومة المؤقتة لندائكم واستجابت لطلبكم وهو ما نرجوه عندها لم يعد بد لمفاوضاتنا معكم ولا حتى للقائكم لأننا لا نملك صلاحيات حوار باسم مصير الثورة أما إذا رفضت مقترحاتكم فإننا سنستمر من جهتنا في دفع حركة التفاوض والحوار بهدف وقف شلال الدم من الجانبين».

هكذا انتهت المحادثات ووقف ديغول وهو يقول:«أيها السادة أتمنى أن نلتقي مرة أخرى وعندها أتمنى أن يكون باستطاعتي أن أشد على أيديكم. أما في هذه المرة فتحيتي لكم، تحيتي لكم تحيتي لكم».

وقف سي صالح ورفيقاه بردون التحية العسكرية في انضباط واحترام وفتح تريكو باب المكتب واستبق الجميع الى البهو الخارجي فيما ظل ديغول واقفا يراقب خروج الجميع، وأسدل الستار بعد ذلك عن هذا اللقاء السري الذي خرج بمقتضاه القائد سي صالح ورفاقه عن الاجماع الثوري وتصرفوا تصرفا خاطئا لكن لا أعتقد أنه تصرفا خيانيا... وقد ظل هذ اللقاء الى اليوم مثار جدل خلاف أسال حبرا كثيرا بقدر ما أسال دما فياضا... وبقي جرحا ينزف في الضمير ويشدنا بأطراف الحيرة إلى تلك الأيام العصيبة.

ولا أضيف شيئا للحقيقة بعد أن تقادم العهد، وتعاقبت السنين اذا قلت أن التصدع الذي أصاب قيادة ولايتنا جرى رأبه من داخل الولاية وتمكنا على بساطة تفكيرنا وضالة تجربتنا من تجاوز المحنة دون تدخل من أحد وتحملنا مسؤولياتنا التاريخية بالتصدي الحاسم والفوري لمخطط لقاء الاليزي الانفصالي وقضينا عليه في المهد واني لأعجب اليوم من أولئك الذين يزعمون دون حياء أنهم هم الذين قضوا على مايسمى «بقضية سي صالح» وقد راحو يفتعلون الأحداث ويختلقون بطولات ليسوا أهلا لها ويشوهون صورة هؤلاء الرجال دون جمع القرائن وتحليل الأحداث في أطرها التاريخية وملاباساتها العامة...

4 – خطة إحباط نتائج لقاء الاليزي.

طلب مني الأخوان لخضر وحليم يوم 02 مارس 1960 الالتحاق بهما في منطقة «تابلاط» على أن يكون اللقاء في منتهى السرية ودون أن يرافقني إليها أحد، حضرت إلى قرية الباكرية في ناحية تابلاط فوجدتهما هناك، وكان من المفروض أن يواصلا سيرهما نحو أهداف المهام التي كلفا بها في الولاية الأولى والسادسة لكن لم يفعلا..؟ أمراني في هذا اللقاء بالكف عن إرسال الأفواج إلى الولايات الأخرى وسألاني عما إذا انطلق سي بونعامة في مهمته فذكرت لهما أنه توجه إلى المنطقة الثالثة ومنها سيتحول إلى الولاية الخامسة. وأذكر أني التقيت سي بلقاسم هني مسؤول المنطقة الأولى في ذلك اللقاء، وقد تم استدعاؤه لكي يمكنهما من الدخول إلى الولاية الثالثة كما كان مقررا قبل أن يتغير رأيهما...

بقيت برفقتهم من 12 إلى 18 مارس 1960 وفي هذه الاثناء التحق بنا سي عبد اللطيف طلبة مسؤول المنطقة الثانية الذي عاد لتوه من مهمة كلف بها..

كنت أجهل خلفيات تلك المهمة رغم أني نائبه، طلب مني سي عبد اللطيف أن أصحب تلك المجموعة فيما بعد إلى حيث يريدون التوجه وأذكر أن اتصالات حثيثة كانت تجري على مقربة من مكان تواجدنا دون علمي بحقائق الأمور...

لكن خيوط العملية بدأت تتكشف مع تسارع الوقت وتطور الأحداث بحيث اتضحت مهمة سي عبد اللطيف في لقائه بأحد قضاة مدينة المدية ويسمى مريفي لدور، وهو الذي كلف بالاتصال بالوكيل العام لدى محكمة الجزائر.

وهكذا بدأت أطراف الموضوع تتآلف لتنظم لقاء الإيليزي الذي كاد أن يعصف بالثورة ويغير جميع معادلات المرحلة.

لا أزعم علم الغيب ولا سرائر الأمور، لكن النقاء الثوري وهداية الله كانت وراء ذلك المنهاج الذي توخيته طيلة المرحلة الصعبة.

أمرني سي عبد اللطيف بعد يومين بالالتحاق بالمجموعة التي كلفتني هي بدورها بالذهاب في الحال إلى المنطقة الخامسة من الولاية الرابعة وقد تم اختياري لكوني أكثر الناس معرفة بالمنطقة.

لكن لماذا أمروني بالذهاب إلى المنطقة الخامسة على أن أعود إليهم بعد يومين؟ ولماذا لم ينفذ حليم ولخضر مهمتهما...؟ ولماذا سألوني عن سي بونعامة ما إذا كان قد انطلق في تحقيق مهمته..؟

ولعل أخطر تلك الأسئلة جميعا هو عدم مساءلتي عن القائد سي صالح المقيم في مقر الولاية ورسمهم لي طريق الذهاب والعودة من وإلى المنطقة الخامسة لمقابلة مسؤولها سي بابا علي بشير ... وأتشكك فيما يخططه رفاق السلاح ضمن السرية والتكتم فعمدت فورا إلى تغيير وجهة مهمتي متخذا طريقا تعودت أن أسلكها وتوجهت رأسا إلى مقر الولاية في بوغار ناحية (قلابة) لعلمي بوجود قائد الولاية يومها هناك.

ودون مقدمات أطلعته على كل ما رأيته من وقف للأفراج نحو الولايات إلي تراجع حليم ولخضر عن مهماتهما واجتماعهما مع عبد اللطيف ولكن لم أفاتحه

بما كان يختلج في صدري من شكوك وريبة، وبسرعة البديهة أدركت أن سي صالح كان آخر من يعلم ثم تأكد لي ذلك بعد أن ناولته الرسالة التي حملوني إياها كي أسلمها إلى مسؤول المنطقة الخامسة...عندها لم أستطع صبرا وقلت له بالحرف الواحد أني لا أعلم شيئا عن كل ما يجري، بل أن ما شاهدته شد انتباهي وها قد جئت أخبرك... وأضع نفسي رهن إشارتك فيما تراه خيرا للثورة والوطن... ». نظر إلي طويلا دون أن تبدو عليه علامات التغير، فلم أميز بين ما إذا كان حزينا أو متألما أو مرتاحا لهذه المستجدات، وبعد لحظة صمت ثقيلة أمرني أن أذهب فورا إلى المنطقة الخامسة وأتم تنفيذ المهمة التي كلفوني بها.

قلت بيني وبين نفسي لينظر الله فيما يدبر لنا، ويممت بوجهي شطر قيادة المنطقة الخامسة، لم تتوقف هواجسي وأنا في طريق إلى تنفيذ مهمة لا أعلم من أمرها شيئا، قررت أن أبعث رسالة إلى محمد بونعامة الذي كان وقتها في المنطقة الثالثة بالونشريس يهيئ الأفواج التي سترسل إلى ولايات أخرى وطلبت منه أن يأذن لي بالالتحاق به وقد حملت رسالتي مبعوثا خاصا وبعد مدة قصيرة جاء جوابه مخيبا كل آمالي.

إذ رد علي بقوله: «اذهب واخبر قائدك سي صالح لأنه المسؤول الأول ومسؤوليته فوق الجميع...» ، لم يهجرني الأمل في أمر يقوم به فعاودت الكرة وأرسلت له رسالة ثانية رفقة نفس المرسول الأول وأكدت له فيها أني فاتحت القائد سي صالح في الموضوع وكانت في تلك الأثناء قد وجهت مجموعة لخضر وحليم رسالة إلى سي بونعامة بعد أن وصلته رسالتي الثانية وهو في طريقه إليهم في الوقت الذي كنت أواصل سبيلي إلى المنطقة الخامسة.

انهيت مهمتي وعدت إلى الجماعة تنفيذا للأوامر ولشدة ما كانت دهشتي عندما لقيت سي صالح إلى جانبهم بعد أن أشعروه بدورهم في رسالة بما خططوا له.

كانت الأحاديث في ذلك اللقاء سرية، ولم يتناه إلى سمعي إلا اسم القائد طارق الذي كان قائدا للولاية الخامسة يومها بالنيابة... اشتد توجسي وتأكدت أن أمرا خطيرا يحضر في الخفاء التام..وما كان من تلك الجماعة المجتمعة إلا أن تكلفني بمهمة عاجلة إلى المنطقة الأولى وفي الطريق أخذت مني الوساوس

مأخذها ولم يعد بإمكاني تصور مخرج من معضلة ما يحضر في الخفاء وفي سرية مطبقة لثورتنا... لجأت كاليائس في آخر محاولة إلى السيد بوسماحة وكان قائدا للناحية الرابعة وقتها بعد أن استخلفني فيها لأصبح مسؤولا على المنطقة.. لجأت إليه ولم أكن على معرفة جيدة به لكنه بدا لي نشطا وأشد الجميع حماسة للثورة ... وأكثرهم إخلاصا لها، لم أصارحه بما في نفسي فور لقائنا ولكن تماديت معه في عموميات حتى لمست فيه قدرا من الاطمئنان والثقة، وكان الليل قد ذهب نصفه..ودون أن يمهلني أدرك أني جئت لأمر هام، فبدرني بقوله ثق أني سأقف إلى جانبك وأواجه معك جميع الاحتمالات الممكنة . وهنا فقط ذكرته بأن لا خوف على مصيري الشخصي لكن خوفي على مستقبل الثورة وما يمكن أن يصيبها من سوء، وبعد تحليل الوضع تأكدت لكلينا قناعة مشتركة بوجوب التصدي لما يدبر في الخفاء... استوثق الواحد منا بالآخر وانطلقنا نخطط كيف نواجه كل الاحتمالات الممكنة بدءا بالاستيلاء على جهاز الإرسال للاتصال بالقيادة في الخارج... رغم ما في هذا الاحتمال من محاذير ومخاطر فقد لا تصدق قيادة الخارج زعمنا وقد تتصرف تصرفا مشطا يؤدي بالوضع إلى التفجير، ثم عدلنا عن ذلك مقابل أن نعلم قادة الولايات ومسؤولي المناطق بالأمر، لكن ذلك أيضا بدا لنا غير مأمون الجانب، وفجأة طرأت على ذهني حيلة عرضتها على سي بوسماحة، عارضها أولا لكنه تراجع ووافق عليها وبذلك هيأ فوجا احتياطيا لمواجهة أي طارئ محتمل.

أما هذه الحيلة فمفادها أني أباغت الجماعة وهم في مخدعهم أخبرهم أن القائد طارق الذي تردد اسمه في مجلسهم موجود في ولايتنا ويرغب في لقاء أحدهم وأنه موجود في جبل موقورنو ينتظرهم، وقد نفذت المكيدة بحيث جئتهم فلقيتهم مجتمعين وكانوا على التوالي: صالح زعمون، محمد بونعامة، لخضر بوشامة، حليم وعبد اللطيف، فقلت ما ذكرت وتحقق ما نويت في أن يصحبني أحد الاثنين: القائد صالح أو سي بونعامة لكونهما أكثر الجماعة معرفة بالقائد طارق، رافقني بونعامة وبقي الجماعة في مخدعهم حتى إذا توغلنا في غابة موقورنولفنا ظلام الليل الحالك فاتحنا بونعامة بحقيقة المكيدة في هدوء وطمأناه بأننا نريد أن نفك طلاسم ما يجري في الخفاء بمعرفة اليقين منه أو من القائد سي صالح رغم ما في هذا السلوك من تجاوز لصلاحياتنا وخروج عن طاعة قوانين الثورة.

اطمأن بونعامة إلينا واندفع يقص علينا كافة ملابسات القضية بدءا بأول لقاء جمع عبد اللطيف بالقاضي حتى اجتماع الإليزي بالجنرال ديغول. هبط علينا الخبر كالصاعقة، ولم أعد أتمالك نفسي وأتابع الاستماع بل ذهلت أيما ذهول فشرد ذهني عبر فضاءات الخيال عن خلفية اللقاء ونوايا مهندسيه... متسائلا كيف قبل الجنرال ديغول مقابلة قادة الفلاقة بهذه السهولة وكان الأولى به أن يلتقي رجال السياسة، بل أن يلتقي ببلونيس أو كوبيس أو حتى مصالي الحاج؟

ثم ماذا قال سي صالح للجنرال في هذا اللقاء، وما هي النتائج بل وما هو مستقبل الثورة على ضوء هذه السابقة الخطيرة؟

صارحنا بونعامة بنوايانا كمجموعة قامت بمبادرة تتعدى صلاحيتها لتتصدى لهذا الوضع المفاجئ لكن دون أن نحكم عليه بالخيانة أو العمالة وحملناه مسؤولية اتخاذ القرار. فبادر دون تردد إلى تبني موقف مضاد لما كان عليه الأمر الذي حمل بعض المؤرخين إلى اعتبار تصرفه هذا تصرفا انتهازيا بوجهين مختلفين، والحقيقة أن سي بونعامة لم يكن من هذا القبيل، لكنه اقتنع بوجهة نظرنا في الأمر فغير مواقعه، وهو يعلم أن ما قام به صالح ورفاقه ليس انهزاما بقدر ما يمثل انهزام ديغول الذي قبل التفاوض مع من يسميهم «الفلاقة»، وأن يكشف فيهم دهاء سياسيا عال بحيث لم يفاوضوه باسم الثورة ولا باسم الولاية التي يمثلونها، ولكن فاوضوه باسمهم الشخصي بل قطعوا أمامه جميع الطرق الأخرى باستثناء طريق التفاوض الرسمي مع الحكومة المؤقتة، الممثل الوحيد المؤهل للتحدث باسم مصير ثورة التحرير واستقلالها... كما أنهم لم يوقعوا على أية وثيقة تلزمهم أو معاهدة مع العدو فكل ما هنالك أن قيادة الولاية ارتكبت سابقة في حق الاجماع العام للثورة... بحيث تجاوزت صلاحيتها كقيادة ولاية من بين ست ولايات أخرى، ووافقت على الالتقاء برئيس دولة تحاربنا منذ سنوات وتحتل وطننا منذ قرن وربع قرن دون أدنى شرط ودون إذن من القيادة العامة السياسية أو العسكرية...

أدرك بونعامة بحسه الوطني خطورة الموقف فأصدر أوامره وكانت كالتالي:

1 - إقالة سي صالح من مهامه.

2 - إلقاء القبض على المجموعة المشاركة في لقاء الإيليزي.

3 – تكثيف العمليات العسكرية ضد العدو داخل المدن وفي الجبال وعلى جميع الجبهات.

تسلمت شخصيا أوامره كتابيا ثم انطلقنا في تنفيذها فورا، توجهت وبوساحة على رأس فوج من جنودنا ليلا إلى مدينة المدية حتى جئنا منزل القاضي قدور، حاصرناه ولكن لم نعثر بداخله إلا على لخضر بوشامة أما سي صالح ورحيم فقد انتقلا إلي الولاية الثالثة لإخطار قائدها محمد أولحاج بما تحقق في لقاء الإيليزي..

عزلنا فورا القاضي بغرفة مجاورة قائلين له بما أن دورك في هذه القضية انحصر في ترتيب الاتصال بين الطرف الفرنسي والجزائري فإننا لا نمسك بسوء وعليك فقط أن تشيع أن سي لخضر بوشامة ذهب في مهمة عاجلة وسيعود علي أثرها... وللمزيد في الحيطة طلبنا من لخضر أن يؤكد هذا الأمر بكتابة رسالة... لكنه رفض الطلب رفضا قاطعا ورغم أن ما قام به يتحمل مسؤوليته بنفسه... وطلب منا أن نذهب به إلى سي بونعامة ليبوح أمامه بكل شيء. قيدناه توجهنا جميعا إلى بونعامة وفي الطريق عملنا على تهدئة الجو زاعمين أمام مجموعة الجنود المرافقة لنا أن ما نقوم به هو بأمر من القيادة العامة، ومع خيوط الفجر الأولى بعد مسيرة ثلاث ساعات وصلنا إلى مقر سي بونعامة حيث سلمناه وانطلقنا من جديد لإنجاز مهمتنا.

علمت بعد ذلك أن سي لخضر بوشامة لما طلب منه أن يقدم تقريرا مفصلا عن مشاركته في لقاء الإيليزي تبين أن السبب الذي دفعه بحماس إلى ذلك إنما هو نداء ديغول نفسه الذي حث فيه المحاربين على الحوار لأجل تقرير المصير لأنه حسب رأيه لم يعد يثق في أولئك القابعين في العاصمة التونسية يحترفون سياسة البذخ ورغب في أن يستمع إلى ديغول شخصيا دونما أي وسيط لكي يختبر نواياه بشأن وقف القتال وتقرير المصير الذي يريح الشعب من محن الحرب والمجازر البشعة التي يتعرض لها يوميا على أيد الجلادين.

وقد جاء في التقرير أيضا أن من أهداف اللقاء (إذا حسنت نوايا الجنرال ديغول) هو الاتفاق على حق تقرير المصير والتعاون المشترك بعد ذلك بين الجزائر وفرنسا في أطر الاحترام المتبادل لكلا السيادتين، وأن لا يكون هناك اندماج بين

البلدين أبدا. وذكر سي لخضر بوشامة أن من أقوال ديغول في ذلك الاجتماع قوله: «...أؤكد لكم أننا نجتمع اليوم كمحاربين من أجل قضية ولم التق بكم كأشخاص انحرفوا عن الخط الثوري أو خونة يبيعون قضيتهم».

ذلك بعض ما جاء في تقرير سي لخضر بوشامة الذي أرسله إلى «جناف» ومنها إلى تونس موجها إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك، وقد اعترف فرحات عباس بهذه الرسالة بعد ذلك صدفة لما التقيته أول مرة في المجلس الوطني فقال عني هذا الرجل قد شتمني في رسالة وجهها إليَّ من الولاية الرابعة بعد أن زار «الإيليزي» والحقيقة أن فرحات عباس قد تشابهت عليه الأسماء بين اسم صاحب الرسالة لخضر بوشامة واسمي لخضر بورقعة.

وقد علمت أن من محتويات تلك الرسالة ذكر المشاكل والاضطرابات التي عانتها الولاية الخامسة والسادسة وتدخل الولاية الرابعة لفض بعض تلك المسائل، وقد جاء أيضا أنه لا بد على قيادة الخارج أن تبادر بإرسال الأسلحة والذخيرة لمواصلة الحرب وفي حالة عدم الاستجابة لهذه المطالب هدد سي لخضر بأنه ورفاقه سيعرفون كيف يتصرفون... ولعل ما قصده إنما هو الاستمرار في نهج لقاء «الإيليزي».

بعد هذا الاستطراد أعود إلى أني ذهبت جادا في البحث عن عبد اللطيف، وبعد مسيرة ليلة كاملة عثرت عليه جنوب الشريعة في قرية الشعاوطية، وخلال هذا الوقت القصير تم إعدام سي لخضر بوشامة. كانت أوامر سي بونعامة إليَّ أن أقبض على عبد اللطيف وأجرده من سلاحه وإذا رفض أو مانع أقتله فورا.

لكن ما إن أقبلت عليه حتى منعني حيائي من تجريده من سلاحه وهو المجاهد المغوار والبطل المحنك الذي كان ضمن فيلق الشهيد علي خوجة، وكان قد أصيب بعقدة في كبريائه إثر ذهابه إلي المغرب وسجنه وإساءة معاملته من قبل قيادة الخارج، كما سبق ذكره من قبل.

احتار سي عبد اللطيف لحضوري المفاجئ، وسألني السبب فقلت أن بونعامة كلف بشن هجوم واسع على العدو في المتيجة والساحل وهو يعد خطة محكمة على أن يتصل بك لاحقا... وهذه المرة الثانية التي أخالف فيها أوامر ثورية محددة. وقد هداني الله لذلك حتى لا أذل رفيق سلاح مخلص...

لكن عبد اللطيف أصر كل الإصرار على أن يرافقني ليرى لخضر بوشامة قائلا: لابد لي أن أراه طالما أن سي بونعامة قد غير رأيه فلا بد أن سي لخضر غير هو الآخر رأيه، تحايلت عليه مرة أخرى فقلت: إن الرجلين انتقلا إلى جهة مجهولة بمنطقة الونشريس ولا أمل في العثور عليهما في عين المكان.

لكن عناده كان أكبر من أن يفلّ، وأمام شدة تصميمه على لقاء بونعامة قبلت على مضض... بقينا يوما كاملا نستعيد الذكريات ونتناقش الأمر الذي مكنني من معرفة جزء من الحقيقة وهو أن سي عبد اللطيف كلف بجانب الاتصالات في قضية لقاء «ديغول»، أما صاحب الفكرة الأساسية فهو سي لخضر بوشامة، بحيث خطط لها ونفذها بعونهم، ومما قاله عبد اللطيف أيضا أن بوشامة كثيرا ما كان يجاهر القول أن قادة الخارج لا يهمهم من مستقبل الثورة شيء، وأضاف أنني كنت أشك في أن يوافق سي بونعامة على لقاء «الإليزي»، أحسست براحة نفس وانتعاش جديد لما علمت أن بونعامة لم يكن من المتحمسين للقضية وسرنا باتجاه الموعد طبقا لخطتي المرسومة حتى وصلنا قرية بوضة شرق المدية وقد قطعنا المسافة في ظرف ثلاثة ساعات.

ما إن شاهد بونعامة سي عبد اللطيف واقفا معي رفقة بوسماحة دون أن أجرده من سلاحه حتى ركب رأسه وحدق فيّ بنظرة فاحصة، أشرت له خفية، نهدأ وطلب مني أن ألقاه وبوسماحة على انفراد، شغل بوسماحة عبد اللطيف بأحاديث عامة وانفردت ببونعامة الذي وجه لي سؤاله المباشر: لماذا لم تنفذ الأوامر الصادرة إليك بأن تنزع سلاحه وتقيده وإن قاوم قتلته؟ قلت رجاء أعطني فرصة للتوضيح وأن تكون بحضور بوسماحة، رد بعنف أن كل ما أعرفه أن عبد اللطيف هو المتسبب الأول فيما حصل، قلت: هل تعرف عبد اللطيف عن كثب قبل هذا الحادث؟ لم يرد الجواب، قلت لقد جاء عبد اللطيف ليعرف منك كل شيء ويضع نفسه رهن إشارتك مع لخضر بوشامة، قاطعني بقوله: أن لخضر لم يعد بيننا قد نفذ فيه حكم الإعدام... صعقت للخبر وازداد خوفي على عبد اللطيف الذي أرجو أن يظل مقاتلا إلى جانبنا على أن يموت على أيدينا وتخسره الثورة إلى الأبد.

لكن من حسن الحظ أن بونعامة اقتنع ذلك اليوم بصدق نوايا عبد اللطيف بعد نقاش طويل حضر جزءا منه بوسماحة محمد، وبعد ساعتين من المشاورات

قررنا تغيير المكان، وفي اليوم الموالي أصدر بونعامة قراراته الجديدة بصفته قائدا للولاية الرابعة تتضمن ما يلي:

1 - حل مجلس الولاية دون إعطاء مبررات لذلك على أن يتم الشرح في اجتماع يقرر تاريخه ومكان انعقاده لاحقا.

2 - تعويض أعضاء مجلس الولاية برؤساء المناطق.

3 - تعيين سي عبد اللطيف الذي كان مهددا بالإعدام عضوا في المجلس ومنحه مسؤولية الإشراف على منطقتين عوض منطقة واحدة وهما «الأولى والخامسة».

4 - إشعار رؤساء المناطق ووضعهم على أهبة الاستعداد لحضور اجتماع سيتم تحديد مكانه وزمانه لاحقا، تدرس فيه طبيعة وأسباب تلك التغيرات.

5 - وضع برنامج ثوري موسع لكل منطقة ضمن حدود اختصاصها.

أذكر أن الظروف والملابسات التي أحاطت بإعدام سي لخضر بسرعة ودون محاكمة إنما مردها تأثر بونعامة بالحدث من جهة وغياب مدافع عن سي لخضر عكس ما حدث مع سي عبد اللطيف الذي وقفنا بجانبه وتمكنا بفضل الله من إقناعه بعدم قتله.

تحدد اجتماع المجلس وضم قادة المناطق تحت رئاسة سي بونعامة، وأحيل الموضوع برمته على المجلس لدراسته وتحديد موقف نهائي منه، فجاءت بعض نتائجه مخيبة للآمال بحيث أدان المجلس سي عبد اللطيف وحكم عليه بالإعدام ولم تفلح جهودي ولا جهود سي بوسماحة في إقناع باقي الرفاق بالعدول عن موقفهم والعفو عنه، والذي غير الموازين في المحاكمة إنما هو موقف القائد سي بونعامة الذي التزم الحياد ولم يدل برأيه في الموضوع رغم وزن رأيه كقائد له كل الصلاحيات الثورية، ولا ندري إذا كان موقفه ذلك عن قناعة أو خشية من أن تتحول محاكمة عبد اللطيف إلى محاكمة كل من شارك في ذلك اللقاء، وهكذا أصدر قرار الإعدام وأعدم عبد اللطيف فورا.

التهم التي وجهت إليه في المحاكمة:

قبل عرض التهم التي وجهت إليه من مجلس الولاية، نتساءل عن سر منح سي عبد اللطيف عضوية مجلس الولاية وإسناد مهمات خاصة له قام بأدائها على أكمل وجه، هذا إذا كان مكتوب عليه أن يحاكم ويعدم...؟

هذا السؤال لا يجد جوابه وسط زحمة الارتجال وسرعة المحاكمة وطبيعة الظروف المتميزة بالإضافة إلى قناعات أعضاء المجلس بأن التهم الموجهة إليه لا تقبل الشك ولا الطعن وكانت كالتالي:

1 - أن عبد اللطيف قد وقع في الأسر سابقا دون أن يكون مصابا بجروح مثل التي كان مصابا بها الرائد عزالدين.

2 - لم يمكث طويلا في الأسر حتى أطلق العدو سراحه في الوقت الذي قتل فيه جميع رفاقه، وهم حمدان، وعبد الرزاق،مسؤول مخابرات الثورة بالناحية الرابعة في الولاية، وطبيب الولاية الدكتور فارس بعد أن أسره العدو متأثرا بجراحه.

وقد أول الحادث إلي أن العدو أطلق سراحه بسرعة دون أن يمسه بسوء ليستغله في قضية «لقاء الإليزي».

3 - التقى الجنرال روان رفقة الكولونيل «دريبو» وقد حاول الجنرال أن يظلل عبد اللطيف ويتوصل من خلاله إلى معرفة نتائج لقاء «الإليزي» والتغيرات الجارية في الولاية، متظاهرا بأنه خالي البال من كل شيء وهو الأمر الذي حمل عبد اللطيف على أن يتجاهلهم لكنهم طلبوا إليه أن يظل وسيطا بينهم وبين قادة الولاية وهو الأسلوب الذي اتبعوه من قبل مع الرائد عز الدين الذي وقع في الأسر جريحا... إلا أن حكمة سي امحمد بوقرة وبعد نظره حملاه على أن يبعث بالرائد عز الدين إلي تونس لقطع دابر الشكوك ومحاصرة مخططات العدو وضمان كرامة رجال الثورة.

5 - وصول رسالة مدسوسة من المخابرات الفرنســية موجهة لسي عبد اللطيف سلمها العسيل عنوة إلى مسؤولي المناطق الذين كانوا مجتمعين وفيها إشعار بفشل مهمة لقاء «الإليزي» وتحذيره مما قد يلحق به من الأذى.. كانت الرسالة

هي القطرة التي أفاضت الكأس واعتبرها القادة دليلا ماديا على عمالة عبد اللطيف للعدو لقد تحاشى العميل أن تسقط الرسالة بين يدي شخصيا أو بين يدي سي بوسماحة لاطلاعنا على مخططاته ومناوراته الخسيسة في الإيقاع بالثورة من داخلها... كما سبق له أن جرب مع الرائد عز الدين ومن خلال رسائل وجهها إلى بوسماحة وإليّ شخصيا...

الرسالة وخطر الجواسيس.

في الوقت الذي تسلم قادة المناطق رسالة العميل الفرنسي الموجهة إلى سي عبد اللطيف كنت رفقة القائد سي بونعامة في المنطقة الخامسة في مهمة عاجلة للاطمئنان على سلامة الثورة والثوار، بتلك الجهة، حاصرنا العدو بقوات هائلة على إثر رشاية أحد الخونة، وبعد اشتباك ومواجهة عنيفة بيننا نجونا بما يشبه الأعجوبة دون خسائر باهضة إلا أن مرافقنا أسر في ذلك الاشتباك وتحت التعذيب الوحشي اعترف للعدو بمكان وجودنا قرب قرية الربيعة في الجنوب الشرقي لمدينة البرواقية، استغل العدو تلك المعلومات فأرسل إليّ شخصيا رسالة حملها أحد جواسيسه في هيئه مموهة جدا بحيث كان بحوزته رخصة مرور مزورة عليها ختم المنطقة الأولى ومجموعة من صور الشهداء وكراس صغير كتبت على صفحاته أناشيد ثورية حماسية فغدا مظهره الخارجي يؤكد أنه مبعوث من قبل كاتب المنطقة الأولى وقتها إسماعيل عبد النور.

وكان الهدف أن يدرس إمكانية محاصرتنا ثانيا. والحقيقة أننا خرجنا وقتها من حدود المنطقة الخامسة ولم يبق على إدراك مكان تواجد الجاسوس إلا مسافة ساعة من الزمن، شاء القدر أن يضارع وقت وصول الجاسوس وصول فوج من المجاهدين قدموا لترهم من المنطقة الثالثة في طريقهم إلى المنطقة الأولى وكان رئيس الفوج يدعى العربي حالي يعرف المنطقة الأولى حق المعرفة وله فيها أصدقاء ومعارف كثيرون، ولما علم بوجود دليل قادم من هناك (الجاسوس) دخل معه في جدل وراح يسأله عن أمور دقيقة لا علم للجاسوس بها فشك الجاسوس أن يكون قد وقع في الفخ واستغل انشغال المجاهدين فيما بينهم ليتسلل هاربا بين الأشجار الكثيفة... تنبه بعضهم إلى أن الدليل قد اختفى وخامرهم الشك في أن يكون وراءه أمر فسارعوا إلى جمع أسلحتهم وأمتعتهم العسكرية تأهبا

للانسحاب قبل أن يحكم العدو قبضته عليهم ويحاصرهم. وبينما هم في تلك الحالة وصلت رفقة القائد بونعامة وسي بوسماحة الذي لحق بنا في منتصف الطريق، فهالنا أمر اضطرابهم الشديد فأعلمونا أن جاسوسا تسلل إليهم وهو ما عليه من الصفات حاملا معه رسالة مزعومة... عندها فقط أخبرنا سي بوسماحة أنرسالة مماثلة موجهة إلى سي عبد اللطيف وصلت بدورها وبذلك أيقنت أن العدو قد أحكم قبضته علينا وضرب حصاره لأنه أصبح يعرف عنا كل شيء، وما كل ذلك إلا لينتقم من فشل مخططه الذي نسج خيوطه في السر... إن محاصرة خطة الإليزي أصابت العدو في الصميم وقد اعترف كتابه بعد ذلك في مؤلفات عديدة أن لخضر بورقعة ومحمد بوسماحة كانا السبب المباشر في إفشال مخطط ديغول الذي أراده على حلقات متتابعة.

أدرك العدو أن فشله هذا سيترتب عنه ما يمكن أن يسيء إلى ديغول ويشوه صورته الخارجية لذا سارع إلى العمل على تصفية جميع الذين شاركوا في لقاء الإليزي حتى لا يتسرب أي سر من محادثات يوم 10 جوان 1960، وعليه فقد تصرفت أجهزة مخابراته تصرفا مهوسا لوضع حد نهائي للقضية ومحاصرتها ضمن حدود ضيقة حتى لا تتمكن أجهزة الإعلام العالمية وإعلام الثورة في المقام الأول من عرضها على الرأي العام وفضح نوايا سياسة فرنسا، وكان تقديرهم أن أصل الخطر مازال قائما مادام سي صالح زعموم وحليم على قيد الحياة، ومن المعلوم أن سي صالح وحليم كانا في زيارة إلي الولاية الثالثة لإطلاع آيت أولحاج على مخططهما دون أن يعلما بكل المستجدات التي طرأت بعدهما على الولاية، في تلك الأثناء وجه سي بونعامة بوصفه قائد الولاية رسالة إلى محمد أولحاج يحذره من التعامل مع الرجلين ويناشده أن يحافظ على سلامتهما حتى يعودا إلى مقر ولايتهما، دامت رحلتهما إلى الولاية الثالثة زهاء شهرين كاملين ذهبا فيها على متن سيارة وعادا مشيا على الأقدام عبر الجبال والغابات والسهول، وشتان ما بين الذهاب والإياب!

5 – سي صالح ورفيقه يحاكمان:

عاد سي صالح ورفيقه حليم من الولاية الثالثة وكان بإمكانه ألا يعود، بل كان باستطاعته لما علم بالتدابير التي اتخذت ضده والتهم الموجهة إليه بأنه خائن

وخارج عن طاعة الثورة...الخ، أن يطلب حق اللجوء من أحد جنرالات فرنسا ويعيش «ملكا».. لكنه فضل العودة إلى مقر ولايته حتى يقارع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، ويؤكد للجميع أنه المناضل الصلب الذي لا يلين، رضع فضيلة الثورة منذ نعومة أظافره، هكذا فضل المواجهة بكل ما يترتب عنها على الهروب، وأن يقول كلمته تاركا الحكم للتاريخ وحده... وقد رضي أن يصبح مساعدا بعد أن كان قائدا دون أن يقلل ذلك من عزيمته الثورية.

عاد إذن إلى مقر الولاية ووضع نفسه فور وصوله تحت تصرف القيادة لمحاكمته، وقد كان يدرك معنى المحاكمات أثناء ثورة التحرير، إذ كان نفسه مرارا ممن حاكموا المنحرفين بما في ذلك حكمه على علي بن مسعود ومحمد القاضي وكلاهما رئيس منطقة، وأمره بإعدام سي الطيب الجغلالي وجماعته، وأقول كلمة للتاريخ أن سي صالح زعموم كان عادلا في أحكامه لا يلين ولا يظلم وكان قلبه لا يعرف الحقد ولا الكراهية... يعطي كل ذي حق حقه.

صادف وصوله وصول العقيد أحمد بن شريف قادما من تونس بعد رحلة شاقة دامت سنة كاملة وكان ذلك يوم 16 سبتمبر 1960، وفي اجتماع ضم على انفراد بن شريف وبونعامة علم بن شريف بكل ملابسات القضية كما رواها له سي بونعامة طبعا، وعندها التقى بن شريف سي صالح صافح كل الحاضرين لكنه امتنع عن مد يده إليه وقال بسخرية: «كان بودي ياسي صالح أن أقبلك على جبينك مرتين تلبية لرغبة شقيقك فرحات الذي تركته في الحدود، لكن بعد أن علمت كل الذي جرى، فإني أعتذر عن هذا الرجاء وإني...»، وقد تحدث بن شريف بسخرية وعدوانية وقبل أن يتم كلامه لم أتمالك نفسي ونطقت قائلا: «إذا كان لا بد من اتهام سي صالح ومحاكمته فلن تكون أنت الحكم بالتأكيد لأنك تجهل الموضوع جهلا تاما وبعيدا عنه بعدك عنا».

لم يعجب تصرفي هذا سي بونعامة الذي تغيرت سحنته، وربما اعتقد بأني أصبحت أتحدى الجميع... وبإشارة خفيفة منه انزوينا بمفردنا وتحت غصن شجرة ضخمة حجبتنا عن الجماعة طلب مني أن أشرح له ما قصدت إليه من كلامي فقلت على الفور: « ليس من حق أحد خالي البال بدقائق القضية أن ينصب نفسه حكما على أمر قد قضينا فيه، سيما وأن الموضوع يوشك أن ينتهي وعوض أن

نرمم ما افسد فإننا بهذا التصرف سنميع القضية ونفتح ملفها من جديد...»، وأضفت قائلا: «أنت وحدك القائد الذي له حق البت في الموضوع دون سواك وما نحن إلا جنود مطيعين لأوامرك الثورية».

صمت سي بونعامة قليلا متأملا ما قلت ثم عدنا إلى حيث الجماعة وكان الليل قد أظلم وحجب عنا الرؤية، وما إن ابتعدت قليلا حتى سمعت حركة غير عادية، تراجعت على إثرها إلى الوراء فإذا بي ألقى «حليم» وقد قيد بالحبال ولم أدر وقتها إن كان بأمر سي بونعامة أو باتفاقه مع بن شريف.

وقع حليم قيد الأسر مكبلا بالحبال، التفت إلى سي صالح في نظرة رجاء يستجديه العطف والدفاع عن النفس لكن سي صالح صوب نظره إلى الأرض وقال بصوت مسموع: «على مراد الله». ودون أية محاكمة عادلة أعدم حليم فورا في عين المكان حتى أنه لم يعط الفرصة لكتابة تقريره على غرار رفاقه الآخرين...

هدأت العاصفة بعد أن صفي كل من شارك في قضية «الإليزي» ولم يبق إلا القائد سي صالح ينتظر أوامر القيادة العليا بشأنه، كلفني في تلك الأثناء قائد الولاية سي بونعامة أن أبقي سي صالح تحت مسؤوليتي وأن ننتقل إلى جبل «تمزقيدة» غرب الشريعة، نفذنا الأمر على الفور حتى قبل أن يوارى جثمان حليم التراب، غادرنا المنطقة وما إن وصلنا منعرجات الشريعة في أعالي الجبال (قرب المطعم السياحي الذي أقيم بعد ذلك في عهد الاستقلال)، حتى وقعنا في كمين نصبه لنا العدو الفرنسي ودخلنا في اشتباك معه، لكن كثافة الضباب والأمطار الخريفية المتساقطة ساعدنا على تجاوز المحنة إلى أن وصلنا إلى مقر تمركزنا، رغب سي صالح في قسط من الراحة بعد مسير شهرين على الأقدام، وما شاهده في عودته من إحباط وانكسار فبعد أن كان قائدا فذا يخطط وينفذ ويتصدر الطليعة الثورية تحول فجأة إلى مجرد جندي يتبع غيره في حلهم وترحالهم، وقبل أن يلتف داخل «قشابيته» الصوفية ويتكئ إلى جذع شجرة لينام اكتشف فجأة ضياع ساعته فانتصب جالسا وقال بنبرة لم أعهدها فيه: «أنت تعرف يا لخضر أني لا أومن بالخرافات والأوهام، لكن ضياع ساعتي هو مؤشر مستقبل مجهول».

وباغتني بسؤال قال فيه: «لماذا أنا معك أنت بالذات دون غيرك؟ وهل أنت مرافقي أم أنا رهينتك؟»، قلت بسرعة: «ياسي صالح إن مهمتي لا تتعدى مرافقتك إلى مقر الولاية. استلقى على ظهره ينظر إلى بعض النجوم التي تخفيها سحابات الخريف.. وكأني به يريد أن يأمرني ومن أين له أن يأمرني؟ يريد أن يقول خطط لعمليات عسكرية ضد العدو ولا تبق إلى جانبي فما قيمة أن يرافق جندي جنديا آخر؟

أعود للتذكير بأنه بعد إعدام حليم تفرق بن شريف وبونعامة كل في اتجاه.

أما أحمد بن شريف فتوجه رفقة فوج من الجنود بقيادة البطل الشهيد العياشي إلى المنطقة الأولى وصادف أن اصطدموا بقوات العدو وخرجوا من تلك المعركة منتصرين وغنموا بعض قطع الأسلحة، لكنهم وقعوا من جديد في كمين نصبه العدو فقاوموا حتى أبيدوا عن آخرهم بمن فيهم قائدهم العياشي ووقع كل من أحمد بن شريف وفلاح البطل المغوار في الأسر، فلاح هذا مجاهد من نوع خاص وبطل أسطوري بكل معاني الأسطورية، لقد دأب على مرافقة المجاهدين من الولاية الرابعة إلى الحدود الشرقية المسيجة بالأسلاك الشائكة والمزروعة بالألغام المختلفة والمحروسة أوتوماتيكيا بأجهزة إشعار مبكر، وقد جرح مرارا وتكرارا، وإذا كان من شق هذه الأسلاك مرة واحدة يعد بطلا مغوارا، فإن الشهيد فلاح تجاوزها عشرات المرات حتى أصبحت هوايته المفضلة.

وقع البطل فلاح أسيرا مع بن شريف في تلك المعركة القاسية وفور القبض عليهما أعدم فلاح وأبقوا على بن شريف!؟

أما سي بونعامة فقد اقتفى أثرنا ليلتقي وقتها بسي صالح، لكن في تلك الأثناء جاءت معلومات تفيد أن قوات العدو تقوم ببناء مركز عسكري متقدم في الشريعة وأن أعمال الحفر وشق الطرقات على أشدها... التفت إليّ سي صالح وكان إلى جانبي وقال: «لم لا تباغت العدو وبهجوم مركز تدمر ما بناه؟»، فقلت: «سأفعل إن شاء الله».

تركت سي صالح في مقر الولاية ونصبت كمينا محكما بَعد أن درسنا كل احتمالات الهجوم وفي أحد المضايق، وفي طريق مكشوف بوضوح النهار، بينما كانت قوات العدو مارة هجمنا عليها هجوما كاسحا، احترقت فيه الشاحنات

المحملة بالمواد المتفجرة وقتل جل العساكر وغنمنا مدفعا رشاشا وثمانية عشرة قطعة سلاح، وقد وصفت صحف العدو هذه العملية (بالكمين غير العادي) لكننا تبينا بعد ذلك أن المركز المزعوم ليس لأغراض عسكرية ولم يكن ثكنة، وإنما هو (مركز أريال للإرسال التلفزيوني).

بعد هذا الحدث الكبير بأيام قليلة فقط نفذ بوسماحة وجنوده هجوما آخر متميزا تماما، بحيث هجمرا على العدو في وضح النهار أيضا وفي قلب البرواقية فقتلوا عددا هائلا من المعمرين الغلاة وفي مقدمتهم ضابط الجندرمة «فلوري» الذي يعد جلادا خطيرا عرف بجبروت القتل والتعذيب في أوساط الجماهير. أفسدت هذه العملية جميع حسابات العدو وأربكت أجهزته وصارت حديث الجميع، بحيث لم يعد المجاهدون يرهبون عدوهم في الجبال وحسب ولكنهم يقضون مضجعه في المدن وفي كل مكان ويهددون سلامة معمريه أيضا.. ولا زلت إلى اليوم أعتبر أن أكبر عملية عسكرية وآخر عملية نفذتها وجنودي في تلك المنطقة هي عملية مركز الإرسال التلفزيوني التي خلدها النصب التذكاري الذي أقيم بعد ذلك في عين المكان.

وفي غمرة نشوة الانتصار بعملية بوسماحة وعمليتي الكبيرتين تناقلت إلينا أنباء سارة أيضا تفيد أن المنطقة الرابعة الواقعة في نواحي التنس الساحلية والتي عرفت حصارا بريا وبحريا كبيرين انتفضت ونفذ ضابطها وجنودها هجومات كاسحة ضد جميع مراكز دفاع العدو الذاتي وغنموا فيها حوالي مائتين وخمسين (250) قطعة سلاح، والأهم من كل ذلك هو القضاء النهائي على فرق الكومندوس الخاصة التي جيء بها خصيصا من الهند الصينية، وهي فريدة من نوعها في بلادنا... سلطوها على تلك المناطق فأحدثت رعبا في قلوب الجماهير وارتكبت مجازر لا يمكن وصفها أبدا.

إثر هذا الانتعاش الجديد والانتصارات المتلاحقة، اقترح عليّ سي صالح أن نوزع منشورا يمضيه قائد الولاية نشكر فيه مسؤولي المنطقة الرابعة على ما حققوه من نصر ونحثهم على المزيد من المقاومة ويكون عنوانه: «المنطقة الرابعة تغير المعادلة».

وافقنا على اقتراحه ونفذناه حرفيا حتى إذا رأى تلك النتائج استعاد نشاطه تدريجيا وعادت إليه روح الحماسة والنشاط اللذين عرف بهما كأنه طائر جريح مل المكوث في الأرض واشتاق إلى التحليق في الفضاء وعلى قمم الجبال العالية.

بقي بونعامة على اتصال دائم بمقر القيادة في الخارج إلى أن صدرت الأوامر بترحيل سي صالح ونقله إلى تونس ولم ندر إذا كان هذا الأمر بالترحيل بإيعاز من بونعامة أو صدر عن القيادة نفسها في تونس..؟ المهم تلقى سي صالح الأوامر كعادته بصدر رحب وغادر جبل تمزقيدة تاركا وراءه فراغا مهولا في نفوسنا، لقد ظل طيلة أيامه الأخيرة رفقتي يشارك مشاركة رمزية في قرارات الولاية وكان بونعامة يمده بالتقارير لإبداء الرأي فيها وكثيرا ما كان يقدم ملاحظاته كتابيا دون أن ينطق بها وكأنه يعادي الكلام.

في يوم من أيام نوفمبر 1960 شهر البركة والنور عندنا نحن الثوار، كان الجو يغمره السحاب الأسود والمطر يتساقط ممزوجا بحبات الثلوج والبرد يلسع عظامنا على هامات الجبال. في ذلك اليوم الذي خلدته ذاكرتي إلى الأبد غادرنا سي صالح إلى المجهول ميمما وجهه شطر تونس في رحلة عبر الجبال والمغاور المزروعة بالموت والشقاء...

كانت آخر كلمة لفظها إلي رحمه الله هي «أن أعتَنِ ببوشريط ولاتفرط فيه» وما بوشريط هذا الذي مازال على قيد الحياة إلى اليوم إلا أحد الجنود الصغار سنا الذي كان يرافقني في جميع تنقلاتي وقد رافق سي صالح في أيامه الأخيرة أيضا، كانت لحظة وداعه صعبة ومؤثرة لم تسعفه لغة الخطاب لأن يبوح بأسرار قلبه كان مايحس به ويعانيه في دفائن نفسه أكبر من قدرته على البوح واختنق صوته وآثر أن ينظر الينا نظرة وداع قاتلة وأن يخصني من دون الجماعة بحوار داخلي ونظرة اخترقت كياني إلى الأعماق قال لي فيها (يا لخضر يفيض صدري ولا ينطق لساني).

أوصاني سي صالح بذلك الجندي الصغير خيرا وبالثورة والمجاهدين وغاب إلى الأبد بين جذور الأشجار وأغصانها المتشابكة يحضنها ظلام ليل الشتاء، وغاب عن أنظارنا إلى أن توارى في المجهول وساد المكان صمت.

بعد صدمة تلك اللحظات المؤثرة تراقصت بي الرؤى وكرهت اليوم الأول الذي رأيت فيه سي صالح الوقور بهيبته الى جانب القائد سي أمحمد بوقرة وقد عادا من مؤتمر الصومام ولعنت الظروف التي تدفع بالثورة إلى إضاعة أعز أبنائها المخلصين.. لقد كان سي صالح مجاهدا مخلصا وقائدا محنكا وسياسيا داهية وجنديا مغوارا وإنسانا عادلا ومهذبا... منعه كبرياؤه من الاحتجاج ونفسه من الخضوع، لقد عاد من تونس إلى ساحة الحرب غاضبا على تصرفات الرفاق سامحهم الله، ويعود إليها بعد ذلك مغضوبا عليه ليحاكموه...؟

لقد كان بإمكانه أن يقبل شروط السلام التي طرحها«ديغول» بوصفه قائد ولاية لها أهميتها الاستراتيجية تحيط بالعاصمة وفيها مقر الحاكم العام ومقر القيادة العامة والمطارات والموانئ وبها أكبر كثافة سكانية من المعمرين المتمركزين في سهل المتيجة وسهول الشلف وما إليها من امتيازات كبيرة ولكن سي صالح التقى ديغول وفاوضه باسمه الخاص ودله على القيادة الشرعية في الخارج وبذلك أحرجه ووضع نواياه على محك التجربة... واذا قبل سي صالح مبدأ الحوار فلم يقبل التفويض ولا الشروط وكان بإمكانه أن يرفض المحاكمة ويحتمي بالعدو ولكنه رفض وظل يقاتله وهو سليب حريته ووافق على أن يحاكم من قبل قيادة الخارج دون أدنى اعتبار لنتائج المحاكمة وما أدراك ما المحاكمات في عهد الثورة...

ذلك هو سي صالح الذي قاد الولاية الرابعة من يوم 1 جانفي 1960 الى غاية 10 جوان 1960.

أ- عمليات استشهادية لتعديل الموازين.

استغل العدو أحداث «الإليزي» الشهيرة ليعتم على وحدة الثورة في الداخل وقلص من القدرة التفاوضية لدى الحكومة المؤقتة في الخارج... سعيا منه إلى تمرير مخططه التقسيمي وتقزيم رسالة الثورة وهي تصدر إلى الأقطار الأخرى إن في إفريقيا أو في آسيا وأمريكا اللاتينية... لقد أقلقت الثورة بانتصاراتها العدو... فخطط بدقة لتحجيم دورها وإظهارها أمام الرأي العام الدولي بأنها حرب لم تستوف أبعادها الثورية... ولم تبلغ خطاب القيم إلى غيرها... مع الحفاظ على سمعة فرنسا الدولية الامبريالية الكبرى ذات المصالح والمواقع الاستراتيجية الشاملة في المنطقة...

دعم العدو مناورة حادثة «الإليزي» بما نفذه من عمليات عسكرية كبرى ضد الثورة وعزل الداخل عن الخارج... الأمر الذي بدت معه الولاية الرابعة قائدة التنازلات التي يخطط لها العدو بدقة... وانطرح علينا الأمر بهذه الحدة... وكان علينا أن نرفع التحدي معنويا وعسكريا فلجأنا إلى تنفيذ عمليات عسكرية لا يقرها منطق ثورتنا منذ أن اندلعت إلى أن توقفت ولولا حاجتنا الحتمية لاستئصال جميع احتمالات العدو ودعاياته بأن ولايتنا قبلت التفاوض المنفرد مع العدو... وأن لقاء «الإليزي» بدأ يثمر... لولا هذه الحتمية ما كنا نلجأ إلى تنفيذ عملية مثل التي نفذناها ضد مصطافين على شاطئ تيبازا ... رغم أن جلهم من العسكريين الفرنسيين وعملائهم من الجزائريين، كان لجوؤنا إلى أسلوب رفع التحدي حتمية مفروضة علينا في ذلك الوقت العصيب وبالتالي جاءت عملياتنا العسكرية عامة وعنيفة إلى حد التهور والانتقام..

هذا الأسلوب أسمع صوتنا الرأي العام الدولي... وأحرج قيادة الخارج التي لجأت إلى أسلوب المزايدة والتعتيم بل والتشكيك في جدارة جهادنا مستغلة حادثة «الإليزي» أسوأ استغلال...

إن من بين بنود استراتيجية عملنا الثوري في تلك المرحلة هو فرض المعركة على العدو وجره إلى ميدان نختار منازلته عليه... بحيث نقلنا مجال المعركة من الجبال التي يتفوق فيها علينا عدة وعددا... نقلناها إلى المدن واشترك الشعب عبر حرب الأزقة في تلك العمليات الاستشهادية الرائعة... وتسلم الفلاحون وسكان الجبال المسؤولية القيادية بعد أن كانت حكرا على المتعلمين وأشباه المثقفين من سكان الحضر.

أخضعت بنية القيادة في ولايتنا وقتئذ إلى تغيير شامل مس حرب العصابات وفرضنا على العدو حرب المواجهة السيكولوجية بحيث شددنا الخناق على الكولون الذين ضاقوا ذرعا من حماية جيشهم الضعيفة وثاروا ضده متهمين إياهم بعدم القيام بالواجب وخيانة المعمرين... وكنا لا نفرق في مواجهتنا بين عسكري وكولون وعميل... ومن بين العمليات الاستشهادية الحاسمة (واقعة ساكامودي) التي بكل أسف تبرأ منها قادة الخارج وأدانوها مثلما أدانها العدو نفسه.

الفصل الرابع
المصاليون، بلونيس وكوبيس وحدهم
الهدف، الخيانة

1 - الجبهة مؤسسة معقدة.

تميزت جبهة التحرير الوطني بشقيها السياسي والعسكري بالتنظيم المعقد والمحكم، فتعبئ الجماهير وتجندهم إما في صفوف جيش التحرير أو من أجل رفد الثورة ودعمها واحتضانها في القرى والجبال والمدن، وتتصدى لمخططات العدو ووسائل استخباراته المدنية والعسكرية وتصفي الخونة والعملاء العاملين في صفوفه ضد إرادة الثورة، ولم يقتصر دورها على الجانب العسكري والقتال اليومي فقط، بل تعداه إلى تحقيق رسالة ذات أبعاد إنسانية شاملة، بحيث وضعت في مقدمة اهتماماتها الجوانب المتعلقة بالإنسان باعتباره محور الوجود الذي تناضل من أجل تحقيقه برؤية ووسائل مغايرة للواقع الذي فرضه العدو طيلة قرن وربع القرن.

إن اهتمام الثورة انصب على الجوانب الاجتماعية للشعب الجزائري من غذاء وإيواء ومقاضاة وتوعية يومية من خلال عمل المحافظ السياسي الذي يسابق يومها وسائل الدعاية الفرنسية التي تبث سمومها وتغالط الجماهير بحقيقة الثورة فيتصدى لها ويفند مزاعمها، ويعمق بذلك روابط المواطن بثورته، فضلا عن المحاولات المتواضعة بالتقليل من واقع الأمية المستفحلة، سيما في الأرياف وتدبير المعاش ومعاونة الفلاحين ومربي المواشي...

لقد كانت ميزة الولاية الرابعة في كون معدل سن جنودنا وضباطها لا يتعدى الخمسة والعشرين سنة، وهذا التميّز على بعض سلبياته يعد إيجابيا لأنه يساعد على تفجير طاقات عمل هائلة ويوفر مناخا حماسيا وإقداما على التضحية والمواجهة بلا حدود وهو الأمر الذي حملنا على حصر كل مجالات الحياة ضمن إطار منظم شمل جميع التخصصات التالية:

1) لجنة الولاية.
2) مجالس المناطق.
3) مجالس النواحي.
4) مجالس الأقسام.
5) مجالس الدواوير (الدشر).

بحيث تمثل هذه المجالس سلسلة العمود الفقري الذي يشد جسد الثورة شدا.

2 - من داخل الحصار.

يعد المحافظ السياسي العدو الأول للجيش والقيادة الفرنسيين لا لكونه مقاتلا فحسب ولكن لأن دوره متعدد الجوانب، فهو المحرض على الثورة والقائم بالتوعية والمنظم والوسيط ما بين جيش التحرير وجماهير الثورة أينما كانت... وجامع الاشتراكات والأدوية والمخبر ومنظم المراكز ومنظم الاجتماعات بالقدر الذي تسمح به الظروف الأمنية، بل ويقيم أحيانا سوقا شعبية يحضرها سكان الجبال والقرى ليس الهدف منها البيع والشراء ولكن الهدف منها التعبئة وتبادل المعلومات والإبقاء على الوشائج الإنسانية بين أفراد الشعب الواحد واستمرار الحضور الاجتماعي رغم الأوضاع الجهنمية المفروضة على الجميع، وإحياء التقاليد الضاربة في أعماق تاريخ الشعب الجزائري المتسمة بالتكافل الاجتماعي والتعاون والتآزر «كالتويزة» ومساعدة الفلاحين الصغار بالقروض لفلح الأرض الخ... وأذكر أن مواطنا اسمه بلعيد أقرضته الجبهة قسطا من المال لشراء ثورين ليفلح بهما أرضه، وبعد حين تفقده المحافظ السياسي فتبين أن لا وجود للثورين فسأله الخبر، فقال الفلاح: «افتكت مني جماعة بالحاج أحدهما على أثر وشاية من أحدهم فخفت على مصير الثور الثاني فبعته كي لا يؤخذ مني هو بدوره واشتريت بثمنه مذياعا أتابع عبر موجاته صوت الجزائر من قبل الجزائر»، رد المحافظ بسرعة بديهة: «هل ستفلح أرضك على ظهر «فريد الأطرش» و «محمد عبد الوهاب» بعد أن بعت الثور الثاني ؟! ». لقد أدرك المحافظ السياسي بصدق سريرته نوايا الفلاح.

أما بخصوص فض نزاعات المواطنين فإن المحافظ قد حل محل محاكم العدو وأصبح المواطنون يتقاضون لديه، وأذكر أن منازعة بين فلاحين على قطعة أرض

دامت عشر سنوات في المحاكم الفرنسية ولم تجد حلها السهل إلا في قضاء الجبهة، لقد كان قضاء عادلا وثوريا يتنقل بين المواطنين ويفصل في منازعاتهم باسم الثورة، كما أقرت الثورة أسلوب التعاونيات الجماعية في فلح الأرض واستثمارها بين الفلاحين الذين زودتهم ببعض الوسائل الأساسية على أن يتم اقتسام المحاصيل مناصفة مع جيش التحرير في نهاية كل موسم جني، ثم يجري طمر تلك المحاصيل في أماكن آمنة حتى لا تصلها أيادي العدو أو تتفطن لها عيونه المبثوثة في كل مكان، وكثيرا ما كانت توزع على المعوزين والمعدمين أقساطا من المحاصيل أو أثمانها.

لم يقف دور الثورة في النهضة بالإنسان عند حدود الجوانب المادية بل اهتمت أشد الاهتمام بالتوعية كما ذكرنا، وفي مقدمتها التعليم بحيث شجعت وأنشأت مدارس قرآنية في المداشر والقرى وتصدت لكارثة الأمية المستشرية في أوساط الجماهير بحيث كان عدد التلاميذ المتمدرسين في إحدى إحصائية سنوات الثورة الأخيرة لا يتعدى تسعة وستين ومائتين (269) تلميذا في المدارس الفرنسية في الوقت الذي كان فيه العدد الرسمي المؤهل للدراسة يصل إلى حدود المليوني تلميذ، ونظرا لخطر هذه المعضلة عملت الثورة على تغطية ما لا يقل عن 86٪ من نسبة التلاميذ الذين حرموا من حقهم في الدراسة.

ولولا تلك الثقة المتبادلة بين الثورة والشعب والتصميم القوي على تغيير الواقع البائس تغييرا كليا ما كان بإمكان الثورة أن تسحب إرادتها وحضورها من جميع أنشطة الجماهير في الفلاحة والتربية والتعليم والحراسة والأمن والقضاء... وتشرك الجماهير في رفد الثورة بكل ما تملك...

كان المواطن بمحض إرادته يقوم بواجبه في التبليغ عن كل ما يجري من حوله من تحركات العدو وعملائه وعدد قواته ونوعها وطائراته وتجهيزاته التي صار يعرفها حق المعرفة... إلى درجة أننا لم نكن نتحرك من منطقة إلى أخرى أو نقوم بعملية ناجحة دون معونة المواطنين الذين يمدوننا بأدق المعلومات وأخلصها.

لقد توصلت الثورة إلى ضبط الإطار الاجتماعي ضبطا محكما وسنت قوانين مختلفة وإدارة تشرف علي سير الحياة وتنظم العلاقات العامة والخاصة بطواعية ودون إكراه إلا من خرج عن طاعتها.

فكان لكل دوار رئيس يدير لجنة القرية وهو بدوره مسؤول مباشر أمام المحافظ السياسي الذي يشد اهتمام الجميع إلى الثورة ويربطهم بها عضويا ومصيريا، وهو المنهج الذي مكن الثورة من التصدي لمخططات العدو الذي وزع عملاءه على جميع الأوساط والمستويات وانتقاهم من بين ضعاف النفوس والمصلحيين والجواسيس، وحاصر المواطنين في مراكز تجمع لتسهل عليه مراقبتهم وفصلهم عن ثورتهم حتى يضعف هذه الثورة ويبيدها تدريجيا.

لقد كانت المناطق المحرمة، قبل أن تصبح بؤرا ثورية يحكمها قانون الثورة بشقيه المدني والعسكري، قفرا مخيفا نشتاق فيه إلى صوت إنسان أو صياح دابة ... كنا لا نسمع إلا أزيز الأسلحة وحفيف الأشجار وصفير الريح.. لقد توحدنا بالطبيعة المحضة... ولولا إيماننا بالله وبالقضية لكان من المحتمل أن تستحيل بعض طباعنا إلى طباع وحوش ضارية، كان العدو يحاصرنا من كل صوب يحرق الجبال والغابات بلغم الطرقات والمعابر، يهجر المواطنين ويراقبهم في محتشدات يطلق النار على كل شيء يتحرك في المناطق التي حرمها على كل شيء حي.. لكن الإرادة الثورية تحدت جبروت الظلم وتمكن الثوار من قلب معادلة الصراع لصالح الثورة، أعانهم على ذلك الشعب الذي كان ينفذ تعليماتنا إليه بحذافرها رغم ما يمكن أن يترتب عنها من عواقب خطيرة، فقاطع إدارة العدو إداريا واقتصاديا وانفصل عن فلكه ليحيى تحت لواء ثورته... ولا أدل على ذلك من أمر الثورة للمواطنين بالامتناع عن التدخين الذي طبق تطبيقا حرفيا فأربك سلطة العدو أيما إرباك، وغيرها من الأوامر الأخرى بعدم التعامل مع إدارته في الإدارة والأحوال الشخصية والقضاء ...الخ.

هذا الدور الطلائعي في ثورتنا التحريرية من قبل الجماهير لم يكن وقفا على مساهمة الرجل دون المرأة بل أن النساء في ثورتنا تحمّلن عبئا تنوء بثقله الجبال، فبالإضافة إلى تحمل مسؤوليتهن الطبيعية في البيت اضطلعن بمسؤوليات ثورية أخرى إضافية كإعالة الأسر في غياب رب البيت وتربية الأبناء ورفد المجاهدين وإطعامهم في أي بقعة حلوا بها ولا يسعني اليوم إلا أن أقدم شهادة للتاريخ عما قامت به المرأة في ثورتنا، بحيث كنا ننزل ضيوفا على دشرة أو عائلة بأعداد هائلة يصل تعدادنا الكتيبة أي: حوالي مائة وخمسون مجاهدا وفي لحظات قليلة جدا تقوم النسوة بإسعافنا بالطعام والقهوة اللذيذة، ولقد شاهدتهن

يحولن حبوب القمح في أوقات محدودة من مادة صلبة مطمورة تحت الأرض إلى دقيق ثم طعام شهي يقدم للمقاتل فينتعش ويواصل مسيرة التحرير... كل ذلك كان يتم في سرية وحذر شديدين إذ تكفي وشاية من أحد حتى يقتل أهل الدشرة أو البيت وتدمر المباني وتتلف الممتلكات والمواشي.

أما الحديث عن المرأة المقاتلة في صفوف الثورة فلا مجال للتعليق عليه، لقد كن الفدائيات والممرضات ذوات المهام المتعددة في الأرياف والمداشر والجبال... يقمن بالتوعية وتعليم الطبخ وتربية الأبناء، وترتيب البيت وما إليه... وكن عضد الرجل في العمليات الكبرى فكن مهربات سلاح وذخيرة من منطقة إلى أخرى في الوقت الذي يتعذر على الرجل فيه حمله لكونه محل ريبة وتفتيش أكثر منها... فما أكثر ما أخفين مسدسا أو قنبلة أو رشاشا أو وثيقة هامة من وثائق الثورة تحت حياكهن وألبستهن الداخلية.

إنّ زوجات بعض «الحركة» كن يتربصن بعولتهن ليلا خلال نوم أزواجهن ليسرقن منهم الذخيرة الحربية ويسلمنها في اليوم الموالي للمجاهدين، حدث هذا في مناطق عديدة من الولاية الرابعة: في أولاد هلال وأولاد سهيل وست عزيز وفي مراكز التجمع والمحتشدات(SAS)، فبقدر ما كان العدو يشدد خناقه على الثورة كانت إرادة المرأة تشحذ باستمرار لترفع التحدي، إن بعض ما لعبنه من دور يعد من خوارق الخيال، إذ كانت بعضهن تقود قطيعا من الماعز إلى الحقول والجبال وتشد على أضرعتها بقطع قماش توهم بها الناظر إلى الماعز أن أضرعتها ملأى حليبا وتخشى عليها من أن تتدلى فتصاب بنواتئ الباب والأشواك، والحقيقة أن ذلك ما هو إلا خطة تمويهية تخفي بها المرأة شيئا ما، أكلا أو وثيقة أو سلاحا لتسلمها بعد ذلك للمجاهدين... يحدث ذلك في الظروف الصعبة والمتحيلة حين تشتد الرقابة ويطغى الحصار، لكن حتى هذه الخطة كغيرها من الخطط لم تنج من التفتيش اليومي بحيث أخضع الجيش الفرنسي الماعز للرقابة العسكرية وأطلق أحكامه عليها بالاعتقال أو الإعدام.

تلك إذن قطرة من بحر عما قدمته المرأة لثورتنا، لقد استوعبت خطاب الثورة وشعارها: «أن اعتمد على نفسك بنفسك في كل شيء»، وطبقته خير تطبيق ولولا ذلك ما كنا لنحقق حلم الشعب المستحيل بكسر شوكة فرنسا ومن ورائها قوات الحلف الأطلسي قاطبة والغرب أجمع.

لا نبالغ اليوم إذا قلنا أن صمود مجاهدينا في ظروف قاسية هو ضرب من تجاوز المستحيل، هذا المستحيل الذي فجر فينا قدرة خارقة على استنباط الحلول وتذليل الصعاب على اختلافها من ذلك أن شيخا من أصل مغربي جاء الثورة وولدين له، فاحتضنته الثورة وأحبه المجاهدون لإخلاصه وتصميمه على القتال الصادق، سألته يوما بوصفه مسؤول المركز بمنطقته عن وضع منطقته وحاجتها إلى السلاح والمؤونة فقال واثقا: «نحاول أن نجد حلولا لمشاكلنا الطبيعية من حولنا فنحن لا نحتاج إلى طعام لجنودنا لأننا نطعمهم من الطبيعة»، وقد علمت أنه يصطاد بطرق بدائية، لكن ناجعة: الأرانب وحيوانات الغاب ليطعم جنوده ويجفف ثمار الأشجار ويقدمها لهم ويحتفظ بالباقي ليوم مسغبة... وهو الأسلوب الذي كنا نتوخاه نحن المجاهدين في الجبال طيلة سبع سنوات ونصف السنة. أما عن إحضار الخبز قال الشيخ المجاهد إن معي آلة طحن تقليدية صنعت من أحجار الصوان غنمتها من بيت مهجور نطحن بها ما يتيسر لنا من الدقيق وأحملها معي في حلي وترحالي إذ يستحيل طحن الحبوب في مطاحن القرى أو المدن لأنها مراقبة من قبل العدو الذي يراقب أيضا كميات الدقيق المطحون حسب بطاقة شخصية لكل عائلة.

إن حصار العدو لثورتنا ولشعبنا هو حصار الموت والتركيع وأن قنبلة المداشر والقرى وحرق وتدمير مصادر الرزق والقوت في كل مكان، هو الحل الوحيد لإرغام الجماهير على إخلاء سكناهم ومغادرة أوطانهم واللجوء إلى محتشداته التي كانت بمثابة مخابر يحول فيها المواطن إلى خائن والثائر إلى مستسلم... وتمارس فيها أجهزة مخابراته وضباط المكتب الثاني وسائل وأساليب جهنمية يعجز اللسان عن وصفها، فقد كان التعذيب الجهنمي فيها موزعا بين الإهانة الإنسانية وكسر الإرادة وتحطيم الأعصاب والتدمير النفسي الشامل وبين التعذيب الجسدي إلى حد الاغتيال... حيث تخصص جلادوه في فلسفة القهر والموت...

وما كان أمام الإنسان الأعزل إذن إلا أن يشد على إرادته وأن يقهر الخوف في نفسه والانهيار أو يموت صامدا، وقد خبرت الثورة هذه الفلسفة من بدايتها لمعرفتها العميقة بنفسية المستعمر الحاقدة وهمجيته المغلفة بالدعاية والتمدن والزيف، فانطلقت الثورة في مواجهته إما بالسلاح أو بدعم المواطن الريفي في

المقام الأول على أن يظل في حقله وفي ضيعته لا يبرحها وهو أحد الأشكال الناجعة في مقاومة الإبادة الجسدية والمعنوية والثقافية المسلطة على الشعب من قبل العدو.

وأن الحصار الذي ضربه على المقارمة بعزل الجماهير داخل محتشدات اضطرارية وتسييج الحدود بالأسلاك الشائكة والمناطق الملغمة، لم يمنع هذه الجماهير المحاصرة من أن ترفع تحديها وتوظف عبقريتها في تمويل الثورة بالرجال والوسائل من داخل الحصار بحيث كانت مصادر تمويل مختلفة.

1) دفع الاشتراكات للثورة وحددت أدناها بـ 200 فرنك فرنسي قديم.

2) غرامات يدفعها الميسورون من الجزائريين.

3) غرامات يدفعها مخالفو أحكام الثورة وأوامرها والمنحرفون عن مبادئ ديننا الحنيف والأخلاق العامة.

4) تبرعات مختلفة كالملابس والأدوية ووسائل أخرى عديدة.

إذا كان سكان المدن يتبرعون عادة بالملابس والأدوية فإن أهل الريف هم الذين يمدون الثورة بكميات الحبوب والفواكه اللازمة... لكن سرعان ما لجأت الثورة إلى أسلوب الاكتفاء الذاتي من خلال تعاونها مع الفلاحين وفئات الشعب عامة... ولا أعتقد أن النجاح سيكون حليفها لولا أسلوب الاعتماد على النفس نظرا لجسامة مخطط العدو في مواجهتنا، إذ بلغ عدد مراكز الفرق الإدارية الخاصة أي المحتشدات (SAS) أربعة وعشرين ومائة (121) دون الثكنات ونقاط المراقبة والحواجز إضافة إلى قوات «الحركة» و «القومية»(*) في ولايتنا وحدها.

إن تنامي الثورة واعتمادها على نفسها بتجنيد طاقات شعبها، حمل العدو على الاعتراف بهذه الحقيقة من خلال ما جاء في وثائق العدو بعنوان «الاتصال» أنه: «في سنة 1956 لاحظنا أن الحرب هنا أخذت تنمو بقوة تختلف اختلافا كليا عنها في حرب الهند الصينية، وانطلاقا من حسنا الوطني الفرنسي بهذا

(*) القومية: تقرأ بثلاث نقط فوق القاف، وهم المتعاونون المجندون في الجيش الفرنسي (الناشر).

المشكل، فإن ضرورة القضاء على الإرهاب تقوم على أمر واحد وهو تسليط ضربة قوية ومفاجئة على عدونا وتشتيت صفوفه...».

وجهت هذه الوثيقة إلى جميع العسكريين العاملين في القوات الجوية الفرنسية من أعلى رتبة عسكرية إلى أدناها، وقد حددت أهدافها في النقاط الآتية:

1) إعادة هيكلة وتنظيم الجيش.

2) تكثيف النشاط العملي الميداني.

3) تكوين الجيش وتدريبه على الإدارة ليتحالف مع الإدارة المدنية ويضطلع بمهام طويلة الأمد باعتبار أن الحرب في الجزائر ستكون طويلة الأمد أسلوبا.

4) تجديد آلية العمل الميداني في القتال والتنسيق ما بين مختلف أسلحة الجو والبروالبحر... ومركزة قيادتها تحت القائد العام للناحية الخامسة وخلق دينامية جديدة في تركيبة الآلة العسكرية تتجاوز النمط الكلاسيكي للحروب إلى نمط سريع التحرك والاستنفار والردع القوي الحاسم ضد قوات جيش التحرير في أية وضعية حربية كانت.

وقد ورد في وثائق العدو أيضا أنه في عام 1957 وحده نفذ سلاح جوه مائة ألف طلعة ميدانية دامت ما لا يقل عن ألفي ساعة طيران دون إحصاء الطلعات الأخرى غير المبرمجة التي نفذت فجأة على أثر معلومات ترد على مركز القيادة عادة ما تنتزعها بأسلوب التعذيب الوحشي من المناضلين الثوريين. لقد حرصت قيادة العدو على تطوير وسائلها الحربية الجهنمية إلى درجة العصرنة التامة بحيث كانت تزج في ساحات العمليات بأحدث ما أنتجتها مصانع الحلف الأطلسي من مدافع ودبابات وطائرات وقنابل محرقة فتاكة...

ففي سنة 1956 صرح «قي مولي» رئيس وزراء فرنسا في خطاب موجه لمجلس حكومته أن: «الجزائر لن تكون دولة إسلامية بسبب وجود المليون أوروبي مسيحي بها، كما لن تكون دولة عربية نظرا لوجود البربر فيها».

أما وزير الدفاع في حكومة فرنسا «بورجس مونوري» فقال: «إن الشباب الفرنسي يغادر الآن فرنسا إلى الجزائر بإرادة حديدية وتصميم قاطع ليسجل صفحة مشرفة في تاريخ شبابنا. وصرح «أنوان بينيه» في مؤتمر صحفي عقده

في باريس يوم 5 ماي 1956 قائلا: «لقد صرحت امام الامم المتحدة بان القضية الجزائرية قضية فرنسية بحتة..».

إن حرب فرنسا ضد الشعب الجزائري لم تكن من فعل العسكريين وحدهم، بل أخذت أسلوبا متميزا بحيث اشترك فيها الضباط والمثقفون ورجال الدين ولم يتخلف حزب أو اتجاه على الموافقة على قتل الشعب الجزائري وتجهيل أبنائه باسم وحدة فرنسا وسيادتها وسلامة ترابها ولا نستثني منهم إلا قلة قليلة كانت تمثل ضمير الحق الغائب...

لقد صرح الكاردينال فالونتان عام 1956 فقال: «إن المهمة التي ألقيت على عاتق الشباب الفرنسي المدعو للخدمة العسكرية في الجزائر هي مهمة سلام وتهدئة وحماية السكان الآمنين من إرهاب العصابات المسلحة وتحقيق الأمن العام في سائر بلاده».

أما القس «غابيل» رئيس جريدة «لاكروا» فأدلى هو الآخر بدلوه قائلا: «إن الشباب المسيحي يدعوه نداء السلم إلى ترك زوجه وعائلته للاشتراك في أعمال الحرب وعليه أن يدرك ما يفعل، إنه السلام».

وقال الأب «ديكانيو» ليس لأي شعب من الشعوب التشبث بحقوقه الوطنية عبر أعمال الإرهاب ومن الضروري في كل الأحوال القضاء بدون رحمة على كل مصادر الإرهاب».

هكذا توحد على الإجرام، وذبح الأطفال والنسوة . رجال دين يدعو دينهم إلى التسامح والمحبة: «إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر».

ورجال فكر وأدب وسياسيين وعساكر ومرتزقة ومعمرين وعملاء... توحدوا جميعا حول مبدإ القتل والتشريد وإفقار الجماهير وتجهيلها...

لم تمارس ثورتنا العنف غير المبرر ضد أحد إلا ما كان من باب الشطط والخطإ العابر، ولم تتعصب باسم الدين أو العرق أو الملة.. ضد أي كان ويشهد لنا أننا عاملنا اليهود معاملة حسنة في الوقت الذي حاربتهم فيه أوروبا وشردتهم، والدليل على ذلك أن مؤتمر الصومام وجه نداء لفئة اليهود بتاريخ أكتوبر 1956 جاء في بعض فقراته: «إنكم لا تجهلون يا معشر المواطنين الأعزاء أن جبهة

التحرير التي جعلت رائدها إيمانا قويا رفيعا متينا قد قضت على السياسة الشيطانية التي كانت تحاول بث التفرقة بيننا، إذ برزت أخيرا في مقاطعة إخواننا التجار المزابين.. وقد كادت تتعداهم إلى كافة التجار الاسرائليين، إن هذه المحاولة التي قضينا عليها قبل استفحالها كانت كأخواتها السابقات من صنع الإدارة الفرنسية».

3 - حقد المصاليين على الثورة.

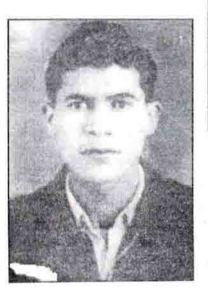
كلفت الولاية الرابعة الشهيد علي زويوش في خريف 1956 بمهمة الاتصال بالمصاليين لإثنائهم عن دورهم المعادي للثورة والتفاوض معهم على صيغة للتعاون المشترك ضد العدو وسار إليهم في فصيلة من المجاهدين تعدادهم خمسة وثلاثون رجلا حتى أشرف على حدود الصحراء، وبقيت المهمة في حكم الغائب إلى ما بعد اختطاف القوات الفرنسية طائرة الزعماء الجزائريين الخمسة وهم في طريقهم إلى تونس قادمين من المغرب لحضور لقاء يضم ملك المغرب المرحوم محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة إلى جانب قادة الثورة وكانت تلك السابقة الأولى من نوعها في مجال القرصنة الجوية حيث اعتدت القوات الفرنسية على طائرة أجنبية في مجال الفضاء الدولي وأجبرتها على النزول في مطار الجزائر واعتقلت ركابها...

ولم تكن تلك المرة الأخيرة بحيث تمادت القوات الفرنسية بعد ذلك مرارا في اعتراض الطائرات، وإجبارها على النزول، من ذلك الطائرة البريطانية التي أجبرت على الهبوط يوم 04 نوفمبر 1960 في ظروف غامضة لم تعرف أسبابها وقد سارع الطرفان إلى تسوية المشكل في سرية كاملة... ولنعد إلى موضوع المصالين، فبينما كنا نعيش صدمة اختطاف الزعماء، ويجتهد بعضنا في تأويل الحدث تأويلا سياسيا وعسكريا... على المستوى المحلي والدولي، وقد قال يومها الشهيد والقائد البطل علي ملاح «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» وأضاف رحمه الله «ليست الثورة قضية في حقيبة بل هي قضية وطن وشعب....» وتجاوز في حديثه الكارثة ليحثنا على المزيد من المقاومة والجهاد... ولم استوعب ما قاله ملاح الا بعد استرجاعه السيادة الوطنية وظهور الخلافات والتناحر على السلطة وكان بنبلة أحد أكبر عناصر الصراع...



الشهيد مصطفى بن تركية، استشهد سنة 1959 بدشرة بوحنداش في الولاية الرابعة. إنه من مواليد 1937.
بعد استشهاد الأخ الأصغر استشهد الأخ الأكبر محفوظ بن تركية، وهكذا قدمت الأم فاطمة الزهراء بلعقون 3 شهداء للثورة.





أحمد شفة رئيس كتيبة

(استشهد في نواحي مدينة تنس سنة 1959).



المجاهد بشير رويس
وزير الإعلام بعد الاستقلال
(في الثمانينيات)

المجاهد صادق بطل
أول وزير للشباب
والرياضة سنة 1962

اذن بينما كنا نخوض فيما خلفه الحدث جمعنا القائد العام للولاية سي أمحمد بوقرة وأمرنا بتكثيف العمليات العسكرية ضد العدو لرفع معنويات الجماهير والثأر للزعماء المخطوفين وعلى الفور قمنا بجملة من العمليات الهجومية استهدفت ضرب مواقع العدو وحرق مزارع الكولون في نواحي جندل وسد غريب، وعين الشياح وجمعة عمورة وأفرغنا خزانات الخمور في هذه المناطق وأسرنا معمرين عرفا بجرمهما الشديد ضد الجماهير وتصاعدت صهاريج النار ليلا فأحسسنا بنشوة الثأر.

وفي غمرة تسارع الأحداث عاد أحد المجاهدين ممن كلفوا بالاتصال بالمصاليين، عاد وحيدا مذعورا وطلب الاتصال فورا بالقائد العام للولاية وأخبره بأنه فر بأعجوبة من الموت أن اكتشف أن المصاليين غدروا بالفصيلة وقائدها وذبحوهم جميعا كما تذبح النعاج ومثلوا بهم... وذلك بعد أن أوهموهم أنهم في مأمن، وقد ارتكب المصاليون هذه الجريمة النكراء على أثر شيوع خبر تحويل الطائرة المقلة للزعماء الخمسة ظنا منهم أن الثورة في طريق الفشل بعد القبض على قيادتها في الخارج وبذلك قدموا للعدو هدية ثمينة تعدادها ست وثلاثون مجاهدا.

وأذكر أنه في إحدى المعارك التي واجهناهم فيها في مارس 1959 جنوب غرب قصر البخاري، وقد شاء القدر أن يقع في قبضتهم إحدى عشرة أسيرا من خيرة شبابنا المجاهدين لم يعاملوهم طبقا لأعراف الحروب، ولا بما يقره ديننا الحنيف بل ذبحوهم من خلف رقابهم! وتجاوزوا بذلك حدود الاجرام والفاشية، ومن ضحايا هذه الحادثة البشعة الشهداء عمر النقيس وعبد الرحمن بن عفو..

لم تكن في الولاية الرابعة نقاتل فرنسا فحسب، ولكن كنا في حرب مفتوحة مع المصاليين ومع الجهل والفوضى وقلة الوعي... بالإضافة إلى عدونا المركزي بكل ما لديه من عتاد وأجهزة وقوة ومكر ودهاء.

إن من أهداف المصاليين منع جيش التحرير من أن يتمركز حول دوائر العاصمة ويسيطر على الأماكن الاستراتيجية التي تمكنه من التموين والتزود بالعتاد والرجال، ويسدد بذلك ضربات موجعة للعدو وعملائه ومعمريه بل ويكون على صلة دائمة بالجماهير ووسائل الدعاية والإعلام.

تحالف المصاليون مع الجيش الفرنسي للقضاء على الثورة وإبادة الجماهير، وكان من بينهم غلاة صنع منهم العدو قادة ومعارضين لقضية الشعب من أمثال كوبيس، وبلونيس، والسعيدي وغيرهم.

4 - **العميل كوبيس وقصة قتله.**

إن الناظر إلى الولاية الرابعة وتقسيمها في زمن الثورة تستقر بذهنه صورة قلب في جسد منتفض..

شجع الخونة العملاء على أن يتخذوها منطلقا لأعمالهم الخيانية، ومن هؤلاء العميل كوبيس.

ترى من يكون «كوبس»؟ وما هي أهدافه؟ ولماذا جعلت فرنسا منه عميلها المخلص...؟

كوبيس اسم يلعنه تاريخ الثورة أينما ذكر، ارتبط بالخيانة والمكر إلى أن نال جزاء الخائن على أيدي الثوار المخلصين. أما اسمه الأصلي بلحاج الجيلالي عبد القادر، من مواليد قرية «زدين» الفلاحية المتاخمة لعين الدفلة معقل الشيوعيين الجزائريين آنذاك، ينتمي بلحاج إلى عائلة عريقة، التحق بمدرسة ضباط الصف بشرشال وتخرج منها برتبة عريف. انتسب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأصبح عضوا في المنظمة الخاصة (O.S) ونظرا لكونه عسكريا أسندت إليه مهمة تدريب أعضاء المنطقة، ولما كان مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1946 احتضنته في مزرعته بـ «زدين».

ولما اكتشف أمر المنظمة الخاصة اعتقلت الشرطة الفرنسية مناضليها بمن فيهم بلحاج، لكنه لم يلبث في السجن طويلا حتى أطلق سراحه دون غيره بعد أن أباح لها بجميع الأسرار التي كانت في حوزته متحديا بذلك أوامر قيادته التي تقر التكتم عن الأسرار وعدم البوح بها مهما كانت ظروف الاستنطاق والتعذيب.

ما إن غادر السجن حتى تحول إلى مخبر يعمل في جهاز شرطة العدو دون أن ينسى ما كان عليه أبوه الضابط في جهاز الصبايحية... أتقن بلحاج مهمة المخبر بوجهين، بحيث ظل على اتصاله الدائم بالحركة الوطنية من جهة وبجهاز شرطة العدو من جهة ثانية، حتى إذا اندلعت ثورة التحرير اختار بلحاج أن

يكون في صفوف المصاليين، واتخذ لنفسه اسم «كوبيس» عوضا عن بلحاج في نهاية عام 1956.

تمكن في بداية الأمر من مغالطة المواطنين في نواحي الشلف «الأصنام»، على اعتبار أنه سجين سياسي قديم ومناضل في الحركة الوطنية فأوقع الكثير في شراكه وجندهم في صفوفه مدعيا أنه سيصنع منهم النواة الصحيحة لثورة التحرير تؤازره ماديا ومعنويا أجهزة الاستخبارات الفرنسية، وقد تمركزت قواته بإحدى الثكنات الفرنسية، وكان جل أتباعه من نواحي الشلف ومنطقة الشراقة وبئر الخادم بأحواز العاصمة، ينتمون في غالبيتهم الساحقة إلى فئات الفقراء المعدومين الذين غرر بهم معتمدا أسلوب الوعود الكاذبة والمغالطة موهما إياهم بأنهم هم الفئة الناجية التي تقع على عاتقها تجديد الجزائر، والحقيقة أن «كوبيس» هو مجرد منفذ لمخطط العدو لضرب الثورة من داخلها وإشعال نار الفتنة بين الجزائريين وتحويل الأنظار عن الثوار الحقيقيين إلى غيرهم من الزائفين، فقد طلب من العدو الذي وافق بخبث على طلبه رفع العلم الجزائري إلى جانب العلم الفرنسي فوق ثكنته وانطلق في محاربة الثورة ونصب الكمائن للمجاهدين والاشتباك معهم بقوة وصل تعدادها خمس مائة رجل مدعمين بعتاد معتبر وأسلحة متطورة مده بها العدو، كانت مجموعاته المقاتلة لا تعلم شيئا عما يجري باستثناء قلة من معاونيه أعمتها الخيانة وأفسدها الطمع.

تفطن أتباعه لمكائد قائدهم الذي كان يحرضهم على قتال الجزائريين دون الفرنسيين وارتابوا في أمره حتى إذا تبينوا حقيقته غادروه إلى صفوف جيش التحرير... فما كان إلا أن ركب رأسه وتحالف مع العميل الخائن «باش آغا بوعلام » وصارا يقاتلان جنبا إلى جنب مع قوات العدو جيش التحرير وجبهة التحرير الوطنيين، ومن ورائهما كل الشعب الجزائري.

وبقي على هذا الأمر إلى رمضان سنة 1957 عندما قام كومندوس جيش التحرير بقيادة النقيب سي محمد بلحاج بمهاجمة مركزه وقتل عددا هائلا من عناصره، وقد تدخل يومها طيران العدو إلى جانب قوات العميل «كوبيس» يؤازرها، فتأكد بذلك لمن كانوا على غير بيّنة منه أنه يمثل الخيانة والردة، وهكذا فر نفر كبير من جنوده والتحقوا بالثورة، ودب الشك في العناصر القريبة منه

وبدأوا يدبرون لاغتياله والتخلص منه، وسعيا للصفح على ما ارتكبوه في حق الثورة.. لكنه تفطن للأمر وبادر إلى قتل قائد حركة التمرد أحمد قاسم.. لكن جذوة الانتقام من عمالته لم تمت بحيث استمرت الاتصالات بين المنشقين والمجاهد رشيد بوشوشي من المنطقة الثالثة المكلف بالأخبار والاتصال في جيش التحرير.. وبعد مشاورات طويلة وتمحيص دقيق وافقت قيادة الثورة على انضمام ما تبقى من عناصر كوبيس إلى صفوف الثورة على شرط أن يصفوا قائدهم العميل ولا يقبل منهم دون ذلك شرط آخر وإن كان تعدادهم ألف مقاتل.

أ - خطة قتل العميل كوبيس.

شغلت عناصر «كوبيس» جماهير الشعب والثورة لما أحدثته من شغب ونهب ومحاربة المجاهدين وسطو على المواطنين العزل تسندهم قوات العدو بالعدة والأسلحة وبسط حمايتهم عليهم.

رتبت مجموعة من أبطال جيش التحرير خطة سرية شديدة الإحكام لقتل هذا العميل بإشراف المجاهد رشيد بوشوشي وامحمد بلحاج صهر «كوبيس» بعد أن جمعت كل المعلومات عن تحرك العميل ومكانه وأنشطته وأوقات تواجده.. رسمت خطة تصفيته ثم رصد لها خيرة المجاهدين... تحركت جماعة المجاهدين المكلفة بالمهمة إلى نواحي عين الدفلة حيث ثكنة العميل وأقيمت حراسة مشددة لتحديد وقت ومكان تواجد العميل الذي عرف بكثرة تحركه وسرعة انتقاله بين مراكز قواته التي لا يفتأ يتفقدها ويزودها بالإمدادات، وهكذا تمت مهاجمة موقعه بعد محاصرته وتم القضاء عليه ونقل رأسه إلى مقر القيادة.

نفذت هذه العملية الجريئة يوم 16 أفريل 1958 وقد كنا يومها في اجتماع عقده القائد سي امحمد حضرته بصفتي قائد الكتيبة الزبيرية المكلفة بتأمين ذلك اللقاء المنعقد في نواحي «سد اغريب» تحدث سي امحمد في ذلك الاجتماع عن ظروف تشكيل فرقة كومندوس تابع للمنطقة الثانية والأسس التي يجب أن يتم على ضوئها اختيار عناصر الفرقة وكان من بينهم بعض جنود كتيبتي، كما تطرق إلى موضوع إرسال بعض ضباط ولايتنا إلى الحدود المغربية (كأحمد بن شريف وبشير رويس وعبد الرحمن مامي).



الإخوة المجاهدون من اليمين إلى اليسار:
1– الرائد عمار رمضان 2– النقيب سي حمدان (محمد حمداني) 3– ضابط أول الطيب بن تيفور 4– الرائد يوسف بن خروف 6– بلعيد (اتصال الولاية) 7– ضابط أول محمد سعيدي 8– الشيخ طه (محمد بوزينة) 9– ضابط أول زين الدين مولاي



مجموعة من المجاهدين من الكتيبة الزبيرية (كلهم شهداء).

من اليسار إلى اليمين، – ممرض الكتيبة (من البرواقية) – مجاهد (من دوار حناشة) – الطيب بن خربيل (استشهد يوم 21 أفريل 1959 قرب بوغار) – عبد الرزاق القليعي (مدرب ومحافظ سياسي للكتيبة) استشهد في قلب مدينة المدية في سنة 1960 – مجاهدان من المدية
الجالسون في اليسار، – بن عيسى الرقاد (استشهد في معركة موقورنو).



الواقفون من اليسار

– زروق من بلكور (حي)
– الأزهري من الأغواط (شهيد)
– مسعود من البرواقية
(أخ لثلاثة شهداء)



الإخوة المجاهدون والشهداء: منهم:

– الرائد عمر رمضان عضّو الولاية
– الشهيد محمد مارانفو
– الشهيد سليمان (رئيس ناحية)
– الضابط الثاني المختار السايحي (شهيد)
– الضابط الأول قدور سرباح
– الملازم السعيد بوراوي.

وتحدث أيضا عن نتائج مهمة الوفد الذي عاد من نفس المكان بقيادة سي عبد اللطيف وبصحبة الطبيب فارسي يحيى، ولكم كانت بهجتنا كبيرة يومها بعد أن أصبح إلى جانبنا طبيب هجر جامعة «نابولي» وبذخ المدن ونعيم المدينة ليتوغل في أدغال الجبال ويعاشر الثوار.ويؤسس مستشفاه في المغاور والكهوف بعد أن تعود على نور الكهرباء والأجهزة العصرية. اختلطت يومها في أنفسنا مشاعر الفرح بمشاعر الحزن. كانت اللحظات صعبة بين مودع راحل وقادم مقبل في حضرة القائد الحكيم سي امحمد بوقرة الذي كان ينادي كل واحد باسمه ويسلمه جواز مروره ويزوده بنصائحه، ثم توقف فجأة إثر تسلمه برقية من المنطقة الثالثة، جلس القائد وإلى جانبه حامل الخبر يتحدثان، ثم نهض واستوى واقفا وعلى وجهه علامات الحيرة والنصر، وكانت أصابعه تلاعب مقدمة بندقيته، افتر محياه عن ابتسامة عريضة قبل أن يعلن النبأ العظيم، أمرنا بالتراصف وضم الصفوف، وطفق يقرأ ما تناهى إليه في تلك الرسالة الوافدة عليه من سي بونعامة، كانت قراءته تشد الأذهان لما في محتواها من وصف دقيق لخطوات القضاء على العميل الخائن وأسر جنوده، وغنم أسلحته وذخيرته... تنفسنا الصعداء لهذا النصر ثم أمرنا القائد بالتوجه إلى مكان العملية الجريئة لمعاينة الحقيقة، وفي طريقنا إلى المكان التقينا بمجموعة الجنود الذين أنجزوا العملية البطولية بعد أن طاردتهم قوات العدو مدة ثلاثة أيام بلياليها، لكنهم لم يستسلموا ولم يضيعوا صيدهم الثمين.

تحلقنا مرة ثانية حول القائد سي امحمد الذي أمر بفك رباط الكيس، والكشف عما بداخله فإذا بالمفاجأة تهزنا جميعا أنه رأس العميل «كوبيس» وقد تدحرج أرضا مضرجا بدمائه، هذا الرأس الذي سكنته الخيانة وملأه الغرور وأعماه الحقد على الشعب والثورة، هو ذا معفر بالتراب بعد أن فصلته يد الثورة العادلة عن جثته وأراحت منه الجماهير التي عانت من ويلاته.

علق الرأس على جذع شجرة ووقف القائد سي امحمد يخطب فينا قائلا: «إخواني، في بداية كلمتي أنبهكم ألا تعجبوا لهذا المشهد الذي أمامكم إذا قلت لكم أن صاحب هذا الرأس المعلق مفصولا عن جثته هو لشخص كان ذات يوم مسؤولي المباشر إبان فترة نضالنا الوطني قبل اندلاع الثورة...».

أصابتنا الدهشة جميعا لما سمعناه من فم القائد، إذ لم تكن نعلم قبل اليوم عن «كوبيس» إلا أنه عميل فرنسا معاد لثورة التحرير، لذا وجبت تصفيته.

تناول بعده الكلمة السيد عمر أوصديق فأفاض في سرد معلومات دقيقة وضافية عن شخصية «كوبيس» ونضاله في صفوف الحركة الوطنية سابقا وعن خيانته وعن ظلمه الجماهير والثورة.

وهكذا اجتث داء العمالة من جذوره، وأقيمت محكمة ثورية عادلة لمحاكمة رفاقه فنالوا جزاءهم من بعده، وقد صادف أن شن العدو هجوما كاسحا مشط فيه مناطق عمرونة ومطماطة وخيازة بحثا عن المجاهدين بعد أن روعته عملية قتل «كوبيس».. فاغتنم بعض جنود كوبيس الفرص ليعودوا ثانية إلى صفوف العدو وما تبقى منهم وزعهم بونعامة على مناطق ونواح عديدة من الولاية بهدف إدماجهم في الثورة وتدريبهم من جديد على حياة الكفاف والبؤس المغايرة لحياة البذخ والرفاهية التي تعودوا عليها في مراكز «كوبيس» وثكنته.

لم يرق هذا الأسلوب بعض من بقي من رفاق كوبيس الذين شاركوا في مخطط تصفيته، فعمدوا إلى مناورة كشفتها الثورة فورا بحيث كانوا يخططون إلى خلق نواة مضادة داخل قوات الثورة ليبقوا على امتيازاتهم في القيادة والنعيم كما كانوا إلى جانب كوبيس يقتلون ويغتصبون ويهتكون الحريات ولا رادع يردهم، لكن الثورة كانت لهم بالمرصاد، أحالتهم فورا على المحكمة ونفذت فيهم أحكامها وطوي بذلك ملف كوبيس الأسود.

أما أهداف الثورة من القضاء على قوات كوبيس فنلخصها فيما يلي:

- طمأنة الجماهير على مستقبل الثورة من المنحرفين والعملاء، وتخليصها من ظلمهم.

- إعطاء درس للعدو بأن الثورة قادرة على قهر العملاء، وكسر شوكتهم بضربهم وتدميرهم.

- استرجاع المنطقة التي كان يتمركز بها كوبيس باعتبارها من أكثر المناطق استراتيجية وأهمية، وقد حولها إلى بؤرة يرتع فيها المنحرفون والخونة وتصدر منها المؤامرات.

كانت إذن فلسفة ثورة التحرير فلسفة عملية يجري فيها تجسيد القناعات والمبادئ في ممارسات وإن كلف ذلك ثمنا باهضا فلم تعمد إلى الحذلقة اللغوية والخطابات المهيجة بقدر ما سلكت طريق الانجاز والعمل الميداني الفعال، الأمر الذي جعل كل جنودها وضباطها منسجمين مع أنفسهم مقتنعين بشرعية أعمالهم يتحملون مسؤولياتهم بإرادة وقناعة ويقبلون بأحكام الثورة إن معهم أو ضدهم فلم يكونوا يحسون بالتناقض أو الاغتراب بين ما يفعلون ويتمثلون.

5 - العميل السعيدي على نهج الخيانة.

بعد أن قضت الثورة على العميل كوبيس وأتباعه حتى ظهر خائن آخر يدعى السعيدي في المناطق الواقعة بين الولايتين السادسة والرابعة للحيلولة دون استمرار التعاون الثوري بين الولايتين.

ترى من يكون العميل السعيدي؟

إنه شخص دون ماض تاريخي، بل هو مجرد مجند في القوات الفرنسية، منذ فجر شبابه تعلم فن القتل ورذيلة الخضوع الأعمى لأوامر المستعمر حتى إذا اشتعلت نار حرب الهند الصينية كان من زبانيتها المخلصين، فتعلم حرب العصابات وخبر أساليب التنقل في المستنقعات والمناطق الوعرة...

عاد السعيدي إلى الجزائر في زيارة عائلية إبان ثورة التحرير، فوقعت عليه عين المحافظ السياسي الذي دعاه إلى تلبية واجب الجهاد مستبشرا بما يمكن أن يفيد به الثورة نظرا لخبرته العسكرية وتدريبه المحكم...

وافق السعيدي ظاهريا على طلب المحافظ السياسي قائلا: «أمهلني وقتا أفكر فيه »، لكنه اتصل في الأثناء بالمخابرات الفرنسية وأطلعها على الحقيقة، فلم تتأخر عن احتوائه ووضع مخطط عدواني ينفذه ضد الثورة والمجاهدين.

أمرته أن يلتحق بالثورة ويباشر مهمته من داخل صفوفها، وصادف أن كان يوم مجيئه هو يوم وصول القائد علي ملاح الذي تم تعيينه قائدا للولاية السادسة، وقد علمت فرنسا بهذا التعيين إثر أسرها بغلا في كمين نصبته وكان عليه بعض وثائق مؤتمر الصومام...

ولا نعلـم اليـوم إذا ما كانت فرنسـا قد أخبـرت «السعيـدي» بهذه التفاصيل أم لا؟

عين ملاح بقرار من مؤتمر الصومام رغم معارضته الشديدة اعتلاء أي منصب مهما كان شأنه، وكان همه رحمه الله الجهاد خالصا لله والوطن. أسندت له مهمة قيادة الولاية ووضعت تحت تصرفه فرقة مكونة من خمس وثلاثين مجاهدا بقيادة علي زويوش، وكانت مهمة تلك الفرقة بداية الاتصال بعناصر المصاليين وإقناعهم بضرورة الالتحاق بالثورة، أدت الفرقة واجبها بعد انتقالها إلى نواحي الصحراء، لكن ما إن تناهى خبر تحويل طائرة زعماء الثورة الخمسة كما ذكرنا سابقا حتى انقض المصاليون على أفراد الفرقة وقتلوهم جميعا ظنا منهم أن الثورة انتهت بانتهاء الزعماء إلى السجن... ولم ينج من بين الـ 35 مجاهدا إلا واحدا حمل إلينا الخبر الأليم.

تمكن السعيدي من الاندساس في قوات الثورة والتغلغل داخلها حتى كان شهر مارس 1957، التحقت قوة تعدادها سبعون مجاهدا بقيادة (سي احسن) ونائباه بلعيد والزوبير قادمة من الولاية الثالثة لدعم قوات الولاية السادسة إلى جانب قوة أخرى يقودها (الروجي).

بدأ القائد ملاح يؤسس نواة الثورة في الولاية الجديدة على أن يكون مقر قيادته في جبل اللوح فاستدعى العميل المندس السعيدي والمجاهد الروجي ليشرفا معه على عملية البناء، فاغتنمها السعيدي وطلب من الروجي أن يصاحبه إلى مكان هذا الاجتماع رفقة بعض أفراد عائلته وعشيرته من قرية «العذاورة»، ولما وصل الجميع إلى مكان يسمى «كرمة» ما بين الولاية الرابعة والسادسة قام السعيدي باغتيال رفيقه الروجي غدرا وكلف أحد مرافقيه أن يطلق على زنده النار لإيهام القيادة بأنهم سقطوا في كمين قتل فيه الروجي ونجا فيه هو بعد أن أصيب في زنده، هذا بعد أن أقنع أتباعه بأن ملاح والروجي وكل من يقاتل معهما مجرد غزاة لمنطقتهم جاؤوا لاحتلالهم... معتمدًا في ذلك على أسلوب إثارة الفتنة والشقاق بين أبناء المناطق المجاورة.

انطلت حيل هذا العميل على الجميع وتمكن من حضور الاجتماع الذي ترأسه ملاح وحضره كل من سي احسن وبلعيد، وبعض المحافظين السياسيين الذين اختيروا من بين سبعين فردا، اتفق في هذا الاجتماع على قواعد خطة قتالية محكمة في الولاية ثم غادر المجتمعون المكان.

أما السعيدي فقد أقنع بعض إطارات الولاية بالذهاب معه إلى منطقته ليعرفهم بها جيدا وكان قد نصب لهم كمينا مسبقا بحيث استبقى عنصره في نواحي الولاية السادسة، وهكذا اغتال العميل المجرم مرافقيه الواحد تلو الآخر وكانوا خيرة الإطارات في هذه الولاية وهم (سي احسن وبلعيد والزوبير).

بعد أن اطمأن السعيدي على قتل هؤلاء الرجال استقر في عين بوسيف وضم إليه بني عشيرته والمتعاطفين معه وبدأ يخطط لاغتيال القائد ملاح فاتصل به زاعما أن الوضعية في منطقته غير مستقرة ويرغب في لقائه منفردا، لم يتردد ملاح في قبول الدعوة وهكذا حدد مكان وزمان اللقاء... وقد كان خلال تلك المدة يغتال كل الجنود والضباط الذين يصلون منطقة تواجده.

اتفق الرجلان على أن يجتمعا في قرية السيوف غرب «دراف» وهنالك غدر الخائن بالقائد ملاح وكاتبه عبد الحميد واغتالهما جبنا.

مازلت أذكر يوم ودعت ملاح في جبل اللوح متمنيا له التوفيق في أشغاله ولم أكن أعلم يومها أنه الوداع الأخير.

نفذ السعيدي مخططه الدنيء بأمر العدو وتخطيط جهاز مخابراته ثم انتقل إلى نواحي «شلالة العذاورة» ليستقر بها ويتم آخر فصل في مؤامرته، فاستدعى بعض من تركهم في الولاية السادسة يترقبون القائد ملاح فأوقعهم في فخ الغدر وذبحهم جميعا ولولا نباهة الجندي عبد الرحمن طهطوه وصحوة ضميره الوطني لاستمرت فصول المؤامرة ضد الثورة تنفذ على أيدي هذا الخائن الخطير.

فر الجندي عبد الرحمن في ظروف صعبة وأخبر القائد سي امحمد بكل جزئيات الموضوع في الغدر بالثوار وفي إثارة النعرات بين القبائل والمناطق، كتم سي امحمد الخبر ولم يطلع عليه إلا سي الطيب الجغلالي والحاج بن عيسى.

خطط سي امحمد للإيقاع بالخائن بموجب خطة مضادة واستمر الاتصال بينهما على أن يلتقيا بضاحية بوقعدون ليندارسا وضع الثورة... لكن العميل فطن لهذه الخطة وتأكد من انفضاح خيانته، وبأمر من العدو الذي كان يخطط له رفض اللقاء وأعلن عداءه الصريح للثورة وانضم للجيش الفرنسي الذي أغدق عليه ومول عشيرته وأتباعه بأسلحة حديثة وأموال طائلة ومنحوه هو رتبة عقيد في الجيش الفرنسي كما منحوا بلونيس رتبة عميد، ومنذ ذلك التاريخ أصبحا يهيمنان بدعم من العدو على منطقة واسعة تربط الشمال بالجنوب تقدر مساحتها بـ 1500كلم، وعلى أرضها دارت معارك طاحنة وسالت دماء غزيرة وسقطت ضحايا عديدة.

لكن تلك الأراضي الشاسعة المتدة في الصحاري التي أنجبت خونة غلاة لم تبخل على الثورة بأبطال أشاوس قلما جاد الزمان بمثلهم تصدوا لهؤلاء الخونة وللعدو الفرنسي بشجاعة وثبات.

لم يسعفني الحظ لرؤية تلك الربوع إلا بعد استقلال الجزائر، فشاهدت عجبا.. أراض تمتد طرف العين جرداء خالية، كان الثوار يحترقون بفحيحها صيفا وتلسعهم ببردها شتاء وليس لديهم ما يحتمون به عن أنظار العدو وهجماته شيء.. إن الصحارى آية من آيات الله فيها بعث الأنبياء، وأقام عليها بيوته التي يذكر فيها اسمه، كم عجبت - أثناء زيارتي للمنطقة بعد أن خمدت أصوات المدافع - لوضع الرفاق في حربنا الكبرى، لا مغاور يختبئون فيها ولا صخورا يسندون إليها ظهورهم ولا شجرا ولا ماء، ولم أتمالك نفسي فقلت يوم اصطحبني بعض الأصفياء إلى جبل بوكحيل من أمثال المختار المخلط وحيقون السعيد وعبد الدايم عبد الدايم هؤلاء أمد الله في أعمارهم ولم يستشهدوا وقد كانوا ضمن كتيبتنا، قلت لهم بعد أن قصوا عليّ أحداث بعض المعارك التي دامت أحيانا أربعة أيام بلياليها: «إن جهادنا لا قيمة له أمام جهادكم نظرا لما تجشمتموه من أتعاب وقدمتموه من تضحيات.

إن الفرق قائمة على أشدها بين من يقاتل في الكهوف والغابات وبين الصخور والذي يقاتل في العراء التام، بين أعداء ثلاث: فرنسا والخونة وقسوة الطبيعة.

لم ينته حنيني إلى تلك الربوع نزرتها ثانية والتقيت بالعقيد محمد شعباني الذي حدثني طويلا عن آلام جماهير المنطقة وما تحملته من مشاق إبان الثورة وعن صعوبة التمويل والتنقل أثناء المعارك ضد العدو وعن انعدام التنسيق بين الولايتين الرابعة والسادسة وعن ظروف اغتيال مفخرة المنطقة والجزائر البطل الطيب الجغلالي رجل العلم والوطنية والجهاد وعن استشهاد علي ملاح على أيدي العملاء بقيادة بلونيس والسعيدي اللذين أذاقوا الجماهير ألوانا من العذاب والمهانة والتقتيل... لكن ما أصعب أن أذكر اليوم بعد ربع قرن من الزمان ذلك اللقاء الذي جمعني بمحمد شعباني وهو يعد ليقود تمرده على السلطة الجزائرية وقتها.. كان تقديري للأمور تحفه الخشية والظنون، كنت على يقين بأن شعباني سيلقى مصيره المحتوم وسيدفع ثمن تلك الظروف من حياته، لذا كان إلحاحي شديدا على فض الخلاف بينه وبين نظام الحكم وقتها بالطرق السلمية ودون إراقة دماء، فاستنفرت جميع طاقاتي ومؤهلاتي لإيقاف شلال الدم ورأب صدع الوطن الذي ظل ينزف كالمكلوم سنوات طويلة، وقد كتب علينا القدر نحن بعض أبناء الولاية الرابعة أن نتحرك كل مرة لإطفاء لهب الفتنة بين الإخوة، وما مهمتي لإقناع شعباني إلا امتداد للمهمة التي وفقنا فيها الله على مشارف عين وسارة عام 1962 عندما وقفنا موقفا توفيقيا لحقن الدماء بين مجاهدين من تيزي وزو وتلمسان، ولكن شاءت الظروف أن نتهم في مهمة الوفاق تلك بأننا أطراف في الفتنة وأصبحنا محل متابعة وإدانة.

أتذكر اليوم كم كانت مهمتي صعبة في إقناع شعباني الذي كان رمز الشباب والتضحية، كان عنيدا وصلبا... لذا لم تفلح وساطتنا نحن رفاق السلاح وقد كنا فريقا متكونا من سي حسان وعلي منجلي ومحمد ولحاج والعربي ميلي (الذي كان رائدا في الولاية الثانية) وبوسحاحة محمد ومن بين أصدقائه الذين كانوا معنا غنتار وسليم، كانت محاولتنا معه منصبة على قضية الوفاق وإنهاء حالة التوتر بينه وبين النظام، لكن رفضه إنما كان لأسباب يعرفها غيره؟

طلب إليّ أن أبقى إلى جانبه بعد انصراف الرفاق ليلة أخرى فوافقت على طلبه وبقيت إلى جانبه يومين كانا لي فرصة ثمينة ظهرت فيها ناظري بنور

الرمال ووقفت على فيض الذكريات التي رحلت مع رفاق قتلوا غدرا على أيدي العملاء سقطوا على أرض عطشى للحرية والطهارة في معارك كبرى وكمائن أبلوا فيها البلاء الحسن، لقد تراقصت ذكرى أولئك الأبطال من أمثال علي ملاح، والجغلالي وعمر إدريس وعميروش والحواس وغيرهم بذهني في ذينك اليومين وهام ظني في مقدرات موقف شعباني وآلمني أن يكون مصير الرجل كمصير غيره ممن صفوا على أيدي الثورة لسبب أو لآخر، لم يحزني أن ارى الثورة العظيمة تبتلع أبناءها المخلصين، وهكذا كان مصير محمد شعباني الذي قتل بأمر من السلطة ليكون أول ضابط من ضباط جيش التحرير الوطني يعدم بعد الاستقلال، كان نموذجا في شخصيته وحزمه وشجاعته إلى حد التهور كأصغر عقيد في جيش التحرير وقائد ولاية من أصعب الولايات.

الفصل الخامس

من أزمة الولايات... إلى الصراع على السلطة

1 - الاستقلال ومحنة الولايات.

في إحدى القرى الصغيرة الواقعة بضاحية مدينة المدية استمعت لنداء بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة والرئيس الفرنسي ديغول الخاصين بقرار وقف إطلاق النار والفصل بين القوات المتحاربة، ومما جاء في كلمة بن خدة العبارات التي مازالت عالقة بذاكرتي إلى اليوم من فرط المفاجأة:

«أيها الشعب الجزائري، بعد عدة شهور من المفاوضات الصعبة والمثمرة تم التوصل إلى اتفاق عام في مؤتمر (ايفيان) بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي، وهذا يعتبر انتصارا يحرزه الشعب الجزائري الذي انتزع ضمان حقه في الاستقلال، وبهذه المناسبة نعلن باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المفوضة من المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وقف القتال في كافة أنحاء التراب الوطني ابتداء من يوم الاثنين 19 مارس 1962 على الساعة التاسعة ليلا كما نأمر باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كافة القوات وقف جميع العمليات العسكرية والأعمال المسلحة في جميع التراب الوطني..»

لم أتمالك نفسي أمام النداء.. وشعرت أن أشجار الغابات التي احتمينا بها سنوات المحنة، والوهاد والكهوف والصخور.. طفقت تردد معي نشيد الثورة، لم يعد أي شيء ثابت في مكانه، الكل يتحرك في الوجود ويقاسمني وقع الحدث، حتى الشهداء قاموا جميعا ومروا مواكب أمام عدسة الذاكرة واحدا واحدا لم يتخلف شهيد عن مهرجان الفرح، فالعهد كان معهم والعرس عرسهم.. هوذا سي امحمد قائدي ومعلمي وكل رفاقي وأصدقائي والذين جمعتني معهم اللحظات الحرجة على أناشيد البارود وصيحات الله أكبر حتى أخي رابح بورقعة شهيد الواجب لم يتخلف هو الآخر عن مهرجان الفرح... لم أتمالك نفسي، فسالت دموع

فـرح مشـوب بالغمـوض إنـه الخلاص لكنه البداية.. البداية المفتوحة على كثير من الاحتمالات..

في تلك الليلة التي كان يزف فيها الفرح للثوار والشهداء وفدت علينا جماعة من المجاهدين قادمة من تونس وقد سبقتنا إلى مركز القيادة إنهم الإخوة:

عز الدين، عمر أوصديق، العقيد صادق، بوعلام أوصديق، علي لونيسي وسي الشريف.

وجميعهم ضباط من الناحية الشرقية، إن ما شدني إلى مجيئهم وحيرني إنما هي الكيفية التي وصلوا بها؟ قد جاؤوا بالطائرة ونزلوا بالمطار بجوازات فرنسية مزورة!

ترى لماذا جاؤوا في تلك الفترة بالذات وبأمر من جاؤوا وما هي مهمتهم..؟ كان الفرح أكبر من الظنون وقتها.. لكن حدثتني نفسي ببعض الشكوك حول مجيئهم بالطريقة التي ذكرنا... زعموا يومها أنهم مبعوثين من قبل الحكومة المؤقتة وبأمر من رئيسها شخصيا (بن يوسف بن خدة) على أن يخبرونا بفحوى الخلافات التي انفجرت بين أعضاء من قيادة الأركان بزعامة العقيد هواري بومدين وبين أعضاء الحكومة المؤقتة.. لكنهم تعمدوا التعميم والسطحية طمعا في معرفة مواقفنا المبدئية من الصراع بعيدا عن أي تأثير خارجي، كما أظهروا لنا قرارا من إمضاء الرئيس بن خدة يخول فيه للرائد عز الدين مسؤولية الاشراف على منطقة الجزائر بعد فصلها عن الولاية الرابعة، سارعنا إلى تطبيق القرار حرفيا دون أية معارضة ولعله الخطأ الجسيم الأول الذي ارتكبناه على طريق الأخطاء العديدة، ثم استظهروا تعيينا ثانيا للسيد (امحمد امقدم) المناضل القديم في الحركة الوطنية بصفته قائدا للجزائر الوسطى، ومن العجيب أن الأمرين موقعين من قبل الرئيس بن خدة، بجعل على الجزائر بمقتضاهما قائدين على الجزائر العاصمة.

كنا في جهل تام بما يجري في الخارج ولا ندري في أية جهة نقف من الصراع فنؤيد من؟ ونعارض من...؟ لذا لزمنا الحياد إلى أن طفت الحقيقة على السطح

وظهرت أطراف الصراع بين مؤيد للحكومة المؤقتة وبين مؤيد لبومدين وعصابته... عندها واجهنا العقيد بن شريف فمزق وثيقة الأمر بالمهمة التي تحمل توقيع بومدين مفتعلا الغضب والانفصال التام عنه وعن جماعته.

أدركنا أن لوثة الخلاف والصراع بين قيادة الثورة قد استفحلت داخل صفوفنا وتناهت إلينا بعد ذلك كافة المعلومات المتعلقة بالصراع الذي بلغ أشده في مؤتمر طرابلس والانقسام الواضح بين طرفين لا تهمهما إلا السلطة والزعامة وبينت الأيام اللاحقة أن ما حدث في طرابلس كان شبه انقلاب على الحكومة المؤقتة.. اتخذنا من جانبنا موقفا حياديا تفاديا لوقوع أية مأساة أخرى بعد مأساة حرب التحرير.

إن الصراع الذي احتدم له ما يبرره في تكوين المجلس الوطني للثورة الجزائرية، بحيث تمت الموافقة على الأسماء التالية:

– من الحكومة المؤقتة: بن بلة وخيضر وبومنجل وفرحات عباس وبن علة وأحمد فرنسيس ورابح بيطاط والصاغ ناصر.

– من أركان الحرب: هواري بومدين وقايد أحمد وعلي منجلي.

– من الولاية الأولى: الطاهر الزبيري وعمر ملاح وإسماعيل محفوظ ويحياوي محمد الصالح.

– من الولاية الثانية : الصاغ العربي والصاغ رابح.

– من الولاية الثالثة: محمد السعيد ومحمد ولحاج والصاغ الطيب والصاغ حسان ومحمد وعلي.

– من الولاية الرابعة : حسان ويوسف ومحمد بوسماحة ولخضر بورقعة وأحمد بن شريف.

– من الولاية الخامسة: عثمان أبوبكر وعبد الوهاب وناصر وعباس.

– من الولاية السادسة: شعباني محمد وسليماني سليمان وصخري عمر وعز الدين بن شريف وروينة محمد.

تم عقد اجتماع بتونس ما بين 22 و27 فيفري 1962 وافق فيه الحاضرون على لائحة وقف إطلاق النار وأوكل الغائبون إلى بعض الحاضرين حقهم في التمثيل وقد حضر الاجتماع السادة:

1) أعضاء الحكومة المؤقتة: بن يوسف بن خدة، وبن طوبال، وعبد الحميد بوصوف، ودحلب، وكريم بلقاسم، وسعيدي محمد، ومحمد يزيد.

2) القيادة العامة: هواري بومدين، رقايد أحمد، وعلي منجلي.

3) الولاية الأولى: مصطفى بن قوبي.

4) الولاية الخامسة: سي ناصر وسي عثمان.

5) فدرالية فرنسا: عمر عدلاني، ورابح بوعزيز، ومحمد بوداود، ومحمد واعلي هارون، وعبد الكريم سويسي.

6) من المجلس الوطني: فرحات عباس، ومصطفى بن عودة، ومحمد بن سالم، ومحمد بن يحيى، وأحمد بومنجل، وسليمان دهليس، ومحمد حجاي، ومحمد خير الدين، وعبد الحميد مهري، وعمر أوصديق، ومحمد يازورت، وطهالي امحمد، والحاج لخضر، وعلي كافي، وعمر أوعمران.

الموكلون : رابح بلوصيف، والعربي بن رجم، وصالح بوبنيدر، والطاهر بودربالة، وعبد المجيد لكحل الراس، هؤلاء وكلوا السيد رئيس الحكومة المؤقتة للحديث بأسمائهم.

والسادة: احسن محبوز، ومحند واعلي، وأكلي محند، والحاج الطيب صديقي، وجميعهم من منطقة القبائل، أوكلوا أمرهم للسيد يازورت محمد. وفوض الطاهر الزبيري من الأوراس لخضر بن طوبال.

الولاية الرابعة مثلها: بن يوسف بن خدة، وبوسماحة وخطيب واعمر أورمضان.

الولاية الخامسة مثلها: أحمد بوجنان وعبد الوهاب ومراي ابراهيم وبوبكر قاضي.

الولاية السادسة مثلها: الحاج بن علة وأحمد بن شريف.

وتغيب عن ذلك الاجتماع كل من: الرائد عز الدين وإسماعيل ومحفوظ مصطفى وعمر ملاح ومحمد الصالح يحياوي، وامتنع عن المشاركة أحمد فرنسيس واحسن قادري ومصطفى لشرف.

بلغ عدد المشاركين في دورة المجلس الوطني للثورة من 22 إلى 27 فيفري 1962 / 49 عضوا يمثل (5/4) أربعة أخماس طبقا لما ينص عليه الدستور المؤقت الذي تم الاتفاق عليه في دورة خاصة عقدت بتونس في شهر ديسمبر 1959 وجانفي 1960 للموافقة على لوائح وقف إطلاق النار بين الثورة من جهة والجيش الفرنسي من جهة ثانية.

ما إن تناهت إلينا نتائج ذلك الاجتماع حتى أرسلت قيادة الولاية الرابعة السيد بن خروف إلى تونس عن طريق جماعة «روشي نوار»[*] للإحاطة برمة الموضوع ومعرفة ما يمكن اتخاذه من إجراءات، وفور وصوله بدأت اتصالاته بالحكومة المؤقتة والقيادة العامة، وكان يحمل تفويضا للقيادة في تونس شريطة أن يكون هناك إجماع على موقف موحد. أما إذا لاحظ انقساما في المواقف فلا يحق له تفويض أي كان للحديث باسم الولاية الرابعة، لكن بن خروف لم يلتزم بالأوامر وتنازل عن هذا التفويض لأحمد بن شريف الذي ظن بذلك أنه قد امتلك ورقة ضغط قوية وراح يستعملها على هواه، متحدثا ومفاوضا باسم الولاية الرابعة، الأمر الذي مكنه من الضغط على الحكومة المؤقتة والانضمام إلى جماعة بومدين.

لما تأكدنا مما يحيكه بن شريف باسم قيادة الولاية الرابعة.. أمرنا بعزله لكنه لم يقف عند ذلك الحد وتمادى في غيه، وكان بإمكانه أن يظل محايدا وأن لا يكون سببا في إراقة الدماء، وصادف أن جاءنا في تلك الظروف (أحمد قايد) مبعوثا خاصا للقيادة العامة (رغم أن القيادة العامة كانت معزولة من قبل الحكومة المؤقتة) وقد حمل إلينا علم قيادته بحيثيات الخلافات التي جرت في مؤتمر طرابلس وتونس بين جميع الأطراف، ومما جاء من أجله أيضا التحضير لدخول جماعته عاصمة البلاد واستلام السلطة.

(*) روشي نوار: هو الاسم السابق لمدينة بومرداس خلال العهد الاستعماري.

ولا يفوتني أن أقدم جملة من الملاحظات المتعلقة بقايد أحمد الإنسان والقائد، كان صريحا وصادقا إلى جانب ذكاء ووقار ورجولة وحزم شديد يعرف ما يريد، ويعبر عن رأيه بشجاعة ووضوح، لم يعمد إلى مغالطتنا وتضليلنا كما فعل أحمد بن شريف بل بصرنا بما حدث وبالهدف الذي جاء من أجله.. وطلب يد مساعدتنا... لكننا رفضنا طلبه وقلنا له حرفيا: «قد يكون لديكم من الأدلة والبراهين ما يجعلكم ترفضون أعضاء الحكومة المؤقتة وهذا من حقكم لأنكم تعرفون بعضكم البعض أما نحن في داخل الوطن فبعيدون عن واقع الصراع لا علم لنا بأي من الطرفين... إذن لا مبرر لنا في الوقوف إلى جانبكم أو الوقوف إلى جانبهم ضدكم... ولا نملك أن نوجه بنادقنا، التي صوبناها لصدر العدو الواحد، إليكم أو نصوبها إليهم، وإذا كان بإمكاننا أن نفعل شيئا إنما أن نوقف الشرخ ونبعد الكارثة المحدقة بنا، ونوحد الصف ونبني جزائر المستقبل التي مزقتها معارك العدو، وإذا لم نفلح في هذا المسعى فسوف نلتزم الحياد إلى أن تتبلور المواقف.. أما إذا استمر تدهور الوضع فإننا لن نقف مكتوفي الأيدي ولن نسمح للعابثين بمستقبل الشعب الشهيد أن يتمادوا في عبثهم، وإذا كان لا بد من المحاكمة فأنتم جميعا معنيون بها لأنكم مسؤولون على تمزيق وحدة الثورة وإطالة المأساة التي يدفع ثمنها جيش التحرير ومن ورائه كل الشعب الجزائري.

بعد هذا الرد الواضح والمبدئي، غادرنا قايد أحمد متوجها إلى الولاية الثانية وفور الوصول إليها تم القبض عليه وتحول من مفاوض إلى أسير ومرة أخرى نجحت مساعينا الأخوية وأمر الأخ صالح بوبنيدر بإطلاق سراحه والسماح له بالعودة من حيث أتى.

استمر التوتر بين الفرقاء في القيادة وساءت الأحوال إلى درجة مخيفة رافقتها مساع حثيثة لرأب الصدع، ودعونا إلى اجتماع ضم ممثلي الولايات الثانية والثالثة والرابعة ومنطقة الجزائر الوسطى واتحادية فرنسا في مدينة زمورة بالولاية الثالثة يوم 26 أوت 1962 ولم تتمكن من حضوره الولايات الأخرى فأعطت موافقتها المسبقة على ما سيصدره من قرارات.

وقد جاء في تقرير الاجتماع: «إننا لا نفهم سبب استقالة خيضر كما لم نفهم المغزى من سفر بن بلة إلى القاهرة وكل هذا الشقاق الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه من خلافات ستؤدي بنا إلى حرب أهلية... لذا فإننا نطلب من الحكومة

المؤقتة ألا تتسرع في الدخول إلى الجزائر وهي على ما هي عليه من تمزق.. وهذا لا يعني منعها من دخول العاصمة وإنما حماية الوطن من أية أزمة ممكنة تحول الخلاف إلى صفوف جماهيرنا في الداخل، إننا ندعو جميع المسؤولين في الخارج أن يجتمعوا ويوحدوا صفوفهم وبعد ذلك فإن أبواب الجزائر مفتوحة للجميع.. »

إثر ذلك اللقاء أوفدنا الأخوة :العقيدين: حسان ومحمد أولحاج والدكتور سعيد هرموش للاجتماع بن بلة في المغرب الأقصى وتسليمه نسخة من التقرير الجماعي على أن يكف عن التنقل بين القاهرة والمغرب ويدخل هو ورفاقه موحدين لا مفرقين للجزائر للتحاور في داخل البلاد بين الشعب ويشاركه لا خارجها...

فشلت مهمة المبعوثين ولم يرضخ بن بلة لهذا النداء، بل انتقل إلى تلمسان حيث التقى السيد خيضر وهناك تشكلت جبهة مضادة لطموح الجماهير..

بقيت مهمة الرفاق منحصرة في التنقل بين تلمسان وتيزي وزو بغرض تهدئة الأوضاع والحيلولة دون وقوع اشتباكات مسلحة على غرار ما وقع في قسنطينة... اشتعلت وقتها حرب بيانات وبيانات مضادة وكان أغربها الذي حمل إلينا نبأ تشكيل المكتب السياسي، اجتهدت جبهة تيزي وزو موظفة جميع طاقاتها لكسب الرهان وتقويض مخطط جماعة تلمسان التي ظنت أنها دعمت مواقعها... وقعنا بين المطرقة والسندان وأخبرنا أن مجموعة تلمسان تمادت في استفزازها فسلحت جماعة العاصمة بقيادة ياسف سعدي مستغلين بساطة تفكيره وغروره بنفسه للوصول إلى أهدافهم..

رأينا من الضروري أن نضع حدا لتلك المظاهر المنافية للثورة وقررنا السماح لأعضاء المكتب السياسي بالدخول إلى العاصمة بناء على اتفاق مبدئي تم يوم 25 سبتمبر 1962 ينص على التحضير لانتخاب مكتب سياسي مؤقت، وانتخاب أعضاء مجلس وطني جديد تخول له جميع الصلاحيات ليعين أعضاءه الدائمين في المكتب السياسي على أن يبقى على الهياكل الإدارية على ما هي عليه دون أدنى تعديل... ثم تم عقد أول اجتماع بمدينة الأصنام بهدف توسيع قاعدة المناضلين والمجاهدين في مختلف الولايات حضره ممثلون عن جميع الولايات دام يومان كاملان كانا امتحانا عسيرا عشناه بأعصاب متوترة ونفوس مفجوعة خوفا على مصير الوطن من الدمار الذي أوقعنا فيه العدو الجاثم بثكناته ودورياته يهدد السيادة التي كان ثمنها شلال الدم الندي...

- اسفر الاجتماع على اتفاق مبدئي ينص على ما يلي:

1 - وضع حد لكل عمليات المزايدة والاحتكاك.

2 - الإسراع بعقد اجتماع يضم أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية وفي حالة الشغور وعدم حضور أعضائه يتم تشكيل مكتب سياسي على الطريقة التالية:

أ - يتكون من قادة الولايات الست يضاف إليهم عضوان من فدرالية فرنسا، وعضوان آخران يمثلان قاعدتي الحدود الشرقية والغربية، وبذلك يصبح عدد أعضاء المكتب المقترح عشرة أعضاء.

إثر الاتفاق بالإجماع على أسلوب العمل انتقلنا إلى مدينة تلمسان لنفاوض أولئك الذين نعتبرهم متمردين ونحملهم مسؤولياتهم التاريخية.

فوجئنا في مدينة تلمسان بحركة غير عادية، سيارات عسكرية تجوب الطرقات في حركة لا تنقطع، جنود مسلحون يمشطون الشوارع والأزقة ويقيمون حراسة جد مشددة أمام مقر إقامة القيادة المتمردة.

في أول اجتماع ضمنا إليهم تولينا شرح موقفنا وحذرناهم من مغبة الاستمرار في تمزيق وحدة القيادة التي ستضرب بدورها وحدة الوطن... لم يمهلونا وقتا نتم فيه شرح وجهة نظرنا حتى عارضونا مبدين تعنتا بل أشعرونا أنهم لا يعترفون باجتماع الأصنام بل إنهم على أتم الاستعداد لاستعمال القوة في صورة ما إذا اعترض طريقهم أحد.

أعدنا الكرة ثانية طمعا في إقناعهم... لكن تراجع الحوار الصريح ليصبح في الكواليس وتعاد بمقتضاه صياغة المعادلة السياسية بحيث انضم إليهم كل من ممثلي الولاية الأولى والخامسة والسادسة وبذلك سقطت جميع الأقنعة عن الوجوه وبقينا وحدنا في الولاية الرابعة نواجه المؤامرة... وقبل أن نغادر تلمسان قلنا للجميع بالحرف الواحد: «كنا نفضل أن نظل كما عرفتمونا دائما في موقع الحكم لا في موقع الخصم.. وتركنا لكم وقتا كافيا لتبدوا حسن نواياكم تجاه الجماهير التي ملت مآسي الحرب، وهي ترفض اليوم بشكل قاطع إراقة دماء الأشقاء... وبما أنكم أغلقتم باب الحوار ... فإننا نقول لكم ولآخر مرة أن

العاصمة ليست ملكا لكم أو لجماعة تيزي وزو بل هي عاصمة الجميع وقلب الوطن النابض بالحياة... وبما أنكم مانعتم في توحيد صفوفكم وفضلتم الاستيلاء على السلطة بأسلوب القوة.. فإننا سنعلم الجماهير بكل ما وقع من خلافات وتمزق علانية ونترك لها الخيار في اتخاذ الموقف المناسب وها قد بلغنا اللهم فاشهد».

استمعوا لنا بآذانهم ولم يستمعوا لنا بقلوبهم وتنكروا لصوت العقل ومسؤولية الواجب الوطني ولم يعودوا يسمعوا إلا نداء المصلحة والاستيلاء على السلطة كما خططوا لها من وراء الحدود.

لم نكد نغادر تلمسان إلى مركز قيادة الولاية الرابعة حتى عقد الجميع لقاء أعلنوا فيه عن تشكيل مكتب سياسي وتم تحديد محضر الجلسة على ضوء شمعة بعد انقطاع التيار الكهربائي صدفة، وهكذا برزت قائمة أعضاء المكتب السياسي.

أثر هذا الإجراء طلب من جنود جيش التحرير الموجودين في الحدود الشرقية والغربية وفي الجنوب وفي جميع الولايات المؤيدة لهذا الاتجاه الزحف على العاصمة واحتلالها... دون أدنى اعتبار لما يمكن أن يترتب عن هذا الإجراء الذي نعتبره غير حكيم وفيه من المغامرة الكثير.

تكونت التشكيلة العسكرية التي ستحاصر العاصمة من :

أ - قوات الولاية الثانية بقيادة الصاغ العربي والصاغ رابح بلوصيف.

ب - قوات الولاية الأولى بقيادة الطاهر زبيري.

ج - قوات الولاية السادسة بقيادة العقيد شعباني.

د - قوات الولاية الخامسة بقيادة عثمان.

لم يتمهلوا في الزحف على العاصمة وبدأت الأحذية الثقيلة تدك الأرض دكا والسيارات والشاحنات العسكرية تجوب الطرقات وتتقدم نحو العاصمة من جميع الجهات، انطلقت القوة الأولى من مدينة تلمسان وتتالت بقية القوات لترابط كلها على مشارف المدينة ترقبا لساعة الصفر والانقضاض عليها.

أحرجنا في الولاية الرابعة هل نسلم بكل سهولة ونتخلى عن مسؤوليتنا التاريخية أم نتصدى لهم في معركة يقتل فيها الأخ أخاه والأب ابنه..؟

اضطررنا لأن نختار الحل الصعب دفاعا عن شرعية الثورة فرفعنا السلاح مكرهين ضد قيادة ركبت رأسها ونسيت كل شيء ما عدا الاستيلاء على السلطة بأي ثمن كان.

أما في العاصمة فإن كميات هائلة من الأسلحة تصل يوميا عبر البحر سرا تنقلها بواخر صيد على مرأى ومسمع من القوات الفرنسية ويجري توزيعها على وحدات ياسف سعدي في الداخل ليسهل طعننا من الخلف، وقد اشترك في عملية تهريب الأسلحة عبر البحر جماعة روشي نوار وبمباركة القوات الفرنسية التي كان كل همها إغراق الجزائر المنتصرة في دوامة الحرب الأهلية...

كانت أرصفة الميناء مخصصة للمعمرين وأصحاب الأقدام السوداء والحركة المتزاحمين لمغادرة الجزائر نحو فرنسا وكل أوربا.. بحيث منحناهم مساحة الفين وخمسمائة متر مربع (2500م^2) على طول الرصيف لتسهيل مهام الشحن والهجرة، ولم ننس أن نضع رقيبا من قواتنا يترصد سرا جميع حركات العدو وتصرفاته...

كانت شكوكنا في محلها سيما وقد اعتبر العدو تلك المساحة المحددة من رصيف الميناء ميناء حرا يشرف عليه السيد «تشيافينو» وتوسع بعد ذلك لتصل مساحته إلى 4500م^2 ، أشعرنا الرقيب في عين المكان بما كان ينفذ سرا، بحيث أن بواخر الصيد كانت تفرغ حمولتها من صناديق عملاقة بها كمية من الأسلحة والذخيرة ويجري تسليمها فورا إلى جماعات في العاصمة ومن العجيب أن عملية التفريغ هذه كانت مصاحبة لعملية شحن صناديق على ظهر بواخر متوجهة إلى فرنسا... لا نعلم ما بداخلها!!

ولما تأكدت لدينا معلومات تؤكد تورط العدو في أعمال مشبوهة أمرنا بوقف عمليات الشحن فورا وعمدنا إلى مراقبة المحمولات، وصادف أن فتحنا أحد الصناديق التي يجري شحنها يوميا على بواخر متوجهة إلى فرنسا عثرنا بداخله على وثائق سرية وخرائط تحدد أماكن الآبار الارتوازية المنتشرة عبر التراب الوطني، ومخطط عن قنوات توزيع المياه في أعماق الأرض في كل المدن الكبرى، كما اكتشفنا من خلال وثائق سرية أن 400 موظف فرنسي كانوا يعملون في وزارة المالية غادروا الجزائر نهائيا دون أن توقف أجورهم وتغلق

حساباتهم وأن شركة «بيجو» الفرنسية غادرت هي الأخرى الجزائر دون أن تسدد أجور عمالها التي تقدر بـ 75 مليون سنتيم.

أصدرنا أوامرنا بتوقيف عمليات التهريب والقرصنة، فحجزنا بعض ما طالته أيدينا من سيارات مهربة من نوع 403 وغيرها... كما أوقفنا قرصنة الأسلحة وتهريبها إلى الجزائر لتستلمها عناصر ياسف سعدي من أجل محاربة الجزائريين... وتكفلت عناصرنا بمراقبة الميناء وحماية الوطن والبلاد.

استغل العدو هذه الحادثة وحولها إلى أزمة بين البلدين مغتنما حالة التوتر المستشرية منذ مدة بين الولايات وقد سانده في ذلك بكل أسف جماعة «روشي نوار» واتفق الجميع على محاربة الولاية الرابعة لاعتقادهم أنها الولاية الوحيدة التي تضع العراقيل في سبيل تطبيق اتفاقيات «إيفيان».

باشرت القوات الفرنسية مرحلة المضايقات فمنعت وصول الأغطية إلينا والأدوية والتموين... مثلنا في ذلك مثل جميع الولايات الأخرى، وعمدت إلى وضع دوريات حراسة متنقلة على طول الطرق الرئيسية تراقب وتفتش السيارات والشاحنات بذريعة الخوف من وصول الأسلحة والمعدات الحربية والمتفجرات في غمرة تلك الأوضاع الغامضة، كانت قوات الزاحفين على العاصمة تتقدم مرحليا لدعم مواقعها، فمن الجنوب وصلت طلائعهم إلى حدود عين وسارة، ومن الشرق انتهوا إلى مشارف سيدي عيسى، ومن الغرب حاصروا مداخل مدينة الأصنام وفي العاصمة يجري تدريب عناصر ياسف سعدي، وكان الكل يراقب إحكام الكماشة على الطائر وتدمير عشه.

هكذا تحول الحوار الإيديولوجي والإجرائي إلى صدام دموي بين الأشقاء وصمتت كافة الأصوات لتفسح المجال لأصوات المدافع والرشاشات التي فتحوها على حدود الولاية الرابعة وقراها وأحياء مدنها... تلك المدافع التي ظلت رابضة خلف الحدود.. ولم تعرف المعارك الضارية التي كنا نتصدّى فيها للعدو بصدور عارية.

مازلت أذكر يوم أن شارفت طلائع قواتهم على مداخل عين وسارة، وكنت يومها مقيما في أحد مراكز القيادة العامة في ضواحي المدية تلقيت مكالمة هاتفية من أحمد بن شريف وكان في عين وسارة وقد كرر رغبته في مقابلتي

شخصيا دون سواي، لكني فوجئت بوجوده في عين وسارة وكنت أحسب أنه وباقي قيادة الزحف يوجدون في مدينة البليدة... وقبل أن أقرر التقاءهم أو عدم التقائهم تقفز إلى ذهني المشهد الذي مزق فيه أحمد بن شريف جواز المرور الممضى من قبل العقيد (هواري بومدين) وباقي مواقفه المتعددة... وخشيت أن تكون رغبته في لقائي مجرد خدعة محبوكة كلف بتنفيذ فصولها... وتهيأ لي أن أرفض هذا اللقاء لكن الموقف بكل ما كان يطرحه من إحراج وخطر على مصير الوطن والثورة حملني على الموافقة الحذرة، امتطيت سيارة من نوع 403 سوداء اللون يرافقني أحد أعواني، وتوجهت إلى اللقاء الذي حدد موعده في الساعة العاشرة صباحا بمقر بلدية البليدة بعد أن كلفت أحد جنودي في زي مدني بمراقبة تحركات قيادة الزحف على العاصمة وجميع المستجدات بالمدينة، وأن يكون كذلك نقطة استشعار يتصل بقيادة ولايتنا في صورة ما إذا تم حجزي أو الغدر بي.. تعمدت الوصول قبل موعد اللقاء وعلى مدارج البلدية بدا بن شريف منتصبا يترقبني واصطحبني بدوره إلى داخل مقر البلدية فدخلت قاعة الاجتماعات الفسيحة، تقدم مني شاب قصير القامة يتقد حيوية وما إن صافحني حتى عرفت أنه العقيد شعباني الذي تعودت أن أراه في الصور التي تنشر في الصحف وغيرها.. ثم تلاه سليمان سليماني وتولى أحمد بن شريف التعريف بالجماعة واحدا تلو الآخر وقدمني بدوره إليهم معربا عن اسمي ومسؤوليتي الثورية.. وجلس رجل إلى منضدة كان يبدو نحيف الجسم تلمع عيناه من وراء وجه شاحب، وفم عريض يغطيه شارب كبير، حركات يديه سريعة وبين أصابعه الرقيقة أدار فنجان قهوة وسيجارة غطى دخانها أعلى محياه... شدني إليه صمته الرهيب وشكله وحركاته المتميزة لكن سرعان ما نسيته في غمرة الضجيج الذي كان صداه يغزونا من الخارج إنها أصوات أحذية الجنود وتساؤلات المواطنين الحائرة بشأن ما يجري في غيابهم... كان أول المتحدثين في ذلك الاجتماع أحمد بن شريف الذي أدار عيناه في كل مكان قائلا: « اخترناك لنتفاوض معك دون سواك ونظرا لأهمية وجودك معنا وأغتنم فرصة هذا الحضور لأكرر على مسامعهم أنك أفضل شخص في مجلس ولايتكم لما أنت عليه من إخلاص وجد وعمل.. على العكس من باقي زملائك فهم غير واقعيين... استدعيناك إلى هذا الاجتماع لنأخذ موافقتك بدخولنا العاصمة شريطة ألا يعترض طريقنا أحد.. ».

ساد المكان سكوت طويل ولم أمهله الاستزادة، قلت مخاطبا الجميع: «كيف تريدون دخول العاصمة وأنتم فيها؟ وقد ظننتك هتفت من العاصمة ياسي بن شريف.. وأسألكم بحق السماء من يا ترى منعكم من دخولها؟ ثم لمصلحة من تعمل أنت؟ بصوت قلق رد: «أنا أحدثك باسم الجماعة...»، قلت: «أية جماعة تقصد؟». قال: «أعضاء المكتب السياسي الذين فوضوني لأنوب عنهم وعن القائد العام للجيش الوطني الشعبي العقيد هواري بومدين الذي أمر بدخول العاصمة».

عندها رفعت يدي وأشرت عليه بالكف عن الحديث بصوت صارخ وقلت: « أما المكتب السياسي الذي فوضك.. أرجو أن توضح لي بصدق أي المكتبين تقصد، هل مكتب تلمسان أم مكتب تيزي وزو وأضفت مع العلم أني مناضل محايد لاتربطني أية علاقة بأحدهما البتة؟ وأن العاصمة لجميع الجزائريين لكن دخولها لا يتم عبر دروب الغدر والخيانة وشهر السلاح في وجه الأشقاء والرفقاء.. أما بخصوص أوامر القائد العام للجيش التي تنص على دخول العاصمة فورا أوافيك بما خفي عليك ان قائدي لم يحصل له الشرف يوما أن ينام مرتديا بيجامته مرتاح البال ولم يذق يوما طعم فطور الصباح (من الحليب والقهوة)و(الكرواسون) ان قائدي لم يكن يصادف من الطعام الا بعض كسرة يابسة ويظل على الطوى أياما وليال وينام معنا كل أيام الثورة في العراء.. أما عن المسمى بومدين أو قائدك العام يؤسفني أن أخبرك بأني لا أعترف به قائدا سيما في فوضى الإزدواجية وأن قائدي الحقيقي هو رئيس مجلس ولايتنا الذي تركته يرقب عودتي... وأعلمك آخر مرة أن دخول العاصمة مباح لكل جزائري ولا حق لأحد أن يمنع آخر من دخول عاصمة بلاده.. لكن دخولها بهذا الأسلوب الاستفزازي المهين مرفوض إطلاقا».

سكت الجميع وكأن على رأسهم الطير وبوغتوا بأسلوبي ولفرط ما سمعوا عن ولايتنا من معلومات مشوهة ومغرضة... في تلك الأثناء صدرت همهمة من الرجل النحيف الذي التزم الصمت ولم أكن أعرف لحد تلك الساعة أنه العقيد هواري بومدين إثر ذلك تدخل العقيد شعباني في هدوء تام وتوجه إلى قائلا:«هنالك من الجنود من يرغب في الاجتماع بأهله فهل تمنعوهم من ذلك.. ثم إلى متى سنبقى هنا على مداخل العاصمة دون أن ندخلها تجلدنا الشمس

وتعوزنا المؤونة والأغطية.. الخ» قلت فورا:« اذا كان الأمر لايتعدى احتياجاتكم فسوف نوفرها لكم في حدود إمكانياتنا بعد أن أستشير مسؤولي الذين هم أعلى رتبة مني.. أما عن دخولكم العاصمة غزوا فذلك محضور للأسباب التي ذكرت سابقا... وأعدكم بلقاء قريب أوافيكم فيه بما تقرر في مجلس الولاية».

اعتقدت صادقا أني قد بلغت.. وأن التفاهم سيسود بيننا وسندخل جميعا العاصمة منتصرين مكللين فوهات بنادقنا ومدافعنا بالزهور والرياحين التي حميناها من أقدام الهمجية الفرنسية...

انتهى اللقاء وعدت إلى مركز قيادتي... أركبت معي في سيارتي الجندي المكلف بحراسة المدينة وحمدنا الله على نجاح مهمتنا... التقيت في طريقي بقيادة الولاية وقائد المنطقة الذي كلف بمهمة انتظاري حتى انتهاء المهمة، وكانت بوادر اللهفة بادية عليه وشغف استقصاء الرأي يهيمن على قلبه... وبمجرد أن لقيته حتى اطمأن وكلفته فورا بتوفير المؤن الضرورية.. وإرسالها إلى إخواننا المرابطين على أبواب عين وسارة وأن يرسل زجاجات المشروبات الغازية وخزانات المياه.. وأن ترافق قافلة المؤونة تشكيلة من جنودنا مجردة من السلاح تتوقف مهمتها على توزيع المؤن على القوات المرابطة وأن تتصرف بكرم وضيافة الجزائري المعهودة، وكانت دهشتي عظيمة حين رأيت تسابق جنودنا لأداء المهمة طمعا في لقاء أخ أو صديق أو قريب ضمن القوات المرابطة، وشارك في هذا المسعى الحميد مواطنونا بسياراتهم الخاصة وإمكانياتهم المتواضعة إلى جانب جنودنا بشاحناتهم حتى اطمأن قلبي وواصلت مسيري إلى مقر القيادة المؤقتة بحي تيليملي حيث يوجد العقيد (سي حسان) ورفاقه، وفور وصولي أخبرتهم بكل ما دار من حديث في ذلك اللقاء، ولم أكد أتم حديثي حتى بدأت الإذاعة تبث أنباء خطيرة تؤكد أن عملية غزو العاصمة من قبل قوات بومدين قد استؤنفت وانتقل جنوده من مشارف عين وسارة إلى قصر البخاري بقوة السلاح وتناقلت إلينا الأنباء بأن قادة الزحف سيوضحون في إعلان نهائي بعد يوم من وصولهم إلى قصر البخاري جميع تفاصيل عمليات مسيرتهم وأن يكون موعد لقائهم مدينة المدية، أوشكت على الانهيار وأنا أفاجأ بهذه الأخبار في مقر القيادة، نظر إليّ الرفاق نظرة شك ،،سة لما بين ما تناقلته الأنباء وبين

ما صرحت به إليهم من تناقض، وكادوا يشككون في نيتي لولا أن صدهم حياؤهم وتسارع الأحداث.

2 - من هو العقيد المتآمر؟

ألقى بعض مجاهدينا القبض على العقيد أحمد بن شريف ومصطفى فتال في نهاية شهر جويلية سنة 1962 وذلك بعد مراقبة مشددة عليهما إذ تأكدوا بأن الرجلين إثر خروجهما من سجن العدو راحا يتآمران مع جماعة العاصمة بقيادة ياسف سعدي بالتنسيق مع جماعة بومدين لتسهيل دخول قوات الحدود إلى العاصمة.

وبعد أن ثبت تآمر بن شريف ورفيقه.. صدرت الأوامر بالقبض عليهما وحملهما إلى منطقة «بوقارة» حيث قيدا وتركا محروسين في مزرعة مهجورة وبينما كنت عائدا من مهمة رأيت المشهد وقد بدا التعب والإهانة على بن شريف... لم أحتمل رؤية ضابطين من جيش التحرير على تلك الحالة فأمرت فورا قائد المنطقة الأولى(يوسف ومعاونيه بن اسماعيل عبد النور وعكوش الطيب) أن يفكوا رباط الأسيرين وأن يأمروا تشكيلة من الجيش تؤدي التحية للعقيد بن شريف، وانتحيت جانبا بقائد المنطقة لأعاتبه وأحذره مما قد يصيب معنويات الجنود وهم يرون قادتهم في الأسر، وأعدت على مسمعه ما قد يكون قد خفي على ذهنه من أنه إذا تأكد من وجود خطر يهدد أمن الوطن يجب عليه كجندي أن يقبض على المشتبه فيه ويقدمه فورا إلى القيادة لتنظر في أمره دون تقييده وإهانته، كرر (سي يوسف) ما قد ثبت من إدانة بن شريف، وكأنه يريد أن يذكرني بجرم الرجل، لم أتمالك نفسي وكررت أوامري، فامتثل فورا وقال: «سمعا وطاعة»، وهو يهم بالذهاب... ثم تراجع قليلا وهو كسير البال ليقول: «هذا الرجل سوف لن يترك أول فرصة تمر حتى يذبحك أنت الأول»، ثم غادر المكان ليطبق أوامري إليه.. فجمع تشكيلة من جيش التحرير ليلقي فيها بن شريف كلمة ثورية تشريفا له ورفعا لمعنوياته ومعنويات الجنود... لم يبسمل بن شريف وهو يتحدث للجنود كعادة القادة، ولكنه راح رافعا يديه إلى السماء وأجهش بالبكاء وقال: «أرأيتم هاتين اليدين اللتين ظلتا عشر ساعات مقيدتين بالحبال رفعتهما في مؤتمر طرابلس لأعلن بهما بطولاتكم وتضحياتكم في هذه الولاية الشهيدة..».

وانتهت خطبة بن شريف عند هذا الحد... وكان يهدف بهذه المداهنة إلى التوبة على ما ثبت ضده من تآمر على الولاية الرابعة.

على إثر هذا الحادث ناديت أحمد بن شريف وطلبت إليه أن يغادر الولاية فورا مرفوع الرأس حفاظا على كرامة الثورة والثوار، وهكذا انسحب لينضم إلى جماعة هواري بومدين ويصبح أحد أكبر ركائز نظام الانقلابيين الذين وجهوا مستقبل الجزائر توجيها انحرافيا خطيرا.

3 – الصراع على السلطة.

في حياة كل إنسان أفراح وأتراح، وأحداث من الغبطة والألم بحيث تغدوا رواسب ثابتة في فضاء الذاكرة تمارس فعاليتها القصوى على ذات الكائن وتوجه حياته توجيها قسريا.. وفي حياتي الشخصية محطات يصعب عليّ نسيانها أو تجاهلها، منه:

1) يوم التحقت بجيش التحرير الوطني.

2) ويوم رزئت بمقتل الشهيد القائد سي امحمد بوقرة.

3) ويوم تلقيت نبأ وقف إطلاق النار بيننا وبين العدو الفرنسي.

4) وحادثة الاقتتال بين ولايات الثورة (صائفة 1962).

وبما أنني بصدد الحديث عن معضلة أزمة الولايات أذكّر بما كانت عليه العاصمة محور الصراع من إرهاق وتدمير وبؤس اجتماعي...

كانت آثار الجيش الفرنسي بادية على وجهها العصيب ودمار المنظمة السرية (O.A.S) شاهد على نازيتها إن في النفوس أو في البنايات والمنشآت المختلفة... لقد ألحقناها بالولاية الرابعة بعد استرداد السيادة... وخلصناها من الأيادي العابثة التي أرادت لها أن تكون وكرا للأسلحة ومخابئ الجنود لإغراقها في حمامات دماء جديدة بعد التي عرفتها طيلة سبع سنوات ونصف من حرب مدمرة. كان صراع الفرقاء يستهدف السيطرة على العاصمة لكونها المركز الاستراتيجي الذي يحتضن الموانئ والمطار والخزينة العامة والبنوكّ ومقر الإذاعة والتلفزة وكل المنشآت الحيوية والسياسة والثقافية... كان منطق الفرقاء على اختلافهم واحد وهو أن إخضاع العاصمة يحقق استلام السلطة وتوجيه الرأي

العام وإخضاع الجميع، وفي غمرة الفوضى السائدة وقتها وتدافع الوصوليين المدسوسين والمتكالبين على السلطة والمنافع الشخصية... أمرنا وحداتنا بالتمركز في النقاط الحساسة وتم اختيارنا لأحسن العناصر وأكثرها انضباطا وتنظيما الأمر الذي أشاع الثقة بين المدنيين وتأكدوا من استقلال عاصمتهم وهم يشاهدون حماة ثورتهم من المجاهدين في زيهم الذي اشتاقوا لرؤيته سنينا يحرسون المراكز ويسهرون على أمن وسلامة حياتهم...

كان متفق أن يتم لقاء بين تشكيلات عسكرية من مختلف الولايات في مدينة سيدي فرج ليلة 05 جويلية 1962 ويرفع العلم الوطني في المكان الذي غزت منه القوات الفرنسية الجزائر (يوم 05 جويلية 1830)... وأن يتم دخول العاصمة في صبيحة اليوم الموالي... لكن محتوى اتفاقيات إيفيان فاجأنا بما تضمنه من قرار احتفاظ الفرنسيين ببعض المواقع الحساسة في البرلمان والعدالة والمراكز والثكنات واستمرار الأوروبيين في بلادنا 15 سنة أخرى. لم نوافق على هذه الاتفاقية وعمدنا إلى تمحيص نصها وعرضه على الخبراء والمستشارين حتى تأكدت قناعتنا بمتضمناته... رفضناها ومزقنا النص مستنكرين بعض بنوده التي اعتبرناها مخلة بالتصور العام لاسترجاع السيادة الوطنية... وعمدنا إلى إرسال قسم ممزق منها إلى عبد الرحمن فارس الموجود في (روشي نوار) وكتبنا على ظهر ظرف الرسالة «عبد الرحمن يساوي «باوداي» مقسم الفيتنام... أما القسم الثاني الممزق من نص الاتفاقية فبعثنا به إلى الجنرال ديغول واحتفظنا بالجزء الأخير من النص كحجة دامغة على رفضنا لأسلوب فرنسا وجماعة «روشي نوار» وكل من يدور في فلكهم...

لم يعجب هذا الموقف جماعة «روشي نوار» المدعومة من قبل القوات الفرنسية وجماعة تلمسان في غرب البلاد، وجاءت ردود أفعالهم معادية لمواقفنا.

وفي ليلة 05 جويلية 1962 أمرت شخصيا جنودنا المتمركزين حول المناطق الحساسة في العاصمة بإطلاق الرصاص بكثافة في الفضاء، وإعلان مبدإ استرداد السيادة الوطنية التي حرمنا منها طيلة قرن وربع القرن، ودفعنا ضريبتها عدة ملايين من شهداء الواجب والحرية... فشاع جو من البشر في كل أنحاء

العاصمة وخرجت الجماهير عن بكرة أبيها وتعانقت صيحات البنادق بأصوات الزغاريد وأبواق السيارات وهتافات الله أكبر وتحيا الجزائر، الأمر الذي أرعب المعمرين رعبا، وغادروا منازلهم حاملين حقائبهم وأمتعتهم وما ملكت أيمانهم متوجهين إلى المطار والموانئ تحميهم قوات الجيش الفرنسي، وكانت فرحتي لا توصف وشعوري بلذة النصر لا تحد وأنا أشاهد فئات المعمرين بعائلاتهم يتدافعون على ممرات البواخر باحثين عن مقاعد للهروب من فرحة نصر الجزائر وعرس السيادة عائدين إلى فرنسا يحملون تاريخ خزيهم وعارهم في الجزائر وجرمهم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

من جهة أخرى تحدت جماعة (روشي نوار) مشاعر الجماهير ونفذت مخططها... وأبقت على وضع اللاحرب واللاسلم.

لم نشأ أن نفوت فرصة تصحيح مسار التاريخ.. وتشبثنا بمبدإ إعلان استرجاع السيادة من المكان الذي اغتصبت فيه.. بحيث توجهنا إلى مدينة سيدي فرج الواقعة في غرب العاصمة وعلى ساحلها الشهير رفعنا العلم الوطني في فجر يوم 05 جويلية 1962 وعلى مرأى ومسمع من قوات المظليين الفرنسيين اخترنا أكبر المجاهدين سنا وهو العقيد محمد والحاج ليلقي كلمة فاتحة الاستقلال وقد كانت عفوية ومؤثرة حي فيها وفاء شهداء الاستقلال وإخلاص الشعب وشكر الله على ما من به على الشعب الجزائري من نعمة الحرية...

حافظ جنودنا في تلك الفترة على أمن العاصمة... وسلامتها رغم ماكان يدبر وينفذ من عمليات عدوانية تستهدفهم وتستهدف سلامة البلاد.. وكان وراء معظم تلك العمليات الغادرة والفتن... داخل العاصمة ياسف سعدي وشلته... وقد استهدفوا طرد قوات الولاية الرابعة والاستئثار بالعاصمة بالتنسيق مع جماعة هواري بومدين...

واصل بومدين وقواته زحفهم على مناطق الولاية الرابعة وبعد قصر البخاري، احتلوا مدينة المدية، ولم يترددوا في أسر الجنود الذين كلفتهم بتزويد قواتهم بالمؤن والأغذية وسجنوهم واستولوا على سياراتهم واستمر غزوهم في اتجاه العاصمة .. وحقنا لدماء الأشقاء سحبنا قواتنا المتمركزة ببعض النقاط الهامة بالعاصمة إلى الولاية الرابعة ولم يحترم المهاجمون الود الذي ضربته معهم..

وهكذا دخلوا العاصمة بجيوشهم ومعداتهم وتحولت إلى مدينة مفتوحة على الفوضى تدكها أقدام الجيوش ويملؤها ضجيج المحركات، وتتعالى فيها حرب البيانات والتصريحات والتهديدات والتهديدات المضادة.

وفي غمرة تلك الأحداث وتشابكها أقبل علينا القائد الكبير محمد بوضياف من مدينة مسيلة إلى البرواقية صحبة العقيد صادق دهليس وكانت مواقفنا في تلك الأيام التزام الحياد الإيجابي، لم نمانع في لقائه نظرا لما له من سمعة ثورية عالية، اجتمع إليه أعضاء مجلس الولاية: العقيد سي حسان، والدكتور هرموش وبوسماحة، وبعد مداولات طويلة اقترح بوضياف على القادة تشكيل جبهة موحدة من جماعة تيزي وزو ضد جبهة تلمسان بقيادة بن بلة وهواري بومدين.. مبديا نقمته الشخصية على أحمد بن بلة ولا أظن ذلك إلا لأسباب قديمة تتعلق بالتنافس على الزعامة بين الرجلين، لكن القادة رفضوا اقتراحه رفضا مطلقا وترجوه أن يلتزم الحياد ويخفف من التوتر الذي صبغ المرحلة حفاظا على سمعته الثورية والنضالية وحقنا للدماء... اغتاض لموقفهم واعتبره سلبيا واقترح على القيادة أن يلتقي ببوسماحة على انفراد لأمر في نفس يعقوب.

أعاد بوضياف الكرة مع بوسماحة طمعا في إقناعه وكسبه إلى جانب موقفه مستغلا صغر سنه ونشاطه .. لكنه صدم لما رآه من إصرار على الالتزام برأي القيادة... وبذلك خسرنا ثقتنا فيه وسقطت الهالة القدسية التي كنا نوشي بها شخصه وبدا لنا ساذجا وهابط المستوى وهل من سذاجة تفوق محاولة الانفراد ببوسماحة وهو عنصر من قيادة موحدة لم تضعف ولم تساوم على مواقعها مع الجميع..؟ إثر ذلك عقد بوسماحة ندوة صحفية قال فيها: «إن آمالنا معقودة على الزعماء الخمسة في تجاوز الأزمة ووضع تصور لمستقبل قيادة البلاد وذكر بشخص بن بلة لما له من سمعة وشعبية واسعة في أوساط الجماهير ولما يكنه له العالم وقتها من احترام وتقدير... »، دون أن يذكر اسم بوضياف الأمر الذي جعله يحمل حقدا وكراهية لبوسماحة...

غادر بوضياف مقر ولايتنا متوجها إلى مقر الولاية الثالثة حيث انضم إلى جبهة تيزي وزو المتصارعة على السلطة ضد جبهة تلمسان.

في تلك الأثناء، حملني قائد ولايتنا مهمة تقديم رسالة إلى قيادة الولاية الثالثة، فالتقيت في قرية (باكوران) بالقائد (محمد ولحاج) وشرحت له بدقة

تطور الأحداث وتلاحقها في المنطقة منذ بداية الصراع على السلطة إلى يوم مجيء بوضياف... وناشدته أن تلتزم ولايته الحياد وأن لا تدفع في مغامرة الحرب الأهلية التي تنسج خيوطها عناصر الردة والثورة المضادة بمباركة العدو الموجود بين ظهرانينا... وقد أكرمني محمد ولحاج وقتها بحيث أشركني في اجتماعاته الخاصة ... الأمر الذي حملني بعد عودتي إلى مجلس ولايتي أن أنوه بشخصه ويكرم ولايته وتفهمه لموقفنا الحيادي.. لكن لم يدم هذا الحلم طويلا، إذ سرعان ما جاءت النتائج مكذبة لمقدماتها تماما كما حصل مع جماعة بومدين في لقاء عين وسارة.

نقض قادة الولاية الثالثة العهد وطالب قائدها محمد ولحاج بعقد مهرجان جماهري كبير تحدث فيه كل من (كريم بلقاسم، وبوضياف، ومحمد ولحاج) وتقرر في ذلك المهرجان رسميا تشكيل جبهة مضادة بجميع الوسائل لجبهة تلمسان. وهكذا بقيت ولايتنا بين فكي أفعى الحرب الأهلية تدعو للحياد والحوار والسلام، وسرعان ما برز قائد آخر يدعو لنفسه، إنه رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة الذي اتصل عبر جماعة «روشي نوار» ورغب في لقاء قادة ولايتنا، رفضنا طلبه حتى لا نتهم بالانحياز لطرف دون آخر.. واستقبله في المطار ممثلنا في المنطقة (يوسف فرحاني) ... بعث إلينا بن خدة مرة أخرى رسالة يطلب تمكينه من فرصة عقد مهرجان شعبي موسع يشرح فيه موقفه وخطوة حكومته في مفاوضات «إيفيان» مع العدو الفرنسي، وكان يدرك حاجة الجماهير العريضة إلى شرح وتوضيح في ظل الغموض المنسحب على البلاد ومستقبلها بصفته رئيس الحكومة المؤقتة منذ سنوات وحامل الشرعية لحد تلك الساعة ... ومرة أخرى رفضنا طلبه وذكرناه بالرسائل العديدة التي وجهناها له ولحكومته نبصره بما يمكن أن يترتب عن المناورات والدسائس التي كانت مستشرية في دوائر حكومته... ولم ييأس بن خدة ولم يفقد الأمل في عقد مهرجانه، وجاء إلى مدينة البليدة والتقيناه في اجتماع استمر عدة ساعات عاد على إثره إلى العاصمة دون أن يستجيب أحد لاقتراحه، وفي العاصمة وجد من يحسن استغلال الفرص وركوب المناسبات، إنه الرائد عز الدين الذي عينه بن خدة من قبل قائدا على منطقة العاصمة.

إن التاريخ سيسجل لبن يوسف بن خدة أنه لم يشارك في إشعال نار الفتنة والتكالب على السلطة كغيره وكان بإمكانه أن يفعل وهو رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة وشريك مع غيره في السلطة... ربما لأن قاعدته الجهوية لم تستجب كما استجابت جهات أخرى لشخصياتها البارزة في السلطة ...!!

كما أن التاريخ لن ينسى لبن خدة أنه تصرف بميوعة لا تليق برجل دولة في الوقت المناسب، لم يعمد بن خدة لـمّا كان على هرم السلطة في أوج إمساكه بالحكم إلى إصدار قرار يعزل فيه جميع الأطراف المتصارعة ولا سيما أعضاء القيادة العامة ، وعندما فقد مواقعه في السلطة جاءت أوامره متأخرة عن أوانها ومائعة حتى سخر منه هؤلاء، واعتبروا قراراته لاغية بل وأولوها إلى جملة من الأسباب أهمها:

1 - اعتقدوا خطأ أن قرار بن خدة بعزلهم... كان من وحي قادة الداخل سعيا إلى طردهم من قيادة الجيش.

2 - صدور قرار عزل أعضاء القيادة العامة جاء بعد أن كبر نفوذ هذه الجماعة داخل الجيش وخارجه حتى غدا قرار العزل كارثة على بن خدة نفسه.

فاعتبر هؤلاء وجوده على رأس الحكومة... غير شرعي.

3 - استغلال بن بلة وبومدين ضعف السلطة لإعلان تمردهما وتنصيب نفسيهما مسؤولين عن الدولة والجيش.

لم يستوعب بن خدة في رأينا معطيات المرحلة ولم يحسب بدقة عناصر الصراع والتحالفات، ولم يستغل عامل الوقت في زمن الحكم لكي يرسم مصير المستقبل.. لا أعتقد أنه استفاد من دروس الثورة العديدة في مجال المناورة والتصفيات... رغم كونه شاهدا على حوادث دامية ذهب ضحيتها رجال أفذاذ بحق وبدون حق... من أمثال عباس لغرور، وطالب العربي، ولعموري، وعبد الواحد، وعبد الحي، ومصطفى لكحل وعبان رمضان...الخ. لم يعمد بن خدة إلى كسر شوكة بعض ضباط القيادة العامة للجيش قبل أن يتمردوا على الشرعية بعيدا عن أرض المعركة ويتمادوا في رفضهم، بما في ذلك رفضهم قرارات اتفاق «إيفيان» متهمين أعضاء الحكومة الموقعين على تلك القرارات بالسلبيين

والمخادعين والحمر الوطنيين، لو أنه توصل إلى ربط العلاقة بين الزعماء الخمس وبين أعضاء الحكومة المؤقتة لدخلوا العاصمة واستمر حكم الشرعية دون إراقة الدماء، ودونما أي استعراض عضلات القوة والاستبداد بالسلطة.

إن ثورة التحرير هي التي جعلت من هؤلاء زعماء مشهورين وقادة مرموقين، فما كان لفرحات عباس (الذي ظل طيلة حياته باحثا عن شخصية الجزائر بين القبور وفي دروب التاريخ، ولم يجدها)، أن يصبح زعيما لثورة عالمية، ولا لبن خدة ولا لكريم بلقاسم ولا لبن بلة ولا لبومدين...

لم يكن بوسع هؤلاء، وغيرهم أن يصيروا ذوو شأن في العالم لولا تضحية الجماهير واستمرار الثورة على الحق والنضال، لكن من بين هؤلاء الذين رفعتهم الثورة رجال تآمروا على الثورة وفتحوا أبوابها للانتهازيين والحاقدين عليها، وآزروهم ليصيروا قادة ومسيرين ويحاربون بدورهم قيم الثورة والثوار ويتحالفون مع العدو الفرنسي الذي رباهم على نهجه في عداء الجزائر وأرضعهم مبادئه الاستعمارية.. إن أبناء المدرسة الاستعمارية لهم أشد مكرا ونقمة من أساتذتهم..

إن أخطر مرحلة عاشتها بلادنا في رأيي لهي مرحلة الاستقلال وما تبعتها من مؤامرات على الثورة بجميع قيمها، لقد حولت أزمة ما بين الولايات المجاهد الذي كان يحصل هالة قدسية والشهيد الذي شارك الأنبياء في المقام... حولت هؤلاء إلى قطعان تموت بداء الصراع والفتنة الداخلية التي رسم ملامحها العدو ونفذتها أدواته في الداخل... لقد اكتسحت جماعات تلمسان بقواتها منطقة غرب الولاية الرابعة... ورغم النداءات المتكررة والتوسلات العديدة وبكاء الأطفال وعويل النسوة وأثر الخراب، واصلت هذه الفئة مسيرتها الغاصبة للاستيلاء على السلطة وقهر الغير مستغلة أبواق الدعاية الفرنسية الجاهزة وبما خبروه في البلدان التي قبعوا فيها إبان الحرب التحريرية، ولا زلت أذكر تصريحا أدلى به السيد خيضر أثناء تلك المحنة قال فيه: « بمجرد دخولنا العاصمة سنقبض على المتمردين من جماعة الولاية الرابعة ونشنقهم علنا ونعلق جثثهم على أبواب العاصمة جزاء ما ارتكبوه من خيانة وتمرد... ».

أطلق العنان للدعاية كي تلحق جميع النعوت بأعضاء ولايتنا، كنا في أبواقهم تارة خونة ومتمردين ، وتارة أخرى عصاة... الخ.. في الوقت الذي

كانت دفاعات ضباط الجيش الفرنسي المدسوسين في جيش التحرير يعدون العدة ويرتبون خططهم لاغتيال الشرعية الثورية والاستيلاء على قيادة الجيش وتولي المسؤوليات الكبيرة...

امتدت معارك الاستقلال بعد وقف إطلاق النار بيننا وبين العدو المركزي في كل من البرواقية جنوبا وفي حجوط وأماكن أخرى عديدة... وسقط عدد كبير من الشهداء وعدد آخر من العملاء أمثال: الرائد بن شريف مسؤول القطاع العسكري في منطقة البليدة والنقيب مصطفاي، والنقيب تومي وبوشنافة وغيرهم كثير ممن التحقوا بقطار الثورة في محطته الأخيرة...

حارب هؤلاء جنود جيش التحرير وقاتلوهم باسم السلطة والمنصب وإبقاء الولاء لفرنسا.

وأعتبر أن الانحراف في ثورتنا بدأ يوم أن انفصلت الثورة في داخلها عن خارجها وانضم العملاء إلى جيش التحرير في الخارج بعد أن دربتهم مصالح فرنسا وهيأتهم عسكريا ونظاميا ليكونوا قواعدها المستقبلية في الجزائر ويستمر الاستعمار من خلالهم في أبشع صوره إلى اليوم... لا يجب أن نباغت إذا قلنا أن مخطط الدس على الثورة بدأ منذ اندلاعها... ولم يبدأ فقط يوم انتهائها إلى النصر العسكري والسياسي، لقد جاء تمادي هؤلاء المدسوسين وتعنتهم في الظلم والحقد على الثورة والمجاهدين والوطن من خطإ استراتيجي ارتكبته القيادة بحيث عوض أن تحاكمهم على جرائمهم باسم الخيانة العظمى ضد الثورة والوطن... راحت تخلع عليهم الألقاب والنياشين وتمدهم بسلطة لم يحلموا بها وهم في خدمة العدو... وأخضعت المجاهدين المخلصين لأوامر هؤلاء الخونة... وبذلك صارت الخيانة تحكم الوطنية ، والعميل يسير الخلص والحركي يأمر المجاهد... وتكرس الأمر إلى حد الاستفحال التام والفساد العام.

ان العفو عن مركتب الخيانة العظمى هو خيانة بحد ذاتها ولنسأل أنفسنا عن مصيرذلك العجوزالفرنسي الذي بلغ الثمانين سنة ونيفا عندما أوقعه حظه التعيس بين أيدي شرطة بلاده وهو ينزل من طائرة قادمة من لبنان هارب من حصارالموت الذي ضربته اسرائيل عام 1982 على بيروت ألقى القبض عليه واقتيد إلى المحكمة وفي اليوم الثاني ملأ حادثه افتتاحيات الصحف الفرنسية

تحكي قصته الغريبة بأنه منذ أكثرمن أربعين سنة خلت قد أرشد قافلة من جيش هتلر إلى إحدى القرى الفرنسية دون سابق إصرار بحيث دلها على الطريق المؤدية بصدق إلى القرية التي موهت القوات الفرنسية لافتتها قصد مغالطة القوات المعادية، لم تنس فرنسا لهذا المواطن خطأه الذي كان ربما عن غير قصد، ولم يرق أبدا إلى مستوى الخيانة. أما دعايتها التي فاقت كل الحدود في التشنيع بجريمة "كلوس باربي» النازي والظروف المهرجانية لمحاكمته وهو مجرد جندي بسيط لا غير تدل دلالة لا يداخلها الشك على حرص الفرنسيين على قدسية الوطن ومحاسبة كل من تحدثه نفسه مسه بسوء... لقد امتلأت كتبهم لعنات صبوها على الماريشال "بيتان " وعلى مغطي، أو خائن الوطن الأم.

إن الفرنسيين لا يغفرون ذنبا ارتكبه أحد في حق وطنهم ولو بعد أكثرمن نصف قرن يجدون في البحث عنه والاقتصاص منه كيف ما كان الأمر.

4- *من الدفاع عن الشرعية... إلى غزو جماعة تلمسان للعاصمة.*

أشتد الهجوم على الولاية الرابعة من جميع الجهات سعيا إلى غزو العاصمة ... كما ذكرنا سابقا وتمت محاصرتها بقوات كبيرة العدد، أمام هذا الوضع أرغمنا على الدفاع عن أنفسنا وعن الشرعية التي دست... ووضعنا خطة دفاعية وزعنا فيها الأدوار على قيادات الولا ية كالتالي:

- رابح بن خروف يوسف بقواته في منطقة سيدي عيسى وتصدي للغزاة ومنعهم من التقدم ...

- أما الرائد رمضان عمار فعكسر هو الآخر في ضواحي الأصنام وعمد إلى منعهم من الإستمرار في زحفهم نحو العاصمة...

- وتكلفت قراتي بصدهم في مناطق عين وسارة... وشاء القدر أن أعود إلى عين وسارة محاربا " الاخوة الأعداء " بعد أن جئتها مفاوضا، تركت الزميلين (حسان وبوسماحة) في مقرالقيادة لكي يتصلا بالولايتين الثانية والثالثة وبومدين شخصيا وجماعته علنا نتفادى الصدام الدموي بين الأشقاء، لكن كانت ردوده رافضة وتوزعوا الأدوار كالتالي:

- الولاية الثانية: انقسم أعضاؤها فانضم فريق منهم إلى جماعة تلمسان.. والتزم الفريق الثاني الحياد، وبذلك خدموا جماعة بن بلة وبومدين.

الولاية الثالثة: أرسلت في بداية الأحداث بعض كتائبها إلى مدينتي سورالغزلان وسيدي عيسى لمقاومة الزاحفين.. لكن سرعان ما انسحبت هذه الكتائب عائدة إلى ولايتها أمام اشتداد هجوم قوات بومدين.. وقد خدم هذا الانسحاب تقدم القوات الزاحفة .. وهكذا وجدنا أنفسنا أقلية نقاتل هجوما كاسحا بمعدات وأسلحة جد متطورة... ولم يساندنا في صمودنا إلا جماعة من فدرالية فرنسا، كما أيدنا (آيت أحمد) وأدلي بتصريح يدعمنا فيه وهو الموقف الذي سيدفع بعد ذلك ثمنه غاليا... أما عن انسحاب قوات الولاية الثانية من ساحة المعركة لم أتأكد إلى اليوم ما إذا كان بإيعازمن كريم بلقاسم أوغيره...؟ .

اندلعت المعارك بضراوة واحتدم الجمعان طيلة يوم وليلة وقاتل المجاهد المجاهد والأخ أخاه والإبن أباه ولم ينتبه أحد لحجم الجريمة إلا بعد سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى.. كنت يومها في جبهة قصر البخاري وقد وصلت المدينة ليلا من العاصمة بعد أن حاصرتها القوات الزاحفة وتسللت بقواتي التي كانت متمركزة في العاصمة إلى الخطط الخلفية لقواتهم لمنعهم من التزود بالإمدادات أو التراجع إلى الخلف وأشتد القتال ولم نفلح في معرفة أنواع الاسلحة المستعملة ولا أن نحصي عدد المقاتلين الذي كان من بينهم أطفال صغار غرروا بهم ورموهم في قلب المعركة.. وكان من بينهم من لا يعرف استعمال السلاح أو يحمي نفسه من قصف وكثافة الرصاص لأنهم لم ينصبوا كمائن للعدو ولم يشاركوا من قبل في معركة ضده بحيث كانوا يطلقون الرصاص بكثافة وعشوائية مما زاد في عدد القتلى والجرحى . تحولت المنطقة إلى جحيم وأصبح قصر البخاري " برلين ثانية " ولم نعد نشاهد إلا الموتى والدمار.. في غمرة هذا الوطيس حومت طائرة عمودية في ساحة المعركة ثم حطت عل مقربة منا نزل منها العقيد حسان ويوسماحة ومعهم رجل طويل القامة قال بعضهم إنه بن بلة لم تتوقف محركات الطائرة الرابضة بالقرب من ساحة المعركة في موقورنو هذه المنطقة التي دارت فيها معارك طاحنة طيلة سنوات حرب التحرير... حمل هؤلاء الثلاثة أمرا بإيقاف القتال من الجهتين وكان أول من تلقى النبأ النقيب المدعو (موسطاش)(ذا الشاريين) وبلغه إلي بدهشة.. فلم ألحظ فيه مزيدا على ما كنا اتفقنا عليه سابقا في لقاء البليدة مع بومدين وشعباني وأحمد بن شريف وغيرهم.. وقد احتوى نص الاتفاق على أن يظل الوضع السياسي والعسكري

على ما هو عليه وأن يجتمع أعضاء المكتب السياسي لتحضير الانتخابات على أن يتم تشكيل مجلس وطني وحكومة وطنية تمثل فيهما جميع الأطراف بكامل الحقوق، كدت أنفجر من شدة الغيض وأحاجج بن بلة في الأمر لولا أن وقف إطلاق النار كان أهم من المحاجة.. لم يتباين الاتفاق الجديد في شيء عن اتفاقي مع قيادة الغزو بقيادة بومدين وجماعته من قبل... أذكر أني أصدرت أوامري فورا لوقف إطلاق النار لكن بعض الجهات لم يصلها الخبر إلا بعد أن انتقلت إليها الطائرة المروحية بمن فيها.

صمت الرصاص صمتا حزينا وخرجت الجماهير عن بكرة أبيها ساخطة باكية رافضة قتال الأشقاء مرددة الكلمة التي غدت إلى اليوم مثلا يضرب وحكمة قاسية تدين التفرقة والعنف (سبع سنين بركات).

هل كان سبب وقت القتال هو صمودنا في وجوههم أم حبهم للثورة وعطفهم على جماهيرها وتفاديا لمزيد من زهق الأرواح البريئة.. لا أعتقد شيئا من ذلك أبدا ولكن تلك كانت بداية تنفيذ مشروع حبك أطرافه بومدين ونفذه بمشاركة بن

بلة، لقد اتصف بومدين بدهاء شديد وخبرة في المناورة وتعلمها في مواقع تواجده خارج الحدود بالغرب والشرق، استغل شخصية بن بلة ليلهب بها عواصف الجماهير ويمرر من خلاله خطته في الوصول إلى الحكم والانفراد به.. لم يكن في نيته الحفاظ على الثورة وحماية الوطن وتوحيد أبنائه بقدر ماكان يهمه أن يحكم.

كان بإمكاننا أن لا نحارب أحدا ولاندافع عن الشرعية ونشترك في قسام الغنيمة دون جهل كما كان بإمكاننا أن نحتفظ بالعاصمة «وما أدراك ما العاصمة» وقتها نساوم معهم عليها لابتزاز المزيد من المنافع... لكن ذلك ليس من طباعنا ولا من مبادئنا... أعترف أننا نجهل الحسابات الضيقة ونمقت الدهاء ونرفض المناورة ونحب الصدق الثوري ونعشق الحرية في الوطن العزيز... وهذه القيم لا تجدي أمام دهاقنة المناورة شيئا!!.

إن أشد ما آلمني أن المناورة المشتركة بين بن بلة وبومدين لم تنته عند هذا الحل الذي سالت فيه دماء الإخوة الأشقاء وسقط الحب الذي ظل سمة تربط المجاهد بأخيه في كامل البلاد... بل تواصلت وتطورت إلى حد اتهامنا بالتمرد وإشاعة الشغب والفوضى واستعمال السلاح ضد الشرعية وسودوا صفحة دفاعنا

عن أصالة الثورة وقدسيتها وزعموا أننا طامعون في السلطة والمؤسف أن الذين روجوا هذا الادعاء وغذوه هم ضباط فرنسا المندسين في جيش التحرير باذن بومدين الذي استغلهم أبشع استغلال لخدمة أغراضه في الاستيلاء على السلطة كان بالإمكان أن يهون الأمر لو أن بومدين حاربنا بجنود الثورة المخلصين... لكنه أطلق علينا جنود وضباط فرنسا الذين مازالت على صدورهم نياشين الجيش الفرنسي وعلى أكتافهم ميدالياته وعلى أيديهم دماء الشعب الجزائري المجاهد أهرقوها وأزهقوا آلاف الأرواح البريئة.

استمر قادة المؤامرة في محاصرتهم لي شخصيا واتهامي يستفردون بي ويحملوني تبعة ما جرى دون سواي...

واليوم، كلما خولت إلى نفسي سألتها ماذا جنينا من صراعنا الداخلي... ذلك الصراع الذي ذهب ضحيته مجاهدون وقادة كبار... وماكانوا ليموتوا لولا المناورة الخسيسة التي لا أستبعد أن يكون للاستعمار وأذنابه يد فيها لضرب كبرياء الثورة وتشويه سمعتها وتفتيت وحدة شعبها وهو في عزة الفرح وفي نخوة النصر... لم يكن صمودنا في الولاية الرابعة لغير كرامة الإنسان وحماية قيمه وأحلامه في الحرية والسيادة... لم نكن نطمع، والله شهيد على ما أقول، في غير تحرير الوطن وتحقيق استقلاله ولم تحركنا مصالح أو مطامع أخرى... كما يجرى الترويج لها اليوم ومنذ تلك الأحداث، لقد تعلمنا من قادتنا الأوائل «ابن بولعيد، بن مهيدي، وبوقرة، وعميروش والحواس، ولطفي وزيغود وغيرهم..» إن حب الوطن من الإيمان وأن حمايته والدفاع عنه شرط من شروط الحظوة برضى الله تعالى... لا أنسى ما ردده على أعلى أذننا قائدنا ومعلمنا سي أمحمد بوقرة بقوله "إياكم وتمزيق الوطن وإياكم وفرض ديكتاتورية على مواطنيكم".

وحز في نفسي أني منيت بهزيمتين إحداهما يوم أن حملت معلومات الاتفاق من عين وسارة إلى العاصمة ولم أكد أصل حتى نقض بومدين وجماعته الوعد وأصبحت في نظر رفاقي مشبوها والهزيمة الثانية يوم تمكن فيه بن بلة وبومدين من تحميلي مسؤولية الخلاف الدموي الخطير... كانت هذه الأحداث سببا في تفجيري تفجيرا عنيفا، وان جاء متأخرا كما قال أحد أصدقائي لكنه مع ذلك انفجار عنيف لمحنة عشتها في أحلك ظروف، وقد تعلمت من قبل من قادة حكماء كيف أحني رأسي أمام العاصفة ريثما تمر لأستعيد المبادرة واثقا بنفسي

مؤمنا بالله... وهكذا قررت أن أواجه السلطة والقيادة مهما كلفني الأمر أمام السلطة وطرد أعضاء الحكومة المؤقتة الذين رفعوا شعار التهديد لكل معارض لسلطتهم... ولم يجدوا معارضة حقيقية إلا من قبل قلة قليلة من المجاهدين المخلصين لم يتورطوا في استلام القروض واستلام المحلات التجارية... ومداهمتهم للتسرب إلى السلطة ... كما فعل الكثير... وأحمدالله أني بقيت على العهد مؤمنا بما عليه عليَّ ضميري وأن رأى بعضهم اعوجاجا فيما رأيت... لكني أخلصت لقلبي ووطني متحديا الاغراء والتهديد وسياسة (سر معنا أو فلتصمت) واستمرت الأعوام وتعاقبت علي بين الجبال والسجون... ولم أفق من غفوة العمر إلا وقد غزا الشيب مفرقي دون أن أندم على شباب راح وعهد ولى يشفع لي أني آمنت بمبدإ ففضل عليَّ من الدنيا وما فيها.

لقد بدأ العهد مع الثورة يوم أن دخلت الجيش الفرنسي لأتدرب على السلاح

وتقنياته قبل 1954 وسرت من احراج قريتي الفقيرة المعدمة بمواطنيها البسطاء وأزقتها المظلمة إلى ثكنة الجيش الاستعماري في فرنسا... وعاينت بعد ذلك الأمرين للوصول إلى جيش التحرير في الجبال وبين الأودية... و بقيت على العهد طيلة أعوام الجهاد أتعلم من المقاتلين في أصولهم الفلاحية البسيطة الحكة والصبر وعلى قادتي الاخلاص والثبات على الحق إلى أن فرض عليَّ التحدي ضد جماعة تلمسان تلك الفئة الباغية في رأيي... فانتسبت إلى جبهة القوات الاشتراكية دفاعا عن الشرعية وقد تصديت من قبل إلى رغبات المرحوم صالح عموم ...

ورضيت بحكم أطلقته علي محكمة أمن الدولة بثلاثين عاما سجنا من أجل فكرة آمنت بها.

الفصل السادس

من جبهة القوات الإشتراكية F . F.S

إلى عدوان ملك الرباط على الجزائر

1 - من البرلمان إلى جبهة القوات الإشتراكية،

افتتحنا عهدة الاستقلال بصراع مقيت بين ضباط الجيش وقيادته وعرف الصراع تكتل جماعات فرنسا التي لا تنفي أن لها كفاءة عسكرية وإدارية وتنظيمية عالية تعلمتها في معاهد العدو وفي مؤسساته العسكرية لكنها تفتقرلفضيلة حب الوطن والتضحية من أجله وإعطائه ما يستحق دون مقابل بحيث جرى استقطاب هذه الفعاليات العسكرية دون النظر إلى ما تشكله من خطر قاتل على مستقبل المؤسسة العسكرية وعلى الوطن برمته ونظر لها كأدوات لتنظيم الجيش وعصرنته... لكنها تمكنت بماليديها من دهاء وخبث بالتنسيق مع بعض المتعطشين إلى السلطة من اغتيال مشروع تحرير الجزائر.. وتوصيلها اليوم إلى مرحلة الإفلاس الكامل على جميع الأصعدة...

أما الحكومة وقتها فكانت سمتها المهرجانية والخطب واستعراض الغرور الذي ركب رأس بن بلة الذي كان يخوض غمار حرب طواحين الهواء في الوقت الذي كان فيه بومدين يراقب و يخطط ويتحين فرصة الانقضاض على الحكم... وكان بوضياف هو الآخر يبني مشاريعه على كثبان رمل متنقلة من الريح فلا شخصه ولاحزبه تمكن من رفع الكارثة.. هذا إلى جانب برلمان تهتزه العاصفة الخارجية يأتمر بأوامر التكتلات الجهوية وتغتال فيه كل مبادرة ديمقراطية وتوزع فيه التهم وتقمع فيه الحريات... كان ذلك هو وضع مؤسساتنا الرسمية ماعدا الإدارة التي كانت فرنسية في شكلها ومضمونها.

2 - من تجربة السلاح إلى تجربة البرلمان :

بعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار بين الفرقاء، دخل الجيش العاصمة وبدأت التحضيرات لتنصيب أول مجلس وطني شعبي في الجزائر المستقلة، اقترحنا في الولاية الرابعة أن يكون جميع أعضاء مجلس ولايتنا ممثلين أسوة بباقي الولايات الأخرى على أن أبقى في صفوف الجيش الوطني الشعبي ولا أغادره إلى الحياة المدنية سعيا إلى دمج جنود ولايتنا في صفوف الجيش الوطني الشعبي. وكان الأولى بنا أن ندمج جيش الخارج في الداخل عكس ما حدث، للإبقاء على هيبة الجيش وعلى قدرته القتالية ضد أي مغتصب... بدأنا مهامنا العديدة في التنظيم وتصنيف الرتب العسكرية وجمع الأسلحة وإحصائها... وبينما نحن كذلك حتى قدم إلينا العقيد (هواري بومدين) رفقة محمد بن أحمد عبد الغني ومحمد يزيد) وقد كان دور محمد يزيد التنسيق بين بومدين وأعضاء مجلس الولاية الرابعة... وحضر ذلك اللقاء العقيد حسان وأحمد برواقية والدكتور هرموش، اتفقنا بالإجماع على تنفيذ بنود الاجتماع المتعلق بدمج مجاهدي الولاية الرابعة في الجيش الوطني الشعبي... حضرت جزءا من ذلك الاجتماع بعد أن ارتديت زيي العسكري لأشهد مقرراته وأوافق عليها مع الأعضاء الحاضرين وأذكر أنني تعرفت يومها على بومدين بعد لقائنا الأول الذي التزم فيه الصمت والملاحظة على طريقته وقد انتقدته بشدة وتجريح ولم أكن أعرفه، طبعا لتداخل الأمور وانتشار الفوضى... لم نشأ في ذلك الاجتماع الثاني أن نثير ما جرى في سابقه حتى لا نؤزم الوضع وقبل أن يهم بومدين بمغادرة مكان الاجتماع في مزرعة (البيركي) قرب البليدة مددت له يد المصافحة وأنا مصمم أشد التصميم على مغادرة الجيش وعدم العمل تحت أوامره وأوامر ضباط الجيش الفرنسي الذين أصبحوا قادة الجيش الوطني الشعبي الجديد وأن أنزع ساعتها لباسي العسكري الذي أحببته أكثر مما أحببت نفسي لأن فيه رائحة الجبل ولون الطبيعة وارتبط لدي بمبدإ التضحية والكرامة... أصبحت أعافه وأستخف به... عانيت تلك الأيام أزمة لا مثيل لها.. بين أن أنسلخ عن الجيش وأخلي المكان للحركة الجدد والعملاء المدسوسين في الجيش والانتهازيين، وهو هدف بومدّين وجماعته الذين يدركون أن مخططاتهم للوصول إلى السلطة والاستفراد بها لن تتحقق إلا عبر هؤلاء المطبعين الذين لا تاريخ لهم ولا فضل على الثورة... بحيث استغل

بومدين ملفاتهم السوداء ليبتزهم ويساوم معهم عليها فكانوا له خيرمطيع وأحسن عميل، كما كانوا من قبل لدى فرنسا... أما الإحراج الآخر فهو استحالة أن أبقى تحت قيادة رجل كهذا أذل المجاهد وطمس معالم الثورة وبجل الخونة على المجاهدين الخلص، وأن أؤدي التحية لأشخاص لوثت أياديهم وقلوبهم بدم الأبرياء... عشت التمزق والمعاناة وعاتبني الأوفياء أشد عتاب إلى حد الاتهام بالخذلان وترك المجال لهؤلاء الخونة يعيثون بالمقدسات ويخربون المؤسسة الوطنية الوحيدة المنظمة وهي مؤسسة الجيش الوطني الشعبي... بسرعة البرق وصل خبر مغادرتي الجيش العاصمة وبادر بومدين فورا إلى رفضه وأرسل إليَّ مبعوثه (بشير رويس) المكنى «بنهرو» وقتها على أن أعدل عن رأيي لكنني أكدت له ثانية "بأني لن أتخلى عن قراري البتة ولا أحتاج إلى إذن أحد طالما أني لم أستشر أحدا يوم التحاقي بالثورة كذلك الأمر عند خروجي من الجيش لأنه بكل أسف لم يعد كما كان ثوريا يقوم بمهمة شريفة لقد انحرفوا به عن مبادئه " على إثر ذلك جد بومدين في مقابلتي فذهبت إليه والتقيته في مكتبه في مقر القيادة العامة للجيش الموجود بقصر الحكومة وكان لقائي الثالث به، أذن لي فور وصولي للاجتماع إليه وصادف أن وجدت إلى جانبه السيد رابح بيطاط المنسق بين قيادات الجيش في الداخل وبين بومدين وقتها... بدأ الحديث بيننا وتفرع ليشمل موضوعات مختلفة غلب عليها طابع المجاملة.. وإذا بنا نسمع أزيز طائرة عمودية يهز المكان وكانت تلقي من على المدينة أوراقا تحجب بها نور الشمس الضئيل... تهيأت نفسي لمعرفة محتواها وقد هربت بي الذاكرة إلى تلك المناشير التي كانت طائرات العدو تلقي بها في ساحات المعركة ومن بينها تلك التي حملت على وجهها صورة ديغول وعلى وجهها الآخر كتبت رخصة مرور لسلم الشجعان... لم يمهلني بومدين كثير الوقت حتى أجابني قائلا "لا تنزعج... فالأوراق التي ترى مجرد تحية منا إلى سكان العاصمة... تحية جيشهم الوطني الشعبي..." لم أرد على هذا التصرف وكنت أتصور، أن ينوب عني في الجواب رابح بيطاط بما له من سمعة ثورية وأقدمية نضالية كبيرة... ولكني آثرت الصمت الذي طال وتحول إلى ثورة مستترة وإلى بداية حقد على خزعبلات بومدين وما كان من طبعي الحقد وقد طهرتها الثورة تطهيرا لاردة بعده ... لم أهضم وقتها أن أستمع إلى بومدين المتبجح في كل لقاء بحب الوطنية ..

وأن يستعير طائرة العدو التي تعود المواطنون رؤيتها تلقي رجال المظلات فوق المباني وفي الشوارع وما أدراك ما رجال المظلات الفرنسيين من فاشية ونازية وقهر لا يوصف فهم لا يفرقون بين مدني وعسكري ولا بين رجل وامرأة قبل أن أعب فنجان قهوة وقبل أن يفاتحني بومدين في الموضوع الذي جئت من أجله نهضت مصمما الخروج حتى لا أضطر إلى تصرف غير لائق لما أشاهده من استعراضات سيرك لا يليق بثورة شعب مثخن بالجراح فقد الملايين من أبنائه وآلاف القرى والمدن دمرت وملايين البشر شردوا ونهبوا وجوعوا وأهينوا في كرامتهم. عرفت الجماهير في ثوارها الصدق والبساطة والفورية في التنفيذ... ولم تعرف أبدا مظاهر الاستعراضية "السيركوية" والنفاق... الذي جاء مع مرحلة الانحراف الجديدة... توجهت من على مقعدي مباشرة إلى باب المكتب خارجا ولم أمهله فرصة يتم فيها حديثه إليّ وقلت بحزم "اعلم أني قررت أن أستقيل فورا من الجيش ولا أحد له الحق أن يعارضني في قراري هذا ..." لم يعقب بجواب سوى أنه ألقى نظرة سريعة على ملف كان فوق مكتبه وختم عليه بقلم كان يعبث به بين أصابعه وينقر به الطاولة من حين لآخر... وأردف وهومحدق في الملف دون أن ينظر إليّ "إن مهمتنا واحدة سواء كنت داخل صفوف جيش التحرير أو داخل صفوف الجيش الوطني الشعبي وستظل عضوا فعالا في أية مؤسسة من مؤسسات الحزب والدولة" لم أعلق على كلامه بأية عبارة ودون أن أودعه انطلقت خارجا... انتابتني صورة غريبة وراجعت شريط الذكريات وتعاقبت الأحداث متسارعة انتهت بي الى مرحلة الانحراف الذي بدأت أعيشها بإحساس مقرف مع بداية العد التنازلي... وتصورت أن الذي يستعير طائرة العدو لتلقي أوراق التهاني على شعبه مستعد لأن يأمرها فتلقي قنابلها على هذا الشعب... كما حصل بعد مدة وجيزة من ذلك التاريخ... لا أدعي نبوة لكن التاريخ تصادف مع أوهامي في لحظة ثورة على التحريف والثورة المضادة... نزلت مدارج قصر الحكومة في غمرة آلاف الأوراق المتساقطة ... وفي ذهني أن بومدين سيشعر بارتياح لمغادرتي الجيش ويتمنى لوكل المجاهدين الأوائل يقدمون على ما أقدمت عليه هذه اللحظة فيخلو له الجو ولجماعته التي رضعت إيديولوجية فرنسا إن في مدارسها أوفي مؤسساتها العسكرية... لكن لحسن حظ البلاد أن بعضهم فطن للأمر ولم يغادر الجيش وصبروا وتحملوا جميع المشاق وبفضلهم حفظ بعض ماء

الوجه على محيا هذا الوطن الذي أراد له المنحرفون أن يكون مقاطعة فرنسية خلف بحيرة البحرالأبيض المتوسط...

نزلت مدارج القصر.. لامست نسيمات الخريف الندية وجهي، اعترضتني مواكب الأطفال كبراعم انبثقت في فجر الحياة يتصارعون على جمع الأوراق المتساقطة.. سمعت أحدهم يقول لرفيقه "ألم أقل لك أن هذه الأوراق المتساقطة من الطائرة الفرنسية ليست موجهة لنا نحن السكان العرب ولكن موجهة الى الفرنسيين.. لأنها كما ترى خالية من كلمة " (F.L.N) جبهة التحريرالوطني " انتبهت عل وقع عبارته إلى خلو الورقة من جبهة التحرير.. ألقيت بها أرضا ودستها مع أوراق أخرى، واصلت سيري نحو الشارع المزدحم بالمارة امتزجت في طريقي أوراق الطائرة بأوراق الخريف بخوف على مستقبل الثورة المضادة التي سينفذها الأستعمار بوسائله الجاهزة داخل مؤسساتنا العسكرية والمدنية والسياسية..

لم تدم استقالتي حتى التحقت برفاقي في البرلمان وشاء القدر أن أكون ممثلا لولايتي في أول برلمان للجزائر المستقلة... ليتني لم أدخل ذلك البرلمان لما كان فيه من دسائس و ألاعيب ومناورات.. وجدت نفسي فيه من جديد أمام مواجهة ألاعيب أخرى و تناقضات لم أعهدها في حياتي البسيطة كمقاتل في صفوف الثوارلم يتميز عملنا في البرلمان بالممارسة الديمقراطية والدفاع عن المثل العليا التي عشنا من أجلها وقاتلنا عدونا...!!

كثرت الدسائس وطفت المصلحة الشخصية على العليا وانقسمنا كتلا ثلاثا.

1 - كتلة العملاء المدسوسين من أتباع فرنسا وفرنسيي الجنسية طبقا لما نص عليه اتفاق ايفيان وهم الأغلبية الساحقة.

2 - كتلة جماعتي الحدود الشرقية والغربية (غار دماؤ ووجدة).

3 - كتلة مكونة من أقلية تمثل جماعة الداخل.

لا أعتقد أن مجلسا هذه تركيبته كان بإمكانه أن يضطلع بمهمات خطيرة ملقاة على عاتقه وفي مقدمته إرساء تقاليد ديمقراطية لمستقبل بلاد حوصر فيها عقل الإنسان وعطلت إرادته وذبح فيها ضميره عشرات السنين في ظلام القمع الاستعماري.

في إحدى اجتماعات مجلسنا وبصدد ترشيح رئيس الجمهورية وقف الاخ "الحاج بن علا " يعلن نتائج الانتخابات قائلا: "رشح جميع أعضاء مجلسنا الأخ أحمد لمنصب رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية... فدوت القاعة بالتصفيق إلا أقلية التزمت صمتها... وكان إلى جانبي أحد النواب كان يصرخ بأعلى صوته وسط هستيريا التصفيق متسائلا من يكون أحمد هذا واسم أحمد في مجلسنا كثير جدا ... "؟ .

بدأت قصة القمع داخل المجلس عندما صوتنا بلا ضد ترشيح الرئيس وكان عددنا وقتها في حدود عشرة أصوات، وأصبح كثير من النواب ينظرون الينا كمعارضين داخل البرلمان وقد استمرت معارضتنا داخل البرلمان لمشروع قانون الميزانية الخاصة بالوظيف العمومي الذي أجحف في حق بعض الفئات الاجتماعية... بحيث قرر المشروع منح ابن الشهيد ما يعادل دينارا واحدا في اليوم وقتها في حين يمنح الطفل الذي لم يستشهد أبوه أكثر من هذه النسبة.

كما ينص المشروع على منح والدة الشهيد تسعين دينارا في الشهر دون مراعاة ما إذا كانت هذه الشكلي أمّا لشهيد واحد أو لكثير من الشهداء... عارضنا المشروع وبشدة وكنا 11 عضوا حتى دعينا المتمردين من قبل الأغلبية، سألني رفيقي الذي كان إلى جانبي وهو يحدق في عنوان مقال على وجه صحيفة كنت أحملها وينص على الإعدام قائلا "لمن يكون هذا الحكم " ؟ قلت "لحاكم دولة مجاورة لنا... " قال وما التهمة يا ترى" ؟ قلت: الخيانة العظمى كما ورد في الصحيفة" "قال ألا ترى أن الذي لا يسوي بين مصير طفلين وعائلتين وشعب بأكمله.. يعد خائنا خيانة عظمى يعاقب عليها بالإعدام على مرأى ومسمع من الناس"؟ وذكرني بتلك المحاولة المتواضعة التي أنجزناها لصالح أبناء الشهداء على مستوى ولايتنا بحيث جمعنا حوالي سبعمائة ابن شهيد تتراوح أعمارهم بين 05 و10 سنوات ووضعناهم في مراكز كانت سابقا تابعة للجيش الاستعماري رممناها وهيأناها حتى غدت لائقة بأبناء الشهداء وانتقينا عاملات وعمالا ليسهروا على رعايتهم وأذكرأننا جمعناهم من أماكن مختلفة وكانوا مشردين حفاة عراة.. وبعضهم كان ينتعل حذاء جندي كبيرما يثيرالألم والنقمة في النفس وبعضهم لا يجد ما يستر به عورته... كانوا لوحة تراجيدية قاسية تدين وجه الاستعمار الحقير الذي يقتل الآباء ويشرد الأبناء... لم يكن في وسعنا أن نهيء

لهم جميع الظروف الملائمة... ورغم ضائقتنا توصلنا إلى إنقاذهم.. ولم اعلم فيما بعد إن انحرف هؤلاء، أوتحولوا إلى لصوص أو تنكروا لمجتمعهم بل أن من بينهم من أصبح محاميا أو طبيبا، وأستاذا ومهندسا، وضابطا وموظفا شريفا ومواطنا عاديا...

إن رفضنا المشروع المتعلق بمنحة أبناء الشهداء يدخل ضمن مبادئنا الثورية التي تدافع عن الشهيد حيا وميتا وتحفظ عرضه وأبناءه لأنهم امتداد لرسالته في التحرر الشامل ومن لا يحترم شهداءه لا يحترم وطنه وهي المؤامرة التي نفذت في بلادنا فيما بعد.

تأكدت أن العمل داخل برلماننا لن يجلب إليّ إلا مزيدا من المصادمات والخصام.. بعد كل ما تحملته من اتهام وتقريض في شخصي وفي كل الذين يعارضون رأي اللوبي القوي، أو الكتلة التي تعمل على تغريب البلاد وتوجيهها في ركب المستعمر، وتوجهنا بإمكنياتنا المتواضعة إلى خدمة البلاد، بادرنا إلى الإصلاح الزراعي وخدمة الأرض بوسائلنا الذاتية، كما كنا نعتمد على إمكانياتنا في حرب التحرير من الخبز إلى السلاح والذخيرة تحقيقا لاكتفائنا الذاتي. بادرنا إلى تجميع الفلاحين في مزارع عديدة بعد أن شتتهم العدو، واتفقنا معهم على أن يتقاضوا أجورهم من إنتاج أرضهم بحيث حملناهم مسؤولية العمل والإنتاج الذي يوفر لهم الرزق والازدهار ولم نجعلهم أجراء أو مزارعين يتسلمون رتبهم الشهرية لا فرق بينهم وبين موظفي البنوك والمؤسسات الأخرى.. وقد بدأت هذه التجربة التي لم نطلق عليها اسما ولا شعارا وإنما هي محاولة عفوية وتلقائية جاءت امتدادا لعملنا الثوري في حرب التحرير، الأمر الذي أعطى نتائج مذهلة... و أقبل الفلاحون على خدمة الأرض إقبالا منقطع النظير في كل من أولاد بوعشرة ووادي المالح الرميلي وبني ميسرة...الخ... وأقبلنا على ترميم القرى المهدمة التي هجرها أهلها تحت قهر العدو وتقتيله سكانها... وأمرنا ببناء قرى صغيرة لإيواء الفلاحين... كما رممنا مراكز تجمعات المواطنين في المحتشدات وحولناها إلى مدارس مؤقتة ومستوصفات ومنازل إيواء المعلمين... وهي مرافق أولية تشد المواطن إلى أرضه كي لا يهجرها إلى المدينة.

هذه التجربة مغايرة كل التغيير لتجربة القرى الفلاحية التي بنتها الدولة بعد ذلك، وهي اليوم مهجورة في غالبيتها وغم الأموال الخيالية التي صرفت في بنائها... لأن القرى الفلاحية العصرية بنيت في أرض سهلة وبعيدة عن المزارع.. بحيث تنزع الفلاح عن محيطه ومناخه وأرضه ومواشيه لتجعل منه شبه موظف حضري، وقامت وسائل الإعلام بتحريف الحقيقة بحيث صورت الثورة الزراعية والقرى الاشتراكية تصويرا كله تهويل وملأت رؤوس الناس دعاية وزيفا وغلبت الشعارات على الواقع والخطب الرنانة على الانتاج الحقيقي، وضاع الفلاح والأرض وهم عليها الوسطاء. وأعوان الدولة وموظفوها السامون وغيرهم ليفسدوا التنمية إفسادا لا من يزيد عليه.

لقد جند جهاز الحكم جميع الوسائل لخدمة دعايته وليس لخدمة الأرض، وصارت الثورة الزراعية في الصحف والأناشيد والأغاني والمسرحيات فيخيل إلينا أن الجنة أزلفت والجزائريون استقر مقامهم بها... بحيث ظننا أن السكن أصبح من نصيب كل مواطن والعمل والمدرسة والمستشفى والسعادة عمت الجميع... وكانت أمنيتي وأنا في سجني أن يكتب لي البقاء فأشهد المعجزة، وكان لي ما تمنيت بإذن الله، وفور إطلاق سراحي توجهت رأسا إلى منطقة الأوراس لأقضي حجا إلى تلك البقاع التي ولدت فيها روح الثورة أول مرة... ودخلت قرية "أولاد موسى" التي اجتمع فيها أول فريق لمجاهدي نوفمبر بقيادة الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد، ودون مبالغة قد سحقت مشاعري لما رأيت أناسا يسكنون الكهوف والمغاور ويمشون على الأرض هونا.. لم تطلع عليهم أنوار الحرية والاستقلال في أواخر السبعينات من هذا القرن.. أما عن المرافق فالحديث فيها كالحديث على المريخ... سألت نفسي ترى إلى هذا الحد كانت دعاية النظام نافذة وزائفة في نفس الوقت ومضللة وبادية أكاذيبها للعيان.

أحسست بقرف السياسة والسياسيين وراجعت شريط الزيف من أيام التسيير الذاتي للمؤسسات إلى الثورة الزراعية... والقرى الاشتراكية فلم أعثر إلا على حقيقة واحدة هي شقاء الفلاح وإفساد الأرض والاعتداء على قيم المجتمع الزراعي الذي كتب على نفسه أن يحب الأرض ويموت من أجلها ويجعلها عنوان شرفه وكرامته... لقد حولنا النظام إلى آلات مستهلكة وأنفس ذليلة خاوية

تترقب قدوم بواخر الحبوب والبيض والبطاطس والزيت والفلال من أعدائنا التاريخيين... وخلت السوق من المواد الأساسية ذات الاستهلاك اليومي وهجم تجار الأسواق السوداء على قوت المواطن.. قابل هذا العرض المعدوم قدرة شرائية مرتفعة قليلا لدى بعضهم من جراء فساد النظام المصرفي بحيث أن ريع النفط الذي كان يصدر إلى الخارج تعود بعض أرباحه لتنشط السوق السوداء وتذل العملة الوطنية ويرتفع الصرف لعملة متسكعة دون رقابة بنكية مضبوطة..

انتهت الأرض الزراعية الى بور عوام، وتلاحقت المشاريع الفلاحية الخاطئة والمبيته في كثير من الأحيان وتقدمت الصناعة الهامشية على حساب الفلاحة فبنت المعامل والمصانع فوق الأراضي الزراعية الخصبة بعد أن اقتلعت أشجارها المثمرة وغلالها وفواكهها... ولا أدل على ذلك مما لحق منطقة الشلف التي فاقت فيها خسائر الفساد الزراعي خسائر الزلازل المتعاقبة... وما تبقى من الأراضي الزراعية هجم عليها الإسمنت المسلح وشيدت فوقها القصور والملاعب.. فسممت الأرض بنفايات المصانع... وكان بإمكاننا أن نقيمها على أراض بعيدة غير زراعية.. ولا أرى مندوحة للتذكير بخيرات أرضنا وبكرم سهولنا عبر التاريخ فقد سماها الرومان (مطامير روما) وتكرمنا على أوروبا بفواكهنا وحبوبنا قرونا حتى أن فرنسا مازالت إلى اليوم مدانة لنا بسعر القموح التي اشترتها منا ولم تسدد ثمنها. "بل واستغلتها ذريعة بشعة في حادثة المروحة لتغزونا وتحتلنا قرنا وربع القرن".

إن منطقة "متيجة" التي تقع فيها عاصمتنا تعد من أخصب مناطق الدنيا.. وكان المعمرون يحرسون مزارعها بالأسلحة ويحجون إليها من بلدانهم يتمتعون بمناظرها ويتفسحون في حدائقها ويلتقطون الصور التذكارية بين غاباتها وأشجارها الباسقة وعيونها الجارية... هي اليوم مقابر للبناء الفوضوي ومصانع الخشب وأدوات الرفاهية وغرف النوم... هي اليوم تدفع من دمها ولحمها تعريفة الجنون البرجوازي الطفيلي الذي قاده نظام الحكم منذ الاستقلال إلى اليوم ورعاه ليصبح عفريتا صاعقا.

لم يحدث في تاريخ الشعب الجزائري ما حدث منذ عهد الاستقلال إلى اليوم بحيث تحولنا في مدة وجيزة من مصدرين إلى مستوردين، ومن مكتفين ذاتيا إلى

جائعين... لقد تمكنت الاحتكارات الأجنبية من محاصرتنا بسياستنا وسوء تخطيطنا وأغرقتنا عبر عملائنا في الداخل في دوامة اللعبة الدولية التي تحاك خيوطها بعيدا عنا وفي غيابنا المطلق... هل بعد هذه الألاعيب والمؤامرات الشنيعة على الوطن... من صبر وثبات..؟ لا أنكرأن من طبعي التمرد على الظلم والفساد، تمردت في الثورة على محاولات التشويه وابتزاز السلطة، وتمردت ضد بن بلة عند اغتصاب السلطة وضد بومدين الذي فسح المجال لعملاء فرنسا ليدسوا في مؤسسة الجيش والدولة... وتمردت في البرلمان عندما كنت عضوا في لجنة الشؤون الاجتماعية بالمجلس وطالبت بتصفية أوضاع وملفات المجاهدين وأرامل وأبناء الشهداء... كان مركز استقبال المجاهدين في بن عكنون تشنق فيه كرامات المجاهد وذوي الحقوق، كان بعضهم معطوبا أو مريضا أو طاعنا في السن وكانوا يقضون أياما عديدة بل أسابيع يترقبون قضاء حوائجهم البسيطة، كان المجاهد القادم من بعيد يرابط أياما طويلة في العاصمة ليحضى بمقابلة مسؤول أو ليتسلم شهادة بسيطة أو رخصة شاحنة أو محل أو ليحصل على منحته

البسيطة وقد تتكرر زيارته للمركز لأسباب لا تذكر... لم يكن هذا السلوك بريئا أبدا كان وراءه مخطط إذلال المجاهد وتركيعه، وغرر النظام بالكثير من المجاهدين فقدم لهم تسهيلات الحصول على رخص حانات ورخص إدارة مبولات البلديات، وكثر الحديث عن تميّع المجاهد وانحرافه وجاءت ردود أفعال مضادة من الشرفاء قابلها النظام بخطف الرجال فجرا بحيث تقتحم عناصر مخابراته بيوت المناضلين الشرفاء وتقودهم إلى مناطق مجهولة وقد تكررت العملية مع عدد هائل من المجاهدين والنواب رغم ما يتمتعون به من حصانة برلمانية وماض نضالي مجيد...

أ - ظروف تأسيس الجبهة الشعبية للقوات الاشتراكية (F.F.S) .

تورط نظام بن بلة ومخابرات بومدين في خطف رئيس الحكومة المؤقتة سابقا فرحات عباس ورئيس مجلس النواب وقتها دون مراعاة منصبه وكرامته وسنه وألقى القبض بنفس الأسلوب على كل من بوضياف وصالح صوت العرب وبوعلام أو صديق... الخ، ولفقت لكل واحد منهم تهمة صاغها النظام على مزاجه أهمها الإخلال بالنظام والتشريش...

توسعت الهوة بيننا ولم اعد اثق في جهاز الحكم الذي ضيق الخناق على الشرفاء ودفعهم إلى الانسحاب من المؤسسات ليخلوا له الجو ويعبث فيه فسادا ...

حاولت من جهتي الاتصال بالسيد آيت أحمد الذي رابط في قرية، على شمم جبال جرجرة يراقب عن بعد ألاعيب السياسة والسياسيين... وكان في رفقتي إليه السادة : الدكتور هرموش رمضان وعلي عبد النور وأبو بكر بلقائد الذي كان عضو حزب الثورة الاشتراكية (P.R.S) وانفصل عنه بعد ذلك عندما أصبح لا يمثل إلا صاحبه، رفض آيت أحمد أن يستقبلنا في بيته وفضل أن يكون اللقاء في مقهى عمومي أمام أنظار العامة في سبتمبر 1963، بدأ اجتماعنا العملي بتوضيح موقفنا من اختياره لقيادة منظمة عملنا مستقبلا، نظرا لما يتمتع به من ماض محترم قبل الثورة وأثناءها وعدم تكتله في أية جهة بعد استرجاع السيادة، وبادرنا إلى اقتراح أسماء نعتقد أنها ما زالت نظيفة للعمل في إطار منظم، استمع آيت أحمد للأسماء حتى إذا ذكر اسم كريم بلقاسم نهض معترضا وأعلن عدم موافقته على كريم، حاولنا إثناءه عن رأيه مؤكدين له أن كريم قائد له من الخبرة والصداقة مع جهات عديدة ما يخدم حركتنا وله مواقف محترمة ولا يمكن تغافله وإذا كان مقيما مؤقتا في فرنسا فسوف نقنعه بعدم الانتماء لأية معارضة أوحزب وقد تكلفت فيدرالية فرنسا بإقناعه بالانضمام إلينا... وافق آيت أحمد على الاقتراح واشترط أن ينظم إلى حركتنا كل أعضاء منظمة بوضياف (P.R.S) **وبهذا الاتفاق خرجت منظمة جبهة القوات الاشتراكية (F.F.S) للوجود**، ثم اجتمعنا ثانية بعد أسبوع واحد وقد تخلف عن ذلك الاجتماع بوعلام بن حمودة الذي كان وقتها الناطق الرسمي باسم الولاية الرابعة، وفضل أن يعلم رئيسه بن بلة باسم المنظمة وأعضائها وبجميع الأسرار التي يعرفها عنها قبل ظهورها إلى الوجود... لم يؤثر موقفه هذا على توازن بنية المنظمة التي كانت تضم بين صفوفها رجالا من خيرة المناضلين والمجاهدين والسياسيين المحنكين.. ولم تكن منظمة سرية أبدا.

تمت الموافقة في فلك الاجتماع على القائمة النهائية للأعضاء المؤسسين لجبهة القوات الاشتراكية (F.F.S) وكان عددهم ستة عشر عضوا، وبمجرد ظهور منظمتنا انتهى عمليا دور منظمة بوضياف.

حددت منظمتنا أي (F.F.S) أهدافها كالتالي:

أ - تحذير المواطن من الاستغلال السياسي.

ب - وضع حد لفوضى الحكم والارتجال الذي يمارسه رئيس الجمهورية.

جـ - تنقية الجيش الوطني الشعبي من المدسوسين وعملاء فرنسا.

د - وقف أعمال (زوار الفجر) وهم عناصر المخابرات الذين كانوا يداهمون بيوت المناضلين ويعتقلونهم فجرا.

هـ - إرساء قواعد ديمقراطية صريحة.

و- إطلاق سراح جميع المعتقلين.

لم ينظم إلينا السيد (محمد ولحاج) الذي كان قائد الولاية الثالثة واشترط أن يكون دخوله مقرونا بدخول كريم بلقاسم الذي يجب أن يكون دوره حسب رأيه في مستوى دور آ يت أحمد... وافقنا على رأيه وأخبرناه أننا نرقب موافقة كريم على الانتماء، ترد علينا من فرنسا، فوعدنا بأنه سيكون إلى جانبنا إذا دعت الضرورة لكن بعض من ضباطه التحقوا بنا دون علمه...

عقدنا أول اجتاع موسع حضره جميع الأعضاء، وبدأت بوادر الأمل تلوح في فضاء المستقبل، جاء بعض الضباط إلى ذلك الاجتماع بأسلحة وذخيرة قدموها لرئيس المنظمة (آيت حمد) دون أن يطلب منهم ذلك قائلين له: "تساعدنا على الدفاع على أنفسنا أمام المداهمات، أو في حالة تعرض منظمتنا لمكروه... ".

تم الاتفاق عل تسليم كميات الأسلحة إلى النقيب موسى (الضابط في الجيش الوطني الشعبي) للتمويه، وكان النقيب موسى في ثكنة البليدة وعلى اتصال سري ودائم بآيت أحمد.

جاء النقيب إلى المكان المحدد لتسلم الأسلحة وكان بملابسه العسكرية.. أثار ذلك هلع المجموعة التي نقلت إليه السلاح لعدم معرفتها المسبقة به واعتقدت أنها تورطت في كمين نصبه لها الأمن العسكري وأن مصيرهم جميعا السجن الأبدي أو الإعدام الفوري... سلموا الأسلحة واتصلوا فورا بقائدهم (محمد ولحاج) الذي كان على غير علم برضعهم داخل المنظمة.. خشي أن يسأل عن

دور لم يشارك فيه، وكان بلعيد أكثرالجميع حرصا على انضمام محمد ولحاج إلى المنظمة فدفعه إليها.. أما بلعيد فكانت خشيته على نفسه أكثر لأنه كان يشغل منصب رئيس دائرة (الأربعاء ناث يراثن) وشارك شخصيا في تسليم الأسلحة إلى النقيب موسى ضمن مجموعة الضباط.

انضم محمد ولحاج إلى منظمتنا دون رغبة منه فكان مكرها لا بطلا.. باشرنا نشاطنا كمجموعة صغيرة بأحلام وطموح كبيرين نواجه نظاما له جيش ودرك وشرطة وسجون ومعتقلات وامكانيات معتبرة وحب للسلطة لا مثيل له... لم نكن نخشى هؤلاء، وقد تحملنا مسؤولياتنا التاريخية بمعارضتهم والتصدي لهم... ولكن خوفنا كان من هزيمة نمنى بها فيستغلنا الخصم ويشدد قبضته الحديدية على الجماهير ويطلق عنان قمعه وديكتاتوريته الأمر الذي سيؤخر الديمقراطية سنينا طويلة.

3 - اتهامات باطلة:

عمد النظام فورا إلى تقزيم دورنا وتشويهه، فأطلق علينا هو وأتباعه دعاية تضليلية مفبركة مفادها أننا جماعات بربرية ترغب في فصل منطقة القبائل عن باقي الوطن مدركا مدى تأثير هذه الدعاية في الحس العام ونكران شعبنا للأفكار الفئوية والتطرفية.. وراحت أبواقه تبث مزاعمه الواهية بأننا منظمة إرهابية وعنصرية تعمل على إثارة النعرات القبلية الضيقة إلى أن صدق بعض ضعاف النفوس وكان النظام يسعى بهذه الخطة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

أ) اشاعة الفتنة والفوضى بين أفراد الشعب ليتم له الهيمنة عليها.

ب) تحويل الرأي العام عن جوهر القضية وتضليله بسيل المزاعم والتهم... وفي المقابل التهليل للزعيم وعبادة الشخصية.

جـ) تحذير الحركات التحررية العالمية من الشعب الجزائري في الصراع على استقلال واستغلال هذه الدعاية لضرب حركتنا والتشنيع بها على مرأى ومسمع من الصحافة العالمية التي حطت رحالها في الجزائر بأعداد هائلة... بحيث تمكن النظام من تقديمنا إلى الرأي العام العربي والدولي على أننا عناصر مشاغبة

ومضادة للثورة في عنصريتنا وانفصاليتنا.. حتى أن صحيفة عربية أسبوعية كتبت تتهمنا بالعمالة للعدو الإسرائيلي وقد دعمت رأيها بصور مزيفة علما أن هذه التهمة الخطيرة كانت من أبشع التهم يومها.. وليست من الفضائل كما هو الشأن في أيامنا هذه... ولم ينته الزعم عند قذفها بالعمالة للصهيونية بل قيل أننا ندعم المخططات الأمبريالية في المنطقة، أكتفي ببعض ماذكرته هذه الصحيفة لتنوب عن الإعلام العربي، أما الإعلام الأجني وفي مقدمته الفرنسي فقد خرج عن تقاليد المهنة ليصور الوضع في الجزائر تصويرا مهولا زاعما أن الوضعية السياسية والعسكرية في الجزائر خطيرة للغاية.. مما دفع ببعض الوزراء الفرنسيين إلى القول: ان القضية تمس سياسة دولة لنا معها معاهدات ومصالح والمطلوب منا دعم السلطة الحاكمة ومدها بكل الامكانيات سعيا إلى خلق مناخ مناسب من شأنه أن يساعد على بقاء مكاسبنا... لأن في تغيير الوضع مساس بمصالحنا.. " .

لم تثننا هذه التصرفات وهذه الدعايات المغرضة التي تعودناها من العدو الذي بث فيناسمومه بدءا بحركات التبشير والآباء البيض إلى التفرقة العنصرية.. إلى جيش "الحركة" و "القومية" إلى الثورة المضادة من خلال عناصره وعملائه في الجيش الوطني الشعبي، استمرينا في نضالنا على جبهتين اثنتين مواجهة الدعايات المغرضة وتسفيهها، ومواجهة النظام بوسائله وأدواته التي وظفها ضدنا... وبفضل صمودنا انتصرنا وأسقطنا الدعاية المغرضة، وخرجنا إلى الجماهير نعلن لها عن أهدافنا ونوايانا الحقيقية ونؤكد لها أن حركتنا أصيلة ووطنية وليست عميلة ولا انفصالية ولا شوفينية فاحتضنتها الجماهير وأصبحنا نتجول في الأماكن العمومية بزينا العسكري وشعارنا المميز (F..F.S) الجيش الوطني الشعبي الذي حمانا في كثير من الأحيان ولم يمنع تجمعاتنا.. بل كان يسهل مرورنا من منطقة لأخرى ويحاورنا في مضمون حركتنا الأمر الذي خشيه (بن بلة وبومدين) وكادا له مكيدة الفتنة بحيث أصدر بن بلة وبومدين أوامرهما السرية إلى بعض جنودهما بافتعال معارك هامشية لجر منظمتنا إلى حرب أهلية تكون بمثابة ذريعة للعدو وأن علينا وقد كانت جميع المعلومات والمؤامرات التي تحاك في الرئاسة والقيادة العامة للجيش تصلنابأمانة.. وعلى ضوئها أصدرنا أوامرنا إلى مقاتلينا ومواطنينا بعدم الانخداع بالمؤامرة وعدم

الدخول في مصادمة مع أفراد الجيش الوطني الشعبي ودعوناهم إلى إحسان استقبالهم ومؤاخاتهم ، ففتحوا بيوتهم لأفراد الجيش وتجنبوا كل مصادمة معه مما أثار حفيظة بومدين الذي نادرا ما كان يخطىء في توجيه مؤامراته.. وبن بلة الذي تعود يأمر فيطاع...

لم تقطع قيادة حركتنا شعرة معاوية مع قادة النظام وبقينا على اتصال دائم بحثا عن مخرج بشرف ثورتنا ويحقق وحدة تراب بلادنا بعد مفاوضات عديدة تم أول اتصال مباشر مع مبعوثي بومدين بلدة (جمعا سريج) شرق مدينة تيزي وزو وقاد وفد النظام (سعيد عبيد) وقد جاء المنطقة على رأس قوات كبيرة معززة بأسلحة ثقيلة.. بعد اطلاعه على خفايا القضايا التي من أجلها انتفضنا.. وأكدنا له أننا نرفض اقتتال الأشقاء، على غرار ما حدث بين الولايات ولو رغب في ذلك المسؤولون في العاصمة، واشترطنا أن تحل الديمقراطية ويلغى أسلوب الحكم الفردي وتوقف حملات المدسوسين من الجيش الفرنسي وأن توضع القيادة الحقيقية للجيش الوطني الشعبي بين أياد أمينة مجاهدة ولا نعارض في أن يحتفظ بومدين بوزارة الدفاع على أن تكون القيادة العامة للجيش من نصيب قادة الولايات الأكثر نزاهة وثورية ووطنية واقترحنا بعض الأسماء البارزة (كالطاهر الزبيري وشعباني).

اقتنع سعيد عبيد بوجهة نظرنا وبدت على وجهه بوادر الطمأنينة والرضى وعاد إلى العاصمة محملا باقتراحاتنا.. ولا أظنه أوصلها إلى بن بلة ولكنه اكتفى بعرضها على مسؤوله المباشر العقيد هواري بومدين الذي أدرك أبعاد هدفنا... فكلفه ثانيا بالتفاوض معنا باسمه وقد جاءنا مرة ثانية صحبة الرائد (زرقيني) إلى مدينة تيزي وزو، وقبل أن يصلا المكان ناور زرقيني من وراء ظهر سعيد عبيد، فأرسل شاحنتي جنود مدنيتين في مهمة زعم أنها سرية في مدينة (عزازقة) بمنطقة تيزي وزو.. وأصدر أوامره في نفس الوقت لمجموعة ثانية من الجنود كلفها بمهمة التصدي للمجموعة الأولى مدعيا أنها من أتباع جبهة القوات الاشتراكية تنوي القيام بأعمال تخريبية في مدينة عزازقة... وهكذا بوغتت المجموعة الثانية بالشاحنتين تمران فسارعت إلى إطلاق النار عليها واشتبك الجمعان، فسقط من الجانبين ثلاثة قتلى وجرح عدد هائل من الجنود.. وقبل انكشاف سر الكمين أمر قائد المجموعة جنوده بالانسحاب قبل اكتشاف أمرهم..

ما إن بلغ الخبر سعيد عبيد حتى اشتد غيظه وتوهم أن منظمتنا تفتعل الأدوار الخطيرة لتورطه وقواته شك في أن لا يصدقه بومدين عن مهمته الفاشلة الأمر الذي حمله على إرسال زرقيني رقيبا على أعماله.. بحيث أصيب بصدمة كبيرة ولم يعد يصدق أحدا فجاء للقائنا مرة أخرى ليقف على حقيقة ذلك الحادث لكنه لم يتوصل إلى ادراكها وبقي في شكه لعدم توفر الشروط المادية إلى أن استفاق ضمير أحد الجنود الذين شاركوا في الحادث بأمر زرقيني وكشف جميع أوراق المؤامرة بدقة.

استغل بن بلة وبومدين ذلك الحادث شر استغلال ووصفاه بالكارثة الوطنية وذهب بن بلة في أحد تصريحاته إلى القول:

"إن الوضع في البلاد على وشك الانهيار وأن الانقسام حاصل لا محالة وأن الثورة في خطر..." ودعا أعضاء قيادة جيشه أن يشاركوا في الحلة العسكرية ضد المنظمة بما فيها ومن فيها وحول مكتبه الرئاسي الى غرفة عمليات حتى وصل به الاستهتارحد القول: "يجب مشاركة جميع قوات الجيش في القضاء على المنظمة F.F.S... " ودعا شعباني أن يتوجه بقواته فورا إلى منقطة القبائل ويداهم المتمردين ويصفيهم جماعيا.. لكن شعباني رفض أن يورط جيشه في دوامة الموت دون علم بخفايا كواليس السلطة... أغاض تمرده الرئيس بن بلة أما بومدين فالتزم الصمت كعادته وأسرها في نفسه.. وأمهله مدة للتفكير.. وبالغ في إكرامه طمعا في استمالته وكان آخرها أن دعاه الى مأدبة عشاء تواصل فيها الحديث بين الرجلين حتى ساعة متأخرة من الليل... رتب فيها بومدين "سيناريو" دقيقا ليوقع بين منظمتنا وشعباني، بحيث بعد أن ودع بومدين ضيفه ذهب ليتابع من بعيد فصول خطته التي نسج خيوطها مع بعض رجال مخابراته.. وكانت الخطة هي نصب كمين للعقيد شعباني وهو في طريقه إلى مقر قيادته، بمفترق الطرق بنواحي "بالسترو" (جنوب العاصمة) وبينما كان شعباني يقود سيارته حتى فوجيء بإشارة حاجز تسد عليه طريقه.. اختل توازن سيارته إلى أن توقفت على حافة الطريق.. أطلق جنود الكمين النار باتجاهه لإرهابه... وأشعلوا في وجهه إشارات الضوء الكاشفة كي لا يراهم وأمطروه شتما وسبابا وأمروه بتقديم أوراق ثبوت شخصيته ورخصة المرور.. وأعلموه أنهم عناصر من قوات جبهة القوات الاشتراكية "F.F.S" يراقبون المنطقة وبعد أن فتشوه شخصيا وفتشوا

سيارته أخلوا سبيله.. لكن شعباني، ذلك القائد المحنك لم تثره استفزازاتهم وتمالك نفسه طيلة المحنة... وأدرك بذكائه وحسه الثوري أن العملية من تدبير بومدين الذي استدرجه إلى مأدبة امتدت حتى الفجر وأنه الوحيد الذي كان على علم بالطريق التي سيسلكها إلى بسكرة...

تجاهلْ شعباني الحادث ولم يعط بومدين فرصة أخرى لإدانة المنظمة "F.F.S" كما أدرك بومدين بدهائه المعروف فشل خطته التي لم تنطل حيلها على شعباني... فغير أدوات تكتيكه معه بحيث عمد إلى أسلوب الاتهام المباشر زاعما أن كلا من خيضر وشعباني يرفضان مقاومة تمرد المنظمة وعصيانها، كما استغل المصاهرة بين آيت أحمد وخيضر ليؤلب بن بلة ضدهما ويعلن الهجوم على الجميع دون تمييز. التزمت منظمتنا في تلك المرحلة الهدوء والحكمة وعمدنا إلى توعية الجماهير بضرورة البناء الوطني والتحلي بالأسلوب الديمقراطي وعدم الاعتداء على أي من مؤسسات الدولة أو الجيش والشرطة والدرك... حتى لا يقال أننا قطاع طرق، لقد فوتنا عليهم فرصة المصادمة وإغراق البلاد في دوامة الحرب الأهلية.. ولم نقتل جنديا واحدا في حدود معلوماتي في الوقت الذي قتلت فيه قواتهم بأمر بومدين خمسين ومائتي ضحية (250)، لم يكن يمر يوماً دون أن نعلم فيه بخطف جنودهم بعض المواطنين حتى غصت بهم السجون وامتلأت المعتقلات وكان من بين هؤلاء النقيب حسناوي محمد المعروف (بعطاش) والنقيب موسى الذي اغتيل في ظروف بشعة وهو يتناول طعامه بعد أن غررت به مخابرات بومدين وأوهمته بأنه سيتوجه إلى جبهة القتال ضد قوات المغرب الأقصى التي غزت مناطق تندوف...

تميزت أعمال السلطة في تلك المرحلة العصيبة بالاغتيالات والتعذيب والخطف والسجن... وكانت حجتها حماية البلاد... وتأمين الديمقراطية..

4 - جبهة القوات الاشتراكية F.F.S ومبدأ التطهير،

لم تكن دعوة المخلصين من المجاهدين والمناضلين الى تطهير صفوف الجيش والسلطة وليدة ما بعد استيلاء بن بلة وبومدين على السلطة في البلاد...، وإنما تعود إلى ما قبل حرب الولايات عندما تحسست الأمبريالية الفرنسية مصير مستقبل الجزائر وأدركت أن الاستقلال حقيقة آتية رغم جميع أساليب القتل

والغدر والخيانة.. فلجأت الى تلغيم هذا المستقبل بدس عناصرها من الضباط والموالين لها في صفوف الجيش الوطني الشعبي والإدارة الجزائرية وهيأت لهم ظروف الاستيلاء على المناصب القيادية بطريق المناورة والتنسيق المحكم مع الذين لهم أطماع الحكم والتسلط داخل الجيش.... هذه المؤامرة التي تعد فاتحة عهد الثورة المضادة أو مرحلة الردة تنبه لها المجاهدون الأوفياء، وتصدوا لها بجميع ما يملكون... لكن حجم المؤامرة كان أكبر من وسائل الدفاع... فارتفعت أصواتنا عالية تنادي بالتطهير.. وتمردنا عمليا لحماية الشرعية الثورية وتطبيق مبدأ الديمقراطية.. لكن كل ذلك اصطدم بتعنت الذين اغتصبوا السلطة، وبخوفنا على الوطن... وما قد ينجر عليه من حروب أهلية مدمرة... الأمر الذي تفاديناه كل مرة نكون في أمس الحاجة لاستقبال القوة...

ومن بين تلك الأحداث التي أبت أن تفارق الذاكرة إلى اليوم، ذاك الجمع الضخم بقاعة سينما -افريقيا- بالعاصمة يوم 4 أفريل 1964 الذي ضم ما يزيد على خمس مائة وألف "1500" مناضل في مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني وقد وقف الجميع مناديا بصوت واحد يتردد كالرعد "التطهير، التطهير، في جيش التحرير.." واستمرَّ المشهد طيلة ربع الساعة، وكان في المنصة رئيس الجمهورية السيد أحمد بن بلة والى جانبه العقيد هواري بومدين... نظر بومدين في الحاضرين نظرة استخفاف وتحد وقال بصوت عال: "ترى من هو الطاهر ابن الطاهر الذي يريد أن يطهر الجيش...؟"

هذا الموقف من بومدين هو بمثابة صك تأمين على عملاء فرنسا داخل الجيش.. وتلويح معمم اراد به دمج العميل والمخلص تحت راية واحدة ظاهرها توحيد الصف وتأمين وحدة الجيش، وباطنها بناء أول قاعدة للانحراف وأول جسر للعمالة الجديدة للاستعمار في الجزائر المستقلة.

أقام بومدين جهاز مخابراته على أبشع أساليب التعذيب والاغتيال، ولا أبالغ اذا قلت أن وسائل التعذيب التي وظفها تضاهي بعض وسائل وأساليب الارهابيين الكبار من أمثال بيجار وماسو وجودار وغيرهم... فكم من مجاهد ومناضل مخلص قطعت رجله أو يده أو اقتلعت أسنانه أو ألقي به في قاع زنزانة مظلمة شهورا وأعواما... بعد أن لاقوا جميع ألوان التعذيب الجسدي... والنفسي.. وكان لا يتحرج في تكييف التهم واختلاقها ضد كل مخلص نظيف..

بحيث اتهمت منظمتنا "جبهة القوات الاشتراكية بالشوفينية والبربرية وقطاع الطرق والعنصريين..." ووجد في كل من يعارض غطرسته مسوغا لاتهامه وإلقاء القبض عليه وتصفيته أو سجنه... ولما أدركنا حجم المخطط التآمري على البلاد تحاشينا المصادمات العسكرية... وتفادينا سقوط أرواح بريئة دون مبرر.

5 - جبهة القوات الاشتراكية، وعدوان ملك الرباط على الجزائر:

زحفت قوات مغربية كبيرة على حدودنا الغربية يوم 09 أكتوبر 1963 واحتلت جزءا منها دون علمنا... لم يضع ملك المغرب في حسبانه أن الشعب الجزائري الذي خرج لتوه من حرب سبع سنوات ونصف، واستعمار دام 132 سنة ... مشردا ممزقا جائعا منهوكا.. تجلده الخلافات الداخلية.. قبل أن يستتب فيه الأمن.. شعب شقيق لشعبه في اللغة والدين والهوية والتاريخ والمصير... بل وجد في مآسيه ضالة لإرضاء نزواته ونرجسيته في التوسع وقتل الجماهير الجريحة والاعتداء على أراضيها التي كالتها بأرواح أبنائها من الشهداء، وما إن وافتنا الأخبار بالاعتداء السافر على قطرنا حتى قررنا وقف جميع نشاطاتنا السياسية والعسكرية ووجهنا جميع قواتنا وجهودنا إلى جبهة القتال.

لم نفاجأ بقرار العدوات الملكي على بلادنا لأننا نعرف أطماع الملك جيدا.. ونعرف حقده على ثورتنا وتنسيقه الدائم مع العدو ضد هذه الثورة التي غيرت معادلة المنطقة ووصلت أصداؤها إلى جميع أصقاع الأرض.. إن المجاهدين الذين تعودوا اجتياز الحدود الجزائرية المغربية إبان حرب التحرير... يحملون الأسرار الكثيرة عن ممارسات الملك ضدهم.. فكانت السجون تغصّ بهم والمعتقلات والاغتيالات... ولا يختلف في ممارساته هذه عن عضده في الدعامة السياسية الاستعمارية الرئيس الحبيب بورقيبة الذي تنكر للأمة العربية وعاداها ووجه شعبه وسياسته توجيها غربيا بحتا.. وأن حادثة الطائرة التي اختطفتها القوات الفرنسية في عملية قرصنة جوية تعتبر الأولى من نوعها عالميا سنة 1956 يدينها القانون الدولي وكل الأعراف والأخلاق الإنسانية وكانت قادمة من المغرب متوجهة إلى تونس لا يمكن أن تكون إلا بتآمر الرجلين في الدولتين.

إن معاداة ثورة التحرير من قبل الملك لم تكن خافية أبدا، وقد كان عملاء حزب الاستقلال على بينة من تورط نظامهم في العدوان الدائم على الثورة وفي مقدمة هؤلاء، علال الفاسي...

في الساعات الأولى من فجر يوم 19 أكتوبر 1963 تم الاتصال بيننا وبين السلطات في العاصمة بواسطة العقيد حسان وجاءنا فريق مكون من الإخوة (بوسماحة وصايشي محمد)وتم اللقاء في مزرعة كائنة بمدينة الشبلي، بعد هذا الاجتماع اتصلت رأسا بمسؤول منظمتنا (آيت أحمد) ووافيته بتفاصيل الاجتماع... وقد فوجئت بما فاتحني به من أنه اتصل بالمسؤولين في العاصمة عن طريق الأستاذ (المحامي بن حسين)..

وخلال يوم 19 أكتوبر 1963 كنا في سباق مع الزمن لمواكبة الأحداث المتلاحقة... عدنا إلى الاتصال بأعضاء الفدرالية الفرنسية التي كان على رأسها قدور عدلاني وعمر بوداود واتفقنا جميعا على أن نلتقي بالرئيس بن بلة ونتفق معه على برنامج عمل ينهي الخلاف بيننا وبينهم بكل وضوح عمل المرحلة المستقبلية. اقترح علينا آيت أحمد أن يتم لقاؤنا بن بلة مباشرة دون أي وسيط حتى نضعه أمام مسؤولياته في كل ما يقول ويقرر... وبسرعة مذهلة تم اللقاء بعد أن رتبنا له ظروفا أمنية مشددة خشية أن يتكرر حادث شعباني ووزعنا جنودنا على بعض ضواحي العاصمة وأماكنها الاستراتيجية وخاصّة قرب "فيلا الجميلة" أين يعقد الاجتماع.

امتطينا سيارة سوداء اللون من نوع بيجو 403 وقبل النزول منها أعدنا قراءة نص الاتفاق وعدلنا فيه بعض الجمل كي لا يجد فيه بن بلة مسوغا لرفضه أو فتح مجال جدل حوله.

توقفنا بأحد الشوارع بضاحية الأبيار بالقرب من منزل آيت أحمد ريثما يأتينا السيد مصطفى فتال مدير الأمن ليصحبنا إلى مقر عقد الاجتماع، وبينما كنت منكبا على اعادة قراءة نص الاتفاق جلب انتباهي وجود رجل في البيت غير واضح الملامح لم يأت حتى لمصافحتنا لكن سلوكه التلقائي في البيت جعلني أظن أنه هو صاحب البيت وليس آيت أحمد كما علمت... لكن بعد لأي تبينت أنه السيد محمد خيضر وتفاجأت بوجوده في البيت دون علمي المسبق بذلك حرت بين ما إذا كان وجوده صدفة في البيت أو بسبب تخفيه من زبانية النظام..؟ ولم أكن أعلم وقتها أنه يؤيد منظمتنا أم لا؟ وما هي مواقفه من حركة بوضياف...الخ؟ لكن وجوده في تلك اللحظات بذلك المكان سبب لي قلقا

وإحراجا وصل حد التقزز ولما تأكد أننا أنهينا نقاشنا الدائر بخصوص الاتفاق تقدم منا مصافحا... عندها فاجأني آيت أحمد قائلا هو السيد محمد خيضر صهري... ثم جلس إلينا دون أن يتحدث في أمر ذي بال بل اقتصر كلامنا على حدود المجاملة وأحوال الطقس، بعد دقائق وصل المدير العام للأمن بسيارة رسمية يقودها شخصيا دون أية حراسة علنية وتوجهنا فورا إلى "فيلا جميلة" وفي طريقنا إليها كانت نسمات الخريف تداعب أوراق الأشجار، وتلقيها على فوانيس النور الشاحب المعلقة على أعمدة الكهرباء... كان الصمت يخيم علينا ومئات الأسئلة تعربد بداخل كل منا إلى أن دخلت بنا السيارة مقر فيلا جميلة - أدى لنا الحراس التحية ورفعوا حاجز المدخل... وكان أحدهم يعلن وصولنا هاتفيا من داخل غرفة حراسته، ركبنا المصعد نحن الثلاثة إلى الطابق العلوي من البناية وما أن توقف بنا الجهاز حتى لقينا الرئيس أحمد بن بلة بقامته الفارعة يرتدي رداء صوفيا فوق لباسه العادي اشتكى مسبقا وهو يمد يده المرتعشة لمصافحتنا من نزلة البرد التي أصابته... لم أكن متأكدا من سبب ارتعاشه في تلك اللحظات، هل فوجيء بلقاء آيت أحمد، أم لأن الأحداث الداخلية والخارجية نزلت عليه كالصاعقة فأفقدته توازنه...؟ فتح باب غرفته وهو يشير علينا بالدخول وجاء مصطفى فتال بكرسيين جلسنا على المقعدين وجلس بن بلة على حافة سريره وأسند رأسه إلى الحائط كانت غرفته كئيبة يتوسطها سرير حديدي من أسرة الجيش وعليه ألقي غطاء بني اللون وإلى جانب الفراش وضعت منضدة خشبية سوداء اللون. عليها مذياع صغير وأكوام من الصحف الوطنية والأجنبية وأوراق كثيرة بعضها بخط يده وبعضها الآخر مكتوب بالآلة الراقنة إلى جانب العديد من الملفات المختلفة.

كان اللقاء عبارة عن لقاء مفارقات عديدة فالرئيس كان يعاني مسؤوليات الرئاسة وأتعابها ويفكر في الخروج من ورطة الخلافات الداخلية والتحالفات داخل السلطة وخارجها ، أضف إليها طوارئ العدوان الخارجي على البلاد وما يحاك من مؤمرات على الثورة التي لم تضمد جراحها بعد .

أما آيت أحمد فهو منشغل بهموم منظمة الـ "F.F. S" التي ما إن بدأ عودها يشتد حتى طعنت البلاد كلها من الخلف في هجوم ملكي سافر... ولخضر بورقعة ثائر رفض اغتصاب السلطة. وعارض عملاء فرنسا داخل أهم مؤسسة

وطنية آنذاك هي مؤسسة الجيش ومجروح القلب من جراء الغدر الملكي بالثورة... وبعد لحظة صمت ثقيل قال بن بلة " لم يخطر ببالي يوما أن يرفع آيت أحمد حسين سلاحه ضدي..." ولم يقل ضد النظام أو ضد تصرفات القائد العام للجيش... ودون أن يتم كلامه بل بقي يحدق في آيت أحمد الذي رد عليه فورا بقوله "أما أنا فلم يخطر ببالي أبدا أن يأتي يوم يزج فيه أحمد بمحمد في سجن الجزائر المستقلة..." وكان يقصد بمحمد السيد بوضياف، لم يجبه بن بلة عن كلامه وخيم الصمت من جديد على المكان... لم تتوقف أصابع بن بلة على العبث بأطراف الفراش ورأسه لم يفتأ بغالبه على إيجاد وضع مريح على الحائط ، أما حبات العرق البارد فتتصبب على جبينه... قاطع الصمت من جديد محدثا آيت أحمد: "كيف حال جميلة ودروس بوغرطة، وكان يقصد زوجه وولده، واستمر يسأله عن كافة أفراد أسرته فردا فردا... عدل آيت أحمد من جلسته دون أن يجيبه عن أحوال عائلته وسأله قائلا: "ما هي يا ترى الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انفجار الوضع بيننا وبين ملك المغرب، ومن تراه يكون المتسبب الرئيسي في ذلك..؟" وكان أشد ما يخشاه آيت أحمد أن يجيبه الرئيس بتأويلات مبالغ فيها. الهدف منها تضليل الرأي العام بما يحدث من تناقضات داخل السلطة الأمر ألذي شجع الأعداء على أن ينقضوا على الثورة في حالة ضعفها وانقسامها... لذا ألح على انتزاع تحاليل دقيقة من الرئيس شخصيا ليضعه أمام مسؤولياته.

أدرك بن بلة مقاصد آيت أحمد وبدت عليه علامات الغضب وقال : "كان الأولى بك أن تسألني قبل كل شيء، عما يحصل في ساحة القتال من تطورات وأين وصل الجنود المغاربة في هجومهم على أرضنا... منتهزين هذه الفرصة لمحاربتنا، كما انتهزتم أنتم في داخل البلاد نفس الفرص لمحاربتنا.. إذ لا فرق بينكما في هذا الموقف.. وأعلمك أن الجنود المغاربة قد احتلوا "حاسي بيضاء" وهم في طريقهم إلى منطقة (كلوم بشار) لمحاصرتنا ومنع كل الامدادات التي تصل بريا إلى جيشنا ورغم كل ما نحن فيه من تآمر وضائقة لم يقدم لنا أحد يد المساعدة إلا جمال عبد الناصر وفيدال كسترو... وكان الأولى بك أن تفكر معي كيف تجيب على تساؤلات الأصدقاء الذين يستفسرون عن موقفك مني ومن واقع العدوان....».

جاءت كلماته سريعة مزمجرة حينا وحينا هادئة وبرقت عيناه وتهدج صوته..

ودون ترقب فتح خارطة كانت إلى جانبه وراح يشير بأصابعه إلى المناطق التي تم العدوان عليها وإلى بعض المدن الحدودية التي يعد الملك العدة لابتلاعها. ورفع رأسه وأضاف دون أن يتوقف عن الحديث "إن جيشنا سيحاصر إذا استمرت الوضعية العسكرية على ماهي عليه وسيمنعون عنه الامدادات والمؤونة والماء..." لم يتمالك آيت أحمد نفسه وقاطعه قائلا بعد أن تخير كلماته بعناية: "إذا كان الوضع كما ذكرت فها نحن جئناك لنضع أنفسنا وإمكانياتنا في خدمة الدفاع عن حرمة ترابنا الوطني... وأود قبل أن أغادر هذا المكان لأداء الواجب الوطني، أطلب منك أن تتعهد بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين وأن تعيد تشكيلة القيادة العامة للجيش الوطني الشعبي كما أشرنا عليك بذلك، وأن يشارك فيها أعضاء الولايات الست واحد عن كل ولاية وأن تعين على رأس القيادة رجلا تتوسم فيه الكفاءة والإخلاص وأن يكون من ضباط جيش التحريرالأوفياء وأن تبعد بومدين وضباطه المعروفين... عن الجيش وأن توزع الأراضي على المجاهدين وتأخذ زمام المبادرة تحضيرا للمؤتمر المقبل على أن تعلن للجماهير محتوى هذا الاتفاق فورا، قاطعه بن بلة قائلا: "إن بوتفليقة الموجود حاليا في كوناكري سوف أعزله فور عودته كما تم عزل مدغري من قبله، وإذا احتج بومدين أو أحد حاشيته فسيلقى نفس المصير أما إذا رغب أن يبقى وزيرا للدفاع دون تدخل في صلاحياتي فله ذلك...".

اتفقنا في ذلك الاجتماع مع رئيس الجمهورية على تطبيق جميع بنود الاتفاق بما في ذلك إعلانه للجماهير عبر وسائل الإعلام فحوى المحادثات وما تبعها من اتفاق، ثم غادرنا غرفته الشخصية إلى قاعة الاجتماعات حيث شاهدنا بعض الوزراء، تقدم محمد حربي من الرئيس وتحدث إليه همسا... أما الوزراء الذين كانوا حاضرين ليلتها فهم علي محساس وعمر أوزقان وزهوان حسين ومعاشو عبد القادر مدير الديوان لدى الرئاسة.

حيّا بن بلة الحاضرين بيده يتبعه آيت آحمد وأنا شخصيا وكنا نرتدي بذلتين عسكريتين جلسنا خلف منضدة عريضة وجلس رئيس الجهورية وراء الأجهزة السمعية البصرية والمكروفونات.. ثم اشتعلت الأضواء الكاشفة وبدأ تسجيل تصريح رئيس الجمهورية ومما جاء في كلمته: "أعلن ابتداء من اليوم وبصفتي

رئيسا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية قرار الاتفاق الذي ينص على مايلي:..." وجاء في كلمته على جميع بنود الاتفاق دون أدنى تغيير أو إخلال... والتقط الصحفيون والمصورون ورجال الأعمال كل ما جاء في ذلك الخطاب التاريخي رغم قصره وأعطيت الأوامر لبثه على أمواج الاذاعة وفي صحف اليوم الموالي، وتفرق الجميع بعد أن شارفت الساعة على الثانية عشر ليلا.

عاد آيت أحمد إلى منزله بالأبيار، وتوجهت بدوري إلى أماكن تمركز قواتنا المسلحة بكل من الشلف.. والمدية... وتابلاط... والساحل لأعطيها الأوامر بالتحرك إلى جبهة القتال، رافقني إلى ضواحي البليدة (مصطفى فتال الذي أعطى أوامر مشددة لرجال الأمن بتسهيل عملية تجميع الجنود وإحضار الحافلات التي ستنقل قواتنا إلى الجبهة.

تمكنا بفضل مساعدات الحزب والسلطات المدنية من تجميع قوانا في ثكنة البليدة في مدة وجيزة جدا، وتحركنا فورا إلى جبهة القتال، وقام القائد محمد أولحاج بدوره. بنفس المهمة حيث توجه بقواته من ولاية تيزي وزو الى جبهات القتال بغرب البلاد وبهذا يكون دور منظمة جبهة القوى الاشتراكية انتهى عمليا، ومازالت أذكر تلك اللحظات التي عدت فيها إلى قواتنا أخبرهم بما اتفقنا عليه مع الرئيس وأستحثهم لأن يلتحقوا بجبهة القتال ليتصدوا للملك الجائر... فأجهش بعضهم بالبكاء فرحا وحمدوا الله أن كابوس قتال الأخ أخاه قد انتهى وأن المياه عادت إلى مجاريها **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** صدق الله العظيم.

لم يسعفني الوقت حق أشرح للجنود جميع بنود الاتفاق وأقنعهم بضرورة حل منظمتنا والمشاركة في بناء الوطن إلى جانب كل الإخوة... ولا أن أتصل بآيت أحمد وأوافيه بجميع الترتيبات التي تمت بخصوص تعبئة قواتنا ودفعها إلى جبهات القتال.

انصب جميع اهتمامي على مايجري في جبهات القتال وعلى كيفية إمداد رفاقنا الذين سبقونا إلى المعركة بالأسلحة والمؤونة والعتاد الحربي، ولم يكن بذهني أن أفكر فيما إذا بث خطاب الرئيس وبلغ إلى الجماهير أم لا...؟ ولم أعلم بأنه ألقي بعد فوات الأوان.. وكانت مفاجأة آيت أحمد كبيرة بعدم صدوره

رغم التأمينات التي أخذها شخصيا من الرئيس... تأكد مرة أخرى أن الرئيس خاضع لبعض مراكز القوى في السلطة الملغمة بالضباط المدسوسين بزعامة بومدين فخرج آيت أحمد برأسه ينشد الأمان في قريته بعدما غادرها آخر جندي إلى الجبهة لكن الرئيس أذاع تصريحا آخر مختلفا تمام الاختلاف أشار في بعضه إلى اتفاقنا معه لكن بطريقة مبهمة وفي نفس الوقت ركز بإطنابه على شعباني شخصيا وعلى تحرك قواته إلى جبهة القتال مفندا ما شاع من تمرده...

تأكد بومدين وجماعته بعد تلك الأحداث أن رئيس الجمهورية شخصية سهلة الانقياد والاستمالة، ورغم تواجده في قلب الأحداث (بكلوم - بشار) الا أنه استطاع أن يوجه ضربات خفية لرئيس الجمهورية وإلى أعضاء منظمتنا (F.F.S) مستغلا الفرص لإحداث التغيير الذي يراه مواتيا معتمدا حربنا مع الملك كغطاء عام، بحيث صب جام غضبه ونقده على آيت أحمد ومحمد ولحاج وعليّ شخصيا وعلى ضباط وجنود مخلصين كانوا في مقدمة التصدي لجيش الملك، وادعى أنه لولا انفصال منظمتنا وإضعافها الصف في الداخل ما كان لملك المغرب أن يستهين بقواتنا ويغزو حدودنا الغربية... وبذلك زيف موضوع الخلاف الداخلي وحوله عن إطاره الصحيح الذي سبقت الإشارة إليه إلى قضية انفصالية وتمرد على الشرعية وإخلال بالتوازن العام مع العدو واستطاع أن يجمع لصالحه هذه الأوراق السياسية على حساب رئيس لا يحسن المناورة السياسية ولايعرف كيف يدير بؤر الصراع ويتحكم في التوازنات داخل أجهزته المختلفة...

6 - بعض أصداء المعركة أو من شارك فيها؟

تصدى الجيش الجزائري للقوات الملكية الغازية وأبلى بلاء حسنا وذلك رغم بعض الممارسات المشينة التي توختها جماعة بومدين داخل الجيش، بحيث لجأت إلى أسلوب المفاضلة والتمييز بين قواتهم وقوات المعارضة التي التحقت بالجبهة تقاتل العدو جنبا إلى جنب مع باقي فصائل جيشنا... وقد وصل استهتار ضباط بومدين إلى درجة عزل جنود منظمتنا المنحلة وشتمهم والتشكيك في نواياهم... لكن لم يزدهم ذلك إلا ثباتا على المبدإ وإقداما على المواجهة والقتال بل استطاع بعضهم التسلل إلى الخطوط الخلفية للعدو بحوالي 70 كلم وتنفيذ عملياتهم الجريئة رغم عدم تعودهم على أرضية المعركة وأهوال الصحراء.

سقط عدد كبير من شهدائنا على أرض المعركة وعاد الناجون منتصرين يحملون شرف الدفاع عن الأرض ضد الغزاة... أما الذين اغتروا بأنفسهم من أتباع بومدين فقد سقط عدد منهم في الأسر بحيث ألقت القوات المغربية القبض على عدد كبير من أعضاء القيادة العامة للجيش الوطني الشعبي... وكان هذا الحادث امتحانا فاصلا بين الذين أعطوا كل شيء للوطن دون أن يسألوه شيئا... وبين الذين أخذوا كل شيء منه دون أن يعطوه مقابلا... لقد وقع ضباط جيشنا في الأسر ومعهم بعض ضباط الجيش المصري الذين شاركوا رمزيا لكن بفعالية في تلك المعركة... واحتجزت طائرة الهليكبتر التي كانت تقلهم وأذكرأن ضباطا كوبيين اشتركوا معنا في دفاعنا على حدودنا الغربية أيضا، وقد كان الرأي العام الدولي معنا إلى درجة إدانة الغزو الملكي ووصفه بالجريمة...

وما كان ذاك الدعم ليكون لولا سمعة الثورة الجزائرية وصيتها العالمي وتعاطف شعوب المعمورة كلها مع رسالتها التحررية...

أما الملك فقد استنفر وسائل إعلامه وعبأ الشعب المغربي الشقيق ضد الجزائر وثورتها ووسمها بجميع النعوت والخبائث إلى درجة التغرير بشعب شقيق شارك بأبنائه وأمواله من أجل نيل حريته وقاتل رجاله معنا في خندق واحد ضد الجيش الفرنسي.. وأشهد أن عدد المجاهدين المغاربة الذين ضمتهم واحدة من بين كتائبنا بلغ عشرون مجاهدا مقداما.. وصادف أن كان الأب المجاهد إلى جانب ولديه في نفس الكتيبة التي كنت أقودها وهي (الكتيبة الزبيرية) المعروفة لدى العدو برقم 424 طبقا لتقسيمه العسكري لمناطقنا وسال الدم المغربي في شلال واحد مع الدم الجزائري وتوحدت قومية الثورة التي لم يتخلف عن دعمها وتقديرها عربي واحد من الخليج إلى المحيط وكانت قبلة العرب والمسلمين وجميع أحرار العالم...

توقف القتال بين الجبهتين بعد أن وافق الملك على قرار وقف القتال تحت ضربات الثوار الجزائريين... وضغط الرأي العام الدولي... رعاد الاستقرار الحذر بين الجارين بعد أن أسفرت المصادمات على ضحايا من الجانبين وجرحى كثيرين... وانسحبت قوات الجبهتين إلى خطوط الحدود الدولية... ورغم حجم الخسائر والعار الذي لحق الجارين الشقيقين من ذلك الصدام فقد خرجت الثورة منتصرة وسجلت صفحة مشرقة في تاريخها ضد الظلم

والطغيان الملكي...، الذي لم ينس هزيمته وظل يتربص بالثورة الجزائرية ويتحين الفرص للانقضاض عليها.

ما إن أغلق ملف صراع الثورة مع الملك.. حتى فتح ملف صراع الثورة مع نفسها... وانطلقت الحروب السرية والعلنية بين المسؤولين في الحكومة والحزب والجيش، وفتحت أبواب السجون والمعتقلات من جديد وأصبح الجميع يخاف الجميع... واشتدت الأزمات الاجتماعية على المواطن الذي لم يعد يرى إلا الضباب الحالك..تفجرت المعارك المباشرة بين الرئيس ومعارضيه وفي مقدمتهم محمد خيضر... ووصل الخلاف إلى حد التلويح بالتهديد ثم إلى التنفيذ... فأصدر بن بلة أوامره الرئاسية إلى البنوك بعدم اعتماد توقيع خيضر لصرف أي مبلغ مالي مودع باسمه... وطالب بسحب هذه الأرصدة فورا منهما خيضر بتبديد أموال الثورة المودعة في البنوك الأجنبية، وبالأخص البنوك السويسرية... الأمر الذي رفضه خيضر وسارع إلى القول: «إنه سيضع تلك الأموال تحت تصرف المعارضة للإطاحة بنظام بن بلة وهكذا تحول الصراع من صراع داخلي إلى صراع خارجي بأطراف عديدة...

وشارك في نفس الصراع كريم بلقاسم الذي له حسابات شخصية وعامة مع بن بلة وقيادة جيشه واستعمل فيها تجاربه وأصدا ءه في الداخل والخارج.

ولم يتأخر عن هذه المعارك السيد محمد بوضياف الذي تمكن من داخل زنزانته أن يكتب كتابا بعنوان: «ديكتاتورية بن بلة»، ويوزعه على نطاق واسع...

كانت هذه المعارك الظاهرية أقل بكثير مما يحاك في السر من دسائس تقودها بيادق الثورة المضادة بقيادة بومدين وجماعته الذين كانوا يختبئون خلف ظلال الخلافات الظاهرية ليخططوا في أمان لمشروع انقلابهم العسكري واغتصابهم السلطة، ثم تصفية جميع الأطراف... وملاحقة الوطنيين وقتلهم أو سجنهم... وفي مقدمة هؤلاء أيت أحمد الذي ظل يترقب أن يفي الرئيس بوعوده التي التزم بها لمنظمتنا في لقائنا معه في بيته بفيلا الجميلة، لكن الرئيس تنصل من تلك الالتزامات وغدر بنا ولم يلتزم إلا بقرار إنشاء لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر... بل وأمر بالقبض على رئيس منظمتنا (جبهة القوى الاشتراكية)، وجدّت أجهزة أمنه في البحث عنه ليلا ونهارا وصدرت الأوامر إلى الشرطة والدرك والأمن

العسكري بالقبض عليه حيا أو ميتا، وسيق الرجل إلى السجن وبدأت محاكمته في سرية تامة كي لا يثير الحكم عليه أية شفقة أو ردود فعل من قبل بعض الجهات... وكان قرار بومدين أن يُصفّى جسديا حتى لا تتحول محاكمته إلى محاكمة النظام نفسه ... لكن بفضل المخلصين تمكنا من تخفيف الحكم عليه بالسجن عوض الإعدام.. وأذكر أني كنت على اتصال مستمر بالرئيس حتى أني التقيته ست مرات في ظرف أيام معدودات... وكان هاجسي الوحيد هو إنقاذ أيت أحمد من إعدام محقق.. وأبلغت الرئيس مرارا احتجاج رفاق أيت أحمد ومعارضتهم الشديدة لمحاكمته... لكنه في النهاية خضع لمساومات بومدين و«لوبيه» القوي في السلطة، نظرا لما كان عليه الرئيس من سرعة غضب وسهولة انقياد وطيبة خاطر... وهكذا انتصر جناح بومدين مرة أخرى على بن بلة الذي وافق على إيداع أيت أحمد السجن، وعلى إثر هذا الحادث المؤلم قررت قطع أي اتصال به.. وتمنيت زواله، وأخذني الندم المقيت لتفريطي في منظمتنا في لحظة طغى فيها حب الوطن والتضحية في سبيله على أية حسابات سياسية أخرى... وقبل أن أودعه في آخر لقاء به قلت له حرفيا: «إذا كان لا بد من تنفيذ حكمكم عليه ... فلم لا نحاكم جميعا ليتبين للشعب من الظالم ومن المظلوم... وأقول لك طالما استمررت في عنادك، وسوء تصرفك، فإنك تدعونا إلى الاحتماء بالجبال مرة أخرى وإلى التمرد عليك... لكن أعلمك بأننا لن نقع مرة أخرى في الفخ طالما قواعد اللعبة أضحت واضحة ومكشوفة... ولم يبق أمامك إلا أن تتخذ قرارا حاسما بوصفك المسؤول الأول على البلاد لوضع حد لما يحاك في البلاد... وقد أنذرناك مرارا من سوء العاقبة، واعلم ياسيادة الرئيس إذا لم تسارع إلى تطهير الجيش من الخونة فإن الدائرة ستضيق عليك لا محالة...».

جرى هذا الحديث في بيته الذي تعودت دخوله دون استئذانه ولو في ساعة متأخرة من الليل... ولم أره ثانية إلا يوم 5 ماي 1965 عندما استقبلني ضمن المؤتمرين إثر إنهائنا مؤتمر المجاهدين وكان بصفته رئيسا للجمهورية لا بصفته صديقا... واستمر ذلك اللقاء كالعادة إلى ساعة متأخرة من الليل، قدمت له فيه بعض ملاحظاتي على المؤتمر... دون الدخول في التفاصيل التي كان جهازه السري ينقل له حتى أحاديث الناس إن رغب فيها...

ذكرت له مظاهر الاحتفال التي أشرف عليها بومدين في المؤتمر وتوجست من خلفيات الاحتفال الذي قصد به التودد إلى المجاهدين وكسب ثقتهم وهي عملية جديدة في أسلوب تعامل بومدين... كما شرحت له موقفي في النقاش الحاد الذي جمعني إلى بعض وزرائه خاصة منهم (الدكتور النقاش، والحاج بن علة)... ثم فاتحته في مسألة رأيت بأنها تهدد مستقبل منظمة المجاهدين... وهي مسألة يقف وراءها بومدين بكل ثقله في السلطة والجيش، بحيث عمد بومدين إلى دعم قائمة معينة من رجاله ليعينهم في الأمانة العامة للمنظمة، وكان جميع هؤلاء إما من بين الذين شاركوا في الثورة مشاركة رمزية متسللين إليها من الجيش الفرنسي أو من بين الذين لم يعرفوا عن الثورة إلا ما تناها إليهم عن طريق وسائل الإعلام الدولية، وشرحت للرئيس معارضتي ومعارضة المجاهدين المخلصين لقائمة بومدين المقترحة... وأحتفظ اليوم بهذه القائمة لأن من بين أعضائها أشخاص ما زالوا على هرم السلطة ما في الجيش أو في الحزب أو في الإدارة...

وذكرت للرئيس أن بومدين اغتاض لموقفي واستدعاني شخصيا في المؤتمر، وهددني بالسجن إذا استمرت معارضتي لرجاله ولرغباته... وحذرت الرئيس من لعبة بومدين في استمالة بعض المجاهدين الذين هم على خلاف معه ليوظفهم ضده في خطة انقلابية خطيرة... أحس الرئيس بندم شديد على بعض خلافاته مع المجاهدين وبدا حزينا لينا وارتد إلى نفسه في لحظات تصافي مع الذات علها كانت بداية الوعي بما يحاك له ويحاك ضد الثورة وضد قيمها التي جرى اختيالها باغتيال رجالاتها... تواصل سمرنا في بيته وتشعبت بنا دروب الأحاديث... ولم يأب إلا أن نشاركه عشاءه الخاص... الذي كان من وجبة الكسكس التقليدي التي هي في متناول أي مواطن عادي تختلف كلية عما رأيناه في يومنا من بذخ وإسراف على موائد بومدين وجماعته التي تعودت المآدب الفاخرة، كنا خمسة أشخاص هم (حسان الخطيب وبولحروف وأنا ورمضان عمار ومحمد حربي مستشاره الخاص الذي لا يفارقه ولا يفتأ يلتقط كل ما يقوله الرئيس وربما ما يدور في خلده)... تطارحنا موضوعات المرحلة ومصاعبها وقدم بعضنا آراء تستشرف مستقبل البلاد ومستقبل المنطقة المغربية والعربية والدولية... وتوقفنا عند أوضاع بلادنا الصعبة وهي تحاول وضع أسس عامة تقوم عليها...

كانت مشاعري التلقائية تحدثني بعكس ما أسمع منه وأرى... ورأيت بحدسي أن مستقبل الجزائر لن يكون بين يديه... رغم شعبيته... وإخلاص نيته وحبه لوطنه... شارف الليل على الانتهاء، وبدت بوادر الفجر في الفضاء... استسمحناه في الخروج.. لكنه أبى إلا أن يرافقنا في جولة خارج القصر... مشتكيا من جفوة النوم.. قائلا أفضل أن تداعبني نسمات الفجر الأولى... ترجلنا جميعا نحن الخمسة من بيته "بفيلا الجميلة"، إلى قصر الشعب... وفي طريقنا كانت قوافل العمال متجهة إلى مقرات عملها... شارفنا على الدخول إلى بهو قصر الحكومة... عندها أشار علينا الرئيس بالتريث قليلا وقال في صوت هادئ مطمئننا نفسه... "تأكدوا أن بومدين لن يصل إلى الحلم مطلقا... ولن يحقق أهدافه... وذلك لأسباب عديدة :

أولا: لأنه شخص من صنعي شخصيا ولا أحد عليه فضل مثلي .. فأنا الذي أوصلته إلى تلك المرتبة العالية ...

ثانيا : إن حب الجماهير لي وتعلقها بي وإخلاصها لي يمنع كل من تحدثه نفسه سوءا أو مكروها يلحقه بي ...

ثالثا : انعقاد المؤتمر الأفرو - آسيوي الثاني في بلادنا على الأبواب ودعوات الحضور وصلت إلى الملوك والرؤساء... والموافقة عليها تأكدت ولا أعتقد أن أحدا يجرؤ على المغامرة بالوطن... هذا وأعدكم أنه بمجرد انتهاء المؤتمر... سأضع بومدين في مكان أعرفه جيدا... فلا داعي إذن للخوف.."..

مددنا له أيادينا نصافحه.. ولما كان دوري شعرت كأني أصافحه لآخر مرة..

لست أدري السبب. ربما لأن الفكرة التي استوثقت بي منذ مدة لم تفارقني أبدا... حتى وهو يؤكد سيطرته على الوضع ويخطط لوضع حد لطموح بومدين في الاستيلاء على السلطة... تفرقنا تاركين الرئيس يدخل بهو القصر بقامته الفارعة وعلى محياه ابتسامته العريضة وصدى أقدام حراس القصر تملأ المكان تحية له .. . بعد شهر بالتحديد من ذلك اللقاء الودي نفذ العقيد هواري بومدين وزير الدفاع خطة انقلابه العسكري ليلة 19 جوان 1965 وانتهى بذلك عهد بن بلة بسيئاته وحسناته وبدأ عهد بومدين بسيئاته وحسناته.. وكان لي شخصيا مع كل عهد منهما ظروف وأحداث...

7 - بومدين أخرج المجاهدين من شرف الجهاد وجعلهم تجارا.

سافرت ضمن وفد رسمي إلى جمهورية يوغسلافيا وكانت أول زياراتي الى هذا البلد الجميل المضياف، الذي أكرمنا كبير الاكرام... وفي جلسة ثقافية ممتعة مكنوا وفدنا من مشاهدة شريط سينمائي وثائقي يحكي أحداث المقاومة الشعبية في يوغسلافيا ، وبعد فترة المشاهدة فتح باب الحوار السياسي والثقافي حول هذا الشريط وتفرع بعد ذلك ليشمل قضايا عديدة في العالم ومنها مقارنة. مقاومتهم الشعبية بثورة التحرير الجزائرية، وكان إلى جانبي جنيرالا يدعى "مايور" وقد لاحظت أنه شديد الرغبة في أن يقول لي أشياء عديدة لكنه محرج... فشجعته على الكلام واستدرجته إليه حتى إذا لمس ثقة مني استرسل في الحديث وأفاض فيه فقال: " إياكم والتعامل مع الضباط الذين أنضموا إلى صفوفكم وجاؤوا من القوات الفرنسية، فإن الخطر كل الخطر ينبع من هؤلاء الذين خانوا الوطن، ومن خان الوطن مرة يخونه مرات (بل دائما) قاطعته قائلا: لا يوجد ضباط بين ظهرانينا في الجزائر مرسلين من قبل العدو.. نظر إليّ "مايور" نظرة فاحصة وكأنه يتهمني بأني أستغفله وأسر إليّ أسماء عديدة لا أعرفها ولا أدري وقتها أنها إطارات عليا في الجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير... أحسست ساعتها بصاعقة تنسف وجودي وتوقظني من غفلة الصدق الثوري والعفوية إلى المكر والدهاء والمؤامرة التي حيكت وتحاك ضد الثورة ومجدها... لم أغادر يوغسلافيا واستمر مقامي بها شهرا كاملا تعرفت خلاله على شخصيات لا تقل أهمية على الجنرال "مايور" ومن بين هذه الشخصيات ضابط طاعن في السن يقول أنه كان أميا أثناء الكفاح المسلح وبعد تحرير يوغسلافيا تعلم القراءة والكتابة وتدرج في الدراسة إلى أن تحصل على شهادة الباكالوريا، ونظرا لجهوده الوطنية وشجاعته الحربية أكرمته وزارة الدفاع اليوغسلافية بأن منحته برنامجا تعليميا خاصا وسريعا... وصادف أن حضرت حفل تكريمه وشاهدت كيف أن عدسات التصوير غطت هذا الحدث العظيم لرجل وهب حياته لوطنه، وبعد أن تسلم شهادته أمام الجميع ألقى بجسمه النحيل إلى جانبي فلم أتمالك أن أسأله قائلا: "هل مازال باستطاعتك وأنت في هذه السن أن تدافع عن يوغسلافيا؟ قال: «حاربت في إسبانيا في صف الاشتراكيين وحاربت الفاشية التي غزت بلادي ومازلت على أتم الاستعداد لأضحي بنفسي في أية لحظة من أجل بلادي شريطة أن تكون تضحيتي تحت راية النجمة الحمراء...».

صدمتني كلماته بصدقها الصارخ وقفزت إلى ذهني مقارنة سريعة بين ضباط منحتهم الجزائر مناصب عليا وخلعت عليهم النياشين وقد سمعتهم يتشدقون بأقوالهم: أنهم لن يقاتلوا مرة أخرى مهما كان السبب والخطب... وبين هذا الضابط اليوغسلافي المتقاعد، وقلت في نفسي أن الفرق بسيط فالضابط العجوز تعلقت روحه بمثل عليا ومبادىء واضحة، أما ضباطنا المتخاذلون فتعلقت هممهم بمنافع ذاتية كالحصول على شاحنات وخمارات الخ... وحتى اذا نالوها ارتدوا على أعقابهم ونسوا الواجب والجهاد ليستولي عليهم جشع التجار والتعسف في استعمال المنصب والرتبة...

أعتقد مخلصا أن الانحراف الخطير بدأ في ثورتنا لما استولى على السلطة بن بلة وبومدين عام 1962 وتعمق بعد الانقلاب العسكري في 19 جوان 1965 بحيث غرر بومدين المجاهدين ولاسيما أصحاب الرتب العليا وأرباهم بقروض وأعطاهم محلات تجارية وبذلك أخرجهم من شرف الجهاد ليجعل منهم أجراء أو مرتزقة تسلموا ثمن قتالهم بعض الملايين من السنتيمات، وحانات ومطاعم فخمة... وبذلك أفرغهم من محتواهم... وصادر ألسنتهم كي لا تنطق بكلمة حق بعد أن اشترى منهم ضمائرهم، وهكذا سقط الرمز وبقي التاجر أو الأجير... وتساوى في ذلك العار، ومجاهد في الله وفي الوطن وعميل كان بالأمس في صف المستعمر النازي وأصبح اليوم قائد ثورة ورمز تقدم...

لا يمكن لعاقل أن يصدق أن المجاهد الذي كان بالأمس يجدع أنف مخالف الثورة أو يقطع شفاهه لأنه شرب الخمر واعتدى على فضائل ديننا الحنيف أو قامر أو سرق ... ألخ أن يصير هو نفسه اليوم يأتي هذه الفواحش بل ويتاجر فيها...؟ كان المجاهد أيام العز يعد نبيا أو يكاد بحيث كلما مر بقرية أو دشرة إلا واجتمع إليه الناس يتباركون بملامسته والحديث إليه بل ويزعم البعض أنه يشفي المرضى ببركته وصدق سريرته... لم يخطط بومدين المشروع بمفرده، بل قد تعلم مبادىء الدس والمناورة والخبث وراء الحدود فأعاد تجربة الحبيب بورقيبة في تونس، والمعروف أن بورقيبة خان المقاومة الوطنية في بلاده وجردها من سلاحها وهي في عز مراحل تحريرها وعمد إلى تصفية جل أبطالها وقادتها والإطاحة بمن بقي منهم بأسلوب الإغراء والإفساد تطبيقا حرفيا لرغبات فرنسا في إخفاء شعلة الثورة... وقد لا أكون مخطئا أن نفس المشروع مع تعديلات

مختلفة تماشيا مع طبيعة المناطق وطبيعة استعمارها قد نفذ في الأقطارالمغربية الثلاثة... إن نظرية الاستعمار تطورت إلى نظرية جديدة لعب فيها العقل والدهاء والمناورة دورا رياديا وتحول الصراع من موقع العداء بين عربي وفرنسي إلى صراع بين الأشقاء إن في تونس، أو في المغرب أو في الجزائر... وبدأت بوادره تظهر في إفساد الرمز وتشويه القيم التي ضحّى من أجلها الوطنيون المخلصون وإفراغ الثورة من محتواها تماما...

كنا نتباهى أيام الجهاد بعدد الجروح التي تزين أجسامنا... ومن لم يجرح أو لم يقطع أحد أعضائه يعد في نظرأقرانه دون مستوى المجاهد المتحدي... المجاهد الذي ينازل العدو ليلا ونهارا في السهول والغابات وبين الصخور يواجه القذائف والقنابل والرصاص والغازات المحرمة أما اليوم فاصبحنا نتباهى بعدد الخمارات والشاحنات وأرصدة البنوك ...



أكثر من 110 مواطن أحرقتهم فرنسا بالنابالم سنة 1959 بالولاية الرابعة. (التقطت الصورة في منطقة تنس)

الفصل السابع

بن بلة وبومدين ، أو من تدعيم ضباط الجيش الفرنسي إلى تهميش الحزب.

1 - بومدين، من الانقلاب... إلى الزعامة،

من تعرف إلى بومدين ودرس مواقفه وخططه... وتعرف إلى بن بلة وكشف سريرته وعفويته لا يباغت بانقلاب 19 جوان 1965... وقد لا أكون مبالغا إذا زعمت بأن بومدين الذي درس في القاهرة في السنوات الأولى من خمسينيات هذا القرن... وواكب جميع أحداث ثورة 23 يوليو 1952 المصرية ضد الملك فاروق . . أعاد نفس السيناريو في الجزائر مع فارق الظرف والمعطيات وطبيعة الأشخاص... إلخ.

كان بن بلة شخصية رومنسية عاطفية مغرورة بظواهر الأشياء لا مقتنعة بجواهرها بحيث كان يتصور في نهاية مرحلة حكمه أنه زعيم الجماهير دون منازع ومنقذها وأنها حليفه الذي لايسمح لأي كان المساس بشخصه وبحكمه... وزاد في غروره نداءه إليها ودعوته لكي تتبرع بكل ما تملك من مال وذهب وجواهر... "لصندوق التضامن الوطني" الذي لم تتأخر الجماهير في إسناده بكل ما تملك نظرا لما كانت عليه هذه الجماهير من صدق واستعداد للتضحية والتكافل الاجتماعي قبل أن يتسرب إليها داء الفساد الذي استشرى وعم... بالإضافة إلى ذلك التجنّد التلقائي الذي تميز به شعبنا في مواجهة جيش الملك في غزوه لحدودنا الغربية... بحيث توحد الفرقاء جميعا... وهب الشعب متطوعا بالنفس والنفيس، تشكلت لدى الرئيس مع الأيام قناعة ذاتية بأنه زعيم أوحد لعب فيها التهيوء والخيال دورا حاسما... بحيث كان دائم الحديث في التجمعات الجماهيرية حتى هبط بالسياسة من مجال التنظير والتخطيط المحكمين والتنفيذ الجيد... إلى مجال الخطابة والمهرجانية التي يمتطي فيها صهوة العاطفة

الشعبية فيصب جام غضبه على معارضيه في الداخل والخارج ويشبعهم شتما وسبابا... دون أن يقدم البدائل العملية... في حين كان معارضوه وفي مقدمتهم بومدين يخطط بدقة وفي صمت مطبق للقضاء عليه... حتى إذا كان يوم 19 جوان 1965 اكتشف الرئيس الحقيقة المرة... وتأكد بأنه يقف في الهزيمة وحيدا... لا حزبا يدعمه ولا مغامرا يضحي من أجله... ولا جماهير هبت لنصرته وحمته من مأزق الوقيعة... إلا الرئيس والصديق الوفي عبد الناصر الذي أرسل على الفور مبعوثه الخاص زكريا محي الدين إلى الانقلابيين وطالبهم بأن لا يحاكموا بن بلة أو يعدموه حفاظا على سمعة الثورة وعلى رموزها... وعدم إعطاء فرصة لأعدائها فيطعنون فيها ويشوهون قدسيتها ويعرقلون رسالتها... فضلا عما كان بين عبد الناصر وبن بلة من صداقة شخصية تعود إلى السنوات الأولى من الخمسينيات...

وقد رفض الانقلابيون تسليم بن بلة إلى زكرياء محي الدين لا نكاية في بن بلة ولكن خوفا من عبد الناصر الذي كان شديد الميل إلى بن بلة.. وهكذا أودعوه غياهب السجن طيلة عهد حكم بومدين وبعض حكم الشاذلي بن جديد.

كان حقد بومدين على عبد الناصر مشوبا بالغيرة والتآمر بحيث استفاد بومدين من تجربة عبد الناصر ودوره في مجموعة الضباط الأحرار، فكما هو معروف تمكن عبد الناصر من أن يستعمل رفيقه محمد نجيب في بداية الثورة وأن يكون بوقا لزملائه وأول رئيس للثورة... والحقيقة أن الرئيس الفعلي كان جمال عبد الناصر... وقد رأى بحكمته وبعد نظره أن يستمر في التخطيط في الظل إلى أن تحين ساعة الحسم... وهذا ما حصل في مصر وتكرر في الجزائر مع بومدين ضد رئيسه بن بلة مع بعض الفوارق الطفيفة...

بعد أن استولى بومدين على السلطة في الظروف التي نعرفها جميعا وبالأسلوب الذي طبقه استولى على الحكم ووزع عملاءه على مواقع السلطة وبدأ استبداده فركز جميع السلطات في شخصه... وبذلك وضع يده على الجزائر كاملة ومد يده إلى الوطن العربي باحثا عن مناطق نفوذ تمكنه منّ بسط زعامته والظهور بمظهر الزعيم البديل لعبد الناصر، واستغل هزيمة حزيران 1967 بأن طار إلى العاصمة السوفياتية والتقى في الكرملين بزعمائها وتفاوض معهم بشأن



الصورة من اليمين إلى اليسار:– المؤلف – محمد بن علي (مجاهد من قرية أولاد براهيم بالمدية) – الرائد سي محمد بونعامة – عبد العزيز حراث (المحافظ السياسي) – المجاهد علي بن زرقة مسؤول الاتصال (مات بعد الاستقلال)



مجموعة من المجاهدين الشهداء: من اليسار إلى اليمين:
– قائد الولاية الرابعة (العقيد سي محمد بونعامة) – الضابط الأول خالد عيسى الباي – الضابط الأول محمد تقية – الضابط عبد القادر وادفل
وقد أخذت هذه الصورة أيام قليلة قبل استشهادهم (باستثناء محمد تقية الذي أسر في نفس اليوم) في مركز جيش التحرير الوطني بدار عائلة النعيمي بالبليدة.



تمثيلية من تأليف وآداء الشهيد أحمد أرسلان (شاعر الثورة و مرشد الولاية) بمناسبة إحياء ذكرى اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1959 م في قرية أولاد بوعشرة.



الواقفون من السيار – طهراوي عبد القادر (شهيد) – المؤلف – الدكتور يحي فارس من صدوق (ببلاد القبائل) طبيب التحق بالثورة من جامعة (مونبيلييه) بفرنسا سنة 1958، ألقي عليه القبض وأعدم سنة 1960 في مدينة المدية. – بشير بابا علي المدعو إلياس (شهيد) رئيس المنطقة الخامسة. **الجالسون:** – سيد علي (من ثنية الحد) – محمد بلعباس محافظ سياسي (شهيد) – محمد من المدية (شهيد) – محمود من المدية (حي).

الأسلحة إلى الجيوش العربية... وقدم لهم شيكا على بياض وعاد فورا ليخاطب جمال عبد الناصر من موقف الحكيم الناصح أن يواصل الحرب ضد العدو الاسرائيلي ولو أدى ذلك إلى احتلال القاهرة... ووعده بإرسال قوات جزائرية إلى الجبهة... وفعلا اشتركت وقتها قواتنا في الحرب العربية الاسرائيلية... لكن على غرار قوات عربية أخرى كثيرة لم تأت مشاركتها بثمار بعد أن اغتصب الصهاينة أراض عربية أخرى كثيرة واحتلوا مواقع متقدمة بفضل الدعم الأمريكي والأوربي غير المشروط...

صعد نجم بومدين بعد هزيمة 1967 وصار زعيما عربيا... يدعو إلى القيم الاشتراكية والثورية مستغلا سمعة الثورة الجزائرية وهيبتها العربية والعالمية... وضعف الأنظمة العربية وهزيمة مصر عبد الناصر التي ترتبت عنها تغيرات خطيرة في المنطقة العربية كلها شملت الثقافة والاقتصاد والسياسة والأمن... إلخ

2 - الانقلابيون يوزعون الأدوار:

وجد الانقلابيون معارضة خارجية من قبل دول وحكومات أجنبية كثيرة ... أما في الداخل فإن المعارضة في عمومها كانت صامتة إلا من بعض «المظاهرات الشعبية» في بعض المناطق... بحيث لم تتصد المنظمات الشرعية لهؤلاء الانقلابيين لا الطلبة أو العمال أو المجاهدين!! وتفرق أنصار بن بلة، فمنهم من فر إلى الخارج ومنهم من اختفى وأغلبهم قبض عليه وأودع السجن... وهكذا خلا الجو لبومدين وطغمته... ولم يبق في المعارضة إلا نفر قليل، وكنت من بين هؤلاء ولم نعترف بالانقلابيين إلى يوم 22 جوان 1965 عندما جاءنا بوعلام بن حمودة موفدا من قبل أحد أعوان قائد الانقلاب يخطب ودنا ويحملنا علي الاعتراف تأييدا لموقفه ودعما له... وكنا قبل ذلك قد انطلقنا في حملة شرح وتوعية في صفوف المجاهدين والمناضلين لتبصيرهم بأخطار الانقلاب... ولكني أعترف اليوم أن بوعلام بن حمودة هو الذي جرني شخصيا إلى الاعتراف بالانقلابيين الذين اعترف بهم الجميع، اعتبر بومدين موقفنا موقفا شاذا وعدائيا وحصره في أعضاء الولاية الرابعة الذين كما قال لم ينسوا ضغائن صراع الولايات عام 1962...

تسلل بوعلام بن حمودة في ليلة من تلك الليالي التي لم أذق فيها طعم النوم وجاءني إلى بيتي بحي حيدرة... اندهشت لرؤيته ليلا دون موعد مسبق وهو في لباس النوم... وفاتحني فورا بضرورة الاعتراف بالانقلابيين لأن ذلك يدعمه شخصيا، وأضاف مذكرا بما لحق ولايتنا من خسارة فادحة من جراء المصادمات مع جماعة تلمسان بقيادة بن بلة وبعدها في منظمة جبهة القوى الاشتراكية وزعم أن الذي فشلنا في تحقيقه بالسلاح والثورة والعصيان ... سوف نحققه بالسياسة بفضل التحالف مع الانقلابيين... وأعلن أمامي أنه لم يبق معارض سواي لم أجد بدا من مساندته فوافقت على الذهاب معه إرضاء لرغبته إلى مقر الانقلابيين... وفي نفسي شعور بالعبث الوجودي... دخلت معه مقر القيادة فوجدت قايد أحمد ومدغري والشريف بلقاسم وغيرهم... وفي حركة دائبة واستنفار مشهود... واجهني الشريف بلقاسم بخطابه قائلا: "اتفقنا على ما تفاهمنا فيه..." وكان يقصد عزل وزير الشبيبة والرياضة في حكومة بن بلة «الصادق باطل » وتعيين بوعلام بن حمودة مكانه ... لم يمهله بن حمودة فقال: «نعم.. نعم.. اتفقنا». وهكذا فهمت لماذا تسلل بن حمودة ليلا إلى بيتي وجد في إقناعي بدعمه لأن اعترافي بالانقلابيين كان ثمنا لمنصبه على رأس الوزارة... انتهى لقائي بالانقلابيين عند حدود المجاملات...

كان الانقلابيون يدركون جيدا ما يمكن جنيه من خلال شخص بن حمودة لما عرف عنه من ضعف شخصية وخضوع للأوامر.

وهكذا لم يتأخر بن حمودة في تضييق الخناق على المجاهدين سيما الذين هم من أبناء ناحيته... وظل مخلصا لأوامر الانقلابيين طيلة أيام حياته السياسية.

لازمت بيتي طيلة تلك الأيام وانكفأت على نفسي متأملا مقارنا الفارق الذي يفصل ما بين وضعي في الأمس القريب لما لقيت بومدين بعين وسارة مفاوضا وإلى جانبي قوة عسكرية... وورائي قاعدة شعبية عريضة تعارض اغتصاب الشرعية وترفض المؤامرات والدسائس وبين وضعي... في مواجهة الانقلابيين وقد ضاع مني كل أمل في الدفاع عن شرعية الثورة وحمل لواء الاخلاص لعهد الشهداء... وخامرني شك بالخيانة والتخلي عن مبادئي التي واجهت بها فرنسا مع المخلصين من أبناء هذا الوطن... لكن لم تدم أزمة المعاناة

كثيرا حتى ثبت إلي رشدي واستبعدت كل قناعة بإمكانية الاعتراف بهؤلاء المغامرين لا سيما وأني أعرف تركيبتهم ونواياهم... لم يطل بي مقام الاعتراف حتى عدت لأكفر عن ذنوبي وأعلن تمردي من جديد على النظام...

شكل بومدين حكومته... واحتفظ لنفسه بمنصب رئيس مجلس قيادة الثورة والحكومة ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة والأمن العسكري... ووزع باقي المناصب على أتباعه... ودعم عملاء من ضباط الجيش الفرنسي في مؤسسات الجيش... وبدأ إهمال الحزب وتهميشه ومساومة المجاهدين على جهادهم وأخرجت الادارة مخالبها الفرانكوفيلية... لتوجه البلاد توجيها عميلا لفرنسا وتفصل الجزائر عن إطارها القومي العربي... ويسود المسخ ويعم الانحراف

تقوقعت، في المراحل الأولى للانقلاب، على نفسي داخل الحزب، كمحافظ وطني للحزب لولاية التيطري، وحاولت إصلاح بعض أوضاع مجاهدي ثورة التحرير ومن بينهم كثير من الجنود الذين أعرفهم في تشكيلاتنا في الولاية الرابعة إبان الثورة. انفجر الخلاف بيني وبين النظام تلقائيا... سيما وأن تدهور الحزب بدأ يتفاقم ودوره يتراجع أمام الاداريين ومحترفي السلطة إلى درجة أن صودر دور الحزب نهائيا وخضع لوصاية الادارة في نظام يدعي الاشتراكية والطلائعية الثورية؟ بحيث رفض الاداريون تسليم الحزب ميزانيته لتسيير شؤونه مما حمل قطاع البريد على قطع الهاتف... وإدارة الكهرباء على قطع النور... الخ، وتسلط أحمد مدغري الذي كان يملك صلاحيات الإدارة تسلطا لامثيل له على الحزب وإطاراته مدعوما من قبل جماعة وجدة وخولت للإدارة صلاحيات مراقبة الحزب و إلقاء القبض على كل من يشتبه فيه أنه ضد النظام.. أو أنه يعارض أسلوب الادراة الطاغية... وقد نال المناضلون جزاءهم الأوفى من السجون والمعتقلات والتعذيب... ولا يفوتني أن أذكر ببعض الأسماء القليلة التي أعرفها بحكم مسؤوليتي الحزبية على محافظة التيتري وكان من أبشع مظاهر الجور والاستهتار بقيم الثورة وبمستقبل البلاد.. ما اقترفه رفاق بومدين من جرم وظلم في حق كل من يرفع صوته في وجه طغيانهم، من بين هؤلاء العقيد أحمد بن شريف الذي نصب نفسه إقطاعيا على كل مناطق الجلفة وما

جاورها.. وبسط نفوذه الجائر على كافة مناطق البلاد بواسطة قوات الدرك الوطني، نصب أحمد بن شريف شقيقه عبد القادر الذي كان في الجيش الفرنسي ولم يغادره حتى سنة 1962 حيث التحق بالجزائر المستقلة.. عينه ضابطها في قيادة الدرك بمقر القيادة العامة بالعاصمة.. واستغل هذا الأخير سلطة أخيه وجوره ليبسط نفوذه، على منطقة الجلفة ويؤكد سلطة أسرته الموالية لفرنسا من أبناء "القياد" سابقا إلى أن اصطدم ببعض المجاهدين المخلصين الذين كانوا في اتحادية الحزب بالجلفة التي أراد أن يؤجرها عبد القادر بن شريف ضمن أمتعته وحشمه وخدمه... ولما بلغ الصدام حدا من المجابهة العلنية أصدر أوامره لرجال الدرك بالمنطقة لإلقاء القبض على المناضلين الأوفياء وكان في مقدمتهم رئيس القسمة وهو رجل طاعن في السن أفنى حياته في النضال السياسي في الحركة الوطنية ثم في الجهاد في صفوف ثورة التحرير، كان هذا المناضل المجاهد المسؤول المنتخب معتزا بمظهره الخارجي وشهامته البدوية... وكان حريصا على لباسه التقليدي حتى أيام الجهاد.. لذا عمد رجال بن شريف لتأديب الرجل عبر استعمال سلطة التعسف بإهانة كرامته وخدش شرفه البدوي... بحيث قبضوا عليه وأدخلوه السجن وحلقوا نصف شاربه وتركوا نصفه الآخر على شاكلة البهلوان وأودعوه غياهب الزنزانة دون محاكمة ودون فراش أو غطاء أو مؤونة... وجاؤوه بعد 24 ساعة ليطلقوا سراحه.. وقبل أن يلفظه باب السجن الخارجي قال له كبير الدركيين: "أمامك خياران لا ثالث لهما يارجل، اما أن تبقى في منزلك حتى ينبت نصف شاربك المحلوق.. أوأن نحلق النصف الآخر وتكف عن استعمال الشوارب" وانفجر جماعته ضحكا واستهتارا بالعجوز الطاعن في السن.

ولم تقف مهزلة عبد القادر بن شريف عند هذا الحدّ، بل أمر زبانيته من الدرك إلى إلقاء القبض على جميع مناضلي اتحادية الجلفة ممن عارضوا ظلمه واستهتاره.. ومن بينهم (مخلط مختار، والبار مبخوت، وحيقون السعيد، وبولحواجب أحمد وبوعشرية، وقويدر...) وهم جميعا من مجاهدي الولاية السادسة كانوا في نواحي جبل بوكحيل.

جاء رئيس قسمة الحزب إلى بيتي متخفيا كي لا يراه أحد على ما هو عليه من تشويه، كسير النفس، منهار القوى... وهو ما هو عليه من بداوة وعزة نفس



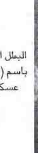
من اليسار – بن عمروس العربي (شهيد من العمرية) – بن عيسى ملايكة من قصر البخاري – شهيد – عبد القادر الريغي – حمدان حمداني رئيس منطقة (حي)



من اليسار: – بوعلام من الصومعة رئيس كتيبة (شهيد) – مجاهد (شهيد) – عبد الرحمان بورقعة (استشهد في معركة موڨورنو) – بلعباس (شهيد من قرية هوارة) – مجاهد (شهيد) – مصطفى من البرواڨية (شهيد)



الشهيد البطل أحمد اللوحي
(استشهد في فبراير 1962).



البطل الشهيد سي رابح المعروف
باسم (رضا) رئيس قسم سياسي
عسكري استشهد سنة 1959.

كان الرجل يضع لثاما على وجهه... ولم يفارق سيارة الأجرة إلا بعد أن تأكد من وجودي داخل المنزل... جلس الرجل إليّ واسترسل يروي معضلته بأدق تفاصيلها ومظاهر البؤس بادية عليه ورفض أن ينام ليلته الى فجر اليوم الموالي حيث اصطحبته إلى المسؤولين في الحزب بعد أن وعدته بالدفاع عن كرامته ضد الطغيان والإهانة في الأطر القانونية اصطحبته إلى الجهاز المركزي للحزب لكنه ألح علي بأن يلتقط صورا تذكارية لحالته تلك وحاولت عبثا أن أثنيه عن قراره... لكنه أصر أشد الإصرار وقال بصوت عال على مسمع المصور... "سأحتفظ ببعض الصور التذكارية لأجيالنا القادمة حتى تتعض بما قد عاناه مجاهدو ثورة التحرير على أيدي زبانية هواري بومدين".

سمح لنا بلقاء مسؤولي الحزب وأجتمعنا إلى السيد شريف بلقاسم وبحضور الاخوة الدكتور الخطيب ومحمد ولحاج والعقيد حسان والعقيد صالح بوبنيدر، والطيبي العربي لم يقتنع الشيخ ولم أقتنع معه بالحلول التي قدمها لنا مسؤولو الحزب... وقررنا أن نذهب بالقضية إلى مداها الأخير.. وطلبت شخصيا من السيد الشريف بلقاسم أن يرتب لي موعدا مع الرئيس بومدين كي أبصره بحقيقة ما ينفذ من تحريف وتشويه للقيم في عهد حكمه... وطيلة المدة التي ترقبت فيها جوابا يحدد موعد اللقاء، وضعت تقريرا مفصلا شرحت فيه جميع ملابسات الحادثة.. وماترتب عليها من نتائج سلبية لدى المناضلين.. لم أتوخ الأسلوب البروتوكولي في هذا التقرير الشامل ولكن كتبته بصيغة صريحة ومباشرة.. وعرضت لمظاهرسلوك رجاله وتصرفاتهم الرعناء... وكان عنوان التقرير هو "أحمد بن شريف عضو مجلس الثورة والقائد العام للدرك الوطني عقيد يخطىء من التاريخ".

وزعت التقرير على جميع السلطات الأساسية في البلاد (الحزب، والدولة، والجيش).

لم يدم انتظاري طويلا حتى استجاب الرئيس لطلبي ووافق على استقبالي في أفريل1967 دخلت عليه في مقر إقامته وسلمته التقرير وقبل أن أفاتحه في الموضوع ظنا مني أنه لم يصله بعد عن طريق البريد.. بادر إلى فتحه وذهب يلتهم فقراته وبين أصابعه سيجارة تلقي رمادها على مكتبه الفخم وبسرعة مذهلة جاء حارسه بفنجاني شاي دون معرفة رغبتي في نوع الشراب الذي أطلبه

وإلى جانبه جثمت ملفات كثيرة على المكتب وصحف عربية وأخرى فرنسية ومن هذه الصحف جميعا تطل صحيفة (لوموند) الفرنسية وقد فتحت أوراقها..

ما أن وقعت عيناه على جملة "عقيد بخطىء من التاريخ " التي كررتها مرارا حتى ثارت حفيظته وظهرت على محياه مظاهر الغضب والامتعاض.. ولم يتمالك توازنه فراح يمرر يده على ذقنه وفمه... ودون أن ينبس بعبارة واحدة فاجأته قائلا وأنا أرمقه بطرف خفي أراقب ملامحه وأتابع ردود فعله... "أعلمك أني قد وزعت نسخا عديدة من هذا التقريرعلى جميع المسؤولين في الحزب والدولة لأنه ليس مجرد رسالة خاصة بك... ولكنها رسالة مفتوحة لجميع المسؤولين بما فيهم أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء والمحافظين السياسيين".

لم يتمالك انفعاله.. فألقى الرسالة على مكتبه بقوة مما أطاح بكأس الشاي الذي أمامه. وثبت نظره علي محدقا في زوايا الغرفة دون أن يضيف شيئا.. اعتقدت أنه أدرك مغزى بعض فقرات التقرير من ذلك قولي " ان التاريخ قد أخطأ عندما تحصل من لا يستحق عل رتبة عقيد... " وتأكد أن المقصود بهذا المعنى إنما هو شخصيا... لم يحتج ويعلق بأية كلمة عما جاء في الرسالة... ولكنه لم يفلح في إخفاء تأثره... وكنت أعلم أن بومدين يتمنى لو أنني أكثرت من الهجوم وإبانة مثالب أسرة بن شريف وجورها في المنطقة... حتى يستغلها في المساومة والضغط على بن شريف بعد أن أنهى قراءتها قال لي: "عد إلى مقر عملك وأعدك أني سأتخذ إجراءات ضد من يثيرون الفوضى... وسأعرف كيف أتصرف معهم" .

ودعته وانطلقت خارج القصر وقد امتلأت النفس مني سعادة.. وشعرت أني حققت هدفين كبيرين. - لأني أديت أمانة المناضل المظلوم... وأرغمت بومدين وهو رأس الحربة في نظري على أن يسمع ويقرأ رأيي فيه من خلال رأيي في أعوانه وعملائه... وكان ذلك الموقف لحظة انعتاق روحي لما لحق بها من هزيمة الاعتراف بانقلاب 19 جوان 1965 .

لم أكن أدري أني سأصبح بعد أشهر قليلة من ألد أعداء النظام...

تلقى بن شريف نص التقرير... وما إن أدرك فحواه حتى أصيب بهستيريا الانتقام فأمر قوات الدرك الوطني بإلقاء القبض على جميع أعضاء المحادية

الجلفة... وكان يتمنى ان يلقي القبض علي شخصيا لولا انه خشي من ردة فعل لأنه أجبن مايعتقد الكثير... وعلى أثر هذا التصرف الأرعن نشب خلاف حاد بين الحزب والدولة وبدأ يأخذ أبعاد خطيرة وعلنية.. اتصلت هاتفيا من مقر الحزب في المدية بوكيل الجمهورية وكنت أدرك قواعد اللعبة الخسيسة.. ولكني فضلت أن أحيط بجوانبها القضائية لأسجل هدفا آخر للشرعية القضائية التي انتهكها بن شريف وتعسف في استعمال صلاحيات لا حق له عليها.. قلت للقاضي: "أرجو أن لاتنزعج" ولا تعتقد أني سأطلب منك الافراج عن المحبوسين... لأني أحترم العدالة وأبجل القانون لكن أود آن اسألك سؤالا واحدا وأرجو أن تكون صريحا في جوابك: هل أنت تمارس وظيفة وكيل الجمهورية في وزارة في الدولة الجزائرية أم تراك وكيلا لدى الدرك الوطني... مع العلم أن أي وكيل للدولة يؤدي اليمين القانوني قبل مزاولة وظيفته... فهل أديت الرسالة"؟

ودون أن أسمع جوابه وضعت سماعة الهاتف، لم يشأ وكيل الجمهورية صبرا وكان شابا حديث العهد بالوظيف... حضر مسرعا إلى مكتبي وبادرني قائلا: "أدرك حق الادراك ما أقدمت عليه من حبس رجال المندوبية واتفق مع ماقلته لي هاتفيا... لكن أحيطك علما أني تلقيت أمرا بالقاء القبض عليهم وكان آمري العقيد بن شريف شخصيا.. وقد خيرني بين أن ألقي القبض عليهم أو يؤدي الدرك الوطني المهمة عوضا عني.. فخشيت على هؤلاء وعلى نفس من أن ألق نفس المصير..".

اشفقت عليه وعلى ضميره المهني... وقلت قد تأمرني ياولدي أن ألحق بهم الى السجن ما دامت مصائرنا بين أيدي الناس مستهترين وودعته ولسان حالي يقول "ها قد علموا امسكين الطاعة العمياء كعصفور في قفص من حديد..".

بعد خروج القاضي دعوت فورا الى عقد اجتماع لجميع اطارات الحزب في الولاية وطلبت منهم أن يأتوا بمفاتيح اداراتهم ومكاتبهم... تسلمت المفاتيح وكان عددها:

أ- سبع مفاتيح لادارات الاتحادات.

ب - اثنان وخمسون مفتاحا خاصا بالقسمات.. وطلبت من الإخوة المناضلين أن يلتزموا بيوتهم.. وتوجهت فورا إلى العاصمة حاملا كيس المفاتيح الى مقر

الجهاز المركزي.. ألقيت الكيس أرضا على مسمع أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب فأحدث رنينا وصخبا وقلت بعد أن وازنت كل عبارة أتفوه بها "إليكم مفاتيحكم.. ولكم الخيار في أن تسلموها إلى الدرك وطني إذا شئتم أو أن تبقوها لديكم فأنا مغادر الحزب وإلى الأبد ما دام الحزب يأتمر بأوامر الدرك.. أما الذين يناضلون معي... على مستوى القسمات والاتحادات فلهم أن يختاروا بين البقاء في الحزب وبين تركه لأن الذي وقع في السطري لا يمكن قبوله أو السكوت عنه مطلقا وإذا كان بعضهم آثر الصمت على قول الحقيقة في مناطق أخرى عرفت نفس التعسف فإني لن أرضاه أبدا..." اندهش مسؤولو الحزب لهذا الموقف لكني لم أعطهم فرصة الحديث... وخرجت بعد أن فرضت عليهم استقالتي كما فرضت استقالتي من قبل على بومدين... وبينما أنا أغادر المقر والتحم بجماهير الشعب خامرتني فكرة أن مهمة المجاهد في ظل أوضاع فاسدة. هي أن يظل يمثل حزب المعارضة الدائم !!

بقيت على تلك الوضعية شهرين كاملين إلى غاية جوان 1967 موعد اشتعال الحرب العربية الاسرائيلية .. التي قادني إليها شعوري القومي وحماستي لأشهد المعارك على الجبهة السورية كانت المعارك ضارية والمواجهة حادة بين الطرف العربي والطرف الإسرائيلي.

3 - حزيران والجنرال البليد ! .

بينماكنت في زيارة إلى الشام ضمن وفد رسمي حتى اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية في جوان 1967 وقام العدو بغزو الأراضي العربية بعد أن حطم الأسطول الجوي المصري وأغار على الجبهات العربية المتاخمة لحدوده ... لم أتمالك نفسي فالتحقت بالجبهة السورية صباح يوم 5 حزيران 1967 وكنت في منطقة عسكرية يقودها جنرال "قائد الدفاع الشعبي" .

كانت طائرات الفانتوم الاسرائيلية والأمريكية تدك المدن والقرى بأطنان من القنابل دون أن تعترضها الطائرات السورية أو تتصدى لها شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ولا المدافع المختلفة الأحجام... وأقصى ما كان يفعله ذلك الجنرال البدين الجثة الارتماء أرضا كلما سمع أزيز الطائرات تقترب منا وأحس بانفجارات قنابلها في فضائنا... ولا يفتأ يصرخ في وجهي أن أقلد حركاته

وأرقمي على الأرض حتى لا تصيبني شظايا القنابل... وقد شد انتباهي مظهره الخارجي وبطنه المتنفخ مما يؤكد عدم لجاعته لمثل تلك المواقف... أصبت بقرف شديد، ولم أعد أفهم لم لا يعطي أوامره لقواته كي تتصدى لغارات العدو ويحرر إرادة جنوده الأشاوس الذين بدت على وجوههم مظاهرالغضب والتمرد... سألته مرارا لماذا يحجم عن إعطاء أوامر القتال لقواته؟ فيرد بقوله: "إن الأوامر لم تصدر إليّ بعد بقتال العدو.

اشتد بي الغضب وأخذتني الحمية العربية حتى ذهبت بتقاليد اللياقة فقمت إليه وشددته من قميصه شدا حتى جعلته يستوي على قدميه وصرخت في وجهه أطلق حرية جنودك يردون على عربدة العدو .

فأجابني بنفس الجواب وكأنه جهاز عُدِّل على ترديد الخضوع والاستكانة وافترت شفاهه عن ابتسامة ساخرة، واستمر على موقفه إلى أن صدرت إليه الأوامر بعد أن كانت للعدو عصا السبق في تلك المعارك وانطلق الجنود العرب يقاتلون الآلة الصهيونية بشجاعة وذكاء كبيرين... وقد طهروا ذاكرتي بتضحياتهم وإقدامهم من لوثة ذلك الجنرال الذي يمثل وجه الانتهازية القبيح في الوطن العربي وقارنت بينه وبين مسؤولين في الجزائر الذين يلهثون خلف سراب المناصب لا تعنيهم مصائر شعوبهم ولا مستقبل أوطانهم.



صور لفوج من المظليين، وهم يعذبون المواطنين في نواحي مليانة.



الفصل الثامن

شرخ في البومدينية، من تمرد الطاهر الزبيري إلى معارضة كريم بلقاسم ،

- لماذا حركة 11 ديسمبر 1967 التمردية؟

انتهت الحرب العربية الإسرائيلية بنكسة الأمة العربية وبدأ العد التراجعي... في المفاهيم والشعارات التي رفعتها الأمة العربية بقيادة الثورة المصرية ثم الثورة الجزائرية العظيمة وبدأت الأنظمة تتعرى وبانت عوراتها أمام الشعوب العربية ودول العالم.. وتراجع منطق التحرير والثورة والوحدة... إلى الانقسام والتمرد والتسارع إلى الهزيمة، وبذلك بدأت مرحلة جديدة قاسية على الأمة العربية.. وقد عاينت مرارة الهزيمة في تلك الأيام الحالكة وعشت دوامة عبثية اختلطت فيها روحي قطريا وقوميا... حتى جاء تمرد العقيد الطاهر الزبيري، قائد الأركان في الجيش الوطني الشعبي يوم 11 ديسمبر1967 ضد دكتاتورية العقيد هواري بومدين... ولم تكن تلك المحاولة التمردية الأولى ولا الأخيرة من نوعها طيلة حكم بومدين!.. بل سبقتها محاولات ولحقتها أخرى... أقبر جميعها في المهد؟ لم يظهر منها للعيان إلا القليل نظرا لما كانت تتمتع به أجهزة بومدين المخابراتية من تسلط ونفاذ... وما تتميز به وسائل دعاية من قدرة على طمس الحقائق وتحريفها... لم يرض المجاهدون والمناضلون والسياسيون الوطنيون على حد سواء، على طريقة حكم بومدين البلاد، فتصدى له الكثير منهم وكان مصيرهم النفي أو السجن أو القتل... ولم يقبل بسلطته إلا المداهنون وأصحاب المصالح المختلفة...

شاءت الظروف أن أكون طرفا في تمرد 11 ديسمبر1967 رغم أنني لم أكن على علم مسبق بمخطط التمرد وبأهدافه... وقبل أن آتي على تفاصيل التمرد وحيثياته أود أن أقدم صورة مختصرة للوضع السياسي الذي كان سائدا يومها في الجزائر.

كان نظام الحكم في المرحلة التي سبقت تمرد العقيد الزبيري. يتسم باللاتجانس واللاتوافق بحيث كان مجلس قيادة الثورة خليطا من مجاهدين أوفياء حملوا السلاح باسم المبادىء الثورية من أجل تحرير الجزائر والإنسان والتاريخ والثقافة والأرض... وتحقيق سيادة وطنية حقيقية... ومن مندسين ظلوا معادين للثورة، بل وقد جرى دس الكثيرمنهم في جيش التحرير خلال السنوات الأخيرة من الثورة بإذن فرنسا وبتخطيطها المحكم ليشكلوا طابورها الخامس وقوتها الداخلية التي ستمرر من خلالها خطابها - الفرانكو- بورجوازي رغم ادعاء النهج الاشتراكي الذي طبق خطأ... وإلى جانب هاتين الفئتين هناك بعض الانتهازيين الذين يميلون حيث مالت موازين القوى...

كان هذا الخليط بين عناصر متنافرة في تركيبة واحدة علامة انفجار وتمزق أكثرمن كونه علامة تعاون إيجابي... وقد انسحبت الفوضى على جميع الأجهزة ولم تتوقف عند جهاز الحكومة .

فالجيش الوطني الشعبي فقد خبرة رجاله المؤمنين بالثورة بعد أن جرت محايدتهم بالمساومات والضغوط وبعضهم انسحب بمحض إرادته دون اعتبار لما يمكن أن يترتب على مثل ذلك الانسحاب من تسرب القوى المعادية إلى المناصب القيادية... وهو ما جرى فعليا...

أما جهازالحزب فقد همش منذ البداية وحيدت فعاليته حتى لا يكون دعامة للثورة الصحيحة فيحاسب المتربصين بالثورة والمنحرفين والمندسين . .ألخ ويكون بالتالي هو المشرع والموجه والمحاسب... لقد تمكنت القيادة المشبوهة من تصفية الدور الطلائعي للحزب وأفرغته من محتواه الوطني وصادرت وسائله المادية وضربت عليه حصارا كي لا يرتبط بالجماهير التي منها ولد، وبها قاتل العدو وبها أيضا يبني صرح نهضته الحقيقية .

أدى اللاتجانس إلى خلاف مستمر داخل حلبة السلطة... وقد أوعز بومدين لرجاله المقربين من ضباط فرنسا إلى تضييق الخناق على المجاهدين الحقيقيين الذين كان يتوجس منهم ويشعر تجاههم بعقدة نقص... نظرا لتاريخهم الماجد وبطولاتهم العظيمة... ولما كانوا عليه من نقد ومعارضة دائمين لمخططاته وانفراده بالحكم... وتوصل بومدين إلى خلق حالة من التوتر وعدم الثقة دفعت بالعقيد الزبيري إلى التمرد يوم 11 ديسمبر 1967 .

2- الذين قالوا للزبيري، تمرد ونحن إلى جانبك!

رنّ جرس، الهاتف على الساعة الواحدة صباحا من يوم 11 ديسمبر1967 في بيتي، وكان رنينه متصلا ومنذرا بأمر جلل.. وتلك هي المرة الأولى التي يرن فيها الهاتف في ساعة متأخرة من الليل، فلم أتعود على استقبال مكالمات لا من الأسرة ولا من الأصدقاء في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل.. فقفزت من فراشي ورفعت السماعة واذا بنبرات محدثي قوية صافية لا أثر فيه للنوم والتعب.. قال بصوت أجش: "إني أخاطبك من مقر الحزب في البليدة وإلى جانب جمع من الأشخاص يرغبون في لقائك فورا لأمر هام لا يحتمل الانتظار..." ودون تعليق قفل السماعة وتركني في حيرة من أمري.. آلمني في تلك اللحظة أن ليس لي وسيلة نقل لأذهب على الفور .. فاضطربت فرائصي.. الأمر الذي جلب انتباه زوجتي التي اعتقدت أن مكروها أصاب أحد أفراد الأسرة.. ولم تتمالك نفسها فسألتني.. وظلت قابعة إلى جواري ترقب الجواب.. فأجبتها دون تفكير قائلا : "إن حدثا كبيرا يكون قد أصاب الوطن بأكمله وليس فردا من أسرتنا كما ذكرت...".

ودون أن أعرف ما إذا زادها كلامي وضوحا أو غموضا.. تركتها واندفعت خارج المنزل أبحث عن وسيلة تنقلني إلى مدينة البليدة.. لكني سرعان ما أصبت بنكسة الفراغ الذي كان يملأ شوارع المدينة الغارقة في عواصف الريح الحالكة..

لجأت إلى أحد جيراني.. ودون أن أشرح له موقفي طلبت منه أن يدير محرك سيارته وينقلني فورا إلى مدينة البليدة.. لم يمانع بدوره ونفذ ما طلبت منه وانطلق في السيارة في تجاه مدينة البليدة.. ولم أع ما اذا حدثت مرافقي أم لم أحدثه في الطريق لفرط ما كنت عليه من شرود بال واهتمام بما عليه الرفاق وما يخفيه طلبهم لي ليلا.. ؟.

دخلت محافظة الحزب بمدينة البليدة. وقد ظهرت خيوط الفجر تنذر بيوم رهيب.. فشاهدت جمعا من الرجال، بعضهم أعرفه وبعضهم رأيته أول مرة.. وقبل أن أسألهم الخبر.. سارع يوسف بولحروف وتأبط ذراعي إلى ركن منعزل وكان وقتها يشغل منصب محافظ ولاية البليدة.. سألته ما الذي يحدث وما سر هذه الحركة التي اختلط فيها رجال عسكريون بآخرين مدنيين..؟ قال بسرعة

شديدة لا داعي للتفاصيل، إن فيلقا من الدبابات تحرك من الأصنام في طريقه إلينا... وأن تمردا عسكريا وقع فجر اليوم ثم صمت".

سألته قائلا : "لماذا دعوتموني وما هو دوري في هذا التمرد . .. بل لماذا أنا بالذات..؟ وأردفت، وما هو مخطط هذا التمرد وما هي أهدافه الأساسية وهل تم التخطيط له بدقة أم لا..؟ قاطعني أحد رفاق بولحروف قائلا: "إن الوقت لا يتسع للشرح... وان الذين تراهم أمامك على بيّنة من الأمر... وستعرف كل التفاصيل فيها بعد". وجذب بولحروف إليه.. وخرجا مسرعين، وبقيت وحدي تؤرقني الحيرة ويقلقني الإبهام... دخلت غرفة واسعة تعج بالرجال بعضهم بلباسه العسكري وبعضهم بلباس مدني والبعض الآخر بلباس النوم الداخلي تجلببوا بمعاطف عسكرية اتقاء لبرد الشتاء... بدأ يتأكد لدي أن محاولة انقلاب تدبر دون أن أعرف قيادتها ولا خطتها وأسلوبها... ولكني كدت أن أصرخ قائلا: "إن الذي يهيء نفسه لانقلاب عسكري بيجامة النوم هو كمن يواجه الصواريخ ببنادق خشبية..."!! لكني تراجعت عن موقفي والتزمت الصمت... وبعد أن تعرفت إلى بعض الإخوة من بينهم (حسان، ورمضان عمار، وصديقي محمد بوسماحة وصالح بوبنيدر (صوت العرب) وعلواش حميد...) وهكذا تطوع أحد الأصدقاء وروى لي جميع أحداث خطة الانقلاب التي ينوي العقيد الطاهر الزبيري ومعه الضباط والجنود القيام بها ضد حكم بومدين ومن معه من قيادات الجيش الفرنسي المندسين في الجيش الوطني الشعبي... وأضاف آخران سي الطاهر الزبيري في طريقه إلى محافظة البليدة للاجتماع بنا... وأن ثلاثة فيالق من الجيش في طريقها إلينا... وهي قادمة من المناطق التالية:

1) فيلق قادم من المدية بقيادة معمر.

2) فيلق قادم من مليانة بقيادة عبد السلام.

3) فيلق مكون من تشكيلة دبابات قادم من الأصنام يقوده العياشي (وهو ضابط من أقارب العقيد الزبيري) .

توجست خيفة هذه المؤامرة غير المضمونة الجانب.. رغم دعمي غير المشروط لأي عمل ثوري صحيح... وجالت بخاطري أسئلة عديدة عما يمكن أن يترتب على هذا الفعل ورأيت في أسلوب استقدام الدبابات بحركاتها البطيئة.. وما تحدثه من ضجيج وإثارة غبار مدعاة للشك والمباغتة..

وتاه فكري في أمر من خطط ودبرفي الظلام لهذه المغامرة.. لكني فضلت الصمت والتريث مرة أخرى وفي صباح ذلك اليوم الباكر ركبنا سيارات وتوجهنا نحو العاصمة ولما وصلنا مدينة "(وادي العلايق) انعطفت بنا السيارات إلى إحدى المزارع وهناك بين الحقول المسيرة ذاتيا وأمام مبنى المزرعة نزلنا جميعا.. انزويت كعادتي بعيدا عن الجموع أراقب حركة هذا الخليط من المدنيين والعسكريين وأسأل نفسي "هل بإمكان هؤلاء تغيير الأوضاع، وطرد العملاء من صفوف الجيش الوطني الشعبي وإرساء قواعد الديمقراطية في البلاد؟ هل سيذهب حكم بومدين كما ذهب سابقه بعد ثلاثة أعوام من الحكم..؟ وما موقف باقي أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط السامون في الجيش، هل وافقوا على خطة الزبيري وأعطوه إشارة الضوء الأخضر؟ لم أفكر في الهزيمة ولا في النصر، لا في الجزاء ولا في العقاب... رغم أن بوادر الفشل والهزيمة كانت بادية في مظهر المتمردين وفي حركتهم وفي طريقة لباسهم... إذ كيف يرتدي ضابط يقود تمردا عسكريا "بجامة" النوم و يرتقب قائده حتى يجتمع إليه ويصدر له أوامره. كنا في المزرعة مفصولين عن العالم الخارجي لا نعلم ما يجري فيه وما يجري بشأننا.... كنا في هرج ومرج حتى جاءنا رجلان يلهثان من أثر تعب الطريق.. وكانا قد أوفدا ليشهدا تحركات القوات المتمردة... فعادا يصرخان ويعلنان هزيمة التمرد ويؤكدان أن الفيالق الثلاثة لم تتجاوز مشارف مدينة العفرون... بعد أن اعترضتها القوات الحكومية من درك وجيش وطائرات، وجرى تدمير قوات التمرد... هبط الخبر كالصاعقة على قلوب الحاضرين وأصابتهم الرعشة فاتكأ بعضهم إلى الحائط ورمى آخر بجسده على الأرض وتهاووا كأنهم خشب مسندة... وعلى وجوههم مظاهر الفزع من المجهول المنتظر... انبرى أحدهم يصرخ: "ما شأني والذي يجري في العفرون... أنا لا أعرف أحدا ولم تقع استشارتي قبل الشروع في الانقلاب...؟ وقال آخر: "وما الذي يحدث...؟ إن توقفهم عند مشارف مدينة العفرون معناه الهزيمة المطبقة التي ستكون معها نهايتنا...»، وقال ثالث: «لا لم ننته.. بل انتهيت وحدك إذ لا دخل لي فيما يحصل والمسؤولية تقع على عاتق من دبر التمرد... ولباسي المدني يشهد أني لم أكن طرفا في هذا التمرد... ولم استشر من قبل ولم أخطط...».

واشتد الصياح والمزايدة على الهزيمة دون أن يتأكدوا مما يجري عمليا... في ساحة القتال.. وفجأة تحولت الشجاعة إلى جبن والتصميم المبدئي إلى خيانة والمحبة بينهم إلى عداوة..

وقال أحدهم . . وكأنه جاء بالأمر اليقين: "أقترح عليكم أن نعود إلى منازلنا أو نختبئ في أماكن آمنة في انتظار ما ستنتهي إليه الأوضاع من نتائج . . » جاءت كلماته كبرد وسلام على إبراهيم .. ودون تفكير في الأمر بدأوا يغادرون المكان دون مصافحة بعضهم البعض لم أتمالك نفسي: فصرخت في وجوههم «تمهلوا قليلا قبل أن تتفرقوا لنعلم لماذا اجتمعتم ووافقتم على التمرد...؟ وبما أنكم اجتمعتم فأنتم على بينة من أمركم... إذن لا يحق لكم أن تنفضوا قبل أن تعلموا نتائج التمرد وما أدراكم لعل التمرد لم يفشل...؟

رد (علواش) بقوله وهو مسرع الخطى خارج القاعة: «اسمع لقد تم استدعاؤنا بنفس الأسلوب الذي دعيت به أنت... وجئت إلى هنا دون أن أعلم الهدف من مجيئي...».

قلت له: «لا أعتقد أنك تجهل سر وجودك في هذا المكان ولولا اقتناعك بالتمرد ما جئت إلى هنا... وأن هروبك من ميدان المعركة قبل انجلاء الوضع هو خيانة ونذالة.. تتعارض مع صفات الرجل الفحل... «والتفت إلى الجميع ودعوتهم إلى ضرورة أن نلتزم مكاننا إلى أن يأتي الزبيري قائد الانقلاب ونؤدي واجبنا بالوفاء بالوعد الذي ضربناه معه...بعد أن وثق كل الثقة في نوايانا...»

طارت كلماتي مع الريح ولم تأخذ طريقها لأي منهم... واستمرت قلوبهم معلقة على الخوف وبدؤوا يتزاحمون هاربين... في تلك الأثناء تسلل أحدهم الى غرفة مجاورة بها جهاز هاتف واتصل مباشرة بمحافظة الشرطة.. وقدم لهم صورة وافية عن الحضور بالأسماء والصور ولم ينس أن يصف له معنويات الرجال.. وكان هذا الشخص يملك الرقم السري المباشر للمحافظ المركزي للشرطة الذي كثيرا ما كان يوافيه بأخبار أصدقائه وأقاربه بل وحتى... بعد أن أنهى مكالمته عاد إلينا وكأن شيئا لم يكن، لاحظت اضطرابه وقلقه المتزايد... وأدركت بحدسي أن تحركه من ورائنا خفية ليس لشيء سوى لأن يبيعنا إلى جهاز المخابرات...فتعمدت مخاطبته بصوت مرتفع يسمعه من بقي من ذلك التجمع... وقلت : «لابد أن يتحمل كل

فرد منا مسؤوليته كاملة بعد أن انكشف أمرنا وعلمت السلطات مكاننا وعددنا وأسماءنا وثبتت تهمتنا في المشاركة الفعلية في هذا الانقلاب.. ولم تعد جميع أسرارنا خافية على الأمن، أليس كذلك أيها الأخ...؟». وقد ركزت عليه نظري.

إن فعلته تلك هي وسيلة لدفع تهمة مشاركته في الانقلاب... لكن جميع الانقلابيين لم يعيروا كلامي أهمية واستمر بعضهم يهرول مغادرا المكان والبعض الآخر يتململ في مكانه ولم ينفكوا يكيلون أقذع الشتائم لقائد الانقلاب... لم تحتمل أذناي ما تسمع وصرخت بأعلى صوتي كي يسمعني الداني منهم والقاصي: «اعلموا أني غير موافق على قرار الهروب والخذلان واني مقيم هنا ما بقيت الأرض ثابتة تحت أقدامي ولن أسمح لنفسي أن أتفوه بما تفوهتم بشأن الزبيري بعد أن وضع فيكم كل ثقته.. وكنتم قبل لحظات تشبهونه بالمهدي المنتظر.. وهكذا في رمشة عين تحول إلى جان ومجرم... ما أجبنكم يا أشباه الرجال...!

ومهما كان فراركم بالهروب أو البقاء فإني مقيم إلى أن يجيء الزبيري ولنا الأيام بيننا...».

بعد لحظات قليلة لم يبق في المكان سواي... بقيت أرقب عودة الزبيري على أصوات الشاحنات وصفارات الاسعاف وسيارات الشرطة والدرك والجيش تملأ المنطقة. فاجأتني سيارة تقف قريبا من مكان تواجدي... نزل منها يوسف بخروف مسرعا رفقة مساعده، مسحت نظراته المكان الذي هرب منه أصحابه جميعا... وقال بصوت يتمزق: «إن سي الطاهر موجود رفقة سائقه بمكان ما قرب الشريعة وقد كلفني بالمجيء إلى هنا بعد أن وصف لي المكان وصفا دقيقا... فطمأنته لأني تعودت التردد على هذه المناطق أيام الثورة التحريرية...»، ركبت سيارته وتوجهنا إلى مكان الزبيري وقد كانت حركة المرور توحي بالوضع المتوتر... وبمظاهر الحرب... عشرات السيارات المصفحة تجوب الطرقات وسيارات الإسعاف... وانتصبت مراكز التفتيش على طول الطريق... انتهينا إلى مخبأ سي الطاهر الزبيري صحبة سائقه بالقاسم ولا أحد سواهما... وقد تخفى بمنزل أحد مجاهدي ثورة التحرير وابن شهيد يسمى: جمال، مددت له يدي أول مرة ولم أكن أعرفه من قبل عن كثب... تفرست في وجهه فوجدت فيه صدقا لم نطل الكلام في المجاملات وذهبت أسأله رأسا عن الهدف من هذا التمرد وما آلت إليه

العمليات العسكرية.. وقبل أن يجيب سألني عن الذين كانوا معي من عسكريين ومدنيين... قلت: «تفرق الجميع وعاد كل من حيث أتى»، دون تفاصيل... اندهش الزبيري... لم يكتم وقع الصدمة على قلبه وقال بصوت غريب: «كيف حصل ذلك الأمر؟ ولماذا تفرقوا؟ لماذا لم ينتظروا أوامري؟ وفي أي مكان هم الآن...؟»، أشفقت عليه أيما إشفاق وكبرت في نفسي أفعال الخيانة في اللحظات الحرجة. فأكدت كلامي إليه ثانية بأن رفاقه قد تفرقوا وما عليه إلا أن ينجو بنفسه وهو المحاصر من جميع الجهات... وأردفت: «أنت في وضع لا يحسدك عليه أحد لأنك وحدك تجابه النظام لاصديق لك ولا نصير... وأرجو أن تشق بي وتعود معي...».

هدأت نفسه قليلا... ورفع يده المرتعشة إلى وجهه يمسح عرق جبينه... وقال: «أود أن أعرف أولا بأول ما الذي جرى في منطقة العفرون، لأعرف كيف أتصرف بعد ذلك». قلت: «لا تشغل بالك الآن بهذا الموضوع ولك أن تهتم بما هو أجدى وأنفع... ورغم أني لا أوافقك على أسلوب تمردك لا دفاعا عن النظام وقد واجهته... وأنت أعلم الناس بذلك .. لكن ما لا أوافقك عليه هو الأسلوب الارتجالي للتمرد... وما ترتب عنه من ضحايا أبرياء... إذ لم أعد أوافق على إراقة دماء الجماهير مهما كان السبب». أحس الزبيري بالأمان في ذلك المكان... فتركته بعد أن أوصيت به صاحب الدار خيرا... ورجعت أدراجي قاصداً مدينة العفرون رفقة أحد جنوده يدعى حمود الباي وكان بلباس مدني... وما إن دخلت مدينة العفرون حتى صعقتني مظاهر الخراب، بنايات محطمة وسيارات محترقة وشظايا مدافع وقنابل غمرت بدورها الأماكن، جماهير مرعوبة.. أعداد هائلة من رجال الجيش والدرك تغطي المكان... أشلاء ضحايا كثيرين مكدسة على الطرقات... انه منظرمهول يدمي القلب... وأيقنت بخبرتي أن المعركة انتهت وأن الجيش النظامي يسيطر على الوضع كلية.. فلاحظت على حافة الجسر توقف القوات النظامية بعد أن سدت الطريق بعدد هائل من السيارات المدنية والشاحنات.. وعلى الضفة الأخرى رابطت قوات تحرس المنطقة مصوبة أسلحتها الرشاشة ترقب الطوارئ.. بعد هذه النظرة العامة بدأت أتفحص بدقة مجريات العملية العسكرية والأسلوب التكتيكي المستعمل فيها من قبل المتمردين... فتنبهت الى أن خطتهم التي اتبعوها كانت أحد أهم أسباب فشل

قواتهم دون تحقيق اهدافها المرسومة مسبقا وهي الانتهاء إلى مشارف العاصمة ومحاصرتها...

لما باغتت القوات النظامية جنود الدبابات على مداخل مدينة العفرون ارتبك جنود أول دبابة تهم بتجاوز الجسر... وزاد في ارتباكهم ما شاهدوه من شاحنات وسيارات وضعها الجنود النظاميون على الجسر لقطع الطريق أمامهم.. وبذلك ترك هؤلاء دباباتهم ولاذوا بالفرار... الأمر الذي عرقل جميع الدبابات الأخرى عن اجتياز الطريق... وصارت تلك الدبابة حاجزا عسكريا قويا لباقي القوات المتمردة . .. ولولا ارتباك الجنود الذين كانوا على رأس القافلة لتمكنت الدبابات المجنزرة بما لديها من إمكانيات تقنية عالية مسح الطريق وإلقاء تلك الحواجز جانبا ومواصلة الزحف قدما... أما منظر الجثث الملقاة على الجسر وعلى الطريق وبجانب الدبابات فيثير مشاعر الخزي والعار... ومظاهر الجرم التي يرتكبها القادة ضد أبناء الجماهير الأبرياء... الذين جاؤوا بهم من مدارس أشبال الثورة... ومدرسة صف الضباط.. الذين يجهلون تقنيات القتال... فداخلتهم الفوضى وكانوا عرضة للموت المجاني...

كان قائد الجيش النظامي في تلك العملية الضابط زرقيني الذي التزم الخطوط الخلفية وراء المتاريس والأحجار ودفع بالشبان الى قلب المعركة...

أما عن الجانب الآخر فقد قاد عمليات التمرد كل من الضابط ملاح، والعياشي...

لم يدم الفصل الأول من المعارك طويلا... بحيث وقف الجيشان كل على جانبي الواد يفصل بينهما الجسر المعطل بالدبابات والسيارات، توقفت المناوشة دون غلبة حاسمة لأحد الطرفين.. إلى أن وصلت طائرتان عسكريتان الى أرض المعركة وبدأتا تلقيان القنابل عشوائيا ولم تسلم من دمارها حتى القو ات النظامية نفسها مما زاد في حجم الخسائر وعدد الضحايا... وكان بامكان القوات النظامية أن تستغني عن إدخال الطائرات الى أرض المعركة ما دامت قواته تسيطر على الوضع بما لديها من آليات وإمدادات كبيرة .

إن الأسلوب الاستعراضي الذي مارسه النظام بتهويل حجم التمرد... واستدعاء قوات جرارة وإدخال الطائرات أرض المعركة... كان الهدف منه ابتزاز

الرأي العام... والظهور بمظهرالمنتصر القوي من جهة... وبترتيب الأجواء من جهة أخرى ليحصل على مسوغ يعاقب به المتمردين أشد عقاب...

وهكذا ارتفع عدد الضحايا والدمار وكان . من بين الذين قتلوا يومها المجاهد الزبير بن الوناس الذي يشغل منصب محافظ مدينة العفرون... وغيره كثيرون..

في غمرة قصف الطيران لمواقع المتمردين فر الجنود والضباط تاركين وراءهم سياراتهم وآلياتهم المجنزرة... ودباباتهم.. وأعطوا أقدامهم للريح... دون أن يتصدوا للطائرات بما لديهم من مدافع مضادة للطائرات... فتأكدت أن الجنود لم يتدربوا بكل أسف على استعمال الأسلحة التي كانت بحوزتهم ولم يعرفوا حرب العصابات. لجأت قوات العقيد الزبيري إلى الغابات والأودية المحيطة بالمنطقة.. بعد أن انتظروا طويلا ما وعدهم به سعيد عبيد من مساعدة وهم من ضمن فيالقه... وتحت قيادته... وهكذا أخلف السعيد عبيد الوعد وترك الزبيري وقواته تدفع الثمن دون أن يسندها... بل لجأ إلى مكيدة فاشلة سرعان ما تفطن لها بومدين بدهائه المعهود... بحيث اتصل السعيد عبيد بالعقيد بومدين يستشيره ويعرض عليه الوساطة بينه وبين الزبيري... لكن بومدين الذي فهم قواعد اللعبة فاجأه بجواب مفحم قائلا له : «ان الوقت قد فات ولم يعد صالحا للمساومة بعد أن وقع الانقلاب وكان الأولى بك أن تعلم ما يدور حولك ضمن حدود اختصاصك العسكري... أما الآن وقد تم القضاء ووقع الانقلاب بعلمك أو بدون علمك لا أقبل أن تتصل بي ثانية على الإطلاق »، لم يتحمل السعيد عبيد ما سمعه من بومدين.. فعمد فورا إلى الانتحار حتى لا يتفضح أمر تورطه في التمرد... وتخليه عن وعده وقد تأكد لديه فشل المتمردين... وتفطن بومدين لمناورته في طلب الوساطة. وهكذا مات السعيد عبيد في صمت تام ولم يثر موته أي مظهر من مظاهر الحزن أو السؤال... بل قدم بقتل نفسه فرصة ذهبية للضباط المعروفين بولائهم لفرنسا وترك منصبه المرموق شاغرا لهؤلاء...

أحكمت القوات النظامية قبضتها على جنود الزبيري الذين تفرقوا في الجبال دون قيادة أو دليل... ونشطت حركة أجهزة الأمن بحثا عن مخبأ الطاهر الزبيري قائد التمرد... أدركنا الليل بظلامه الحالك.. وخيم على المدينة حزن مميت بعد أن انقطع عنها نور الكهرباء... وتفشت الفوضى في صفوف القوات التي تحاصر

المنطقة، اغتنمت ذلك الوضع وأرسلت رجلين في طلب الطاهر الزبيري... الذي تسلل مع المبعوثين إلى ميدان المعركة خفية مخترقا الحصار المضروب على المدينة من قبل رجال المظلات... اغتنم بعض أوفيائه من العسكريين وجوده لأن يتسللوا إلى أرض المعركة ويناوشوا القوات النظامية ثم انسحبوا إلى مواقعهم الخلفية... وتمكن بعضهم من غنم كميات هائلة من الأسلحة والمؤونة إثر انحراف أحد القوافل العسكرية التابعة للجيش النظامي عن طريقها فوقعت بين أيدي رجال الزبيري الذين تمكنوا من غنم كل ما كان معها... وبذلك ارتفعت معنوياتهم القتالية... بعد أن توقفت آلياتهم ودباباتهم.. لانعدام البنزين بها... على إثر هذا الانتعاش توجهنا إلى مدينة الجحوط حيث تمكنا من ملء عشرات البراميل بالبنزين والوقود وعدنا بها لنفرغها في محركات الدبابات وبذلك بدأ هديرها يملأ الليل من جديد، الأمر الذي وضع القوات النظامية في حالة ذعر مهولة وفوضى لا حد لها... وقد حذر الزبيري قواته من التقدم باتجاه العاصمة، بل أمرهم بالتراجع إلى الخلف عكس ما كنت أتخيل، كان المشرف على العمليات الطاهر الزبيري شخصيا وقد توخى ذلك التكتيك ليخفف من الخسائر في الرجال والعتاد... لعلمه أن الطائرات العسكرية ستواصل قصفها لمواقع قواته في اليوم الموالي... وستشدد القوات النظامية الحصار على قواته وبذلك فكر في الانسحاب طمعا في وصول دعم ومساندة محمد الصالح يحياوي الذي وعده بذلك بعد أن تخلى عنه السعيد عبيد، وبعض من وعدوه من أعضاء مجلس قيادة الثورة... بقينا على تلك الحال من الانتظار والترقب إلى فجر اليوم الثاني من أيام التمرد لكن دون أن تسندنا قوة أو أن يدعمنا قائد، وتبخرت وعود الذين قالوا للطاهر الزبيري: « تمرد ونحن إلى جانبك...! » سمعت الطاهرالزبيري يقول لي: «لم يأت لنصرتنا أحد رغم وعودهم والتزاماتهم... فما العمل وجنودي الذين تحملوا معي مسؤولية التمرد أراهم تائهين في الأحراج والغابات تطاردهم قوات النظام...»، تاطعته وقد أشفقت عليه وقد رأيت جفونه تقرحت بفعل البرد وطول السهر، قلت له: «سبق لي أن حذرتك بأن الثقة قد عزت... وأن ما أقدمت عليه غير تام الشروط... ولا يعني أني أتخلى عنك في هذه الظروف أبدا... وبما أنك استجرت بي فثق أني على العهد حتى أجد لك مستقرا آمنا...» لم يتفوه بكلمة واحدة وبقي ينظر من فوق أكمة صغيرة إلى الأفق الملبد بالغيوم...

وانشغلت عنه بذكريات الماضي وجراح الوطن الذي ظل يقدم ابناءه قربانا للموت دون توقف. وانبرت أمام عيني صور رجال عظام تهاووا كأعجاز نخل في متاهات الكثبان.. وقفزت بذهني صورة إعدام شعباني.. وقلت في نفسي أن مصير الزبيري هو مصيره... وتراقصت الأوهام بذكرى عشرات الدبابات الرابضة في الوحل والطين وفوهات مدافعها مشرعة إلى المجهول، سيارات محطمة.. جثث تهاوت كأنها خشب مسندة... وطن ممزق تتقاذفه الأهواء وتتربص به ذئاب الاستعمار في الداخل والخارج... شاهدت شبابا صغارا من بين المتمردين، وكهولا... أشفقت عليهم من مصير مجهول بين أيدي ضباط تعلموا أن يمتصوا دم الجماهير... كان في ظني أن أقول كلاما كثيرا... أن أسأل الزبيري عن سر مغامرته عن خلفياتها، وأهدافها عن خطته الاستراتيجية، وتوزيع الأدوار في المعركة، عن تحقيق الامدادات... بل وعن تصوره لمحاولة انقلاب تبدأ بزحف على العاصمة بالدبابات عن بعد مائتي كيلومتر؟ وكان الأولى بقواته أن تبدأ زحفها واحتلال المواقع الحساسة في الدولة والجيش ووسائل الإعلام من أقرب مكان ممكن... فضلا عن ملاحظات لا تقل أهمية عن هذه الملاحظات... لكن ما فائدة أن أحدث قائدا مهزوما ينظر بعين البائس لجنوده وضباطه وقد تاهوا في الجبال.. وإلى دباباته المعطلة في الوحل فآثرت الصمت على الكلام والمعاناة على البوح...

تمددت على الأرض الندية أرمق بعض الأنوار المنبعثة من قرية حمام ريغة ومن مصادر النوع في الطريق العام أحسست بقشعريرة برد يلسع عظامي... لكني صبرت وفضلت أن ألقي بجسدي إلى جحيم البرد على أن أظل أراقب أشباح الهزيمة التي تملأ المنطقة..لكن جافاني الكرى وقضيت بقية ليلتي ساهرا إلى طلوع الصباح حيث بدأت معالم الحركة تملأ الأجواء، وأصوات شاحنات الجيش وسيارات الدرك والشرطة تصم الآذان... وبعض رجال ونساء يسرعون الخطى في طريقهم إلى قرية حمام ريغة..

مددت يدي أدير زر المذياع الذي كان صحبتي علني أستمع إلى نص التصريح الذي وعد به يحياوي صديقه الزبيري.. لكن المفاجأة كانت أكبر من كل توقع لم يتأخر محمد الصالح يحياوي عن الادلاء بتصريحه في وقته... لكنه جاء مناقضا لما وعد بحيث صب جام غضبه وإدانته على حركة 14 ديسمبر، هذا بعد أن أكد المذياع أن القوات النظامية تسيطر على الوضع العام في منطقة العفرون

وأن الانقلاب فشل فشلا ذريعا... بعد ذلك قرأ العقيد هواري بومدين نص تصريحه الموجه إلى الشعب والجيش بوصفه رئيس مجلس الثورة والقائد العام للقوات المسلحة... وكان تصريحه أقل حدة من تصريح يحياوي وخاليا من الشتائم والمهاترات التي اتسم بها تصريح يحياوي صديق الزبيري وحليفه. في تلك اللحظة فقط استفاق الزبيري من غفوته وأدرك أنه وحيد يواجه مصيرا مجهولا وأن نظام بومدين لن يمهله لحظة حتى يقبض عليه حيا أو ميتا... تأكد انه خسر المعركة والرفاق والأصدقاء... طلبت منه ألا نغادر المكان إلا لمكان أكثر أمنا وقد تأكد لدي أن القوات النظامية تقوم بحملة تمشيط مركزة بحثا عن الزبيري ومعاونيه وجنوده... لذا أثرت عليه أن نمكث في مكاننا إلى أن يجن الظلام... فنسير إلى مكان آخر أكثرأمنا... هجم الليل على المكان وغطى المنطقة بسواده فتهيأنا إلى الرحيل وكنا أربعة، الزبيري وأنا وجنديان من أصفيائه... تسلقنا الصخور الوعرة باتجاه قمة الجبل... إلى أن انتهينا إلى مكان انتشرت به بيوت من طين تكاد لا تظهر للعيان دخلنا إحداها... فاعترضنا صاحبها بالأحضان ومظاهر الفاقة والفقر تعلو كل شيء في البيت... ودون أن يمهلنا أمر رب البيت بصوت جهوري زوجته أن تحضر لنا أحسن ما تملك من طعام... وكنا أيامها في شهر رمضان المعظم. بعد لحظات جاءت الزوجة بأجمل ما لديها وكان الإفطار عبارة عن "حسوة" قدمت من دقيق العدس الأسود وقليلا من خبز الشعير...

التفت إلى الزبيري وقلت له: «أرأيت ماذا يأكل أبناء الشعب في شهر رمضان.. علما بأنه أفضل ما لديهم على الإطلاق... هؤلاء الذين أعطوا أعز ما لديهم للثورة بالأمس، وهاهم يجازون عما أعطوا...» ترقرقت عيناه بالدموع وكف عن الأكل: وطلب جرعة ماء يملأ بها بطنه الخاوي تاركا بعض ما في الصحن لتلك العائلة الفقيرة علها تسد به رمق الجوع في سحورها...

بقينا على تلك الحال من التخفي نسير الليل ونختبىء النهار في تلك الأماكن الآمنة التي خبرتها طيلة سنوات الحرب التحريرية... إلى أن فاتحني الزبيري بأنه قد مل ذلل الأسلوب من التمرد قائلا : «أن حل قضيتنا لا يمكن أن يكون إلا

في باتنة لأن فيها أقارب ومعارف وأنصار... وتوجد بها فيالق عسكرية جاهزة لأن تتبع أوامري...».

خامرتني شكوك في إمكانية خطته الجديدة بعد أن فشل تمرده فشلا ذريعا... وترددت في مصارحته بما أرى... أكدت له أن ذهابه إلى باتنة يقع على مسؤوليتي لكني صارحته بأني لا أستطيع مصاحبته إلى هناك...

رفع رأسه متأملا وهو كسير الجانب يريد أن يبوح بكل ما يمخر كيانه من عواطف الحزن وبقايا الهزيمة... واليأس من الأصدقاء الذين خانوه.

3 - كيف تم تهريب الزبيري ؟

استمر الزبيري هائما على وجهه من جبل لآخر ومن مخبإ لآخر... وصادف أن كنا على قمة جبل غشاه ضباب كثيف... تناهت إلى مسامعنا أصوات وضوضاء مختلفة قادمة من سفح ذلك الجبل... انتبهنا فإذا قوات الجيش والدرك والشرطة بأسلحتها وكلابها المتخصصة تفتش عنا... وقد كنا وقتها غارقين في حديث أخوي صريح ومباشر، وقد واجهت فيه الطاهر الزبيري بسؤالي: «لماذا لم تنتفض قبل اليوم وكنت من أكبر المتحمسين لانقلاب 19 جوان 1965 رغم أنك كنت تعلم أن الرئيس المخلوع وافق على اقتراح أصدقائك بتعيينك قائد أركان الجيش وهي الفرصة التي سمحت لك بأن تكون في موقع تعدل منه جميع موازين القوى في السلطة وتطهر صفوف الجيش الوطني الشعبي...»، فرد وهو يطلق صفيرا حادا وعلامات القلق بادية على وجهه: «لا أنكر أني كنت من الحاقدين على بن بلة بعد أن كنت من أكثر المؤيدين له... وفي لحظة عاطفة غير مشبعة بتوجيه العقل تحمست لانقلاب بومدين وأيدته دون اعتبارللنتائج، وقد بدأت كراهيتي لبن بلة يوم أن أساء فهمي وتهكم علي في اجتماع رسمي... حيث كنا نحضر احتفالات ثورة أكتوبر السوفياتية والتفت إليه وقلت: «لماذا لا تصدر أمرا بمنح واحد من ضباط الجيش الوطني الشعبي رتبة «ماريشال» وتكون الرتبة رمزية حتى يكون في مستوى الوفود العسكرية الدولية التي نستقبلها من حين لآخر... على أن يكون هذا الضابط مثلا محمد الحاج باعتباره أكبرنا سنا...»؟

رد بن بلة على اقتراحي باستهزاء قائلا: «انتهى عهد الموس ياسي الطاهر». وقتها لم أتمالك نفسي وقلت على الفور: «لولا الموس لما أصبحت رئيس

الجمهورية ولما دخلت الساحة الحمراء» ونهضت فدخلت غرفتي الخاصة قبل انتهاء موعد الزيارة على أمل أن أعود إلى الجزائر في أول طائرة أعثر عليها... تبعني محمد حربي إلى الغرفة وجلس على حافة الفراش وقال، مبتسما: «لا يجب أن تأخذ الأمر مأخذ الجد... لأن الرئيس كان يداعبك متعمدا إثارتك... لا تنس أنه يكن لك احتراما لا مثيل له، ثم ما مبرر غضبك وقد كنت في جوابك أكثر قسوة ألم تقل له: « لولا الموس لما أصبحت رئيس الجمهورية» أقنعني محمد حربي وقتها بوجهة نظره وتمت زيارتنا بسلام.

عدنا إلى الجزائر وفي أول لقاء جمعني ببومدين واجهني بكلماته قائلا: «ألم أقل لك أن الرجل سيذبحنا الواحد بعد الآخر...» وكان يلمح بقوله إلى حادثة الاتحاد السوفياتي وقد علم بتفاصيلها من قبل بعض أتباعه ضمن الوفد... أثار بومدين حفيظتي مرة ثانية ودفعني إلى الحقد على بن بلة من جديد... وكان ذلك الحادث نقطة تحول في موقفي الذي انتهى بتأييدي لانقلاب 19 جوان 1965 إلى جانب ما كان عليه بن بلة من فردية في الحكم...

لم أشأ أن أسأله عن أعضاء مجلس الثورة الذين شاركوه التخطيط... وعن الذين ألقي عليهم القبض وقتها من قبل قوات بومدين لأني كنت أعلم أن كل رفاقه ممن شاركوه التمرد تم القبض عليهم وجميعهم في مقر دائرة عين الدفلة وقيدوهم بالسلاسل كالوحوش الضارية وساقوهم إلى مصيرهم المجهول... ولم يبق قيد الفرار إلا هو... استغل جهاز الأمن والدرك معلومات هؤلاء المساجين باستعمال جميع وسائل الاستنطاق والتعذيب... استعملوها لأجل تحديد مجال تحرك الزبيري ومرافقه... ووجهوا حملاتهم التفتيشية في مناطق تواجدنا ليلا ونهارا، لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل ويئست وسائل مخابراتهم في العثور علينا في الجبال والأودية... فلجأ النظام إلى أسلوب جديد من المناورة، بحيث لجأ إلى توظيف أحد المقربين مني وهو المجاهد (بن ميرة) الذي كانت تربطني به علاقات متينة... وأعطوه جميع صلاحيات الاتصال بي مقدمين له كل التسهيلات بما فيها ترخيصا بالمرور في الليل وفي النهار... وقد حمله بومدين رسالة شخصية موجهة إليّ...

بعد مدة طويلة من التقصي والبحث اهتدى إلى مكان تواجدي... لكني لم أسمح له بلقائي إلا بعد أن تأكدت من صدق نواياه فأشرت على بعض أتباعي

أن يأتوني به، وكنت يومها والطاهر الزبيري في قرية أولاد ابراهيم.. تسلمت منه الرسالة : وذهبت أقرأ نصها على مسمع الطاهر الزبيري وأعدت قراءتها ثانية... وكان محتواها: أن طلب منا تسليم أنفسنا للنظام على أن يلتزم من جهته بعدم متابعتنا مع اعتبار أن الأزمة انتهت تفاديا لاستفحال الوضع كي لا تترتب عنه عواقب رخيمة تعادي مصلحة الوطن.

انتحيت بالزبيري مكانا بعيدا وقلت له على انفراد: «ليس هدف النظام حقن الدماء... بل هدفه ربح الوقت لمعرفة ما إذا كان لحركتنا أنصار آخرون غير الذين قبض عليهم... فقلت لمبعوث بومدين: «إذا كان هناك بد من التفاهم فلن نبخل به أبدا...».

هكذا عاد الرسول من حيث أتى دون الحصول على جواب محدد، واستمر اختفاؤنا في الجبال والمناطق الوعرة شهرا كاملا... إلى أن قرر الزبيري العودة إلى العاصمة وبعد إلحاح طويل منه.. حاولت أن أثنيه عن رأيه فأبى... وبدأت مرحلة جديدة في تهريبه إلى العاصمة، وانطلقنا مشيا على الأقدام متخذين المسالك الوعرة والطرقات النائية عن كل أثر حي... حتى دخلنا العاصمة متخفين بجنح الظلام...

بدأنا مسيرتنا من مدينة المدية مرورا بحمام ملوان حيث استرحنا قليلا ومنه إلى ضواحي مدينة الشبلي ثم دخلنا بئر الخادم في أحواز العاصمة... ورابطنا عند مدخلها الجنوبي... كان الزبيري يظن أنه سيلاقي في طريقه بعض المساعدات من أنصاره...لكنه صدم عندما لم يلاحظ طيلة مسيرتنا إلا قوات الدرك والجيش والأضواء الكاشفة تحرس الطرقات... جمدتنا عواصف الشتاء، وضبابه الكثيف وبرده القارس وأمطاره التي أرغمت قوات الأمن على التزام مراكزها والاحتماء بسياراتها... وفسحت أمامنا مجال التحرك ودخول العاصمة.. ومن بئر الخادم تحركنا ليلا إلى حي بوزريعة.. حيث بدأ الزبيري الاتصال ببعض أنصاره الموجودين في كل من منطقة حيدرة وبوزريعة، لكنه لم يعثر على أحد.. وقد علم أن رفيقه ملاح هو الآخر تائه يبحث عن ملجإ..

لم ينقطع الاتصال طيلة تلك المدة بيني وبين مبعوث النظام... وكنت أخفي عنه مكان تواجد الطاهر الزبيري باستمرار وقد أوهمته أن الزبيري مختبئ في جبال التيطري (مناطق المدية) والحقيقة أن الزبيري قد أخفيناه في إحدى الفيلات بمنطقة بوزريعة في حماية مواطن أعرفه جيدا وأثق به كل الثقة.

ذات يوم اتصل بي مبعوث النظام.. فواجهته بقولي: «انتهت مهمتك معي من الآن وإذا كان لا بد من اتصالات أخرى فيجب أن تتم بمحضر المسؤولين المعنيين.. مع احترامي لك...» جاء رد النظام سريعا وتمت الموافقة على اللقاء في حيدرة بمنزل السيد (علواش)، انتقلت خفية من مقر الطاهر الزبيري ببوزريعة إلى حيدرة حيث التقيت رجال الأمن وصورة اغتيال شعباني لم تفارقني... لكني لم أنس أن أكلف بعض أنصاري من المسلحين بمراقبة مكان اللقاء خفية والتدخل عند الضرورة... وما أن وصلت المكان حتى وجدت المرحوم صالح «فيسبة» وكان يشغل منصب محافظ الشرطة المركزي ومرافقته السيد لعريبي مسؤولا في المديرية العامة للأمن الوطني إلى جانبهما شخص ثالث لا أعرفه عرفت فيما بعد أنه ضابط في الأمن العسكري. : فاتحني أحدهم قائلا: «أصغ إليّ جيدا لأن ما أقول لك الآن هو كلام الرئيس هواري بومدين شخصيا...». قلت: «أسمعني ما قال الرئيس»، قال : «يقول لك بومدين انتهى الموضوع وانتهت آثاره... ولن تكون هناك متابعات أو محاكمات فيما يتعلق بمشاركتك في التمرد إلى جانب الطاهر الزبيري... لأننا نعتبرك بريئا رغم مساعدتك قائد التمرد الذي بفضل مساعدتك لم نتمكن من القبض عليه... واننا على يقين من أنه وقع إقحامك في هذا التمرد ولم تكن شريكا فيه مع سبق الإصرار والتخطيط والتنفيذ... الأمر الذي جعلنا نتأكد من براءتك..» وأضاف آخر: يقول لك بومدين: «إن المطلوب منك الآن هو كتابة تقرير مفصل عن سير الأحداث مع الإشارة إلى لقائك بالطاهر الزبيري... ولك أن تعود إلى بيتك وأسرتك بعد أن تخبرنا بمكان وجود الطاهر الزبيري». بهذه الرسالة الشفاهية الموجهة من طرف بومدين انتهى حديث مبعوثيه، ضحكت ملأى شدقي من غبائهم... وتأكد لدي أنهم جاؤوا للمناورة وربح الوقت، حتى يسهل عليهم اكتشاف مكان اختباء الزبيري فينقضون عليه دون رحمة...

لم أفوت تلك الفرصة وقلت لهم بحزم: قولوا لرئيسكم عن لساني: «إذا كان التقرير الذي يطلبه مني يخص مجريات أحداث التمرد... أعتقد أن بومدين وأنتم أنفسكم بحوزتكم جميع المعلومات التي أعرفها ولا أعرفها... وما ذلك إلا من اختصاص أجهزة الأمن والمخابرات أما أنا فمجرد مناضل لا غير... أما إذا كان التقرير يخص الأوضاع الاجتماعية والسياسية للبلاد، فإني أطالب بومدين أن

يكتب شخصيا تقريرا يحلل فيه الأوضاع والأسباب لتي أدت بنا إلى المأزق الذي نعيشه ومنها تمرد الزبيري.. وقولوا له: لو أن الذي انهزم في هذه المعركة بومدين لحميته كما حميت الزبيري لكونه مجاهدا! لأنني أرفض أن يهرق دمه ويداس رمز وطني وصفحة من تاريخ الشعب ضحى من أجل أن تحفظ كرامة أبنائه وحياتهم.. إن حمايتي للزبيري هي مسؤولية وطنية وتسليمه إليكم معناه الموافقة على إعدامه كما أعدم شعباني من قبله وفي الختام إني على استعداد لمقابلة بومدين حتى أبلغه مواقفي...».

انتهى اللقاء بهاتين الجولتين... وخرجت من ذلك المنزل متخفيا عائدا إلى مقر إقامة الزبيري وكان ذلك في آخر يوم من أيام شهر رمضان المعظم 1967، وصلت إلى بوزريعة غروبا هانئ البال مطمئن النفس.. لأني أديت واجبي الوطني وأخلصت لأمانتي... وافيت الزبيري بتقرير شفهي عن لقائي بمبعوثي النظام... قرر على أثره أن يتحول إلى باتنة كما كان يفكر وبدأت المرحلة الأخيرة من مراحل تخفيه وهروبه...

بعد مفاوضات طويلة وشاقة بيني وبين مالك شاحنة من سكان منطقة باتنة كان قد دلني عليه الزبيري لثقته فيه... اتفقت معه على أن يهرب الزبيري بشاحنته من العاصمة إلى الأوراس اليوم الرابع بعد عيد الفطر المبارك... تحت جنح الظلام جئنا بسيارة صغيرة إلى باب الفيلا التي يقيم فيها الزبيري دون أن يتوقف محركها... وخرج في نفر من المناضلين ومعهم رب المنزل وقبل أن يمتطي السيارة حدق الزبيري طويلا في المنزل الذي احتضنه أياما صعبة وعانقنا الواحد تلو الآخر، وقد كان تأثره لا يوصف وهو يودعني تمنيت له النجاح والتوفيق في رحلته وتحركت السيارة إلى ميناء العاصمة أين تترقبه شاحنة خاصة تعودت أن تتسلم حمولتها من محل يبيع بضائع الجملة قرب الميناء...

وهكذا نجحت خطة تهريبه إلى منطقة الأوراس مهد الثورات ومأوى الأبطال... ولم نتركه يسقط بين يدي الذين لا يفكرون الا في تصفيته جسديا، هكذا سلم من الموت تاركا وراءه قصة من الذكريات... وبداية مشوارآخر سأمشيه وحدي على الإبر والأشواك.

4 – وكانت الخيانة أسبق من الهزيمة .

بعد أن اطمأن قلبي على مصير الطاهر الزبيري وتهريبه سالما إلى منطقة الأوراس... غادرت ملجأ بوزريعة إلى بيتي في منطقة حيدرة وبقيت أتنسم أخبار وصوله... ولم ينم لي جفن إلا بعد أن تأكدت من وصوله سالما وقد ترسبت في أعماقي حقيقة مؤلمة أن الزبيري لم يخسر المعركة يوم أن نبه الوشاة بومدين إلى كثرة تحركاته وتنقلاته بين العاصمة وبين مدينة برج الكيفان (شرق العاصمة) أين يرابط فيلق الدبابات.. حيث كان كثير الاجتماعات بضباط الثكنة.. ولا يوم أن وافق على خروج ذلك الفيلق إلى منطقة الأصنام، ولا حتى يوم أن هزمت قواته على مداخل مدينة العفرون وتيهان رفاقه وجنوده في الجبال والسهول.. ولكن هزيمته الحقيقية بدأت يوم أن باع نفسه لرجال ليس في قاموسهم مكان للثقة.. يوم أن كاشف السعيد عبيد ومحمد الصالح يحياوي بخطته وباح لهما بسره الخطير.. وصدق بعد ذلك مزاعمهما بدعمه ومساندته.. وكانت الخيانة أسبق من الهزيمة.

عدت إلى حياتي العادية بين أسرتي وأبنائي بعد غياب طويل وعناء الليالي والجبال وبرد الشتاء الذي لا يرحم.. توهمت أجهزة النظام أن الزبيري ما زال على اتصال بي وأنه لم يغادر المنطقة.. وراهنت على عامل الوقت متوهمة أنها ستقبض عليه لا محالة.. والتزمت عدم إزعاجي.. فلم يأت إلى بيتي شرطي واحد ولا دركي.. إلى غاية شهر أفريل 1968، لم تنم أجهزة النظام طيلة تلك الشهور بل عمدت إلى أسلوب مخابراتي جد متطور ولكنه أسلوب خسيس ووضيع.. بحيث هجرت الأسرة التي كانت تسكن البيت المجاور لبيتي وخصصته لإيواء بعض العجزة وأطفال الشرطة والأمن للتمويه فقط.. ونصبت فوق أسطح المنازل وعلى شرفاتها (كاميرات) وآلات تسجيل دقيقة وتصوير وتصنت، وبهذا الحزام الأمني المضروب على بيتي غدت تراقب جميع تحركاتي ولقاءاتي وأحاديثي ومكالماتي.. حتى أنفاسي سمعتها في آلات تسجيلهم عندما قبضوا علي وراحوا يستنطقونني.. لم أغير طيلة تلك المدة أسلوب حياتي وعاداتي وتقاليدي.. وظل بيتي مشرعا للجميع، يأتيه القاصي والداني، الرجال والنساء والشيوخ.. ومعظمهم من جنودي القدامى وأطفالهم وعائلاتهم، وأبناء الشهداء.. وقد تم استنطاقهم فيما بعد عندما قبضوا عليّ وبدأ التحقيق معي.. ولم يسلم

أحد ممن زاروني في تلك الأيام من جحيم التحقيق البوليسي والأمني... حتى الشيوخ والأطفال وبعض أصدقائي من المجاهدين المعروفين... تضايقت كثيرا لذلك الأسلوب المفضوح... فقررت أن أريحهم من متابعتي وأرتاح بدوري وأضع حدا لمضايقة زواري ومتابعتهم بوليسيا... فسافرت إلى الخارج في رحلة طويلة معتمدا جواز سفر مزيف باسم مستعار، وقد ساعدني عليه بعض أصدقائي المخلصين وتقرر سفري يوم 27 أفريل 1968 إلى فرنسا، حيث دخلت بمطار السانية بوهران متخفيا وتمكنت من مغالطة رجال الأمن وحرس الحدود الذين شددوا رقابتهم على جميع المسافرين وقد ملأت صوري الشخصية مراكز الشرطة ومراكز الحدود تحسبا لأي هروب أو طارئ آخر... فشلت مخططات أجهزة أمنهم رغم وسائلهم التكنولوجية العالية... وسقطت خرافة متابعتهم لي... وهكذا غادرت الجزائر تاركا ورائي زوجي وولدي وابنتي التي لم تتجاوز شهرها السادس وباقي أسرتي وأصدقائي.. وما إن حللت بباريس حتى جد الأصدقاء في طلبي...

5 - مع كريم بلقاسم في باريس.

اتصل بي السيد كريم بلقاسم من خلال رجاله وكان وقتها يرأس حركة سياسية معارضة أطلق عليها: «الحركة الديمقراطية الثورية» (M.D.R) وقبل أن أجتمع إليه اتفقنا على أن يكون لقاؤنا أخويا وشخصيا لا لقاءا سياسيا، فوافق على هذا الشرط... وفي أحد الأيام بينما كنت في إحدى المقاهي المتواضعة... التي يملكها مهاجر جزائري في الدائرة التاسعة لباريس شاهدت كريم بلقاسم وقد انتحى ركنا من أركان المقهى، وذهب يعب قهوته بهدوء وبيده صحيفة يطالع فيها أخبار اليوم، اقتربت منه دون أن يحس بوجودي حتى إذا انتبه فجأة انتصب واقفا وفتح ذراعيه واحتضنني بقوة وهو يطلق ضحكة طفولية خالصة وكأنه يعانق من خلالي جبال الجزائر وزيتونها وأرزها وصنوبرها... وأخبار البلد... وكنت لم أره منذ أن غادر الجزائر سنة 1965... حدقت في ملامحه فرأيت أمواج التجاعيد تملأ محياه وافترت عيناه عن نظرات حزينة وقد ضاع عنها بريق سنين الثورة والنصر...

وبعد أن أفرغنا من أحاديث الحال والعيال.. والذكرى.. واجهني كريم بسؤاله عن طبيعة أحداث حركة 11 ديسمبر 67 ونتائجها ونهاياتها ومصير الزبيري..؟ رويت له كل التفاصيل التي أعرفها.. سردا وتحليلا.. وطمأنته عن حياة الطاهر الزبيري الذي تمكن من الهروب بجلده والاختفاء في نواحي باتنة.. ثم انتقل كريم إلى الحديث بإسهاب عن حركته السياسية «الحركة الديمقراطية الثورية» وعن دورها وأهدافها التي تشكلت من أجلها.. فإلى جانب كونها تطمع إلى الإطاحة بنظام الحكم في الجزائر ستعمل على تطهير صفوف الجيش من عملاء فرنسا من ذوي دفعات لاكوست، (ولالواكادر) وغيرهما.. وبناء الجزائر المستقلة.. واستمر كريم في سرد آفاق عمله السياسي بحماسة وشجاعة وبصوت عال حتى أنه جلب انتباه زبائن المقهى كان كريم صلبا وشجاعا.. لا تعرف الخشية سبيلا إلى قلبه.. لمست في كلامه صدقا وإخلاصا.. حتى أني نسيت كريم اللاجئ في مقاهي باريس بل عادت بي الذكرى إلى سنوات خوالٍ كان فيها كريم شبلا سكن الجبال وعارض الاستعمار سنين طويلة قبل اندلاع ثورتنا التحريرية.. بعد قيامه بتلك العملية البطولية قتل فيها أحد الخونة من عملاء فرنسا وكان من بين أقربائه.. لم يعر كريم أهمية للقرابة والدم.. بل آثر مصلحة الوطن العليا.. ولما عرض عليه رفاقه الأوائل مشروع الثورة لم يتخلف لحظة عنهم وكان بذلك خير أخ وأصدق مجاهد وأقدر قائد.. حتى إذا جاءت لحظة جني ثمرة السيادة قاد كريم مفاوضات ايفيان عن الجانب الجزائري، وجادل العدو الند للند وفرض عليه إعجابه وخوفه منه.. وها هو اليوم رغم مافيه من تشرد وهجرة فإنه يزداد يوما بعد يوم تصلبا وتصميما على الثورة وعلى تصحيح الانحراف.. بقيت أراقب كريم في ذلك اللقاء وهو كشعلة من نور لا تنطفىء.. أراقبه في حركاته وسكناته وقد بدا لي قطعة أثرية نادرة في تاريخنا الثوري.. انتهى ذلك اللقاء دون أن نتفق على لقاء ثانٍ.. ولم يعدني بشيء.. ولم يلزمني بموقف سياسي معين.. وتمنيت لوطال اللقاء أكثرحتى أعب من فيض ثورته وصدق سريرته..

تكررت اللقاءات فيها بعد.. ولم يتمالك كريم أن دعاني إلى الانضمام إلى حركته والعمل داخل صفوفها.. لكنني رفضت طلبه بلطف حتى لا أثير حفيظته.

6 – مخابرات بومدين تخترق صفوف معارضة كريم بلقاسم:

في إحدى لقاءاتي مع كريم بلقاسم صادف أن حضر إليه رجلان.. كنت على معرفة جيدة بهما.. وهما ممن يعشقون الأضواء وتعاطي الدعاية الإعلامية وحب الظهور.. وقد أيقنت أنهما استحوذا على عقل كريم وأوقعاه في شراكهما أيما إيقاع.. وصورا له الوضع في الجزائر على أسوإ حال.. حتى أوهماه أنه بمجرد وصوله الجزائر ينهار الحكم وتدنو منه السلطة.. وكان الرجلان من أتباع كريم كما زعم لي شخصيا.. والحقيقة أنهما يعملان لصالح المخابرات الجزائرية وقد اخترقا صفوف حركته... لتقويضها من الداخل.. كان أحدهما من بين الذين أعرفهم حق المعرفة وأعرف أنه موظف في جهاز المخابرات الجزائرية وقد دخلها لتحقيق أغراضه ومنافعه ولم يكن رجل مبادىء.. وقد كان ضابطا سابقا في جيش التحرير، جرح في ظروف غامضة وأسر.. ثم قرمن سجنه جريا.. بسرعة لا يصدقها عقل سليم ثم انتقل إلى تونس حيث استطاع أن يوطد علاقته بكريم بلقاسم.وهو وزير في الحكومة المؤقتة..

أخفى في ثيابه يوم لقائنا نحن الأربعة في باريس جهاز تسجيل صغير.... أما رفيقه فذهب يسجل كل عبارة تفوه بها كريم عن حركته.. ومشروع إطاحة بحكم بومدين وكانا يشجعانه على المزيد من الحديث والتفاصيل التي لا يرغب فيها عادة الا رجال المخابرات والأجهزة الخاصة.. لم يبخل كريم بكل ما لديه من معلومات وأسرار عن حركته برجالها وتنظيمها وأهدافها السياسية والعسكرية وخطة الإطاحة ببومدين وسلم لهما نسخة من برنامج عمل منظمته!..

التزمت الصمت المطبق ولم أتفوه بكلمة واحدة في حضرتهما.. باستثناء إلقاء التحية.. ولما هممت بمغادرة المكان بعد طول اللقاء التفت إلى كريم وقلت له: «أود أن أخبرك يا كريم أن المعارضة من خارج الوطن هي معارضة محكوم عليها بالفشل الذريع، لأن الشعب الجزائري الذي تعرفه أحسن مني يرفض المعارضة من الخارج.. ولا سبيل إلى اقناعه إلا بمبدإ المعارضة من الداخل المنبثقة منه.. إن لشعبنا حساسية مفرطة تجاه أي حركة خارجية.. ولا تنس أن ثقته فيكم أنتم أيام كنتم أعضاء في الحكومة المؤقتة أكثر بكثير من ثقته في الفدائيين

والمجاهدين في الداخل.. ونظام الحكم في الجزائر اليوم من غير المنطقي أن نغيره من خارج الجزائر...".

رد كريم بهدوء عجيب : قائلا : "ثق أن لي قاعدة جماهيرية واسعة داخل الوطن وبامكاني الاعتماد عليها عندما تحين الفرصة.." لم أشأ أن أذكره بأن هذا الشعار مستهلك وكثيرا ما سمعته من قبل يردده بوضياف، وخيضر ثم ودعته متمنيا له النجاح دون أن نتفق على موعد لقاء وقد أدرك كل منا مبتغى صاحبه وأسلوب عمله وقاعدة انطلاقه.. شكرت كريم على كرم الضيافة وقد تشرف يومها بأن قدم لنا وجبة جزائرية أصيلة وسقانا قهوة ساخنة وقد علق بقوله وهو يهتز جذلا: "لاشيء يحمينا برد فرنسا القارس إلا القهوة الساخنة.."

ودعت الحاضرين وتواريت في الشارع الفرنسي تبتلعني الجلبة وتعرقني أنفاق المترو... وشدّت ذهني صور الجدران الكبيرة الملونة، فشعرت بغرب الوطن واللسان.. إذ ليس في هذا البلد مال ولا أقارب ولا أصدقاء كل ما بيني وبينه ذكريات صراع مرير واستعمار... وقتل و تشريد وتجهيل شعب وسرقة ثرواته واغتصاب هويته.. واجهتني نفسي بحقيقة كبرى، لا بديل لي عن وطني قاعدة انطلاق.. وعادت من جديد صور أطفالي الثلاثة تشدني إلى حنين الوطن ولقاء الرفاق وحديث الأصفياء، فقررت لحظتها العودة إلى أرض الوطن وفي قلبي استعداد لأية مسؤولية أتحملها وأي طارىء أواجهه، لذت بالفندق وما إن دخلته حتى رن جرس الهاتف دون انقطاع.. رفعت السماعة فاذا مخاطبي من الجزائر. وقد فاجأني بقوله: إن رجال الأمن جادون في البحث عنك وعن الذين لهم صلة مباشرة بأحداث 11 ديسمبر... ونصحني أن لا أعود إلى أرض الوطن، سألته عن الأسماء الأخرى وما إذا كان النظام يفتش عنها ومن بينها اسمه الشخصي وقد ذكرته جزافا من بين الأسماء... فرد رجال الأمن يخصونك وحدك بالمطاردة والبحث قلت له: (إذا كان الأمر على ما تقول فإني عائد إلى الجزائر حالا على متن أول طائرة... " وقفلت السماعة، ثم نهضت أجمع أو باشي وأسوي وضعيتي المالية مع مقتصد الفندق... وخرجت مسرعا لأحجز مكاني على أول طائرة... لكن صادف أن كان موظفو شركة الطيران الفرنسي مضربين ذلك اليوم... توجهت إلى أحد أصدقائي أسأله أن يحصل لي عن تذكرة سفر في أية شركة طيران أخرى.

فلم يفلح... وتطوع بنقلي بسيارته الخاصة إلى جنيف وكان هذا الصديق الفنان الثائر... الشهيد محمد بودية... وفي طريقنا إلى جنيف تشابه علي الأمر وأشكل بين من يحثني على الاتصال هاتفيا بمدينة البليدة... وبين الذي ينصحني بعدم العودة إلى الجزائر... صدمت عندما لم أدرك أية رحلة جوية إلى الجزائر وفوجئت برحلة المغرب الأقصى التي تقلع فيها الطائرة اليوم الموالي... وكان كل ما أملك من مال لا يكفي لقضاء ليلتي في جنيف ريثما تصل الطائرة المباشرة بين جنيف والعاصمة الجزائرية، وبعد لأي... عثرت على فندق متواضع لا يقصده إلا العمال السود في سويسرا والمعدمون مثلي، قضيت به ليلتي على مضض... وفي الصباح الباكر انتقلت إلى المطار وأديت الإجراءات الجمركية... ثم ارتقيت في جوف الطائرة... لا ألو على شيء حتى فوجئت بمضيفة الطائرة... تعلن أن رحلتنا الجوية ستتوقف بمدينة مدريد وسنستأنفها إلى الدار البيضاء بعد يوم كامل... وكان لا مفر لي من ذلك إذ لم أنتبه إلى تعليمات الرحلة في اللوح الإلكتروني... وحمدت الله أن علمت أن تكاليف الإقامة بمدريد ستكون على حساب شركة الطيران... بعد لحظات نزلنا بمطار مدريد وذهبت توا أتأمل مفاتن تلك المدينة الرائعة وأرقب حركة أهلها وأسلوب عيشهم وأراود الذاكرة علي أرى بعض تاريخ أمتي التي صنعت مجدا طالما أعلته في تلك البقاع... وبينما أنا شبه تائه في شارع مكتظ صدمني شخص قادم من الاتجاه المعاكس التفت فورا أعتذر إليه... فإذا هو كريم بلقاسم... وكانت مفاجأتي سارة وعظيمة بقدر ما كانت مفاجأته كذلك.. بادرني قائلا: "من الذي جاء بك إلى هنا... وقد تركتك في باريس...؟ وعلت وجهه علامات الدهشة والشك قلت دون تردد: "أنا في طريقي إلى الجزائر... ثم ذهبت أشرح له سبب عودتي إلى الجزائر... فاطمأن قلبه.. وطلب مني أن أرافقه إلى بهو فندق ضخم... حيث طلب فنجانين من القهوة وجلسنا إلى جانب طاولة في مقهى فخم رواده من أكابر القوم... وانطلقنا في جولة حديث جديدة... ولم أكن أعلم يومها أن فنجان قهوة أشربه رفقة كريم بلقاسم سيكلفني عشر سنوات سجن...

قبل أن أودعه سألته عن سر وجوده في مدينة مدريد فرد قائلا: "إني أترقب وصول الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة قادما من الولايات المتحدة الأمريكية... لقد اتفقت معه على موعد بمدريد لكي نتباحث فيما يمكن أن نقدمه من عمل

مشترك لمنظمة مغربنا العربي ونتحدث في موضوعات أخرى تهمنا... ولا تنس أن لي علاقة قديمة ومتينة بالرئيس بورقيبة... وهو ينظر بعين الرضى لحركتي السياسية (الحركة الديمقراطية الثورية) كرافد من روافد توحيد المغرب العربي"!.

غلبني الحياء... ولم أتجاسر على القول بأن لقاءك ببورقيبة ليس أكثر من كونه محاولة دفع التهمة عن حركتك بعد أن راجت بشأنها فكرة التطرف والفئوية الضيقة (البربرية)... وهي فرصة أمام بورقيبة ليتأكد منذ البدء من نوايا حركتك في حالة نجاحها وتغيير نظام الحكم في الجزائر...

انتهى لقاؤنا فقمت مودعا... ومن يومها لم أسمع عن كريم بلقاسم إلا وأنا في السجن... لما تناهت إلينا أنباء تفيد أنه اغتيل من قبل المخابرات الجزائرية بأسلوب شنيع...

وفي الغد... ركبت الطائرة المتوجهة إلى الدار البيضاء... ومنها ركبت الحافلة إلى العاصمة الرباط ثم توجهت رأسا إلى سفارتنا في العاصمة المغربية وطلبت الملحق العسكري رجم العربي شخصيا لسابق معرفتي به لكونه ضابطا سابقا في جيش التحريرالوطني في الولاية الثانية... فاجأني الملحق بأنه لا يعلم من أمري شيئا وأضاف قائلا: "أن تعيينه في هذا المنصب هو مجرد ذريعة أبعده بواسطتها إلى خارج الوطن..." طلبت منه أن يتصل بجهاز الأمن الجزائري بواسطة الشفرة الخاصة ويعلمهم بعودتي الفورية إلى الجزائر عن طريق وجدة مغنية... فاعتذر رفقا بي وخيرني بين أن يأتي شخصيا إلى الجزائر ويحيط مسؤوليه بأمر إلحاحي على العودة إلى أرض الوطن ... فرفضت اقتراحه وقلت له إذا كنت غير مستعد للاتصال بهم فسأعلمهم شخصيا بكل ما دار بيننا... ولم يكن موقفه ذاك إلا شفقة عليّ وهو من خيرة الأصدقاء ورفاق السلاح.

امتطيت حافلة من الرباط إلى وجدة وبينما أنا أعبر الحدود الجزائرية المغربية التقيت المسمى عميرات سليمان أحد أبرز أعضاء كريم بلقاسم صدفة... وقد سجلت عيون المخابرات ذلك اللقاء واعتبرته جزءا في خطة تنسيقية... ونتيجة للقاءات سابقة تهدف إلى زعزعة الحكم وتقويض أركانه... وهكذا عدت إلى بيتي في منطقة حيدرة بالعاصمة الجزائرية في جوان 1968.



البطل الشهيد محمد بونعامة

الفصل التاسع

قصتي مع رجال مخابرات بومدين، السجن، الاستنطاق والتعذيب اللاإنسانى

1 - رحلة الاستنطاق والسجون،

عدت إلى بيتي وأسرتي بعد رحلتي إلى أوروبا... وبدأت حياتي العادية، وفي أحد الأيام بينما كنت أتجول في شارع العربي بن مهيدي بالعاصمة... قادتني خطاي إلى مفازة أحد... معارفي... وما أن هممت بالدخول حتى حاصرتني عصابة رجال بلباس مدني وقيدوا يدي على مرأى المارة واقتادوني إلى سيارة سوداء من نوع (بيجو 403) وبعد لحظات قصيرة أدخلوني مركز شرطة يقع في شارع "كافنياك "... مكثت به إلى غاية منتصف الليل وكان حراسه يتناوبون على مراقبتي ويقف منهم الواحد تلو الآخر إلى جانبي ينظر إليّ في دهشة ثم يغيب عني دون أن يقول أي كلام... اقتادوني ثانية إلى مبنى ضخم وألقوا بي في زنزانة مظلمة تقع في أسفل المبنى... وقد علمت بعد حين أن في ذلك المعتقل يوجد سجناء آخرون متهمون بالانتماء إلى حركة كريم بلقاسم.

استمرت إقامتي في تلك الزنزانة شهرا كاملا عرفت فيه جميع ألوان التعذيب الجسدي والنفسي كالضرب بالهراوات والرفس بالأقدام وتسليط الصدمات الكهربائية ويخصون بها المناطق والأعضاء الحساسة من جسدي دون غيرها... ويلقون من حين لآخر على رأسي وجسمي المياه القذرة وكان لون العذاب وأسلوبه يتغير بتغير الجلادين... وكنت كلما أشرفت على الهلاك وأصبحت، بغيبوبة يوقفون حملة التعذيب... حتى إذا عدت إلى وعيي استأنفوا التعذيب من جديد... لم أكن أتصور أن داخل أجهزة استنطاقنا نفسيات امتلأت حقدا على الإنسان إلى الحد الذي رأيت؟ وبدأت مع مرور الأيام أتكيف نفسيا وجسميا مع كوابيس التعذيب اليومي... إلى درجة أني فقدت الإحساس بالألم وانطرحت بيني وبين الجلادين قضية تحد خطير، فلا الجلادين باستطاعتهم

أن يحطموا معنوياتي.. فأصرخ أو أبوح بما في صدري.. ولا أنا بإمكاني أن أموت أو أتنازل عن مبادئي...

وتطور الصراع إلى نقطة المستحيل... وكنت أكرر على مسامعهم جميعا أن كل ما أعرفه من أسرار لا يخفى على أجهزة أمنهم.. استمر الجلادون يراهنون على عاملي التعذيب والوقت تحدوهم رغبة معرفة كل ما يخفيه صدري من معلومات وأسرار إلى غاية يوم 27 أوت 1968 حملوني شبه مشلول إلى سجن سيدي الهواري بوهران، حيث قضيت مدة شهرين في السجن دون أن تعلم أسرتي ولا أصدقائي بمكان وجودي... وكلما سألت عائلتي عن مصيري أجابتها أجهزة الشرطة نحن أيضا نفتش عنه لإلقاء القبض عليه... لذا يجب أن نتعاون جميعا للعثور عليه...!!

2 - **من جحيم التعذيب إلى جحيم الزنزانة.**

لم أغير ثيابي طيلة ثلاثة أشهر من السجن والتعذيب... وقد منعوني من غسلها... ولما كان موعد نقلي من زنزانتي بالعاصمة إلى زنزانة أخرى في سيدي الهواري، قيدوا يدي بالحديد وأوثقوني إلى سجناء آخرين مقيدين مثلي وعصبوا عيوننا جميعا فكان يستحيل علينا أن نفرق ما إذا كنا في النهار أو في الليل... ثم حشرونا جميعا في شاحنة قذرة معدومة النوافذ ليس فيها تهوئة، تتصاعد منها روائح كريهة تبعث على الغثيان والموت... انطلقت بنا تلك الشاحنة الملعونة من العاصمة إلى مدينة وهران وقطعت بنا ونحن على تلك الحال ما لا يقل عن خمسمائة كيلومتر، كانت مفاجأتنا أكبر عندما دخلنا سجن سيدي الهواري وبدأ حراس السجن يفتحون الأبواب وكثر هرج الأبواب وصرير المفاتيح... فأدركت وأنا معصوب العينين أن للسجن أبوابا كثيرة لكنهم لم يبقوا عليّ في ذلك الطابق، بل أنزلوني عبر سلالم لولبية ذات مدارج كثيرة إلى أعماق الأرض حيث أودعوني زنزانة منفردة في الدرج الأسفل من سجن سيدي الهواري الذي يعتبر قلعة مطلة على البحر، بها ممرات وأنفاق بناها الإسبان أيام غزوهم بلادنا ليحتموا بها من ضربات المجاهدين الجزائريين وبالقلعة دهاليز لإخفاء أسلحتهم وأمتعتهم، إذن هي حصن منيع لكنه سجن مخيف وفضيع ببرده القارس شتاء وبحشراته السامة وأوساخه وبوجهه الجاهم الحزين الذي يبعث الرعب في النفس...

كانت الزنزانات على شاكلة بئر أقيمت على حافة الممرات، فهي كالعفاريت فاتحة أفواهها في الظلام تلتهم كل يوم بشرا بلحمهم ودمهم وأرواحهم...

كان أكبر خصمي في زنزانتي هو الصمت... ذاك الخصم العنيد القاتل الذي تشقه من حين لآخر قعقعة باب أو وقع جزمة غليظة لسجان أو سعال مقيت...

أما الزنزانة فلم تكن تتسع لأن أمدد جسمي وأريحه قليلا إذ لم تتعد مساحتها المترين على متر واحد.... رفع السجان العصابة عن عيني ودفعني بأعقاب بندقيته إلى داخل الزنزانة... لم أتمالك نفسي فسقطت ووقعت أرضا بعد أن أدركت أن أرضية الزنزانة دون مستوى عتبة بابها... استقر جسدي داخل الجب، وبدأت أتلمس أسرار المكان فاكتشفت أن وسيلة تهوئة الجب تتم عبر فراغات وشقوق أسفل باب الزنزانة المرتفع الذي لا أستطيع ملامسته إلا بعد أن أحف على ركبتي صعودا على الممر الأملس... واجهت مأساة أخرى بعد أزمة التهوئة... هو الحصول على أثر لممارسة حاجتي البشرية... لم أعثر على ثقب ولافتحة ولا نافذة... فكل ما هنالك ظلام وطلاسم... شيء لايصدقه عقل ولايقبله منطق آدمي... بدأت أتعلم الحياة في الظلام وأتكيف مع السواد الدائم وأبصر حقائق زنزانتي بجدرانها الترابية ذات الروائح الكريهة المخيفة... وسقفها المبتل الذي غدا مأوى لحشرات سامة وحيطانها الرطبة المشققة وأرضيتها ذات الأحجار الناتئة... تعذر عليّ التمدّد... وخزتني أحجارها المسننة... ويئست من وجود حل لمشكلتي؟... وحزنت حزنا لا مزيد عليه لفراقي زنزانتي الأولى في العاصمة... استمرت مقاومتي الموت والجنون في ذلك القبر المخيف... ثلاثين يوما بلياليها... كان الواقع لديّ وهما والوهم واقعا... لكني تعلمت من صلب ذاك الجحيم أن الهمجية إذا ركبت بعض النفوس صارت معولا خطيرا لهدم الإنسانية وتدمير شرفها... وفي صبيحة يوم 27 سبتمبر 1968 وعلى الساعة السابعة مساء فتح السجان باب القبر المخيف وصرخ بصوت عال ازحف كي تتمكن من الخروج وفعلا بدأت أزحف إلى أن تمكنت بشقة من الوصول إلى أرضية الممر حيث وجدت نفرا من حراس السجن وما هم في الحقيقة إلا عناصر من أعوان الأمن العسكري كما علمت فيما بعد... أركبوني سيارة خاصة وأعادوني إلى العاصمة وقبل أن يدخلوني السجن طافوا بي كثيرا في شوارع المدينة وأنا معصوب العينين كي لا أتمكن من تحديد مجال وجودي... كدت أتقيأ من فرط الجوع وأثر

التعب والدوران في ذلك الظلام الدامس واخيرا توقفت السيارة الكريهة الرائحة وقادني زبانية السجن إلى قفص حجري جديد... وما إن دخلت الزنزانة حتى قال لي كبيرهم: «أنت الآن بين أيادي أمينة.. إنك مع رجال الأمن الوطني أعدناك إلى العاصمة لاستكمال البحث معك لأن الاستنطاق الأول غير كاف بالمرة...».

بدأت جولة جديدة مع الجلادين والاستنطاق... آلاف الأسئلة تتساقط من أفواههم ليلا نهارا لا يتوقف الواحد منهم حتى يبدأ الثاني ليترك فرصة للثالث ثم تأتي مجموعة كاملة تستنطقني في دفعة واحدة... تشعبت الأسئلة ولم تعد تعني موضوعا بعينه... ولا قضية محدودة ولا تهمة واضحة.. فتأكد لي أن الجلادين أناس مرضى نفسيا لاهم لهم سوى أن يتلذذوا بعذاب المساجين وبأنات أصواتهم.. لم يتركوا موضوعا في حياتي العامة أو الخاصة إلا وطرقوه طالبين أدق تفصيلاته... فتداخلت عندي المفاهيم ولم يعد يهمني مايريدون... وأصابني إرهاق خطير من فرط الجوع وقلة النوم وشدة الإهانات والمبالغة في التعذيب واعتقدت أن نهايتي ستكون على أياديهم.. كانوا ينظرون إلى آثار الرصاص الذي انتشر على جسدي من أيام حرب التحرير الكبرى... لما كنا نواجه عدوا شرسا بصدور عارية وأقدام حافية وهو يرمينا بقنابله وبمدافعه وبرشقنا برشاشات جنوده... كانوا ينظرون إلى مواقع الرصاص ويطفئون فيها بقايا سجائرهم ويجندلونها بقطع حديد ساخنة ويتساءلون في سخرية وهزء«هل هذه حقا آثار رصاص العدو أم أنها عضة كلب...؟ »ويضيف آخر «فعلا... هي بقايا أنيابه هنا... ويسأل ثالث هل كان المجاهد رجلا شجاعا فعلا يستطيع الصمود أمام المدافع وطلقات الرشاشات.... فأرنا اليوم هذه البسالة..»! وتغوص أظافرهم بوحشية في جسمي تمزق مواقع جراحي القديمة.

ولما يأس الجلادون من إمكانية قهري نفسيا، لجأوا إلى أسلوب جديد يريحهم مني قليلا قبل أن نستأنف جولة أخرى من الاستنطاق، بحيث يشدون يدي إلى السقف بسلسلة من حديد ويدلون جسدي في الهواء، وأظل على ذلك الوضع مدة من الوقت حتى أخال أن أعضائي فصلت عن بعضها فصلا... ثم يتطوع أحدهم بوضع كرسي تحت رجلي فيتهالك جسمي فوقه لحظة.. وبسرعة فائقة يسحبه من تحت رجلي فأحس أني أنزل إلى هاوية سحيقة. كان الجلادون طيلة مدة التعذيب يتفكهون ويتنافسون على اختراع أنماط أكثر بشاعة وإثارة للتحكم عليّ... وكانت

عصيهم الحديدية المغلفة بالمطاط لا تفتأ تجلدني دون توقف... ولا يحلوا لهم ضربي إلا على المناطق الحساسة من جسمي...! استمررت في مقاومة الموت وازددت إصرارا على الحياة كما لم أصر عليها من قبل لأن قلبي مفعهم بالإيمان كاره للشر... جن جنونهم لفرط مقاومتي العذاب وهالهم أني لم أسترحمهم بكلمة واحدة... ولم يتجاوز طلبي إياهم بعض جرعات ماء صدوها عني دائما... بل كانوا يلقون على رأسي وفمي مياها قذرة آسنة حتى يمتلئ بطني فيصعد أحدهما ليدوس عليه بأقدامه فينسال الماء من فمي وأذني وأنفي ومناطق عديدة من جسمي...

تواصل فصل التعذيب منذ عودتي من سجن وهران شهرا آخر... لم أبح فيه للجلادين بغير ما بحت به لهم أول مرة... فملّوا استنطاقي وضاقوا بتعذيبي وقرروا إعادتي إلى السجن. حملوني من زنزانة الموت البطيئ على متن شاحنة أكثر اتساعا من سابقتها وراحو يتجولون بي في شوارع العاصمة لإيهامي بأنهم غيروا مقر سجني... لكن بعد ساعات قليلة أعادوني معصوب العينين إلى نفس المكان الذي أخرجوني وأدركت من خلال عدد السلالم والانحرفات وصليل المفاتيح أنني عدت لنفس السجن الذي خرجت منه وجاء قول الحق ليؤكد ظني إذ ما إن أعادوني حتى ارتفع صوت المؤذن وقد أراح نفسي بكلمة «الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح»، ارتفعت معنوياتي وازددت تشبثا بالحياة... وإصرارا على المقاومة...

أجلسني مسؤول الأمن قبالته على كرسي مقيد اليدين والرجلين موثوقا إلى كرسي، وقال: اطلعنا على ملفك الخاص فتأكد لدينا أنك رجل نظيف السيرة مستقيم ولا غبار عليك... لكن الذي لفق لك تهما كثيرة هم رجال الأمن الوطني...بعد أن بحت لهم باعترافات خطيرة تكون بآثار تعذيبك البادي عليك أما نحن رجال الأمن العسكري فنرجو أن يكون تحقيقنا معك شاملا ومختصرا ونهائيا حتى تتبين الصدق من الكذب والخطأ من الصواب...»

أجبته فورا: «أتركك لضميرك، وقد سبق لي أن قلت لرجال الأمن الوطني ولكم أنتم رجال الأمن العسكري كل ما أعرفه عن حركة 11 ديسمبر 1967 من أسرار، وليس لي من مزيد... ولا يعنيني أي الجهازين قام بتعذيبي لم أنف

مسؤوليتي في أحداث انتفاضة 11 ديسمبر 67 لأن مشاركتي فيها كانت بإرادتي وعن طواعية واقتناع... وإذا أردت إضافة بعض الأقوال التي لم أذكرها فالأمر متروك لكم فأنا مجرد أسير بين أياديكم...».

قال ببرودة أعصاب: «أريد أن أسمع منك شيئا واحدا بعد أن تناهت إلينا معلومات تؤكد تخطيطك لاغتيال الرئيس هواري بومدين...».

لم أتمالك نفسي وانفجرت ضاحكا مكرها... رغم قروحي الكثيرة وتمزق نفسي لأني أدرك أساليبهم الخسيسة ومناوراتهم المنحطة... لقد هدف بهذه الحيلة إلى إيجاد مسوغ جديد يبرر به دفعي إلى التعذيب حتى أعترف تحت الاستنطاق بتهمتي الخطيرة...يئس هؤلاء الجلادون من ابتزازي وقهر أعصابي فقرروا مرة أخرى نقلي إلى سجن وهران يوم 27 أكتوبر 1968 الساعة الرابعة صباحا... واحتضنتني زنزانة أخرى لم أر فيها النور طيلة ثلاثة أيام كاملة إلا بعض ومضات نور استرقتها من خلال لحظات فتح باب الزنزانة لأتسلم صحن حساء العدس الأسود وقطعة خبز جاف من أيدي السجان.

وبينما كنت في ظلام زنزانتي سمعت طرقا على الباب تبعه صرير مفتاح وصوت السجان يعلو بهو السجن وهو يقول: «ياسجين احمل متاعك واستعد للخروج...لقد صدر في حقك أمر العفو العام... وأن وكيل الدولة في انتظارك.. قلت له وأنا أجمع متاعي البسيط المتكون من (دلو) أستعمله في قضاء حاجتي البشرية (التبرز) وحصير وغطاء ممزق، قلت له: «وأية مناسبة هذه التي يعفو فيها النظام عني؟» رد بكلمة فاصلة كي لا يطيل الحديث معي: «ألا تعلم أن هذه ليلة فاتح نوفمبر 1968؟» خرجت من الزنزانة إلى بهو السجن ويدي موثوقة بسلسلة من حديد إلى رجلي وسرت بين صفين من حراس السجن وقد اصطفوا يراقبون الزنزانات الكثيرة ذات الأبواب الحديدية.. فتناهت إلى مسامعنا طلقات الرصاص وزغاريد النسوة في الخارج.. طفق السجان يدور بي دورات عديدة ثم أنزلني صحبة بعضهم عبر سلالم حجرية حتى انتهيت إلى ممر، وقبل أن أقف دفعني أحدهما في اتجاه باب حديدي وباغتني زميله بركلة قوية من الخلف وجدت نفسي على إثرها داخل زنزانة أخرى كدت أن أقع أرضا لولا أني حافظت قليلا على توازني... لفحتني ريح باردة وبدأت أتعرف إلى ملامح زنزانتي الجديدة

التي أهداها لي السجان ليلة فاتح نوفمبر العظيم... اكتشفت أنها مجرد مرحاض كبير بني لحاجة السجن كله...

كانت ميزة تلك الزنزانة أنها أوسع من سابقتها وأن بابها مرتفع قليلا بحيث أستطيع أن أرى من تحته أحذية الحراس وهم يجوبون بهو السجن... أما وسطه فامتد خندق غائر في الأرض تتسرب منه رياح الحسوم القارسة... حرت كيف أنام في مجرى تلك الريح... وحرت إلى ما أسند رأسي... هل أسنده لرياح الباب العاتية أم لعاصفة المغارة بروائحها النتنة... وقد أخذ مني التعب والإرهاق مأخذا رهيبا... لم أعد أقدر على حمل جسمي من الهزال وبقايا جراح التعذيب والأورام... وبينما على تلك الحال حتى واجهني جرذ ضخم الجثة حاد النظرات... حاولت أن أرميه بالدلو، لكني خشيت أن يسقط دلوي في تلك المغارة، فهششت عليه بعباءتي فانطلق إلى قاع المغارة وهو يصرخ محتجا على وجودي في حدوده الإقليمية. اطمأن قلبي قليلا لذهابه... لكنه سرعان ما عاد ثانية يقود جيشا جرارا من الجرذان ذات الأحجام والأشكال المختلفة... انسحبت قليلا واتكأت على الحائط مستجمعا قواي لمواجهة جرذان السجن وتذكرت أني في ليلة فاتح من نوفمبر، وتداعت صور الماضي، فتذكرت طفولتي في القرية الهادئة المسالمة أين كنت وأقراني نصطاد أسماك الأودية والينابيع... وعصافير الغابات المزركشة الألوان... ثم تذكرت ريعان الشباب لما كنت أشارك المجاهدين الأشاوس صيد الأعداء... وملاحقتهم من على أرضنا المقدسة في كل مكان... لكن بعد كل هذا العمر الحافل بالانتصارات والأحداث... أراني سجين أربع حيطان في سحيق الأرض... تحاصرني جرذان مسمومة ليلة فاتح نوفمبر المجيد!!! أهو جزاء من أحب وطنه وفداه...؟ كادت دموعي أن تنفجر من مآقيي المتجمدة... لفرط القهر والاضطهاد والظلم الذي فاق جميع التقديرات وأحط بإنسانية الإنسان إلى مدارج الحيوانية المتوحشة. قطعت على نفسي شريط التذكر... وعدت أسألها حلا لمقاومة طوفان الجرذان التي ما انفكت تتكاثر باستمرار... وباغتني نقر خفيف على جدار زنزانتي الذي يفصل بيني وبين الزنزانة المجاورة... لم أتبين النقر... وبقيت أرقب مصدره ودعراه... لم يتوقف الطارق واستمر يلح عليَّ أن أجيبه، ما طلت في إجابته خشية أن تكون مكيدة من جلادي السجن... ولما يئس من ردي عليه ناداني بصوت حسبته آت من أقاصي الأرض أو من فضاء سحيق... قائلا:

«أنا سجين مثلك واستمع إلى ما سأقوله لك...»، التزمت الصمت ولم أرد عليه وقد أخذ الظن مني مأخذا عظيما... وتصورت أن وراء الصوت مكيدة.... لكن طارق الجدار تحدى ظنوني واستمر يضرب الحائط حتى خلته أدمى يديه... عندها سألته من أنت؟ وأين توجد؟ وماذا تريد...؟» قال: «أنا سجين مثلك اقتربت من مصدر الصوت قليلا... ففعلت وأضاف قائلا:«سمعتهم يفتحون باب الزنزانة ويدخلونك إليها في حدود منتصف الليل فأدركت أنك سجين جديد أخبرني بربك من أين جاؤوا بك...» قلت متسائلا: «ولماذا؟» قال: «أود أن أعرف الجهة التي جئت منها علني أهتدي إلى مصير بعض رفاقي وأصدقائي...» ودون أن أمهله سألته قائلا: «منذ متى وأنت في زنزانتك»؟ قال:«منذ شهر كامل وأنا في هذه الزنزانة: لم أصدق قوله واعتقدت كل الاعتقاد أن محدثي من حراس السجن أو أحد عناصر المخابرات دسره في السجن لأمر في نفس يعقوب... واستبعدت كل البعد أن بإمكان إنسان مهما أوتي من قوة جسمية وقدرة على التحمل أن يصمد شهرا كاملا في ذلك المكان... لكني صممت أن أكتشف نواياه وأتبين أمره فسألته ثانية: «هل لك أن تصف لي زنزانتك وتذكر محتوياتها...»؟ قال فورا «كنت سجينا في زنزانتك الحالية ومكثت بها أياما طويلة قبل أن ينقلوني إلى الزنزانة الحالية وهي أحسن حالا وأقل خطرا... فاعمل بنصيحتي، بحيث لاتهاجم الجرذان ولاتحاول قتلها فهي تعد بمآت الآلاف... وليس عندك ما تقاومها لأن المغارة التي وسط زنزانتك تصب في القنوات المركزية لتصريف مياه وأوساخ المدينة... وكل ما يمكن أن تعمله هو أن تضع قطعا صغيرة من الخبز على حافة المغارة... حتى إذا جاءت الجرذان التهمتها وانصرفت...».

بينما كان زميلي السجين يصف لي خطة مقاومة الجرذان... جالت بذهني تفاصيل قصة الطاعون: للكاتب الوجودي «ألبير كامو»... شكرت هاتف الليل... وقد علمت بعد أيام طويلة أن ذاك السجين من أتباع حركة كريم بلقاسم..

بدأت أتعلم أسلوب مقاومة الجرذان ومناورتهم وحملتني الذاكرةُ إلى قصة أسر أبي فراس الحمداني من قبل الروم وكانت جارته يمامة... فحق له أن يغرد معها وهو الفارس والأمير والمحارب والشاعر الفذ... فغنى:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل تشعرين بحالي

إلى أن يدعوها بقوله:

أيا جارتا ما أنصف الدّهرُ بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

أما جيراني فجرذان سامة وجلادون من بني جلدتي لاهم روم ولا فرنسيون.. فحسدت أبا فراس على سجنه المترف... وعاتبت التاريخ غير العادل حتى في ظلمه...

كان عليّ طيلة أيام إقامتي في تلك الزنزانة الخيالية أن أقتسم وجبتي الغذائية قسمة ضيزي مع الجرذان، بحيث تكون من نصيبه قطعة الخبز الجاف... ومن نصيبي حسوة العدس الأسود... وهكذا وافقت الجرذان على معاهدة التعايش السلمي داخل مناطق الموت البطيء... ومن عجائب تلك الأيام أني أصبحت في حاجة ماسة لمن يشاركني قتل الوقت والصمت في الظلام وكانت الجرذان جزءا لا يستهان به في عملية الإلهاء والترفيه اليومي... وفي يوم من الأيام قررت أن أتأكد من محتوى وجبتي الغذائية فأفرغت ذلك الحساء الأسود في دلوي الذي أقضي فيه حاجتي البشرية مضحيا يومها بتلك الوجبة وذهبت أحصي عدد حبات العدس للوجبة الواحدة وبعد لأي وعناء شديدين تمكنت من عد سبعة عشرة حبة عدس لا غير في حساء نصف لتر من الماء... كانت تلك هي وجبتي الثرية طيلة أيام سجني.

وبعد أن أنهى النظام وقتها احتفالات الحكومة والشعب بعيد اندلاع ثورة التحرير العظيمة... أمر بنقلي إلى زنزانة أخرى فرميت دلوي قبل أن أغادر مغارة الجرذان وقد انتهت مهمته النبيلة بعد أن كنت أخفي فيه أقدامي ليلا خشية أن تقضمها الجرذان الموبوءة... وتهيأت لدخول زنزانة جديدة سبق وأن احتضنت صديقي ورفيق السلاح العقيد شعباني أياما قليلة قبل إعدامه من قبل النظام... وقد حفر اسمه على جدار الزنزانة كما احتضنت من قبله رجلا يوغوسلافيًا يكنى -بالملتحي- أو صاحب اللحية الكثّة (Le Barbu) وقد ألقت القوات الفرنسية عليه القبض أثناء قيامه بمهمة تهريب الأسلحة لفائدة الثورة الجزائرية على متن باخرة سلاح هامة في أواخر سنة 1956 وقد عرفت وقتها بباخرة (لاتوس) وأعدمت القوات الفرنسية ذلك الرجل... وقيل أن يموت حفر

بأظافره اسمه وتاريخ ميلاده وبلده الأصلي على جدار الزنزانة... ومن يومها صارت تلك الزنزانة تعرف بزنزانة الملتحي (Le Barbu) وكان الأولى بالثورة أن تطلق اسمه على إحدى بواخرها جزاء لإخلاصه وتضحياته في سبيل الجزائر. ومن حظي الجميل أن وجدت في الزنزانة سجناء بعضهم متهم بالانتماء إلى حركة كريم بلقاسم والبعض الآخر من جماعة تمرد 11 ديسمبر 1967 بالإضافة إلى بعض ضباط الجيش الوطني الشعبي ممن شكك النظام في جنسيتهم الضيقة وادعى أنهم من جنسية مغربية ويعملون لصالح المخابرات المغربية.. وقد جيء بهم من بعض الدول الشقيقة (من مصر) بعد أن كانوا يتابعون دراستهم وقد أوفدتهم الحكومة الجزائرية على نفقتها بعد الاستقلال.

والعجيب في الأمر أن هؤلاء الضباط الذين ولدوا في المغرب أو أن أحد أبويهم من جنسية مغربية كانوا من بين خيرة جنود وضباط جيش التحرير وقد استشهد بعضهم وعاش بعضهم وما بدّلوا تبديلا !!.

لقد تفطن النظام بتركيبته الفرانكوفيلية المتحالفة مع الانتهازيين.. إلى ضرورة تدمير كل تواصل بين الشعب المغربي كي لا يحقق وحدته ويبني مستقبل دولته القومية التي بإمكانها أن تقوض جميع المخططات الاستعمارية في المنطقة..

وعليه فإن سجن وإعدام كثير من الضباط والجنود من أصلاء المغرب الأقصى بدعوى الخوف على أمن الدولة وغيرها من المزاعم الواهية لا تعدو أن تكون ذرائع خطيرة لتصفية المد القومي لثورة التحرير ومواصلة رسالتها التحريرية وشد الوجدان العربي الإسلامي إليها بما كانت عليه من قيم سامية وخطة ثورية تهدد مصالح الاستعمار والثورة المضادة.

لم يكن سجن وهران في الحقيقة لمعاقبة الوطنيين والثائرين على سلطة عملاء فرنسا في النظام... بقدر ما كان خطة جهنمية لتدميرهم بشتى الوسائل... فقد شاهدت بعضنا مات جوعا وتعذيبا ومرضا... بعد أن خارت قواه وتحطمت معنوياته وتوقفت فيه جميع شروط مقاومة القهر... وبعضنا فقد أعصابه وجن... وبعضنا أصيب بالسل أو الربو... أو هما معا وبعضنا عمي... ولم ينج من شر سجن وهران العسكري في حدود ما أعلم أحد تماما -لقد كنا نطلق عليه اسم الغواصة.. لأنه شيّد على تلة مرتفعة وبنيت زنزاناته في أعماق الأرض وكنا

تلاقي الأمرين للنـزول إليها... لم أشاهد النـور سنـة كاملـة ولم أر شكـل القمر ولا وجه الشمس ولم يخطر على سمعي صوت دابة... أو طائر... باستثناء صراخ الجرذان ونباح الكلاب العدوانية التي كانت تهددنا وتتحرش بنا من وراء أبواب الزنزانات...

أما زيارات أسرنا فكانت ممنوعة منعا باتا بحيث تكرر مرارا أن جاءت زوجتي وأبناؤها في ظروف قاهرة ومؤلمة إلى السجن ورجعوا خائبين دون أن يروني أو أن أرهم.

وصادف أن رأتهم يوما عجوز كريمة من مدينة وهران تدعى السـيدة (بهيري) فرقّ لها حالهم وهم صغار في حضن أمهم جالسين في مدخل السجن يرقبون موعد زيارتي... فتقدمت السيدة الكريمة منهم وتعرفت إليهم... ثم دعتهم إلى بيتها وأكرمتهم أشد الإكرام... وصارت من يومهاصديقة الأم والأبناء وصديقة الأسرة إلى يومنا هذا.

3 - حكمت علي محكمة بومدين بثلاثين عامًا سجنًا.

مكثت سنة كاملة بلياليها وأيامها في ظلام دامس... ولم أفارق باب الزنزانة إلا لأدخل أخرى أشد منها وحشية... ولم يزرني أحد... ولم ينادني أحد باسمي.... ولم أرى أي أثر للحياة من خارج الظلام... فكان كل ما أعرفه هو الظلام حتى نسيت النور... منعوا عني القراءة والكتابة.... وأجبروني على ألا أغير ملابسي المدنية طيلة أربعة أشهر... حتى بليت وتغير لونها من أثر الغبار والأوساخ فترهل جسمي من أثر الجراثيم والحشرات... وتعقدت وضعيتي الصحية لما كنت أعانيه من صروف العذاب والتورم والجراح حتى إذا انتهى اليوم الأخير من الفصل الأول في الدراما التي عرضت في ظلام دامس جاء السجان إلى زنزانتي أحد أيام شهر يوليو من سنة 1969 وفتح بابها فخرجت إلى بهو السجن ولم أكن أعلم كم مكثت به وضرب النور عيني فسقطت مغشيا عليّ. غالبت نفسي فلم أستطع وقاتلت الظلام الذي استوطن أحداقي فلم أفلح.... ومن يومها وأنا أعاني أزمة نظر إلى لحظة كتابة هذه المذكرات. قادنا رجال الأمن إلى قاعة المحكمة العسكرية (محكمة الثورة) بوهران وكانت أول فرصة تلتقي فيها نظراتي

بنظرات بعض الإخوة ممن سجنوا مثلي بنفس التهمة.. وكانت لحظة مؤثرة فيها العتب وفيها الندم ولكن فيها الاحترام المتبادل والتقدير المشترك...

فوجئت بتشكيلة هيئة المحكمة وكان بعضهم من أعضاء سلك الجيش الوطني الشعبي وبعضهم من قدماء جيش التحرير الوطني... وبعضهم الآخر من دفعات لاكوست... عملاء فرنسا الاستعمارية وقد هالني ذاك اللاتجانس والنشاز الحاصل في تلك التركيبة... امتلأت قاعة المحاكمة بجمهور غفير جاء ليشهد ويستمع إلى الحكم على من صورتهم وسائل إعلام النظام بالمجرمين الخطيرين فحضر أفراد عائلات المتهمين... والفضوليين والمحامين ورجال الأمن الذين اصطفوا في المقاعد الأولى... وصعد رجال القضاء إلى سدة الحكم، ارتدى بعض القضاة لباسهم الرسمي وبعضهم الآخر أصرّ على أن يظهر بملابسه العسكرية وعلى أكتافهم الرتب وعلى صدورهم النياشين... وقد لفت انتباهي أن بعضهم ارتقى فورا إلى رتبة عقيد أثناء مدة سجني وهي أول دفعة عقداء بعد الاستقلال... وكان هدف النظام هو إضفاء صبغة الجدية والعظمة على محاكمه العسكرية من جهة ومن جهة ثانية تمكين عملاء فرنسا في صفوف الجيش الوطني الشعبي من ارتياد المناصب الحساسة العليا في الجيش والدولة لكي ينتقموا من ضباط جيش التحرير.

تمكن النظام وقتها من تكييف وضع خاص وخلق مناخ ملائم للمحاكمة.. فصورنا مجرمين بمستوى ضباط النازية خطرا... وصاغ حيالنا هالة من التخويف والريبة.. حتى بدا أن الرأي العام الذي غلطه النظام يديننا ويتوجس منا...

كان الجو السائد داخل قاعة المحاكمة يبعث على الرعب وكان القضاة برئاسة العقيد محمد بن أحمد عبد الغني مجرد حفاري قبور... جاؤوا ليواروا التراب عن الضحية التي اغتيلت في أعماق الظلام.

واجهنا القضاة الضباط بتهم كثيرة... معظمها من صنع خيال أجهزتهم.. وبينما نحن كذلك حتى دخل رجال الأمن العسكري يتقدمهم الرائد (...) قاصدي مرباح رفقة زرهوني فرحات أحد معاونيه، احتلوا المقاعد الأمامية وقد تأبطوا محافظ ملأى بملفات ووثائق... ثم وضعوها على ركابهم وقد تفرسوا في وجه رئيس الجلسة وفي وجوه كل القضاة وكل من له ضلع في تلك المحاكمة...

وما كنت أظنهم فعلوا ذلك إلا لإرهاب هؤلاء... وشحن نفوسهم على اتخاذ أحكام وعقوبات قاسية ضدنا... وقد كانوا يعلمون أن جل من هم في منصة المحكمة مورطون بشكل أو بآخر في تمرد 11 ديسمبر 1967 ومحاضر الأمن العسكري تؤكد ذلك... كان البعض في تقدير رجال الأمن متهمون... بمن فيهم رئيس المحكمة العقيد عبد الغني الذي واجه أحد مدبري حركة 11 ديسمبر واتهمه علانية بالمشاركة في الإعداد للانقلاب الذي قاده العقيد الزبيري !!.

جاؤوا بنا نحن المتهمين وصدرونا في قلب القاعة وكنت المتهم الرئيسي إلى جانب ملاح، وعميرات العياشي، وقارة امعمر، وآخرون من قادة الفيالق...

بدأت المحاكمة -الماراطونية- في جو مشحون بالمؤامرة على العدل... وظهرت التهم المفبركة... وتركت العبارات السياسية العائمة دون أدنى وضوح أو تحديد للدلالات القانونية... بحيث سمعت عشرات المرات كلمات الإمبريالية والرجعية والصهيونية حتى غدونا في ديباجة نصوصهم المهيئة مسبقا... عملاء كبارا للصهيونية والرجعية والإمبريالية، بل أن كل هذه المسائل الكبرى اكتشفت مخادعها في الجزائر من خلالنا...؟ وكم كانت نكبتي كبيرة وقتها... وأنا أرى سيادة القانون تهان... القانون الذي يمثل أجلى مقدسات الأمم المتمدنة يُغضب في وطن الثورة... وتكيف التهم ضد الضعفاء وتفبرك لإدانتهم!! قرأ رئيس المحكمة خطابا طويلا أعده له جهاز الأمن... وكان يهجي تهجية دون أدنى استيعاب لمحتواه.

وبدأ يتادينا الواحد تلو الآخر لنمثل أمام هيئة التحكيم وانطلقت فصول المهزلة تعرض على ركح العدالة المفتعلة في رجالها وقانونها ومكانها ومناسبتها... وحكمها... لم يسألونا أين كنا ولا عما فعلوا بنا... وقد قضينا عاما كاملا في غياهب الجب السحيق... وتعرضنا لأبشع أساليب التعذيب والقهر... الجسدي والنفسي... وكان بعضنا لا يقدر على الوقوف إذا نودي والبعض الآخر تام الشلل...

جاء دوري في المحاكمة، امتثلت واقفا... سألني رئيس المحكمة بعد أن ذكر التهم الموجهة لي قائلا: «ما هي مشاركتك في ثورة التحرير؟» أجبته فورا: «أرجو أن تعفيني» من هذا الجواب لاسيما في الظرف الحالي... إذ لم يعد

للماضي اعتبار، وكيف يمكن مراعاة ماضي النضالي وأنا متهم من قبلكم بالعمالة للإمبريالية والرجعية والصهيونية... لا أظن أن لجهادي مصداقية أمام حجم التهم... ودون أن أتم كلامي قاطعني قائلا:

«إن الهدف من سؤال المحكمة الموجه إليك إنما التأكيد على أنك رجل ثورات عديدة»، دون أن ينسى ملاحظته العابرة التي قالها بتهكم من على منصة الحكم وهي (هو ذا المعارض الخالد!) وأشار إليّ بالبنان وأردف قائلا: «نحن نعلم أنك رجل متعدد الثورات وأنك تعرف جيّدا ما نعنيه وما هي الثورات التي تسألك عنها المحكمة...؟

تفاديا للمهرجانية التي كان رئيس المحكمة يود أن يراها ماثلة في ذلك التحكيم قررت أن لا أعطيه هذه الفرصة والتزمت الإجابة عن كل أسئلة المحكمة دون مبالغة ولا تهويل... لكن سرعان ما تحولت المحاكمة تحولا جذريا بعد أن واجهوني بتهمة التخطيط لاغتيال الرئيس هواري بومدين ثارت ثورتي لخساستهم لكني تمالكت نفسي قليلا: وأجبت: «لا أعتقد أن من بين كل الذين عرفوني واحدا يصدق أني رجل اغتيالات... والاغتيال ليس من أخلاقي الثورية ولا من تقاليدي لأنه عمل جبان ووضيع... وعندما رفضت أسلوب هواري بومدين في السياسة سنة 1962 قاومته بحد السلاح وبعدها في. "منظمة جبهة القوات الاشتراكية" وآخرها في حركة 11 ديسمبر التي تمكنت فيها من إنقاذ الطاهر الزبيري... كل مقاومتي له كانت علانية وبإرادتي الحرة.... لكن منطق الاغتيال والطعن في الخلف هذه نذالة لا تطاوعني نفسي أن آتيها ما حييت.... إن أسلوبي هو أسلوب الثورة وأنت تعلم ذلك جيدا... » صرخ رئيس المحكمة بأعلى صوته قائلا: «لا تقل بومدين بل قل سيادة الرئيس» أجبته فورا: «تعودت أن أناديه باسمه، أما إذا رغبت في أن أشرفه أمامك فلا يضرني ذلك في شيء».

قال وبيداه تعبث بالملف الذي يحمل مئات الصفحات: «إن ما صرحت به لهيئة التحكيم من أقوال غير مطابق للحقيقة أبدا، وأن المحكمة غير واثقة من أقوالك... » كان رئيس المحكمة يتحدث الفرنسية سواء في مواجهتي بالتهم أو عند استشارة معاونيه ولم يقل كلمة واحدة بالعربية... بادرت إلى طلب من

المحكمة وقلت: «إذا عليَّ أن أجيب على أسئلة أخرى فإني على أتم الاستعداد لأجلي الحقيقة أمام المحكمة.

أخرج عندها رئيس المحكمة رسالة من الملف وبسطها أمامه وذهب يتلو منها بعض الفقرات قائلا : «التقيت كريم بلقاسم وجرت أحاديث طويلة بينكما حول أهداف ومستقبل منظمته...» ثم أضاف: «لا تحاول أن تنكر لأن صاحب الرسالة هو شاهد عيان ثم نطق باسم الرجل الرائد عز الدين وكان أحد الاثنين اللذين سبقت الإشارة إليهما في لقائي بكريم بلقاسم في باريس.. وكان هذا الجاسوس أشد إلحاحا من صاحبه على كريم بأن ينفذ مخطط حركته ضد نظام هواري بومدين.

لم أفاجأ من ذكر اسمه... لأني أعرفه حق المعرفة ويعرفه غيري لما هو عليه من جشع وانتهازية... وهو نفسه كان قد بكى كالثكلى يوم استشهاد البطل «سي لخضر» طمعا في استخلافه في عضوية قيادة الولاية الرابعة مدعيا أنه أقرب الناس إليه... وقد كان له ما أراد....

قلت لرئيس المحكمة: «اذا كانت هذه المحكمة تسمى محكمة الثورة فإني أرفض أن أحاكم أمامها بالمراسلة إذ لا توجد محكمة في العالم حسب (رأيي)... تصدق هذا الأسلوب وإذا كان لابد من إدانتي بهذه الرسالة. ... فلماذا لا تذكر موضوع اتصالي بسفارتنا بالرباط والكيفية التي عدت بها إلى أرض الوطن وتعتبر هذه الحقائق مرتكزات وشواهد تخفف بمداها المحكمة حكمها عليَّ... كان بإمكاني أن أبقى في الخارج لكن وثوقي من براءتي دفعني لأن أعود إلى وطني وأواجه النظام بالحقيقة وإذا كان لابد من هذا الأسلوب... فلماذا لم يواجهني صاحب الرسالة هنا في المحكمة وإن كنت أدرك أنه موجود على أكثر تقدير في وهران أو ربما هو أمام باب المحكمة يسترق السمع ».

رفع وكيل الجمهورية أحمد دراية يده عاليا وطالب بإيقاف المحاكمة وإعطاء لحظة مداولة لهيئة المحاكمة، لم أكد أجلس على كرسي حتى هجم علي ثلاثة أشخاص وقيدوني بسرعة ودفعوا بي خارج قاعة المحاكمة.... ساورتني شكوك أنهم جاؤوا لإعدامي قبل أن أدلي بحقائق تخيفهم... وبينما أنا منهمك في شكوكي فاجأني وكيل الجمهورية رفقة الضابط مرابط حسن بقوله وبلهجة خالية

من أي حقد أو عنجهية : «أرجو أن تشرح لي ما قصدته بكلامك عن المحاكمة بالمراسلة...» قلت: «لا يحق لمحكمة ثورية في هذا المستوى أن تعتمد في أحكامها على رسالة توجه تهمة لإنسان... ولو أنها كانت صحيحة... ما الذي أدرانا أنها لصاحب الاسم الذي حملته... وقد ينتهي الحكم على أحد بالإعدام بمجرد تصديق ادعاء زائف... وإذا كان لابد من أخذ رأي صاحب الرسالة بالاعتبار فلا بديل من حضوره شخصيا...» انتهى اللقاء، وطلب من حراسي أن يعيدوني إلى قاعة المحاكمة وطلبت مني هيئة المحكمة الموقرة الوقوف كي استمع إلى قرار المحكة النهائي وكان الحكم وقتها بثلاثين عاما سجنا نافذا جراء ما اقترفته من جرائم... وكانت حيثيات الحكم كالتالي:

– عشرون عاما... لمشاركتي في تمرد 11 ديسمبر 1967 وعشر سنوات سجنا عقابا على تورطي في مخطط كريم بلقاسم وانتمائي لحركته... وكان الحكم في حد ذاته وصمة عار في جبين الجزائر المستقلة بحيث كانت العقوبة التي فرضها رئيس المحكمة أكبر من العقوبة التي طالب بها النائب العام.

لم أفاجأ بحجم العقوبة... بل كنت متوقعا أكثر من ذلك نظرا لطبيعة هيئة التحكيم ونظام الحكم... كنا في ظل طغمة عسكرية استبدت بالحكم واغتصبت حقوق الإنسان وكرامته... ولا يمكن أن أرجو منها خيرا أبدا.

4 – السجن ولا الخضوع.

انتهى الفصل الأول من دراما الظلام... بأبطالها من الجلادين والمستنطقين الشاذين بهراواتهم وأسلحتهم وبطارياتهم الكهربائية ومختلف أدواتهم الجهنمية.. وأعوانهم من الجرذان السامة والبق والقمل... وأشباح الوحدة والاغتراب...

وانزاح الستار عن فصل جديد يستمر ثلاثين عاما في الظلام... كان وقع الحكم ثقيلا على نفس الأسرة والأصدقاء، انتهت اللحظات، ومن حظ أبنائي أنهم كانوا صغارا لم يدركوا بعد حجم المأساة... أخرجونا من قاعة المحكمة منهوكي القوى بعد ثلاثة أيام من الابتزاز والصراع والمقاومة النفسية ضد حرب أعصاب شرسة وأدخلونا باب السجن لنبدأ عهدا جديدا، ولما كان منتصف الليل جمعنا السجانون في قاعة بحضور مدير السجن ورجال الأمن، وطالب مدير السجن بأعلى صوته من كل المورطين في حركة 11 ديسمبر أن يكتبوا رسائل استعطاف إلى رئيس مجلس الثورة والحكومة يطلبون إليه العفو العام. امتثل الجميع لهذا الرأي وطفق كل من جهته يهيئ أدواته وينتقي أجمل عبارات

الترفق والاستجداء... وعلا صوت بعضهم وهو يتخير الأسلوب اللائق... أما آخرون فغيروا أوراقهم مرارا حتى ينتهوا لأفضل صيغة تليق بمقام رئيس مجلس الثورة والحكومة... رفضت أن أكتب كلمة واحدة في هذا الموضوع... ورفعت صوتي على الأشهاد أعلمهم بأني لن أكتب كلمة واحدة... التفت إليَّ الجميع وقد ملأت عيونهم الشفقة... ثم طلبوا مني ألا أبالغ في مواقفي المتطرفة...وقد تهامس بعضهم: قد يكون فقد الأمل.... وقد يكون له مس في عقله.. وترجاني مدير السجن رفقا بأطفالي وتطوع أن يكتب لي شخصيا رسالة استعطاف عليَّ أن أمضيها فقط.. رفضت جميع الاقتراحات... ورثيت لحال هؤلاء جميعا... وفي نفسي هزء بهم وحزن عليهم لأنهم لم يتعلموا من الأيام شيئا... ولم يهضموا بعد هوية نظام الحكم... وحتى أضع حدا للمهاترات قلت لمسؤول رجال الأمن: «إذا كان ولا بد من طلب العفو من السلطة فإني أطالب أن تنقلونا من هذا السجن اللعين إلى أحد السجون المدنية مع المجرمين وقطاع الطرق... فذلك أفضل بكثير...» لم يعر أي منهم قيمة لكلامي... وهم فيما هم منشغلون يرقبون فجرا يخرج فيه عليهم نور الشمس... ورغم أن طلب العفو العام والتعلق بالحرية هي من طبيعة الإنسان... لكن حجم الإهانة أكبر من حجم العطف... وقد أكد هذه الحقيقة المسمى بن عطية عبد الرحمن بعد ثلاث سنوات سجن عندما بعث لي رسالة إلى السجن المدني يمدح موقفي في تلك الليلة التي أراد فيها النظام تقزيمنا وإهانتنا بعد أن أحكم نيره على رقابنا.

نظرا لموقفي المتصلب استدعاني رئيس المحكمة شخصيا لألتقيه على انفراد وقد فعل ذلك مع جميع السجناء إثر تسلم رسائلهم الخاصة... دخلت على العقيد محمد بن أحمد عبد الغني الذي أصدر حكمه عليَّ بثلاثين عاما سجنا نافذا وأنا على ما أنا عليه من آثار التعذيب... والوسخ والإرهاب وهو العقيد الحديث الترقية تلتهب نياشينه ورتبه... ونظاراته المذهبة الإطار... قال بصوت خافت: «لماذا لم تكتب رسالة استعطاف... أسوة برفاقك؟»

قلت لم أكتب الرسالة لأمر بسيط جدا «أن المحكمة التي حكمت عليَّ بثلاثين عاما سجنا... بإمكانها أن تحكم ببراءتي ولا تحتاج في ذلك إلى رسالة استعطاف... وما جدوى هذه الرسالة والحكم تقرر قبل دخولي إلى المحكمة؟».

تمعن مليا في وجهي وقال: «لا تيأس.. لأن الحكم عليك مبدئي وليس حكما نهائيا، وسيسمح لك في أول مناسبة وطنية بالانتقال إلى سجن بالعاصمة حتى

تكون على مقربة من اسرتك.. وفي فرصة اخرى سيتم العفو عنك... إذ لا ثقة في هذه الحياة... من يدري أنه قد يأتي يوم أكون فيه أنا السجين وأنت الطليق.. تلك هي سنة الحياة...! » توقف عن الحديث ينتظر ردي... لكني لم أجبه.. حتى لا أعطيه فرصة يعرف فيها ما إذا كنت أعارضه أو أوافقه كان حكم المحكمة يومها جزاء من قدر الله وجزء من مسؤوليتي أمام الله وأمام الوطن الذي جبلت على التضحية من أجله وقد كان شفيعي الأمل وايماني بأن الغلبة للحق ضد الباطل وللفضيلة ضد الرذيلة.. وان الجهاد ليس نزهة خاطر ومرحلة من مراحل مسيرة الإنسان ينقطع بعدها لأمور دنياه ناسيا أنه أنذر نفسه لما هو أشرف... الجهاد الأكبر بعد الأصغر...

تنقلت طيلة سبع سنوات ونصف السنة بين معظم سجون الجزائر وتعرفت على زنزاناتها ظلوا ينقلونني من سجن لآخر لكن حراراة استقبال المساجين وحفاوتهم كانت تنسيني ما أنا عليه من بؤس وشعور بالظلم... وأكسبتني السجون حكما عديدة... وصداقات لازلت أعتز بها... فكم سجين في غياهب الظلام يدفع من عمره ثمنا لحرية الآخرين الذين ليس بامكانهم أن يقدموا على التضحية مكابرين وكم من مجرم في نظر القانون والأنظمة وهو البريء المخلص والوطني الصادق وما أكثر من يحسبون أنفسهم أحرارا وهم السجناء الحق.

مكثت في سجون النظام سبع سنوات ونصف السنة... لم يخامرني طيلتها شعور بالإحباط والتشاؤم وظل القلب ينبع بشلالات الأمل... صنت كرامتي رغم أسلوب الإهانة في السجون.. وارتبطت بمستقبل باسم مستقبل وطن صنعته قطرات دم الشهداء الأوفياء ورعته دموع ثكلاهم وأيتامهم... وطن بني على أجساد وأرواح من قال فيهم تعالى:

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ... »
صدق الله العظيم (سورة آل عمران، الآية 169).

الفصل العاشر
الشهيد الأسطوري أو العنف الثوري

1 - الثورة فعل جذري وخلاق:

لكل ثورة خصوصياتها التي تتميز بها عن غيرها من الثورات الأخرى.. وثورة الجزائر لها خصوصياتها وميزاتها الفردية في نوعها... بحيث اهتمت بالإنسان وكان محورها وهدفها الأسمى وبذلك نعدها ثورة إنسانية فلم تقعدها الحرب الضروس وممارسات العدو بكل ما عرفناه عنه من وحشية ونازية مفرطة.. لم يقعدها العنف الثوري المسلح عن الاهتمام بالإنسان وبناء شخصيته وتهذيب روحه وتحريره من رواسب الاستعمار: في الذاتية والجهوية والمحسوبية والفئوية والتسلط أو الانقياد إلى الأقوى... بحيث لم يقتصر دورها على تشكيل الفيالق وتسليحها ونصب الكمائن ومهاجمة العدو في المدن والجبال والبحر... بما في ذلك التراب الفرنسي الذي لم يسلم من ضربات الثوار... إذن لم يقتصر دورها على الجانب الحربي المحض لتحرير الوطن لكن تميزت بأسلوبها الإنساني... وبخبرة رجالاتها. إنها ثورة طويلة الأمد أسلوبا ودقيقة المنهج ... وأن عدوها فرط في استعماره كثيرا من أقطار إفريقيا أو يسر لها الحصول على استقلالها... ليتفرغ نهائيا لتحطيم الثورة الجزائرية، وقد اعتمد كل الاعتماد على مليون مستوطن في الداخل وقوات الحلف الأطلسي في الخارج إلى جانب جيوشه الجرارة بترساناتها الحربية المشهود لها دوليا... ومع ذلك واجهت ثورتنا الشعبية القليلة العدد والعدة الطغيان والظلم ومن منطق هذه المقارنة تولدت المعجزة... التي قادت الثورة إلى الاعتناء بالانسان الجزائري بما لديه من مقومات العروبة والإسلام والتصميم على افتكاك الحرية أو نيل الشهادة... وكانت مواجهتها المصيرية تلزم عليها أن تعد هذا الإنسان إعدادا جديدا يتلاءم مع منطق الصراع بين طرفي نقيض أحدهما يمثل الظلم والقهر والاستبداد... والثاني يمثل الداعية إلى الحرية

والعدالة والكرامة، لذا واكب تدبير السلاح والتدرب على استعماله... واكب بناء المدارس في رؤوس الجبال لمحو الأمية المتفشية في أوساط الشعب الجزائري بما يزيد عن نسبة 90٪ وتبرع المجاهد بلحظة من وقته ما بين المعركة والمعركة والكمين والكمين ليعلّم غيره الحروف والكلمات والمبادىء العامة في اللغة والحساب... وتطوع المحافظ السياسي والقادة على اختلافهم بتوعية الجماهير وتوجيهها وتبصيرها بضرورة التصدي والمقاومة والالتحام بالثورة والانصهار فيها، وحاربوا الخرافات التي حشا بها الاستعمار رؤوس الجماهير، منذ قرن وربع القرن وجند لها رهوطا من أتباعه من المشعوذين وتجار الكرامات... وهكذا عملت الثورة على إيقاظ همم الجماهير وحذرتها من مغبة تصديق العدو بآلاته المخابراتية وأجهزة عمله السيكولوجي التي كانت تنخر نفسية المواطن وتملأ رأسه بالدجل.. ووجدانه بالأحلام الكاذبة... فتصدى الثوار للدمار النفسي وواجهوه بوضع الثورة في مقامها أي مركزها في صميم المجتمع طبقا لمقولة القائد الشهيد العربي بن مهيدي: «القوا بالثورة إلى الشارع تحتضنها الجماهير»، بهذا الخيار العظيم امتلكت الثورة فضيلة استثمار عبقرية الشعب الثرية بالقيم والأفكار وطول نفس المقاومة... وورطت الثورة العدو بهذا التلاحم مع جماهيرها فغدا الشعب عدو الاستعمار وهدف قواته المسلحة... ولم يقتصر عمل الثورة على التجنيد والتوعية الثورية والسياسية.. بل تعداها إلى التوعية العائلية وتنظيم الحياة الأسرية واحتكار موضوع الأحوال الشخصية وفض المنازعات بين المواطنين..وحماية الأخلاق العامة وخدمة الأرض... وتطوير الإنتاج الفلاحي... وما إليها من الاهتمامات الاجتماعية الشاملة.. وصادرت الثورة على جود العدو... الأمر الذي دفعه لأن يفصل فيما بعد الجماهير عن ثوارها ويقسم البلاد إلى مناطق محرمة وأخرى مراقبة. حشر المتساكنين في محتشدات عرفت بـ «LA SAS».

إن تصحيح المفاهيم والقيم وإعادة للإنسان الجزائري إنسانيته... وحمله لأن يواجه عدوه بصدر عار... كانت كلها من فعل الثورة وإبداعاتها... لأنها فعل خلاق وجذري وإنساني مركز في أعماق الآدمية الفاضلة... ولم يكن مجازفة بتأثير فرد أو جماعة... وإذا كان بعضهم اليوم يسعى إلى تقزيم رسالة الثورة...

وافتعال الدعاية المجانية لمفكر معين أو عالم معين كما يجرى زعمه مع الطبيب النفساني (فرانس فانون) فإن ذلك مجرد دس على الثورة والتقليل من دورها وتحميل فانون ما لا يطيق..

كان فانون - طبيبا نفسانيا عمل كما هو معروف لدى الجيع في مستشفى العلاج النفسي في مدينة البليدة وتعاطف مع الثورة في البداية ثم انتمى إليها... فكانت له فرصة لا تعوض ومادة لا تلين فتأثر بأحداثها وعانى آلام شعبها فكان خير الطبيب ونعم الكاتب الموجه والأيديولوجي... وأن أفكاره السياسية وآراءه الثورية كان لها تأثيرها على قيادة الخارج على الحدود الجزائرية التونسية... الأمر الذي أربك شخصية بومدين الذي لازمه مع غيره من القادة مدة معتبرة... وأشكل عليه ما إذا يؤثر أفكاره في الاشتراكية والثورية... أم أفكار جمال عبد الناصر والثورة المصرية التي غدت مثلا عربيا يحتذى بها دوليا.

ان الذي روج له منذ الاستقلال إلى اليوم بأنه فيلسوف ثورة التحرير وقائدها الإيديولوجي... انما فانون... هو أمر مبالغ فيه ومحاولة تغميط حق مفكرينا ومخلصينا من المجاهدين ودعوة إلى تقزيم الثورة والحد من كفاءات شعبها... وهي جزء من مخطط تدمير الثورة وإخفاء فضائلها وإظهارها بمظهر حرب عصابات وقطاع طرق وقتلة ليس فيهم مفكر ولا حكيم ولا أصيل... وكل ما هناك أن هذه الثورة هي من صنيع الأجانب.

إن من بين الأوائل الذين دعوا إلى الاعتناء بالإنسان في ثورتنا إنما هو المجاهد البطل العربي بن مهيدي... وله أقوال كثيرة وأفعال عديدة... وإن لم تجمع في مؤلف نظرا لكونه كان من رجال القيادة المباشرة والتنظيم والفعل العسكري... مع ذلك كله يعد هذا القائد مدرسة أصيلة في إدراك قيمة الإنسان من حيث هو كذلك لتغيير الواقع والتاريخ... وقد كان القائد سي امحمد بوقرة لا يقل أهمية عن رفيقه العربي بن مهيدي في تمثل الإنسان ودوره الخلاق وفي اهتمامه به إن كان مجاهدا أو مواطنا عاديا... في الثورة والمجتمع... في المدرسة والمزرعة... وفي الحياة عامة...

وإذا كان قادة الثورة الأوائل قد تفطنوا لموضوع الاعتناء بالإنسان وعملوا على تحقيقه... فإننا اليوم نرى أن جميع الأمم المتحضرة تجعله في مقدمة أولوياتها وتعتبره الغاية والوسيلة لبلوغ منتهى الحضارة... وعليه فإن انتصارنا

على ا لعدو لم يكن بالفعل الحربي المجرد وما كان لأن نحقق هذا الفوز أبدا لولا الاعتبارات النفسية والتوظيف الثقافي والمعنوي لتراثنا وقيمنا الثورية... وقد تفطن العدو لسلاح الشعب الحقيقي وثقته بنفسه... وابتكر لذلك أساليب جهنمية لتدمير قاعدته وإرهاق طاقته بحيث عمد إلى سياسة الأرض المحروقة وتهجير الجماهير وعزلها عن الثورة بأسلوب الحصار والتجويع..والمسح والعمليات المركزة المستمرة وتدمير القرى وإرهاب المواطن وحشره في محتشدات... والبحث عن العملاء ووتجنيدهم بجميع الأساليب إن بالاقناع أو القوة أو الابتزاز... وقد كان يراهن على استمرار الحرب وتدمير الثورة وإرهاق شعبها..حتى يقبل الحلول الاستسلامية. لذا نشطت أعمال رجال مخابراته..ورتبت الأساليب المضادة للثورة طبقا لطبيعتها الشعبية بحيث صرح الجنرال شال يوما قائلا: «من الممكن جدا أن يكون للقضية الجزائرية حلا عسكريا». وهو التصريح الذي رد عليه قائد الولاية الرابعة بقوله:«ان ديان بيان فو الجزائرية وشيكة الوقوع وليس المهم أن تقع اليوم أو غدا.. ولكنها لن تقع في مكان واحد بل ستقع على كل شبر من أرضنا».

ورغم جميع مخططات وأساليب جنرالات فرنسا... تمكنت الثورة من أن تحول الهزائم إلى نصر وتستثمر مخططات العدو وتستفيد منها...

ورغم ما ارتكبه العدو إلا أنه فشل في تحقيق أمر واحد وهو استئصال ما زرعته الثورة من قيم حضارية ثورية في نفسية كل مواطن وفي قلبه وما قاومته في ضميره... كي تجعل منه كائنا له مضادات حيوية تقاوم الاستعباد مهما عظمت أساليبه وأدواته.

ولو أن العدو اتبع سياسة المحتشدات في بداية الثورة لاختلف الوضع ولكانت له الغلبة..إلا أنه لجأ إلى هذا الأسلوب بعد أن جرب كل الأساليب الأخرى.

لم تكن ثورتنا ثورة مبادئ جامدة وبطولات خرافية... ولكنها، كانت ثورة مبادىء عظيمة وأساليب حربية تكتيكية و إستراتيجية تعلمناها في ميادين القتال وكان المجاهد إلى جانب كونه رجلا صلبا ملتزما بأوامر الثورة هو إنسان سهل المعاشرة ومتسامح ولبق في تأقلم مع الأدوار المختلفة التي تكلفه بها الثورة من ذلك أننا جندنا بعض أفضل جنودنا ضن صفوف العدو بعد أن أقنعناهم بضرورة القيام بهذه الرسالة وتحقيق هذا الواجب الوطني بحيث دسسنا

عدة جنود في قواعد العدو واشعت الخبر في المداشر والقرى نبأ فرارهم والتحاقهم بصفوف العدو الأمر الذي صدقه العدو وترهم أنهم كذلك، وقد ضبطنا لهم أدوارا محددة في القول والفعل والسلوك داخل قواته... وتمكنوا حتى تقمص أدوارهم الخطيرة... وبذلك سربوا معلومات دقيقة وخطيرة تم استغلالها في عمليات فدائية وقتالية هامة واستمر هؤلاء جواسيس شرف يدمرون العدو من داخله حتى إذا أحس أحدهم بالخطر المحدق به صدرت إليه أوامر بالعودة إلى صفوف جيش التحرير... ولكم كانت هذه العمليات دقيقة وصعبة لأن المجاهد المدسوس يتحمل فيها وقع الإشاعة بالخيانة التي ترفضها الأسر وتتمنى الموت دونها... وما كان لنا أن نصارحها بالحقيقة لما في ذلك من خطر وعواقب على المجاهد ورسالته... كما أن هؤلاء الأبطال كانوا حاملين حياتهم على أكفهم في كل لحظة.

2 – من أغرب القصص.

انتهى المجاهدون ذات يوم إلى قرية تدعى (فراغ النمر) جنوب مدينة البرواقية فاستضافتهم عجوز طاعنة في السن، وبينما هم بالبيت والعجوز تعد الطعام... وقع بصرها على جندي شبل وقد احتضن سلاحه... استصغرته العجوز وسألته عن بلدته فقال لها(أنا من مغنية) ثم أعلمها باسم عائلته... وما كادت تسمع اسم الأسرة حتى ارتمت عليه وأجهشت بكاء شديد وهي مرددة تقول: «أنت ابن أخي أنت ابن أخي...» ثم استوت جالسة وطفقت تقص على المجاهدين مأساتها: فقالت:«تزوجت في صباي من رجل جاء قريتنا يؤدي خدمته العسكرية تحت العلم الفرنسي وجاء بي إلى البرواقية وسكنا الجبل ومن يومها لم أر أسرتي ولم أسمع عنها خبرا».

هكذا كتب الله لتلك العجوز الغريبة أن يلتئم شملها بعائلتها التي غابت عنها ثلاثين عاما... وكان ذلك بفضل الثورة... ومن يومها نذرت العجوز حياتها وبيتها لخدمة الثورة والثوار وكان سكناها في أعالي جبال شاهقة يتكلمون لهجة غريبة لا هي بربرية ولا ترقية أو غيرها... ويذكرون أنهم لا يغادرون الديار وكثير منهم لايعرف المدينة طيلة حياته... وجدت الثورة أرضية خصبة في تلك المناطق فراح المجاهدون يعلمون الأطفال مبادىء القراءة والكتابة ويزرعون الوعي بالثورة في أوساط المواطنين... ويحدثونهم عن وطنهم الكبير المترامي الأطراف...

ولم تبخل تلك المناطق بخيرة رجالها على الثورة بل أعطت رجالا غدوا مثالا في التضحية والفداء والاستقامة.

ومن الحوادث الأخرى المثيرة في ولايتنا، أن في إحدى قرانا التي غمرها الجهل والأمية والفقر والحرمان عشرات سنين الاستعمار كانت بها قبة يتبرك بها أهل القرية ويقيمون لها المآدب والأفراح...وصلنا القبة في إحدى الليالي وكان رفقتنا دليل من أصلاء القرية.. توقفنا عند مدخل القبة وقد أعلمنا الدليل أنها لولي صالح يدعى «سيدي الغول» وكان ذلك يوم 16 جويلية 1956 ودخلنا الضريح فعثرنا على عدة أكوام من قماش ثمين (يستعمل أردية للأضرحة والرايات»... تطوع الجنود بتمزيق تلك الأقمشة واستعمالها جوارب لهم... بعد أن تمزقت جواربهم من طول السفر والترحال والدليل ينظر صامتا... تحين الفرصة وفر هاربا إلى قريته... وغادرنا بدورنا المكان لكن فوجئنا بكمين نصبه لنا العدو واشتبكنا معه في معركة ضارية... ومن ألطاف الله أننا أضعنا مجاهدا واحدا حسبنا أنه استشهد... وما استشهد لكنه ظل الطريق.. فزع سكان القرية بعد انتهاء المعركة فعثروا على الجندي وكان يدعى (سي الطاهر) وقد بدت عليهم مظاهر التنمر والغضب من فعلة المجاهدين بأقمشة الضريح... فتطوع المجاهد وقص عليهم قصة الضريح والأقمشة والمعركة فأقنعهم ببساطة بضرورة التخلي عن عبادة الأضرحة التي لا تنفع ولا تضر وقال لهم: «إن التبرك الحقيقي إنما بالثورة والجهاد الذي فرضه الله على كل مسلم وذكرهم أن العدو همه أن يظل شعبنا في الأمية والجهل وعبادة الأوثان...» أعجب السكان بفصاحته وحكمته وصدقه.. وأصروا على أن يبقى إلى جوارهم شهرا كاملا... جاء بثمار عظيمة، بحيث تطوع السكان بستين بندقية... وساعدوا سي الطاهر على التسلل إلى ثكنة للعدو وقتل قائدها الذي كان برتبة نقيب في الجيش... ولم يغادر سي الطاهر القرية إلا وقد ألهب شبابها بنار الثورة وعلمهم الرماية.

هكذا كان الثوار مدرسة في الأخلاق والتضحية وكانت ممارساتهم مستمدة من قيم الشعب في عفويتها وعمقها وصفائها وما كانوا ليتعلموا هذه الدروس من (قانون) أو غيره... فهم لم يعرفوا حتى اسمه، إنما الحكمة كانت في صدق المجاهد مع نفسه ومع ثورته التي تلهمه المعرفة واليقين ولا يحتاج في إقناعه الجماهير إلى خطابة وعلوم بل إلى صدق وإيمان بالقضية الواحدة، الحرية أوالشهادة...

3 - هل بلغ العدو مبتغاه ؟

أقول دون تردد أن العدو فشل فشلا ذريعا في مخططاته التي لجأ إليها في أرض المعركة، بما في ذلك أسلوب المحتشدات وعزل الشعب عن الثورة وأسلوب الأراضي المحرمة، لأن الثورة تسللت إلى أعماق المحتشدات وحولتها إلى قواعد صلبة تمدها بالرجال والإمداد... والإسراع، وقد تضمنت منهجيتنا في مقاومة العدو بعض البنود أهمها:

1) تحويل المناطق المحرمة إلى مناطق محررة .

2) تحويل المحتشد إلى مراكز سرية لصالح الثورة .

أما الأراضي المحرمة فقد حررناها بتواجدنا عليها دون خوف من العدو، بحيث لم نعد نخشى توجيه الضربات المتوجهة إليه، لأنه لم يعد بامكانه أن ينتقم من السكان في الجبال... وقد حشدهم في محتشداته كما احتفظنا بما كنا نقدمه للجماهير من إعانات وأدوية قبل حشدها، وأرحنا العملاء والوشاة من شرهم، وهكذا حولت الثورة الأراضي المحرمة إلى مناطق آمنة تدرب فيها الشبان على الرمي... وعلى التمارين الرياضية الحربية... وقد أشار التقرير السري الخاص بقسم المخابرات الفرنسية المؤرخ في 30 جوان 1958 إلى هذه المسألة... استفدنا في اعتقادي من الأراضي المحرمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا... وهذه هي عبقرية الثورة على بساطتها تعرف كيف تغير جميع الموازين لصالحها...

ولم نعط الفرصة للعدو أن يثق في مخططاته وبذلك تصدينا له على مستوى الحرب السيكولوجية بمواجهته معنويا وكسر شوكته... من ذلك أننا فرضنا عليه العمران... مقابل التهجير والفراغ... فمركزنا نقاط اتصالنا في المناطق المحرمة وكانت من قبل في القرى والمداشر وكثفنا النقاط الفرعية لتوسيع شبكة الاتصال والاستخبار.

أما المحتشدات فتحولت إلى مراكز عمل سري منظم ودقيق... وصارت حرب الظل فيها أهم من حرب العلن... إذ عمد العدو إلى تزويد المحتشدات بضباط مثقفين ومدربين على أساليب غسل الدماغ وبث الدعاية المضادة للثورة... والتنكر لقيم الثورة والدس على المجاهدين وتشويه رسالتهم... وما إليها من أعمال مخابرتية خطيرة مضادة للذهنية التحريرية الجماعية... قاومت الثورة هذا

الأسلوب الجهنمي الجديد برجال مماثلين لرجاله... وجندت المحافظين السياسيين الذين كانوا يهدمون بالليل ما بناه ضباط (لاصاص) في النهار... إلى جانب كونهم يسربون جميع الوثائق وأسرار العدو وأخباره من داخل المحتشد إلى خارجه... وغدا المحتشد قاعدة خلفية قوية للثورة والثوار... ولا أنسى ما كان يمده إلينا المواطنون من وراء أسلاك المحتشد من معونة مادية وأخبار عن تحركات العدو وعملائه ولم تتخلف النسوة المخلصات عن أداء مهامهن الجليلة المتعددة... حتى أن بعض نساء الخونة (الحركة) كن يختلسن الذخيرة الحية من بعولتهن ويبعثن بها إلى الثوار عن طريق الرعاة الذين كانوا يخفونها في حيواناتهم (كأن يضعوها في صوف النعاج وفي أضرعتها... وفي أماكن أخرى عديدة...وكذلك تفعل النسوة بالأدوية وغيرها... بل كانت الأسر في المحتشد تؤثر على نفسها المجاهدين، فيرسلون لنا ما يحصلون عليه من قبل العدو من معلبات وجبن وخبز... وسكر...وأدوية... وهذه علامات ساطعة على أن وعي الجماهير بمواصلة رفد ثورتهاأمر لا يردها عنه عميل أو ضابط أو مخبر مهما كانت وسائل القمع والتعذيب والتقتيل أو المراوغة والمغالطة...

ومن الطريف في تلك الأيام أن العنزات صارت جلها مجلببة بقطع القماش... حماية لأضرعتها... وكان الرعاة على بينة من أمر الماعز...حتى إذا تخطوا أسلاك المحتشد الشائكة وحراسة المنتصبين بأسلحتهم النارية... وعيون العملاء المبثوثة في كل مكان... انطلقوا يمرحون بحثا عن المجاهدين الجوالين في كل مكان...

وهكذا أدى الانسان والحيوان رسالة الجهاد ومقاومة العدو ... ولم يتفطن رجال الأمن الفرنسي لهذه الأساليب العفوية في مظهرها البليغة الدلالة في صميمها... إلا بعد لأي وأمد طويلين... فعمدوا إلى مراقبة الحيوانات وإخضاعها إلى أسلوب التفتيش اليومي ورغم ذلك استمر الصراع بين الثورة وقد احتضنتها الجماهير وبين العدو بآلته العسكرية وذهنيته الاستيطانية وأسلوبه النازي... وانتصر النور على الظلام والحق على الباطل والشعب على الطاغية... والمستقبل المشرق على الماضي المظلم.. لم نبخل على العدو بنصائحنا الإنسانية، لقد بصرنا قادته مرارا بأخطائه وغبائه وعشوائيته في تقتيل الجماهير وتشريدها وكما كنا نتحداهم على أرض المعركة كنا نتحداهم في مجال الإنسانية والتسامح... وما تشنيعهم بنا في مناشيرهم بأننا قتلة الأبرياء... إلا تهم باطلة،

ورغم أننا ثوار آمنا بالعنف الثوري لتحرير الإنسان والتاريخ والأرض كانت أخلاقنا وقوانين ثورتنا تصدنا عن استعمال العنف إلا عند ضرورة الاستعمال.. وكنا إذا اعترضتنا قافلة عسكرية في كمين مثلا وكان من بينها مدنيون لا نطلق عليهم النار بل وإذا أسرناهم وكانت من بينهم نسوة (وقد حدث ذلك مرارا) ترفقنا بهن وأوكلنا أمرهن إلى نساء مجاهدات وتحاشينا حتى الحديث معهن كما ينص على ذلك ديننا الحنيف وأخلاق الفروسية العربية والشهامة التي عرف بها الجزائري .

4 - **الرجل المعجزة.**

مواطن عادى مثله في ذلك مثل كل أبناء الشعب الجزائري في تلك المرحلة من تاريخ بلادنا... لم يتلق ولو قدرا ضئيلا من التعلم.. عاش على هامش الحياة إلى أن اندلعت ثورة التحرير العظيمة.. فكانت متنفسه الذي استنشق منه عبير التحرر...

اعتنق الثورة فوهبها كل ما عنده من نفيس وأي نفيس كان في قريته المعدمة منذ عشرات السنين، كان اسمه في سجلات الحالة المدنية بدوار "شراطة" المتاخم للبرواقية (...) أما اسمه التاريخي فرمضان المعجزة له شقيقان أحدهما أكبر منه والآخر أصغر منه.. يتيم الأب مطموس الأسرة.. احتضنته أمه الطاعنة في السن سنوات الطفولة حتى شب وشقيقاه، عانت العائلة الصغيرة ألوان الفقر ومظاهر الفاقة... وكانت تأوي ليلا إلى كوخ بني من تراب الأرض يلفحه قر الشتاء وحر الصيف.. حتى إذا شب أخوه الأكبر التحق عن طيبة خاطر بالجيش الفرنسي والتحق رمضان (المعجزة) بصفوف جيش التحرير والتزم ثالث الأخوين الحياد وكانت تلك بداية شرخ خطير في وحدة ذلك البيت الآمن... أصبح رمضان رمز الانتفاضة والتضحية وحديث الشبان... وبذلك غدا مطلب العدو العسير وعملائه ... وغدا أخوه الأكبر لعنة القرية ورمز الخيانة لكنه شاب الفرنسيين المدلل.. واحتارت الأم المعذبة بين النقيضين... لكن وجدت ضالتها في الحنو على ولدها الصغير خشية أن ينحاز لأحد الطرفين وتتحطم آخر آمالها... كان ولدها الأكبر يأتيها من حين لآخر ببعض ما تخلفه موائد الضباط الفرنسيين من نتف لحم وقطع خبز وحبات فاكهة... يقدمها لأمه القابعة في الكوخ لا تفارقه إلا لماما خيفة أن

بصيبها مكرود من فرق رجال الجندرمة وعساكر العدو الذين يرهبون من يصادفون ويقتلون من يشتبهون في أمره... حتى غدت قرية ملعونة تسكنها أشباح الموت وقعقعات القنابل والمدافع... كاد الفقر أن يكون كفرا، هذا الكفر الذي أكرهت عليه العجوز فدفعها لأن تتمنى لابنها المجاهد أن يلتحق بصفوف الجيش الفرنسي ويتعاضد الشقيقان.. فطن رمضان للأمر وسارع إلى هجوم... سلمي... بحيث تردد على كوخ أمه يدعوها أن تبلغ رسالته الشفهية لأخيه وقد ترجاه أن يرعوي عن غيه... ويعود إلى رشده ويلتحق بثورة شعبه... ويقطع دابر العمالة لعدو مقيت... ويكف عن تحميس الشباب على اللجوء إلى قوات العدو والعمل ضمنها... وكان من حين لآخر يقسو على والدته حتى تؤدي دور المبلغ الأمين والمؤثر القوي... لكن أخاه كان هو الآخر يمارس نفس الأسلوب مع أمه ويحملها دعوته لأخيه المجاهد كي يلتحق بجيش العدو الغاشم... ليرتاح من شكوك الفرنسيين حوله وأسئلة ضباط المحتشدات القاتلة... « La SAS » (لا صاص) وظن الحركيين به.

لجأ الابن العميل إلى حيلة خسيسة وقايض مع أمه على ما يقدمه لها من فتات خبز الأعداء، وهددها بالقتل جوعا إذا لم تحقق مآربه.

استمرت معركة الكوخ بين الشقيقين ووالدتهما وقد ركب كل رأسه وتعصب كل لمبدئه تعصبا ليس عليه من مزيد... خاطب رمضان الأم بمنطق الثورة مستنفرا فيها ضميرها الحي كي ترعوي عن طاعتها لأخيه العميل... لكن العجوز اتفقت مع ابنها الأكبر على أن يلتقي بأخيه رمضان في مكان معين ويتفقا على حل يريح الأسرة عناء الشقاق. وفي ليلة من ليالي شتاء عام 1961 كان بردها قاتلا وثلجها يفرش أرديته على الطبيعة... والحياة ساكنة سكون الموت... كانت ليلة موعد مذهل بين المجاهد رمضان وأخيه العميل، هذا الموعد الذي رتبته الأم بين ولديها مسبقا باقتراح من رمضان الذي أوهم أخاه العميل بأنه سيرافقه إلى ثكنة العدو متخليا عن الجهاد والثورة. اقتنعت الأم بالخديعة الذكية... لكن حدثتها نفسها بما تخفيه سريرة المجاهد من غدر بأخيه... فعدلت خطتها وأوهمت رمضان بأنها أقنعت أخاه بالخطة... خرج رمضان وأمه وأخوه يطلبون... حتى وصلوا مكان الموعد وطال ترقبهم، تفطن رمضان إلى مكيدة أمه التي خافت على ابنها الأكبر

وغلبتها مشاعر الأمومة... ثارت ثائرته واعتبر أمه شريكا في خيانة الثورة وأن لا مفر لغسل عار الأسرة التي تلطخت بلوثة الخيانة والعمالة للعدو إلا بتصفية أمه وأخيه الصغير تصفية جسدية انتقاما للثورة من عائلته وفدية لها من عمالة أخيه الأكبر... وبذلك كانت درسا قاسيا لجميع أمهات العملاء، من الحركة والجواسيس... قتل رمضان أمه وأخاه قربانا للثورة كما كان يفعل أوفياء الآلهة والصديقين... ومسح العار عن ذاته... وسحق طريق الردة أمام كل المتخاذلين والضعفاء... وما قتله أخاه الأصغرالا خشية من أن ينحرف في سبيل الخيانة... آثر رمضان الثورة عن عائلته وعن نفسه وصنع من المستحيل ممكنا... ورغم ما في الحادثة من درامية ورهبة وقوة وتأويلات فإن موقف رمضان إذا وضع في إطاره وضمن شروطه الموضوعية والذاتية وفي ظل عقيدة الثورة والالتزام بتطبيق حرفيتها... تتحول الحادثة من كونها حادثة شنيعة إلى ملحمة ثورية تؤكد عقيدة الثائر برسالته في الدفاع عن مبادئه الخالدة وفي إيثار الحق على الذات ولو تعلق الأمر بالأم والأخ...

كان المجاهد يعتبر العدو الفرنسي عدو هويته العربية ودينه الإسلامي وعدو تاريخه وثقافته وعدو أرضه، وبحره وجوه وفضائه... وباختصار يعتبره جلاده الأبدي... وكل ما من شأنه أن يعيق القضاء عليه وطرده هو أمرمرفوض ويحق عليه أمر الثورة الذي لا يرد... هكذا قتل رمضان أمه من أجل أمه الأوفى والأكبر الجزائر والأمة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء... وقتل أخاه ليحيي شعب الجزائر وشعوب الوطن العربي والعالم من دنس العملاء والخونة.

5 – شجرة الشهداء:

هؤلاء رجال آخرون عبدوا بتضحياتهم طريق الخلود... إنهم الإخوة (بن مهل) أصلاء مدينة البرواقية، وقد عاشوا فقراء محرومين ومن بينهم الابن محمود بن مهل الذي احترف مهنا قاسية في طفولته لسد رمقه.. تمكن بإرادته الفولاذية أن يجمع بين الدراسة والعمل... فأظهر نبوغا مبكرا بوأه لأن يتفوق في دراسته على جميع أقرانه بمن فيهم أبناء (الكولون) حتى بزهم في لغتهم الدخيلة وراح يجادلهم بها ويعري بشاعة آبائهم وأجدادهم في ظلمهم الشعب الجزائري فما كان من مدير المدرسة إلا أن طرده وهو يجتاز آخر مرحلة في تعليمه الابتدائي خشية

من نبوغه وذكائه الوقادين. ولا ننسى ان العدو كان دائما في محاربة النابغين الجزائريين ومطاردتهم من مدارسه بحيث ينزعج لرؤية الأذكياء النبهاء... ويزداد انزعاجه إذا كانوا من أبناء المعدمين الفقراء... لا المترفين الموالين له . فكان لا يكره شيئا ويعاديه كرهه ومعاداته العلم على الجزائريين لا سيما من أبناء الفئات المحرومة المتأصلة المرتبطة تاريخيا بالأرض والتراث والمبادىء الثورية.

تلقفت ثورة التحرير الطفل محمود بن مهل وبدأ يحقق في فضائها الحر ذاته... وارتقى إلى معلم في صفوف جيش التحرير ثم إلى محافظ ووضع استعداداته وكفاءته الكبيرة محك الاكتشاف والابداع... وراح يزرع قيم الثورة بين المواطنين والمجاهدين ويذكرهم بمجدهم الغابر وبلغتهم وعقيدتهم وأرضهم وكرامات أجدادهم ويبصرهم بفضائل التحرر وشرف الشهادة، فكان يمسح بالليل ما نفثته أجهزة مخابرات العدو في أذهان المواطنين بالنهار من دعاية مضادة ومسخ للثورة ودسّ على الثوار... حتى غدا رأسه مطلبا عسيرا... ومنية الأعداء... كانت المحتشدات تعج بمراكز غسل الأدمغة والتوجيه المخابراتي المركز الذي يشرف عليه ضباط متخصصون في الدعاية وفي الدعاية المضادة وفي الفعل السيكولوجي وغيرها من الجهود التي يشترك فيها العسكري والمثقف ورجل المخابرات والعميل والعالم المتخصص ورجل الدين أحيانا... بحيث كانت خطة العدو بعد أن فشل في القضاء على الثورة بوسائل الإرهاب والقتل الجماعي والإتلاف والتهجير. عمد إلى نموذج المحتشد وهو عبارة عن مخبر لإعادة صياغة مشروع الاستعمار من جديد وتعميم نتائج العينات بعد ذلك... لذا تفطنت الثورة إلى هذا المخطط الجهنمي وحاربته بوسائل مضادة وناجعة جدا... وكانت في معظمها تقوم على كاهل التوعية والتربية والتوجيه... وفي مقدمة جنود هذه المهمة المحافظون السياسيون.

وذات ليلة من أواخر عام 1960 كان الطقس شديد البرودة وثلوج الشتاء تكفن الجبال... تسلل جندي جزائري صغير السن من ثكنة الجيش الفرنسي هاربا... طالبا الالتحاق بالمجاهدين.. غافل الحراس وعيون الفرنسيين وانتقل بعيدا عن الثكنة وراح يجدف في كل مكان بحثا عن المجاهدين ومعاقل الثورة... لم يفكر في العواقب... ولم يبحث عن طريقه أكثر أمانة توصله إلى مواقع المجاهدين وبينما هو يجوب المناطق متعثرا في الثلوج تجلده العواصف...فطن لأمره المجاهدون وقادوه إلى موقعهم وبدأ المجاهد محمود بن مهل يحقق في أمر الشاب الذي

غمرته السعادة بالعثور على المجاهدين وراح يقص رغبته في الالتحاق بالثورة، لم يصدق المحافظ السياسي دعواه، وتوجس من أمره وشك أن يكون جاسوسا زرعته مخابرات العدو في جسد الثورة ليدمرها من داخلها... وأشكل الأمر عليه نهائيا وخاف أن يكون سببا في تنفيذ خطة العدو الغامضة عن حسن نية ... وأمر فورا بإعدام الجندي الفار ... وأصر على قتله... ورغم نحيب الشاب وصراخه واستعطافه المجاهدين وتبرئة ساحته ازداد محمود بن مهل تصميما على إعدامه... ونفذ في الشاب البريء حكم الإعدام ... وتناهى خبر الإعدام إلى أخ المحافظ السياسي المجاهد «فارس بن مهل»... فاستدعى شهود العيان وأعاد تمثيل الحادثة تمثيلا موضوعيا.. حتى تأكدت له براءة الجندي الفار من ثكنة العدو... وتأكد لديه تورط شقيقه محمود وانسياقه وراء أهوائه... فقتل الجندي جرما دون محاكمة ودون حجة يقينية تدين تورطه في التجسس عن الثورة... وبناء على ذلك التحقيق الدقيق أمر «فارس» بإعدام أخيه على مرأى ومسمع الجميع وبحضوره شخصيا وأصر أن يرى جثة أخيه مضرجة بالدماء جزاء له على تسرعه في قتل شاب بريء فر من مواقع العدو ليلتحق بثورة شعبه... وكانت تلك الحادثة درسا خالدا وأبديا في سجل الثورة الجزائرية مهد الصدق والتجرد من الذاتية وتقديس المبادئ العلياالتي تحمي المجتمع وتحافظ على صحة وسلامة علاقاته...

بهذا الموقف الأسطوري للمجاهد الذي أعدم أخاه الأصغر رغم جميع الاعتبارات الإنسانية نلاحظ كم كان حرص الرجال على ثورتهم حتى لا تلحق بالمجاهدين تهمة أنهم قتلة إرهابيون لا ثوار يزرعون الحرية والسلام في الكون... وحتى لا يتخذها العدو ذريعة للتشنيع بالمجاهدين والتشكيك في رسالتهم.

إن قسوة الثوار على أنفسهم وعواطفهم فوق طاقتهم لا نجد لها مبررا إلا في إخلاصهم لوطنهم وهويتهم وعقيدتهم وخوفهم من مصيبة الانحراف بالثورة.

هذه الأحداث قليلا ما نجد لها مثيلا في تاريخ الأمم الأخرى ولعل أشبه الأحداث بها تلك التي كانت في إحدى فتوحات الرسول عليه الصلاة والسلام عندما واجه أحد المهاجرين والده الكافر وأخويه وألح على قتالهما... فكفاه على رغمه قتالهما.. حتى إذا رأى رؤوسهم تتهاوى إلى الأرض ذرف دمعة رحيمة ولم يزده الموقف إلا إصرارا على الجهاد ومقاومة الكفر.

6 - **الشهيد الأسطوري.**

لم يكن يملك من متاع الحياة شيئا يذكر... كان يسكن بيتا متآكلا على ربوة شماء يطل على قرية «العمارية» التي قهرها العدو وأفقر أهلها إفقارا بشعا... فقد «بن ساعد الهادي» جميع أفراد عائلته... قتلهم العدو الفرنسي برصاصه الغادر... ولم يبق من شجرة أسرته إلا اسمه... سكن الحزن قلبه... فلقي ملجأه في عالم المجاهدين وراح يستأنس بهم ويعزي حظه النكد بحزمهم وتصميمهم على طرد الغاصب السفاح، كان صغير السن لا يتعدى التاسعة عشرة من عمره... كان وجوده على قيد الحياة يثير الغثيان في نفسية الفرنسيين الحاقدين وعملائهم من (الحركة) لأنه يمثل رمزا لعائلة ضحت بأربعة عشرة شهيدا... فجدوا في البحث عنه لتصفيته.. وهدم الرمز الذي يخيفهم والطود الذي يمحقهم بشموخه..وفي إحدى المرات من أيام سنة 1961 نصب الأعداء كمينا له ولرفاقه المجاهدين.، وشددوا عليه الخناق حتى أيقن (الهادي بن ساعد) أنه واقع بين أيديهم فعمد فورا إلى قتل نفسه... فتناول سكينه الحادة ودون أن ترتعد فرائصه، ذبح رقبته من الوريد إلى الوريد... سارع عساكر العدو إلى مكانه فوجدوه مذبوحا وقد فارق الحياة، اندهشوا أيما اندهاش لشجاعته وإقدامه على طريقة ذبح نفسه دون أن يلين قلبه، وتنهار إرادته الحديدية..واستشهد الشاب على طريقته، دون أن يسمح للأعداء بالقبض عليه.. لقد فاق بأسلوبه في التعامل مع العدو أي تقدير وكل تصور... ولم نسمع بمثل ذلك المثال الفريد إلا في أخبار اليابانيين بعد هزيمة (هريورج)، وقد غدا هذا الحدث يخيف العدو ويرهبه، ويؤكد له تصميم الجزائري على التحررمهما كان الثمن والأسلوب.

7- **الرأس المعلق على السارية أو حضارة الطاغوت .**

قرية جندل من قرى منطقة الأصنام (الشلف) يكثر فيها الكولون الذين استولوا على أفضل أراضي المنطقة وأخصبها... بما فيها ومن عليها، وقد جاء هؤلاء الشذاذ من كل حدب وصوب من فرنسا وأوربا ليستولوا على الأراضي والعباد... في تلك القرية المسالمة يوجد أحد الكولون ويسمى (روك ROCK) كان بدينا أحمر البشرة غليظ الرقبة منتفخ الخدود.. يسكن منزلا فخما كثير الحجرات، انتصبت بصحنه نافورة كبيرة تتدفق منها مياه عذبة.. وإلى جانب منزله حدائق وأشجار وأراض مترامية الأطراف... وعلى مبعدة من جنته هذه

أكواخ بنيت بالتراب والكلس يسكنها خدمه وعماله من العرب ويتولى أبناؤهم رعي خنازيره وأنعامه الأخرى الكثيرة.. كانت حياة الأكواخ قاسية في جميع فصول السنة.. طلع عليك أهلها بوجوههم المغبرة وثيابهم الممزقة وأجسادهم الهزيلة وصور أطفالهم التي تبعث على الاشمئزاز والشفقة..كان هذا الكولون جبارا عنيدا له اليد الطولى مع إدارته.. وذات يوم في صيف 1956 قدم المسبلون على حرق مزرعته في فصل الصيف الحار.. ضمن عمليات تخريبية أمرتهم الثورة بتنفيذها.. وامتدت عملية الحرق هذه من مزارع سيدي نعمان إلى مزرعة (روك) المتغطرس.. آلمه أن تتحداه الثورة في وضح النهار وتحرق مزارع القمح وبساتين الفواكه والغلال التي حرمها على عماله وخدامه، أرعد هذا الكولون الحاقد.. وزمجر.. فاستدعى المعمرين في كافة المناطق وأقام بينهم خطيبا وواعظا ومتوعدا وقيموا جماعيا الخسائر التي لحقت بأملاكهم ووضعوا خطة مدروسة للانتقام من جميع العرب، لا فرق عندهم بين مجاهد ومسبل ومواطن عادي لايد له فيما يجري.. حضر ذلك الاجتماع القائد العسكري إلى تلك المنطقة وزودهم بنصائحه وكلف بعض عساكره المسلحين بحراسة "الكولون" وممتلكاتهم (من عبث العابثين) كما زعم.. ووزع السلاح على كافة الأوروبيين رجالا ونساء وأطفالا لقتل العرب وأقسم «روك» أمام الأشهاد بأنه سوف يقتل مائة عربي وعربي..ودعا أن يشاركه بقية الكولون رسالته الصليبية، وازداد حقدا وجنونا عندما سمع أن أخاه قتله المجاهدون وأحرقوا مزرعته، لم يتأخر «روك» عن موعد انتقامه بل خرج ورفاقه متقلدين أسلحتهم النارية.. ويطلقون النار على كل شيء يتحرك من بشر وأنعام وأشياء.. حاصر جيش الكولون القرية المقهورة من جميع مداخلها وأشعلوا النار فيها وظلوا يحرسون جميع منافذها حتى إذا حاول بشر أو دابة الهرب من صهاريج نار الصدف أطلقوا عليه النار، واستمرت النيران تفني القرية بعبادها وحيواناتها وأشجارها واشتعلت أدباش المواطنين ومؤنهم.. واستمرت المجزرة حتى الليل، وقد أسفرت عن قتل إحدى عشر مواطنا وحرق العشرات.. وإتلاف كل احتياط القرية من المؤونة والأمتعة وقتلت الحيوانات...

كانت تلك العملية درسا صريحا لجميع المواطنين شهدوا فيه بطش العدو وحقده عليهم.. وتأكدوا من نازية فرنسا التي لا تفني الإنسان وحسب ولكن

تفني الإنسان والحيوان والنبات... وقد قدم النازيون الفرنسيون خدمة للثورة بفعلتهم تلك وغيرها من الأفعال الهمجية والصليبية وأعادوا الوعي للمواطن بمدى خطورة فرنسا وبشاعتها... ومن يومها قرر المواطنون إقامة حراستهم على القرية حتى لا تباغتهم عصابات الكولون والعساكر...

قررت الثورة الانتقام للقرية الشهيدة وإعطاء درس للكولون ولعساكر العدو... وبينما نحن نفكر في أسلوب دقيق ومحكم لتنفيذ عمليتنا... وافانا خبر استشهاد المجاهد (حسين بن فارس) المحافظ السياسي وقد كنا في أمس الحاجة لمهماته الجبارة في توعية المواطنين وتشريكهم في الثورة وتجنيد المسبلين لتخريب ممتلكات العدو والكولون... سقط الشهيد في كمين نصبه له العدو ومن العجيب أن القوات الفرنسية لم تكتف بقتل المجاهد بل عمدت إلى قطع رأسه والتمثيل بالجثة أمام المواطنين ثم نزعت رايتها (العلم الفرنسي) من على سارية في (مركز بربوش قرب سد أغريب) وعلقت مكانها رأس الشهيد طيلة عشرين يوما حتى تشوه الرأس ونهشته الحشرات. وتجمد دمه على السارية... ومنعت أي واحد يريد مواراته التراب؟ .

8 - شهيد يفتت قطعا قطعا!!!

انسحب ليل الشتاء على قرية أولاد سيدي علي وطواها بظلامه الحالك وثلوجه وأمطاره... فانشرحت نفوس المجاهدين الخلص لأداء رسالتهم القتالية فتسللوا في هجوم خاطف على بعض مراكز العدو ومنشآته ودمروها تدميرا... وخربوا بعض ممتلكات الكولون الذين اشتهروا بحقدهم على الثورة والجماهير العزل... ولما أصبح الصبح تيقن العدو أن الضربة موجعة فهرعت جماعات الكولون تطلب السلاح والحماية وبينما هم يعدون العدة للانتقام من الثورة وشعبها صادف أن ألقت قوات العدو القبض على المجاهد (سي ابراهيم) وكان محافظا سياسيا في جيش التحرير بتلك المنطقة... أخضعوه إلى تعذيب وحشي حتى أشرف على الموت... وقد شاع بين الكولون خبر وجوده لدى القوات المسلحة فعمد غلاتهم بمحاولات عديدة لتسلمه منها وراحوا يعذبونه على طريقتهم... فأطلقوا عليه كلابهم نهشت بدنه نهشا... ثم اقتلعوا أظافره وكسروا أسنانه وأدخلوا مدبات حديدية حادة في مناطق عديدة من جسمه وأحرقوا حواسه ببقايا

السجائر... وكلما شارف على الهلاك كفوا عنه حتى إذا استعاد بعض أنفاسه استأنفوا تعذيبهم له من جديد اشتد بالمجاهد الألم وصار يهذي من فرط الإرهاق والعذاب... وقد كانوا ينصتون إلى كل كلمة ينطقها... وصادف أن ذكر بعض الأسماء على غير ترتيب ومنها اسم المناضل متيجي ورفيقين له... استغل الكولون هذه المعلومة وانطلقوا ليلا في عملية قرصنة بشعة اختطفوا المناضلين الثلاثة من بيوتهم وذهبوا بهم إلى بلدة سيدي علي الواقعة بين المدية وخميس مليانة في أكتوبر 1958 وهناك بدأت فصول الجريمة النكراء بدأ الكولون بإعدام سي ابراهيم الذي تغيرت ملامحه من فرط التعذيب.. فشدوه إلى أحد أعمدة الهاتف بالحبال وجاؤوا بمنشار كبير تعودوا على استعمالها في قطع جذوع الأشجار الكبيرة... وأمسك رجلان بأطراف المنشار وراحا يقطعان جسم الرجل قطعة قطعة... وقد تحلق باقي الكولون إلى جانب الضحية يتابعون المشهد بكل هدوء وتشف... بدأت عملية القص بأسفل الجسم ثم تصاعدت إلى أن طالت الرقبة فهوى الرأس على الأرض... عندها صفق الحضور وهللوا تهليلا... وقد قاوم المجاهد عذاب الموت مقاومة لا مثيل لها... الأمر الذي أثار حفيظة جلاديه... وهم بين سكران بالخمر يترنح وبين سكران بغيضه وحقده يتمايل... أما الثلاثة الآخرون ممن جاؤوا بهم دون تهمة ولا دليل فقد أشهدوهم رغما عنهم تلك المجزرة التي لا يمكن أن تصدر إلا عن فرنسي دون سواه.

التفت أحد الجلادين بعد أن فرغ من تقطيع المجاهد بمنشاره إلى الأسرى الثلاثة وقال: «من منكم يريد أن يسبق الآخرين إلى الجنة، أليس في عرفكم أنتم المجاهدون أن الذي يقتل من بينكم تكون الجنة مأواه؟» وأطلق قهقهة عالية شاركه فيها رفاقه... وأضاف: «تكلموا من يريد منكم ألا يرى جثث رفاقه تتهاوى إلى الأرض قبل جثته...؟ من البطل الذي يواجه مصيره قبل غيره؟» رفع أحد الثلاثة رأسه عاليا طالبا الشهادة قبل رفاقه المجاهدين ثم تزاحم الثلاثة على نيل شرف الشهادة... وكانت رغبتهم ألا يرى الواحد منهم رفيقه جثة هامدة... هكذا واجهوا التحدي بتحد أكبر منه... اندهش الكولون لهذا السلوك الغريب لرجال يتزاحمون على الموت تحت أسنان منشار حادة... رجال يتنافسون لتقديم رقابهم للذبح البطيء... تراجع الأوغاد إلى الخلف وتناظروا في أمرهم... هالهم منظر الشهيد الممزق إربا إربا... وخافوا أن تتمثل روح الجسد الممزق تعلن

التمرد... تناظر جماعة الكولون في هلع كالكلاب المسعورة انقضوا على المناضلين الثلاثة وذبحوهم على طريقتهم السادية... وشاع خبر القتل ونبأ البطولة وانتشر كنار الصيف في الهشيم.. وتكررت هذه المجازر في فصول الثورة كلها حتى غدت أمرا معهودا لا يحرك ذا بال لفرط ما اتسمت به النفسية الفرنسية من حقد وحيوانية في صورها البدائية الأولى.

والمؤسف اليوم أن المؤرخين الفرنسيين لم يذكروا هذه الحوادث ومئات أمثالها طيلة تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر، لكن التاريخ كقدر تصنعه المواقف والإرادات الشريرة والفاضلة في مراحل متعاقبة لا يحتاج لمن يبرره أو يخفيه لأنه ملتزم بيقينه متعال عن الزيف والتشويه. إن تاريخ المجازر الذي أملته الهمجية الفرنسية في الجزائر منذ تدنيسها أرضنا في سنة 1830 إلى 1962 هو تاريخ حفرته الأيام بأرواح الأبطال على غرة الدهر ودفعته نشيدا في تيار الخلود الذي لا يهدأ ولا يستكين وسيظل بيانا إنسانيا في ثورته يدين الذهنية الفرنسية الحقيرة ويفضح فضاعة أعمال ضباطها وجنودها الأشرار.

9 - علي خوجة- حقيقة أسطورة،

نصب جيش التحرير كمينا بقيادة الشهيد البطل مصطفى جمعي قبيل مؤتمر الصومام 1956 وتمكن المجاهدون من قتل عدد هائل من الأعداء، وصادف أن كانت إحدى الأسر الفرنسية رفقة القافلة العسكرية فأبيدت بكل أسف عن آخرها... وخرجت أبواق الإعلام الفرنسية والغربية تعلن الجريمة وتشهر بجيش التحرير وتصفه للرأي العام الدولي وصفا همجيا إجراميا وافتتحت صحفها الصادرة في كل بلدان العالم بصورة الأسرة تتقدمهم الطفلة الصغرى... استمرت الحملة المركزة أسبوعا كاملا لتجنيد الرأي العام الفرنسي والدولي قصد تغطية مخطط جرمها... في حين كان الجيش الفرنسي، يهاجم يوميا مئات القرى الجزائرية ويبيد ما فيها من بشر وحيوانات ويتلف الأشجار والمؤن... حتى حول البلاد إلى خراب... وحشد الشعب كله في سجون جماعية ومن كان خارج المحتشدات يعتبر «فلاقا متمردا» تحق عليه لعنة القتل... ورّغم هذه الجرائم التي تعود عليها الجميع لم يرفع الاعلام الفرنسي صوته ليقول آه إن هذا لمنكر... بل كعادته كان دائما يخفي الحقائق ويخبئ الجريمة ويبرر المجرم...

تابعنا الحملة الإعلامية الفرنسية المغرضة بدقة وانتقل الصحفيون إلى عين المكان وصوروا ميدان المعركة والجثث المتناثرة وحولوا الحادث إلى شريط درامي وزعوه على نطاق واسع في دور السينما بالجزائر وفرنسا وعلقت صوره على جنبات الحافلات التي تجوب الشوارع وشاحنات السينما المتنقلة حتى يراها سكان الأرياف... جرت الدعاية مجرى الكحول في النار وتدفق المتطوعون من الفرنسيين وأبناء المعمرين والمرتزقة والعملاء للانضمام إلى صفوف العدو وقد طالت الدعاية حتى الضمير الجزائري ووجه قادة الخارج توبيخا إلى الولاية الرابعة عن طريق المؤتمرين في الصومام وتلقى التوبيخ الشهيد عبان رمضان... والأغرب من ذلك كله أن قائد العملية مصطفى جمعي، نقل إلى تونس وتم اغتياله هناك بتهمة التجاسر على قوانين الثورة... وكان رحمه الله صديقا شخصيا ومقربا جدا إلى البطل علي خوجة... حز الأمر في نفس صديقه علي خوجة فعمد إلى تنفيذ عمليات أسطورية ضد العدو انتقاما لصديقه المغدور به... وتلك عقيدة علي خوجة الذي كان يؤمن بها ويقول: «إن رصاصة واحدة تصيب العدو خير من ألف خطاب حماسي لاتتجاوز به عتبات التجمع». حز في نفسي أن يقتل مصطفى جمعي الملقب «بمصطفى لكحل» لا لشيء سوى لأنه نصب كمينا للعدو وقتل جنوده بمن كان معهم... وقرر خوجة أن يثأر لعزيزه بأسلوب استشهادي خرافي بكل ما في الخرافة من خوارق... بحيث فكر في أن يهاجم قصر الحكومة الفرنسية في الوقت الذي يكون الحاكم العسكري العام مجتمعا إلى ضباطه السامين في وضح النهار وفي قلب العاصمة... مخترقا عشرات الحواجز المدججة بآلاف الجنود ومئات الآلاف من الآليات الحربية والرادارات الاستكشافية... فضلا عن تخطي عيون العدو من رجال وأجهزة مخابرات وخونة وعملاء كان العمر أهون عليه من قصر الحكومة ومع ذلك خطط هذا البطل الخرافي بدقة متناهية لتحويل المستحيل إلى ممكن ... فكان المستحيل ممكنا فعليا...

انتقى القائد البطل أفضل شبابه وأشدهم حماسا وتعلقا بالشهادة وأنضجهم خبرة وذكاء... وانتقل بهم إلى مشارف العاصمة متخطيا حواجز لا حصر لها... رابطت المجموعة بمدينة برج الكيفان المحاذية للعاصمة وهناك رسم خطة الهجوم بحيث وزع على رجاله لباس المظليين الفرنسيين وتفقد أسلحتهم وحدد لهم

مهماتهم الاستشهادية... وانطلقت المجموعة وسط اكتظاظ المدينة بالمعمرين والأجانب وآلاف الجنود من جميع الأسلحة... ولم يتفطن أحد لهؤلاء الأبطال الأشاوس نظرا لما كانوا عليه من رباطة جأش وثبات وقدرة على التمويه ومغالطة العدو... ولم يتفطن العدو لهؤلاء الأبطال إلا وهم على بعد أمتار من قلب العاصمة ... دارت معركة ضارية بين الكومندوس الاستشهادي وقوات العدو استشهد فيها جميع الأبطال بعد أن كبدوا العدو هزيمة سيكولوجية وعسكرية مريبة ... كان ذلك في أكتوبر1956.

أراد علي خوجة بتلك العملية أن يؤكد للعدو أن جيش التحرير قاتل صبية ضمن القافلة العسكرية في كمين... قادر أن يخترق كل القوات الفرنسية وهيبتها ويهاجم حكامها وقادتها في قصر الحكومة نفسه وأن يسجل صفحة في سجل تاريخ العمل المستحيل ويبرهن لبعض قادتنا في الخارج الذين كانوا يخاطبون الثورة من شرفات قصورهم... ويتهمون رجالها بالتمرد والعصيان ويغتالونهم جرما إن الثورة قوامها التصفية الدائمة فكان الدرس قاسيا وصريحا ولولا وشاية أحد العملاء ماكان علي خوجة أن يفشل في مهمته العظيمة ولتمكن من دخول قصر الحكومة وقتل وأسر القيادة الفرنسية... ولتغيرت معادلة الحرب في الجزائر يومها... لم يكن علي خوجه كما عرفه الجميع شخصا عاديا بل كان عبقريا حقيقيا في أفكاره وأفعاله... وحركيا إلى درجة أنه يستحيل تحديد مكان تواجده... وصاعقا في قتاله العدو... وقد تميزت عملياته العسكرية على كل العمليات الاستشهادية الأخرى... بالأسلوب الأسطوري الخارق وباستشهاده فقدت الثورة أحد أكبر رموزها وقادتها العظام ممن تنبهوا باكرا لذهنية العدو الفرنسي وخاطبوها باللغة التي تفهمها .

الفصل الحادي عشر
من ملحمة الساحل إلى حانة بوفاريك

I - ملحمة الساحل

على ساحل بحرنا الجيل... وفي منطقة تيبازة... جرت أحداث عملية متميزة... في يوم شديد الحرارة من فصل الصيف انتشر عدد هائل من الضباط الفرنسيين وعساكرهم رفقة عائلاتهم وزوجاتهم عبر شريط الشاطىء الجميل إلى جانب عائلات جزائرية ميسورة الحال ظلت مرتبطة ثقافيا واجتماعيا بفئات العدو.

اقتحمت مجموعة من المجاهدين المكان وكانوا يرتدون لباس المظليين، فوجيء المصطافون بهذا الاستعراض وقد حمل المجاهدون معهم خمسة مدافع رشاشة على غير عادتهم... وقد جرت العادة أن يحمل كل فوج مدفعا رشاشا... لكن نظرا لخطورة العملية التي تنفذ داخل قلاع العدو في طالعة النهار فقد اتخذت إجراءات واحتياطات مسبقة تمكن المجاهدون من حصد الأجسام العارية على بكرة أبيها فاختلطت صيحات الرصاص بصياح الموج وامتصت رمال الشاطىء دما غزيرا حتى أن عائلة جزائرية من العائلات الموالية للعدو... أفنيت يومها عن بكرة أبيها بما فيها عريس وعروسة... ولم ينج من أسرة دريعي يومها إلا الجد الطاعن في السن الذي كان يعادي الأوساط الفرنسية ويعارض أفراد عائلته على تشبههم بالأجانب... استغل الاعلام الفرنسي تلك الحادثة أبشع استغلال حتى إن وزير الإعلام الفرنسي عقد وقتها ندوة صحفية تحدث فيها للرأي العام الدولي عن بشاعة العملية وهول المجزرة... تلك الحملة الشعواء خدمتنا في الولاية الرابعة كما لم تخدمنا من قبل أبدا... بحيث غسلت آثار قضية «اليزي» التي كانت حديثة العهد وظهر للجميع تصيم قيادة الولاية الرابعة على مواصلة القتال على غرار كل الولايات الأخرى... ورغم ما في العملية من تجاوز لتقاليدنا الثورية وخروجا عن مبادئنا في منازلة العدو... بحيث هاجم ثوارنا مدنيين على

شاطىء البحر حتى وإن كانوا في أصلهم عسكريين فرنسيين وخونة.. كانت العملية ذات أبعاد أخرى تتجاوز كونها عملية ضد مصطافين.. إذ هدفت القيادة بتلك العملية إلى قطع دابر المؤامرة الفرنسية في الولاية الرابعة وتبليغ رسالتها إلى العدو.. وإلى جميع المتشككين بأننا مصممون على الاستمرار في الجهاد ولا نقبل بالتجزئة وأنصاف الحلول إلى أن تستقل البلاد ونسترجع سيادتنا كاملة غير منقوصة.

كانت العملية من تخطيط وتنفيذ القيادة المحلية من المنطقة الرابعة للولاية الرابعة... وقد فكت الخناق عن الولاية ورفعت عنها العزلة التي أرادها لها العدو وبعض المتشفين والمتشككين في قدرة رجالها.

2 - أسطورة من البحر.

بني حواء بلدة صغيرة تتوسد الجبال من جنوبها وتستحم عن شمالها في البحر.. ولدت من جوف أسطورة رائعة.. مفادها أن باخرة هولندية استدرجتها عواصف البحر في شتاء قرون غابرة إلى الشاطىء حتى إذا شارفت على النجاة أصابتها لعنة البحر فاصطدمت بالصخور وغرقت بمن فيها لكن فتاة جميلة أبت أن تستسلم للهلاك فصارعت الموج إلى أن قذفتها أمواج البحر إلى أكتاف الساحل.... فالتقطها سكان القرية ورعوها وتبركوا بجمالها الفتان ولما استأنست بهم أحبت شابا وسيما فتزوجته وأنجبت.. وعمرت حتى إذا توفيت أطلق السكان اسمها على البلدة.. ومن يومها نوديت البلدة - ببني حواء- وسكانها- سكان بني حواء.

عرف أهلها بطيبة قلوبهم ودماثة أخلاقهم وكرامة شيمهم.. كما عرفوا لدى الأعداء بشدتهم وشجاعتهم ومقاومتهم الاستعمار والذل.

التحق بصفوف الثورة شاب من تلك البلدة وكان يسمى كريمي عبد الرحمن، وكنا نناديه باسمه الثوري (مراد) ينحدر هذا الشاب من أسرة عرفت بنبلها في البلدة.. وقدمت أكبر عدد من الشهداء للثورة التحريرية حتى بلغ عددهم سبعة عشرة شهيدا كان من بينهم الجد وابنه وحفيده والمرأة وأولادهما وأبوهما... وقد



من اليسار إلى اليمين:
– يحي الوزني – المؤلف – زروق

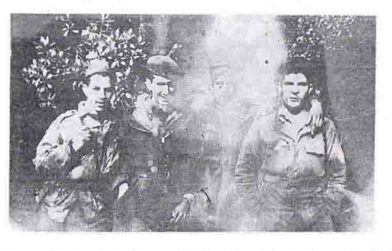


من اليسار: – بن يخلف بوشريط (حي) – طهراوي عبد القادر (شهيد) مسؤول ناحية (خريج جامع الزيتونة) استشهد في نوفمبر 1960 في قلب مدينة المدية – أحمد تابلاطي من العمرية محافظ سياسي (شهيد)



الواقفون من اليمين إلى اليسار: مجاهد (شهيد) من المدية، عمرو بوشاوي (شهيد)، جيلالي الحمولي (شهيد)، بلعباس من قرية هوارة (شهيد)

الجالس: بن عيسى بن صفار رئيس فوج الكتيبة الزبيرية (استشهد في معركة موفورتو).



من اليمين إلى اليسار: – الضابط روشاي بوعلام (المدعو سي الزبير) قام بدور أساسي في مظاهرات 11 ديسمبر 1960، واستشهد في قلب بلكور في جانفي 1961. – الضابط بوعلام دلوسي – الضابط خير الدين رئيس منطقة.

اشتهرت إلى جانب هذه العائلة الشهيدة عائلة (ميراوي) التي قدمت للثورة خمسا وخمسين شهيدا (55).

كان مراد شابا مفتول العضلات أزرق العينين جميل الوجه حتى أطلقنا عليه ابن الرومية نسبة إلى حواء الهولندية، شهما ومقداما... في تلك البلدة أقيم منجم ضخم يشغل عددا هائلا من العمال الفرنسيين والخبراء والمهندسين وتقوم على حراسته قوات عكسرية كبيرة مدججة بأفضل الأسلحة تعتمد أبراج المراقبة وكاشفات الضوء وكانت عملية تصريف مستخرجات الأرض تتم بسرعة وبتقنية عالية... ويجري شحنها على بواخر سريعة الحركة... وذات يوم فوجيء الكولون وقوات الجيش الفرنسي التي تراقب المنطقة بهجوم مباغت وساحق على الباخرة الراسية في عرض البحر تراقب انتهاء عملية الشحن... كان الهجوم من جهة البحر الأمر الذي لم يحسب له العدو أي حساب... ومن سخرية القدر أن الباخرة وربانها الذين قتل أحدهم هولنديو الجنسية... وهكذا كتب القدر مرة ثانية أن تكون الحادثة صورة لحادثة الباخرة القديمة التي حملت تلك الفتاة الرائعة...

كانت نتائج الهجوم مشجعة للثورة ومحبطة للعدو... الذي لم يعتقد أننا سنهاجمه من جهة البحر ونحن لا نملك بواخر ولا غواصات ولا حتى رجال ضفادع.

3 - **الكولون «فلوري» يقتل مائة عربي»**

اخترق فوج من قوات جيش التحرير مدينة البرواقية بقيادة الضابط (بوسماحة محمد) الذي تمكن في حدود وقت قصير من مراقبة المدينة بكاملها وسد منافذها لاستبعاد جميع إمكانيات وصول نجدات العدو...

توجه الفوج بعد أن اخترق المدينة رأسا إلى مقر الكولون (فلوري) الذي اشتهر بإرهابه الجماهير وبجرمه الذي فاق كل التصورات بحيث قد اغتال هذا المجرم ما لا يقل عن مائتي مواطن (200)، هاجم الفوج المجرم وقتله في وضح النهار على مرأى ومسمع الجميع وكانت تلك العملية بشرى لاتقدر في أوساط الجماهير التي احتفلت بموت المجرم أيما احتفال .

4 – **حانة بوفاريك،**

كانت حانة بوفاريك مركز لهو واستمتاع لجنود العدو ورجال مخابراته.. وكان الجلادون قبل استنطاق ضحاياهم يقصدونها فيشربون ويعربدون حتى إذا ركبت رؤوسهم الخمرة، انقضوا على الأسرى والمحبوسين يفتكون بهم فتكا بخناجرهم وعصيهم، وأسلحتهم المختلفة.. وقد اشتهر الحان أيما شهرة فقررت قيادة الولاية أن تضع حدا لهؤلاء الأوغاد وتريح المنطقة من شر رواده... فدرست ظروف الهجوم وكلفت فوجا حاصره وانقض مجاهدوه على الحان فقتلوا كل من كان فيه من ضباط وجنود العدو وعملائه.. ودمروا احتياطه من الخمر وعادوا إلى مراكزهم سالمين... أطبقت أصداء العملية كل الآفاق وصارت حديث القوم... وأعادت ثقة المواطن بنفسه وبثورته التي صار بإمكانها أن تضرب في عمق المدينة وفي وضح النهار.

5 – **عمليات جريئة غيرت المعادلة،**

ليس بإمكاني أن آتي على ذكر جميع العمليات الهامة التي نفذت في المرحلة الأخيرة من عمر الثورة وقد غيرت كل الموازين وكذبت جميع الادعاءات.. بحيث تميزت بشجاعة نادرة وتحد صارخ، فقد نفذت قواتنا عمليات جريئة جدا في مناطق عديدة من بينها مدينة مليانة، حيث دمرت ثكنة للعدو... وفي غيرها من المدن والقرى فضلا عن المعارك التي تجري يوميا على رؤوس الجبال.

كان الهدف من تلك النقلة النوعية في أسلوب المعارك وطبيعتها يهدف إلى خلخلة الزعم الفرنسي القائل بأن قواته قضت على الثورة في الداخل... وأنها تنتظر نتائج (لقاء الإليزي)، وإلى فك العزلة الخانقة التي أحكمتها القوات الفرنسية حول الثورة... بعد العمليات الكبرى وعزل داخل الوطن عن خارجه وتسييج حدود بلادنا بالأسلاك الشائكة فضلا عما كانت تشعه من تبجح إعلامي وغرور قاتل يصور عظمة فرنسا تصويرا أسطوريا تغالط به الرأي العام الدولي... والميتروبول أساسا...

تجاوزت قيادة العمليات الاستشهادية مرحلة حرب العصابات في الجبال والغابات.. إلى حرب الشوارع والمدن والموانئ والبواخر... وحرب الأعصاب فنقلنا هوس الموت إلى نفسية كل عدو عسكري أو مدني... وأعدنا الكرة بربح ثقة الجماهير التي كادت أن تهز لما تشاهده من تفوق خيالي لقوات العدو على المجاهدين... وبفضل الإرادة والإقدام على التضحية تغيرت كل معطيات المعادلة في المنطقة وأيقن العدو أن مخططه في حادثة الإليزي باء بالفشل وأن النصر السيكولوجي الذي جناه من آثار تلك الحادثة سقط تحت ضربات بنادق الثوار... فانصاع إلى صوت الوحدة، وحدة الثورة في جميع ولاياتها...

6 - صليب الراهب:

اشتبك المجاهدون مع قوات العدو على مشارف إحدى القرى الواقعة قرب سد اغريب وكانت القوات الفرنسية عائدة لتوها من مهمة نفذتها ضد جماهير الشعب الأعزل... فذبحت النسوة والأطفال ونهبت ممتلكات القرية... ولم ينج من بطشها إلا الذين فروا بأنفسهم عبر الشعاب والأودية، كان راهب فرنسي يرافق تلك القوات وكان يبارك أفعالها ويحث جنودها على مزيد من الإقدام والبطش بالعرب غير المسيحيين... تنبهت قوات المجاهدين لهذه الجريمة فنصبت كمينا محكما للعدو... حتى إذا تورطت قواته داخل دائرة النار... أطلق المجاهدون نيران أسلحتهم وبدأت المعركة إلا أن الراهب أبى إلا أن يظل منتصبا رافعا صليبه الكبير شاهره من تحت عباءته السوداء... وربما كان يناجي ربه ويتوسل باسم الرحمة والعناية الإلهية أن ينصر جنوده على العرب الأشرار المسلمين... لكن القدر حال دون تحقيق رغبته... فتناهت إليه رصاصة طائشة أردته على الفور قتيلا...

استغلت الدعاية الفرنسية والغربية... تلك الحادثة بتاريخ 30 جانفي 1961 أبشع استغلال وصورت الراهب على أنه مسيح جديد صلب ثانية على أيدي (الفلاقة)... وأعلنت الصلاة في جميع كنائس المسيحيين إن في الجزائر أو في فرنسا... الخ وغدت تلك الحادثة رمزا لمأساة لا يغفرها عقل ولا تسمح بها شريعة...

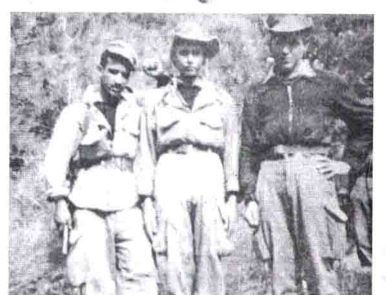
ولم تتخلف الصحف الفرنسية التي بكت أحرفها حزنا... وانتحبت افتتاحياتها ألما واحتراقا على الشهيد الكبير... ولم تذكر بحرف واحد عدد القتلى والجرحى والمشردين من أبناء الجزائر ولم تعلن للرأي العام الدولي أن القوات الفرنسية كانت تلقي بأطنان القنابل الفتاكة على المجاهدين والجماهير الأمر الذي مكن مجاهدينا من إسقاط طائرة للعدو في ذلك اليوم المشهود.

أسقطت تلك المعركة أسطورة المراهنة على لقاء الإليزي بين قيادة الولاية الرابعة والرئيس ديغول وتأكد للجميع أن الثورة مستمرة وأن لا طريق إلى الانفصالية وتفريق الصفوف بين أبناء الشعب الواحد والثورة الواحدة على غرار العمليات الأخرى وتأكد لقيادة الخارج التي كانت تنظر بعين الشك وعدم الرضا إلى قيادات الداخل وفي مقدمتها قيادة الولاية الرابعة أننا مصممون على القتال كأسلوب وحيد لضمان الاستقلال وتحقيق وحدة البلاد... وبدأ ضباب الشك ينقشع ويضمحل من فرط ما توهموا أن مجاهدي الولاية الرابعة وضعوا أسلحتهم ووقعوا في دائرة المؤامرة حتى ذهب الظن ببعضهم إلى التشكيك في صدق العمليات العسكرية الناجحة التي كنا نحققها... من ذلك أن بعض عناصر تلك القيادة تساءل لدى وزير الأخبار آنذاك (محمد يزيد) عما إذا كانت العمليات المعلن عنها وقعت فعلا...؟.

لا نلوم اليوم هؤلاء المتشككين لأنهم كانوا في وضع حياتي لا ينسجم وجحيم الثورة وطبيعة الصراع فمن كان يسكن قصرا ويتخير صباحا أي رابطة عنق تنسجم ولون البذلة... هو تأثر من طراز خاص بعيش الترف الثوري دون أن يلامس حقيقته المرة لا يتجاوز خياله أن يتصور خطبة حماسية في إحدى القاعات المكيفة المشحونة بالتصفيق... أما أن يستوعب صورة مجاهدي الصخور وحياته على كفه ونعشه على كتفه... يصنع في جوعه وعرائه وعذابه أساطير خارقة يسجلها للتاريخ بشلال دمه... فذلك بعيد منه بعده عن القمر...



المؤلف (على اليسار) مع طهراوي، و بابا علي.



من اليسار: – المجاهد الحاج لزهري (اللقب محبوبي) من الأغواط من طلبة ثانوية بن شنب بالمدية (استشهد كقائد منطقة في الونشريس سنة 1960). – الشهيد بومدين من جبل اللوح. – مجاهد (شهيد) من الكتيبة الزبيرية.



من اليسار المجاهد شعلو محمد (حي)
ومن اليمين المجاهد بشير (من البليدة).

المجاهدان من اليسار إلى اليمين
– عبد اللطيف طلبة (شهيد من القليعة)
رئيس المنطقة الثانية
– الشهيد حمدان رئيس قسم المدية
(استشهد سنة 1960).

7 - حرب شاملة ضدنا،

هنالك جملة من المعطيات التي ميزت الولاية الرابعة عن غيرها من ولايات الوطن بدءا بوضعها الجغرافي والاستراتيجي وقربها من العاصمة... وبعدها عن منافذ الحدود كل هذه المعطيات وغيرها دفعت العدو لأن يحكم قبضته عليها... وأن تكون دائما في موقع المعزول عن غيرها من الولايات الأخرى... ولا يتم الاتصال بها إلا بشق الأنفس وبتضحيات باهضة في الرجال والأسلحة... لذا لم يكن بد من حضور رجال الصحافة العالمية ليبلغوا الرأي العام الدولي حقيقة ما يجري من جرائم بشعة ترتكبها قوات العدو يوميا... أو أن يصوروا سير المعارك وما تنطوي عليه من قيم وتضحيات فريدة من نوعها... ولم يكن العدو يسمح لرجال الصليب الأحمر الدولي بدخول البلاد ولو لمعاينة الحقائق الاجتماعية وانتهاك حقوق الانسان... ورغم الحصار المضروب على الإعلام في الداخل... صادف أن تسلل صحفي إيطالي شجاع سنة 1961 إلى ولايتنا وعاشرنا مدة من الزمن اقتسم معنا قطعة الخبز اليابس وبعض فواكه أشجار الغابات وكان يوزع وقته اليومي بين المدنيين والمجاهدين... ولما عاد إلى بلاده حمل صورا صادقة وموضوعية عن حياة الثورة في الداخل وتحدث عن آلام شعبنا وحصار العدو لها... وعرض قضيتنا عرضا محايدا وصادقا على الرأي العام الدولي رغم كونه أوروبيا عايش الهجمة الإعلامية، التي تشنها أوروبا ضد حركات التحرر العالمية وضد الأمة العربية وطليعتها الثورة الجزائرية تحديدا.

ولا أملك اليوم إلا أن أحييه تحية الإنسان للإنسان... وتحية الثائر لرجل القلم النزيه الذي يفصل بين أثر الدعاية المغرضة وصوت الضمير ولون الحقيقة...

كان العدو في تلك المرحلة التي عزلنا فيها عن الخارج... يعرف كل صغيرة وكبيرة عنا... في الوقت الذي كنا لا نعرف من أمره إلا ما تناهى إلينا من أخبار ومعلومات نستقيها من أبناء ونساء العملاء... ومن بعض أجهزة المخابرات وأقسام ومراكز المحتشدات (LA SAS) وهي معلومات قليلة لا تفي بالغرض المراد معرفته، بينما كان العدو يهتم بكل صغيرة وكبيرة عن الثورة بأجهزة مخابراته وأجهزته المختصة... تجمع المعلومات وتكدسها، حتى نخاله ضرب من

الخيال بحيث ترصد لحياتنا من أبسط مواصفاتها إلى أدقها... تعرف ما الذي يأكله المجاهد العادي والضابط ومتى وأين وكيف ينام... وهل ينامون متفرقين أو مجتمعين، وما إذا هم يغيرون مواقع نومهم... وما هي أنواع الخلافات الموجودة بين الضباط أنفسهم أو بينهم وبين جنودهم... ومن هو المسؤول أو القائد الكثير الكلام أو القليله... وكيف كان المسؤولون يتعاملون مع النصر، ومع الهزيمة، وما هي حدود الفرح عندهم وحدود الألم ومن هو المنبسط في حياته والمنطوي...؟ بحيث كانت الأجهزة الخاصة تعرف أمزجة وانفعالات كل واحد منا وطباعه وأسلوبه في الحياة... فضلا عن ماضينا وماضي عائلاتنا وسلوك طفولتنا... ولم يتوصل العدو إلى هذا الحد من حصارنا بمعرفة أنفسنا إلا بالاعتماد على المعلومات الغزيرة التي ترد عليه يوميا من عيونه المبثوثة في كل مكان، وكذا بالاعتماد على خبرة علمائه المتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا وعلوم الحروب المختلفة والمؤرخين... إلخ.

صادف وأن كنت أجوب ثكنة للعدو بعد أن طردنا قواته في عام 1962 وقع نظري على ملفات وخرائط حائطية ووثائق عديدة تحتوي على معلومات عن الثورة والمجاهدين والمعارك... ولما قادني الفضول إلى تصفح بعضها.. عثرت على صورتي الشخصية ضمن ملفاتهم بلباسي العسكري... حرت أشد الحيرة، وتساءلت متى التقطت لي تلك الصورة؟ ومن التقطها؟ وأين؟ وزادت حيرتي لما عثرت على ملف كبير شمل أدق تفاصيل حياتي الخاصة والعامة التي تعجز أسرتي وأقربائي عن معرفتها والإحاطة بسرها... كانت قضايا استعمال العلم والتكنولوجيا في حرب العدو ضدنا... من أخطر الوسائل التي أرهق بها كاهلنا في الثورة، واستغلها بعد استرجاع السيادة لتقزيم الثورة وتوجيه مسارها توجيها معاكسا لحركة التحرر والانعتاق الثوري الشامل... وتلك كانت الفوارق بين شعب يواجه النار بصدور عارية وبطون خاوية وأياد خالية... وعدو بنى ترسانته العسكرية طيلة عشرات السنين وأحكم بنيتها وهياكلها ووزع مهامها بدقة، فغدت تعمل آليا بأسلوب شامل متكامل لا يخطط في المجال الآلي وحسب ولكنه يتأمل فيما يمكن أن تنتهي إليه كل ظاهرة وما تفرزه كل حادثة.

والعدو حريص على الأرشيف والمعلومات حرصه على جنوده وآلياته... جاءني يوما أحد الرفاق في الجهاد بصندوق جميل حزم بخيط أنيق وكتب عليه بخط اليد: «خاص جدا ولا يسلم إلا لصاحبه»، ومع الصندوق رسالة... فرغت من قراءتها ثم طلبت فتح الصندوق الذي يسر الناظر... وما إن فتحت بابه حتى تحرك الثعبان الصغير بداخله.. ففزعت فزعا مهولا ورحت أركض بعيدا... والحقيقة أن خوفي من الثعابين لا يوصف... ولا أظن أني أجبن أمام أية قوة جبني أمام ثعبان مهما كان حجمه ولونه.. التقف العدو هذه الحادثة بأدق تفاصيلها وسجلتها أجهزة مخابراته في ملفي الخاص... بل ووظفها ضباطه كدعاية ضارة ضد شخصي في الحرب... وقد وقف أحد الضباط الفرنسيين في حشد هائل من المواطنين في إحدى قرى منطقتنا، وقد علا وجهه غضب وحقد... وصاح فيهم قائلا: «إن ضابطكم لخضر بورقعة يخاف الثعابين»، كان يهدف إلى الحط من قيمة المجاهدين والتقليل من هيبتهم وسط الجماهير واعتبارهم جبناء لا يقدرون على مواجهة فرنسا وقواتها العظيمة...

إلى هذا الحد اهتم العدو بالجانب المعلوماتي المتعلق بالثورة والثوار وكل ما يتصل بهم بحيث كان يعرف أدق التفاصيل عن ثقافتنا وخصوصيات الأفراد والمناطق وميزة كل منا وعيوبه... إن العدو الفرنسي حاربنا إلى جانب ترسانته وجيوشه بما احتوت عليه المدنية الغربية من تقدم علمي في الجوانب السيكولوجية والاجتماعية والسياسية والمعلوماتية والتاريخية ودراسة الطبائع والخصوصيات الأثنية... والأخلاق.. والدعاية المضادة..بحيث كانت حربه ضدنا حرب شاملة وعلمية ومدمرة...



صورة كان يرسلها جنود الاحتلال إلى عائلاتهم عثرنا عليها لدى جندي فرنسي اعتقل في كمين سنة 1958
(التقطت الصورة في جويلية 1958 بأولاد هلال).

الفصل الثاني عشر

مصالي الحاج... محمد حربي، أو قراءة التاريخ عن بعد،

1 - مصالي الحاج، ما له وما عليه،

لست ممن يرغبون في مغامرة فكرية ومتاهة تاريخية وسياسية تقودني إلى مفازات وبيادي الحركة الوطنية الجزائرية بمؤسسها المناضل الكبير مصالي الحاج.. ولكن الذي هدفت إليه، إنما إلقاء بعض الأضواء على جانب من جوانب مواقفه ومرحلة من مراحل نضاله... ولا أجل على الحقيقة من أن نقول ما للرجل وما عليه...

إن مصالي الحاج مؤسس الحركة الوطنية مع بعض رفاقه المخلصين وراعيها سنوات طويلة منذ حزب نجم الشمال الإفريقي 1926 إلى حزب الشعب الجزائري إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية... ولا أحد ينكر أن جبهة التحرير التي قادت الثورة واستردت السيادة الوطنية هي الإبن الحقيقي للحركة الوطنية الجزائرية والوريث الشرعي لمبادئها وتطلعاتها في التحرر والسيادة والعدالة الاجتماعية... لكن الذي حدث بكل أسف أن حامل خطاب الحركة الوطنية... تحول إلى أكبر مناقض ومعاد لمبادئ الحركة التي عاش وضحى عشرات السنين من أجلها ولو أن مصالي أخفق هذا الإخفاق في شبابه لهان الأمر وأمكن الصفح عنه... لكنه أخطأ في مرحلة حكمته ونهاية تجربته وفي أعلى مراتب شعبيته التي كانت مقدسة حتى أنه اغتر بنفسه ونسي رسالته، فأغرته، وبذلك تعارض مع إرادة الجماهير ووقف ضد تيار التاريخ ولم يستوعب حركية التغير والتطور والتصير.. خدعه ماضيه فألهاه عن حاضره حتى خسر مستقبله... جنى مصالي على نفسه وتاريخه الشخصي وجنى على الثورة وأرهقها بغطرسته وجرائم أتباعه... وجنى على مصير حركة التحرر وتعميق الخطاب الوطني وتأصيله حتى بعد الاستقلال الوطني... فكان أن أخذت الثورة بعد الاستقلال مسارا قطريا ضيقا فاستغل هشاشتها المندسون... وحرفوها وضربوا ما بها من قيم... حتى انتهت بهزيمة نكراء.

أرهق مصالي ثورة التحرير أيما إرهاق... ولولا قواته التي انتشرت في عدة مناطق استراتيجية من الوطن، وراحت تطعن الثورة من الخلف وتدعم العدو... الذي كان يمدها بالسلاح والعتاد والخطط... لما امتدت سنوات الحرب إلى ما يقارب الثماني سنوات... وقد كان تأثير قوات أتباعه في الداخل تأثيرا عسكريا وسياسيا ونفسيا وحتى جماهيريا... باعتبار أن وراء كل مقاتل أسرة أو عدة أسر..

إن تحالف قواته مع العدو لهي سابقة عميقة الدلالة... تخرب مبدأ الحركة الوطنية وتضرب الاتجاه الوطني في صميمه.. ولا مفر أن يدين التاريخ مصالي الحاج على خيانته التي تقرها الوثائق المتوفرة لدينا (راجع الوثيقة وثيقة سرية صادرة عن المكتب الثاني للمخابرات الفرنسية، والوثيقة الصادرة عن أعضاء المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية بعد أن تخلوا عن مصالي وانضموا إلى جبهة التحرير الوطني)..

إن عملاء مصالي كالجنرال بلونيس وكوبيس، وغيرهما... أذاقوا الجماهير في كل من الولايتين الرابعة والسادسة ألوانا من العذاب والاغتيالات... وأحرجوا الثورة مرارا وتكرارا حتى أنها لجأت إلى أسلوب العنف دفاعا عن نفسها وعن جماهير الشعب.

ولا أبالغ إذا قلت أننا ما زلنا إلى اليوم نعاني بعض آثار مواقف وأفعال عملائه ضد الثورة والشعب، ومن سوء حظنا أننا لم نعمد إلى اليوم إلى وضع جرد بعدد ضحايانا الذين قتلتهم قوات مصالي الحاج بقيادة عملائه في الداخل وإحصاء ما خربوه وأحرقوه.

لست حاقدا على مصالي ولا ناقما عليه كل ما هنالك أني حريص على تطهير التاريخ وتقديم أحداثه ناصعة للأجيال القادمة...

لقد حشر بعض الكتاب والمسؤولين أنوفهم في مضايق خيانة مصالي... وسعوا إلى تلميع صورته وتبرير ساحته... وحملوه ما لا يحتمل... فكتب المؤرخ الجزائري محمد حربي، يزعم أن الرجل غير ما عرفناه... ونشر بعضهم مقالات ودراسات بعد الاستقلال تتباكى على قبر الرجل وتنعي حظه التعيس وتطالب برد الاعتبار إليه... بل وذهب أحد رموزنا الكبار إلى الدعوة إلى إقامة تمثال له... بعد أن خصه بالتقدير دون غيره على إثر خروجه من سجن الأعوام الطويلة...

إن هؤلاء وغيرهم ممن نصبوا أنفسهم حماة ومحامين على الرجل... يشفع لهم جهلهم بما اقترفه مصالي من جرائم نكراء نفذها عملاؤه ضد الشعب والثورة... إننا نحن الذين اكتوينا بنار خياناته في الداخل وذهب عشرات مجاهدينا ضحية غدر عملائه... إن الذين يبررون أخطاء مصالي وجرم أذنابه... خانتهم صراحتهم وخمولهم الذهني عن البحث الجاد في الحقيقة... وبما أنهم ضلوا طيلة أعوام الثورة خارج أرض الوطن فإن الأجدر بهم اليوم أن يستقصوا التاريخ وينقبوا عن جذور الحقيقة وينصفوا الرجل بما له وما عليه... وأن يسألوا الجماهير ويجادلوا الأحياء ممن اكتووا بنار حملات رجال مصالي في المنطقة... كادت خطة مصالي المدعومة بقوات العدو الفرنسي... كادت أن تفجر البلاد تفجيرا شعبيا خطيرا... وتحدث شرخا في وحدة الشعب أيام الثورة، وما زلنا إلى اليوم نسمع نغمات عديدة تريد أن تطفوا على السطح بمنطق مزعوم... تبرىء ساحة مصالي وأتباعه... وتشكك فيما تصرفت فيه جبهة التحرير... تطمح لأن تجعل من مصالي وبلونيس وكوبيس والسعيدي وغيرهم أبطالا وطنيين وتجعل مجاهدي جيش التحرير ظلاما مخطئين لا أصدق أن هذه الحملة بريئة من مخطط الاستعمار الشامل الذي لن يغفر لثورة التحرير الجزائرية انتصارها وتثويرها شعوبا ما كانت لتقوم لها قائمة لولا ثورتنا الشعبية العادلة .

كانت الجماهير الجزائرية محبة لمصالي الحاج ومدفوعة إلى اتجاهه السياسي قبل اندلاع ثورة التحرير... بل قد وصل بها الإعجاب والإخلاص إلى حد تقديسه وضحت في سبيل حريتها إلى جانبه، لكنه أخلف العهد وخان الأمانة وطعنها في الوقت الذي صممت فيه على تحقيق حلمها الوحيد: تحرير وطنها من لوثة الاستعمار.

في مطلع شبابي رأيت رؤية العين كيف كانت الجماهير تتسابق على سماع خطبه أو رؤيته... وكيف ضحى الكثير بحياتهم من أجل مصالي القائد والزعيم... كان في نظرنا وفي نظر الجماهير العريضة منقذ الجزائر ومحررها وحامي حماها... ولو لم يقف ضد تيار التاريخ ولم يفضل نفسه على الجزائر... ونرجسيته وحبه الزعامة على رسالة الشعب في التحرر والانعتاق...لكان أكبر علم في تاريخنا الوطني وأحد أبرز الرموز العالمية على مر التاريخ الانساني.... استغل

مصالي أموال الشعب المودعة لدى حزبه... وتصرف فيها دون إرادتها وجند مرتزقته ودعمها بأحدث الأسلحة والمعدات... وشحنها ضد الثورة وضد الجماهير فكان أن صب حقده على الشرعية وأضرمت الغيرة في نفسه نارا لم تنطفىء... لم يصدق أن تندلع ثورة الشعب في غيابه... ودون مشاركته بعد أن اختار التهريج على العمل الثوري الخلاق.. وهو الذي كان يؤمن خطأ أن الشعب الجزائري لا يحرك ساكنا حتى يحركه مصالي مغمطا بذلك حق الشعب التاريخي في قيادة الثورات العديدة... وتعنت في غيه أن رأى الثورة الجماهيرية تحقق كل يوم نصرا جديدا على العدو في الداخل وفي الخارج... وتطوي سمعتها قارات العالم... وتوقظ شعوبا غفت قرونا تحت ليل الاستعمار... لم ير فيها إلا منافسا لشخصه... متناسيا أن الزعيم تصنعه الجماهير... وأن الزعامة الحقيقية تقاس بمقدار الاستمرار في التضحية والعطاء الدائم.. كان حقد المصاليين على الثورة والشعب أشد من حقد الفرنسيين والعملاء... ولم يترددوا في اغتيال بعض الأوفياء من الأجانب الذين دعموا ثورتنا... كان حصارهم الثورة فضيعا وحاقدا وما أساليب قتلهم بعض المجاهدين الذين أسروهم، إلا دليل قاطع على نذالتهم وغيظهم...

كان مخطط مصالي سياسيا وعسكريا بحيث فوض بلهادي أولمين للحديث باسمه في المحافل السياسية والديبلوماسية...

وكلف «بلونيس» لقيادة قواته العسكرية في حربها ضد الثورة والجماهير الشعبية... وقد كشفت وثيقة المنشقين عن حركته (الحركة الوطنية الجزائرية) (MNA) وقد كتبها السيد (نصبه أحمد بن عاشور) نيابة عن رفاقه في الحركة... وسلمها لرئاسة الحكومة المؤقتة في تونس في شهر جانفي 1959، وتحتوي على أربع صفحات وهي بعنوان: «جمع من المسؤولين المصاليين ينضمون إلى جبهة التحرير الوطني»، وقد أمضاها كاتبها باسمه الشخصي.. (راجع الملحق).

تؤكد الوثيقة المذكورة مشاركة بلونيس إلى جانب القوّات الاستعمارية مشاركة تامة ومعاداة جيش التحرير وجبهة التحرير... وأن مصالي هو ممول ومدعم بلونيس، والأخطر من كل ذلك أن الوثيقة تؤكد استمرار الاتصالات بين المصاليين والقادة الفرنسيين طيلة تعاقبهم على السلطة، بدءا بـ (غاي موي)

و(بورجيس مونوري) و(تايار) إلى (ديغول) أي: لم تنقطع المشاورات بين الطرفين منذ اندلاع الثورة إلى ما بعد اتفاقيات إيفيان، وقد كانت الصحفية الفرنسية «كلود جيرار) همزة وصل بين مصالي وجماعته وبين الجنرال ديغول كما كان «شيزالي) وسيطا بين حركة مصالي وحزب الاشتراكيين الفرنسيين... هل بعد الذي فعله مصالي من مخططات عدائية وخيانة ضد شعبه وثورته، شك أو مجال لتلميع صورته التاريخية..؟ وهل تشفع له زعامته التي شدت الجماهير إليها سنينا وتضحياته عبر السجون وصموده ضد العدو.. هل يشفع له كل ذلك وقد خان الأمانة، وغدر بالثورة واحتقر الجماهير..؟ ولا يفوتني أن أحيي صمود رفاق السلاح... في الولايات التي دنستها قواته... ولا سيما في الولايتين الرابعة والسادسة حيث كانت الثورة حصنا منيعا وموجها بصيرا...؟ هيأت إرادات وصقلت مواهب وحنكت عقولا... فاستطاعت أن تتصدى لمحاولات خطيرة مدمرة كمحاولات المصاليين، والحركة والعملاء، والطامعين في ركوب مجد الجبهة... ومؤامرات أخرى لا تحصى... وقد أصبنا في الولاية الرابعة لبعض محنها في مواجهة قوات بلونيس وكوبيس وغيرهم... وكان آخرها مخطط لقاء «الإليزي» الانفصالي الذي قضينا عليه في مهده بعون الله تعالى..

2 - السباحة ضد التيار، أو قراءة التاريخ عن بعد!

لا أدعي لنفسي كلمة الفصل في مسألة تبرئة مصالي الحاج اليوم، ولكن الذي أخشاه أن تكون الحملة الداعية إلى تلميع صورته وحذف الصفحات السوداء من سجله الذهبي هي نفس الحملة التي تعمل على تصوير الكولون والحركة والعملاء... على أنهم مظلومون تجب إعادة الاعتبار إليهم وتبرئة ساحتهم... وقد لا أجانب الصواب إذا أكدت هذه الحقيقة في غمرة ما نلاحظه من ردة سياسية وثقافية جزائرية وحملات شرسة لمعاداة الثورة والقيم الثورية...

إن عودة أصحاب الأقدام السوداء إلى الجزائر ورجوع «الحركة» العملاء، وتغييب وعي الجماهير بما يمكن أن يترتب عن إعادة الأعداء التاريخيين للجزائر من أخطار ستتحمل تبعاتها عشرات الأجيال القادمة... ويؤلمني أن تشارك بعض الكفاءات الكبيرة ذات الأسماء المشهورة في عالم التاريخ والثقافة في هذه الحملة... وتعطي لنفسها حق الدفاع عن مصالي الحاج وتطالب بإعادة الاعتبار

إليه.. على أن ما قام به ضد الشعب والثورة من ظلم وخيانة لا يعدو أن يكون مجرد سوء تفاهم.. في حين أن بعض هؤلاء تربى في أحضان جبهة التحرير الوطني وتقلد في أجهزتها مراتب عليا ما كان لينالها لو لم تدفع الجماهير من دمها وأتعابها ثمن تأشيرة الفوز والنجاح، وقد تناسى هؤلاء أن مصالي الذي يتباكون على مجده كان عدوا للجبهة وجيشها العتيد، وإذا كانت جبهة التحرير اليوم ومنذ الاستقلال، قد انحرف بها المسؤولون عن جادتها.. وقزموا دورها وفتتوا وحدتها، بل وأخضعوها إلى نزواتهم السياسية ذات التوجه الفرانكو-ليبيرالي- المعدي لعروبة الجزائر ورسالتها في مواصلة التحرر وتبليغ قيمها إلى العالم.. رغم كل ذلك فهي الحزب الطلائعي الوحيد الذي قاد الشعب في أكبر محنة وأعظم ثورة عرفها القرن العشرون.. لا يقبل أن يكون الوصوليون والانتهازيون والمنحرفون.. بالثورة وبالحزب في الجزائر حجة على فشل الجبهة... وانما هم جزء من مخطط استعماري لثورة مضادة موزعة على العالم لخنق الثورة واغتيال الثوار وتحريف الرسالة الإنسانية العليا...

إن الأولى ببعض الذين لم يعرفوا الثورة على حقيقتها في الداخل، ولم يشهدوا مجريات أحداثها على أرض الواقع، الأولى بهؤلاء أن يستدلوا على الحقيقة بالحجج والبراهين وأن لا يكتفوا بالتجريد النظري ... وبممارسة الترف التاريخي من خلال ما يتهيؤ إليهم أو يخيل لهم ... لأن الكلمة مسؤولية خطيرة ومسؤولية الفصل في مثل هذه القضايا الموضوعية الكبيرة أخطر وأجل... لأنها إما أن تنصف الشعوب والأمم.. أو أن تغمطها حقها وتظلمها ظلما يستمر مع أحقاب التاريخ...

إن كاتبا له باع في مجال التاريخ.. والسياسة مثل محمد حربي الذي يتبنى قضية الدفاع عن مصالي الحاج.. في ظروف النشر والتوزيع الواسعة التي يعرفها عالم الاتصال والمواصلات... لا أعتقد بحال من الأحوال يستطيع أن يؤجر التاريخ.. أو يغتصب براءته بما يكتبه من عزل وماتشيعه كتاباته من تباكي على حقوق مصالي المهضومة .

لقد تعرفت على الأستاذ محمد حربي وهو على قمة هرم السلطة... وعرفت آراءه في المصاليين وجرائمهم.. وما كان لحربي أن يرقى إلى تلك القمم لو لم

يتسلق جبهة التحرير التي قاتلها مصالي شر قتال... لكننا فوجئنا به وكأنما عاده الوعي من جديد... فذهب يفلح في البحر. قد تكون سنوات الغربة وتيارات الانفتاح... على طريقة المدارس الاستعمارية التي تصنع الكتب المدسوسة كما تصنع حقن المصبرات المسمومة وتصدرها بنفس الأسلوب وراء عودة وعي الرجل...؟ لكن كيف له أن يتورط في مثل هذه المغالطة وهو الواثق القدم في الثقافة الملم بخبايا تاريخنا المعاصر والمطلع على وثائقه...؟ سبحان الله مغير الأحوال!!

3 - عودة إلى صاحب كتاب..جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع.؟

تبرز اليوم بعض الأصوا ت بفحيح مخيف لتتحدث عن مصالي الحاج بطريقة أقل ما يقال عنها انها طريقة دنيئة لأنها تحمل في خفاياها أسرارا كثيرة غير واضحة وفي مقدمة الداعين إلى رد الاعتبار لرأس العمالة مصالي الحاج السيد (محمد حربي) وهو الرجل الذي كان يوما ما قريبا من السلطة ومسؤولا مباشرا عن توجهات الحكم في الجزائر ومنه استمد قوته ووجوده، وعندما تخلى عنه الحزب أصبح نسيا منسيا، وإلا أين هو اليوم من موقفه بالأمس، قد يقول أنها الظروف وقواعد لعبة الكراسي، إلا أنني أقول له أن سبب وجودك وتبوئك المكانة المرموقة ذات يوم إنما يعود في الأساس إلى جبهة التحرير الوطني وإلى تضحيات الشهداء المجاهدين وإلا فأين أنت اليوم إننا نسمع عنك أنك أستاذ كبقية الأساتذة من دول العالم الثالث وقد سمحت لنفسك أن تنطق باسم الثورة وأن تعيد خلط أوراق وثائقها، كما يحلو لك وتغالط الرأي العام من خلال مؤلفات وكتب لتزيف بها الحقائق وتتحدى جبهة التحرير الوطني

الجبهة التي صنعتك من العدم تتحداها بغباء عندما تتحدث بلطف عن مصالي الحاج حتى لا أقول تتحدث عنه بحنان البنوة.

إن أقل ما يقال عن أن جماعة مصالي الحاج ومنذ اليوم الأول من انطلاقة رصاصة نوفمبر وإلى غاية اعترافاتهم المكتوبة، خاصة منها وثيقة عام 1959 وإلى غاية كتابات (حربي) إنهم لم يؤمنوا بالثورة مطلقا ولم يبتعدوا عن خطيئتهم الكبرى المتمثلة في خيانة الثورة، أقل ما يقال لهؤلاء أن جبهة التحرير الوطني اليوم وبالرغم من السلبيات الكثيرة التي تعاني منها وبالرغم من

الانتهازيين الذين تسللوا إلى صفوفها في غفلة من الزمن أن أقل ما يقال عن جبهة التحرير الوطني أنه وحده الذي قاد النضال كحزب طلائعي قاد الجزائر إلى النصر ومحا وجود استعمار دام قرنا ويزيد.

كيف يسمح لنفسه أيا كان موقعه السياسي أو العلمي أو العسكري أن يتخطى الحقائق وينكر دور جبهة التحرير الوطني في مقاومة الاستعمار والتخلف ويمجد مصالي الحاج وجماعته. كيف يسمح لنفسه أيا كان أن يحيل اللون الأسود إلى لون أبيض أو حتى رمادي.

مصالي الحاج هو الصفحة السوداء الشديدة السواد، ولا أحد ينكر خيانته وتمرد أتباعه على الثورة ومن ينكر ذلك فإنما ينكر نفسه وينكر الحقيقة لا يمكن بأي حال من الأحوال لرجل سيأتي مثل (حربي) مهمته التدريس في أعرق الجامعات أن يمنح صك الغفران لمصالي الحاج وأتباعه وإزالة ما علق بهم من دماء الضحايا والأبرياء. إذا كان حزني على مصالي الحاج وعلى نهايته المأساوية شديدا، إن حزني على حربي وعلى نهايته أكثر بكثير من حزني على سيده وملهمه مصالي الحاج وذلك لأني عرفت السيد محمد حربي عن كثب وعرفت أسلوبه في التفكير، وعرفت أكثر من ذلك كيف يفكر وما هي أراؤه السابقة في مصالي الحاج عندما كان متربعا على القمة، وبما أني أعرف، أيضا ان كل القمم عالية ومذبذبة شبيهة بقمة (موقورنو) لذا فان الكثير من الذين وصلوا إلى القمة لا يستطيعون البقاء فوقها طويلا لأنهم لايستطيعون مقاومة الغثيان .

يمكنني القول أن كتاب السيد حربي والكتابات الأخرى المشابهة له في التناول والطرح جميعا تصب في قالب واحد هو قالب التبعية للمستعمر وعدم التخلص من الاستعباد الفكري والحضاري لأن بكتاباتهم تعمدت تشويه الثورة وتدمير وتزوير مرحلة من أهم وأخصب مراحل التاريخ الإنساني الحديث وهو غاية ما يتمناه المستعمر: تشويه ثورة شعب بأكمله لكي يكسبوا رضى وعطف «أمهم الحنون» فرنسا، إذ لا يمكن أبدا ولأي كان أن يلمع صورة المستعمر مثل كتابات الجزائريين أنفسهم خاصة منهم الذين يملكون «رصيدا حضاريا».

وأود أن أهمس في أذن السيد حربي لأقول له كان من الأفضل لو أنك لم تسود بياض صفحات مطولة من كتابك عن بطولات وهمية، وكان من الأجدر

لوأنك لم تذكر شيئا عن وقائع وأحداث وشخصيات لا تعرف عنها الشيء الكثير، ومن حسن حظك لم يصبك منها ضرركما أصابنا في الصميم نحن أفراد وجماعات الولايات: الثالثة، الرابعة، الخامسة والسادسة، لم يصبك شيء من الأذى ومن الدمار النفسي الذي أصابنا على يدي مصالي الحاج وجماعته حيث كنت بعيدا عن دائرة الرحى التي كانت تطحن يوميا عظام إخوة وأصدقاء ورفاق عشنا معهم أمتع لحظات العمر ليتني لو كنت أعرف الأسباب والدواعي التي دعت السيد(حربي) على أن يعلن رأيه صراحة في مصالي الحاج ويبرئه من كل ما نسب إليه.

ليتني لو كنت أعرف السبب في كتاب حربي واستخفافه بحزب جبهة التحرير لأن أخوف ما أخافه أن يكون حربي قد انساق وراء أساطيرأو أسطورة مبتعدا عن الواقع، انساق من تلقاء نفسه فهو (صعب الانقياد) قد يعود سبب ذلك إلى مكوثه الطويل في باريس والوظيفة التي يقتات منها والحياة المستقرة التي يهنأ بها وإلا كيف ينفي إقدامه وهو المثقف الملتزم والمتزن على إصدار كتاب يمجد فيه أشخاصا معروفين بانتمائهم إلى الثورة

ويسيء إلى الثورة بكاملها كتاب لم يرض عن عنوانه حتى الشخص المترجم الذي قام بترجمته حيث اعترض على كلمة«جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع» اعترض على كلمة الأسطورة وهو الكاتب اللبناني البعيد جسديا عن الثورة .

حربي حقد على جبهة التحرير وجيش التحرير حقدا لا مثيل له لأنه في نهاية الأمر لم «يستطع» ولم يكتب له شرف المشاركة الفعلية في حرب التحرير فبقي على الهامش متصدرا مسؤوليات متعددة جالسا على مكتبه من وراء الحدود مثلما يجلس اليوم وراء مكتبه الفخم في شقته الباريسية الأنيقة .

محمد حربي يعرف كيف يقفز فوق الحقائق وكيف يستميل القارىء نحو بهلوانية سياسية خطيرة المنهج، ويعرف في آن واحد كيف يتخلص من تبعيته لأي نظام سواء حزب جبهة التحرير أو الحركة الوطنية أو نظام بن بلة، عبر الاستدراك بالكلمات والجمل يحاول أن يقنع القارىء بدهاء في الصراع في حين أن كل سطر من كتابه خاصة السطرالثالث من الصفحة 141 إلى السطر الأخير من الصفحة 143 التي تعتبر بحق من أخطر الصفحات وأكثرها مكرا

من التي كتبها حربي عن الصراع بين جهبة التحرير والحركة الوطنية المصالية وتحت عنوان فرعي سماه (سر انتصار) أعطى حربي حججا وبراهين على سر تفوق الجبهة على الحركة الوطنية المصالية بطريقة أقل ما يقال عنها أنها تعتمد التشويه والتزييف:

1) يقول: حربي في صفحة 141: تملك جبهة التحرير ميزات مهمة، ففي الجزائر استفادت منذ صيف 1955 (لاحظ التاريخ جيدا) استفادت من التحاق العائلات البورجوازية الكبرى: (ابن قانة ، بوطالب ، ابن صيام إلى بن ونيش) ذكر اسم عشرة عائلات من مجموع سكان الجزائر من الملايين من الجماهير ليستدل بها على أن جبهة التحرير قد أستمدت قواتها وبقائها من أموال اندماج هذه العائلات بالجبهة حتى أنه أنكر على (ايف كوريار) وكأن هذا الأخير يتعاطف مع الثورة.

ومما ذكره أن عدد المنخرطين في جبهة التحرير في فرنسا وحدها بلغ 2000 عضوا مدعيا أن ذلك العدد مبالغ فيه، وأن البلبلة ناجمة عن الخلط بين المناضلين والمتبرعين في حين أن عشرة عائلات التي ذكرها هي الأساس وما عداه خطأ وما عداه غلط .

لم يتوقف عند هذا الحد بل أنه ذكر عن قصد أن جبهة التحرير قد نالها من دم التقدميين الأربيين مما سهل لها الاحتماء من عيون الشرطة (لاحظ كلمة: الاحتماء!) التي تغاضت عن نشاطات جبهة التحرير لأن دعما لوجستيا يحفظ قواتها من القمع، مؤكدا على أن أي أحد من كبارالمسؤولين في الجبهة لم يتعرض لا للاغتيال أو السجن من صائفة 1955 إلى نهاية 1957 باستثناء (رابح بيطاط) في حين أن الأمر يختلف مع المصاليين الذين نالهم الأذى من القوات الفرنسية مدعما حججه بالأسماء فذكر سبعة أسماء فقط ولم يذكرللأسف القائمة العريضة من الآلاف المؤلفة من أبناء شعبنا من الذين امتلأت بهم السجون والمحتشدات اضافة إلى القائمة الطويلة من الشهداء!

2) في الخارج يؤكد « سي» حربي أن من أهم المميزات التي كانت لصالح الجبهة أن الجبهة بعد أن ارتبطت بالمقاومة التونسية والمغربية، وجدت من

الدولتين المستقلتين مؤازرة حقيقية (في حين ان جميع المنافذ قد سدت امام أعضاء الحركة الوطنية بل أن الحدود الشرقية والغربية تحولت مصيدة يصطاد فيها أفراد الجبهة أبطال الحركة المصالية) أمثال العربي أولبصير، لاحظ جيدا ما وضعناه بين قوسين صفحة 47، 48 من الفصل الحادي عشر.

3) في العالم العربي يقول السيد حربي مواصلا ادعاءه عن امتيازات الجبهة.

كان دعم مصر لجبهة التحرير حاسما فوضع محطة الاذاعة المصرية (صوت العرب) في خدمة جبهة التحرير والمساعدات الدبلوماسية لها عرف بها وساهم كثيرا في إشعاعها في الجزائر بالذات، وكأنه ينكر على مصر ذلك العمل الايجابي لصالح الجزائر وقضيتها ويحيله إلى عمل لصالح أفراد بدليل قوله، في حين جرى توقيف ممثل الحركة الوطنية المصالية مزغنة والشاذلي المكي في القاهرة وسجنهما بها عام 1955.

لم يشأ أن يذكر ويعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الثورة تطلب من القاهرة رسميا نزع جوازات السفر من هذين الشخصين لأن المهم بالنسبة اليه هو تقزيم الجبهة والحط من قيمتها وجعلها أداة لينة بين أيدي البورجوازية الوطنية واليسار الفرنسي ثم الحكومة المصرية .

ويقول أستاذ الصربون : جبهة التحرير الوطني متواطئة مع الشيوعية العالمية وهو التواطؤ الذي لم تتمكن الحركة الوطنية من كشفه علنا لقادة العالم الثالث الشيء الذي أكسبها عدم التقدير من طرف أبرز قائدين عرفهما العالم الثالث وهما (نهرو وسوكارنو).

لو كان الأمر كما ذكره الكاتب (دون تفكير وتروٍّ ومراجعة لتاريخ العلاقات بين الجبهة والأحزاب ودول العالم) لما قال مثل هذا الحديث، فلماذا إذا تأخر اعتراف الدول الشيوعية بالجزائر وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي، لو أن هناك تواطؤا فعلا لما حصل التأخير أم أن في الأمر شيئا آخر لا يعرفه إلا حربي وأمثاله.

4) بكل مهارة واقتدار وبكل قدرة على التلاعب واختيار الجمل والمفردات وحصر الأفكار ضمن دائرة التجريد العبثي والتشويه الممتاز يقول في السطر 24

من نفس الصحفة هذه العوامل رجحت في ساعة امتحان القوة كفة جبهة التحرير لكن الحركة الوطنية لم تزل عسكريا بعد تصفية بلونيس؟

يثبت من خلال تحريره لهذه السطور ان بلونيس كان السند القوي للحركة الوطنية ضد الجبهة، وبالتالي ضد مصلحة الوطن والشعب . أخاله يتألم من فقدان بلونيس وضياعه لأنه شبه خليفته (سي مفتاح) بالبطل، إذا كان الخليفة بطلا فماذا نقول وبماذا نسمى القائد؟

5) لم يكتف حربي بما ذكره من سلبيات عن جبهة التحرير ورجالها المخلصين بل راح يدعو إلى استنهاض الهمم ودعوة المتكاسلين من أعضاء الحركة الباقين على قيد الحياة أن يسلطوا الضوء على هذه المرحلة من تاريخ حركتهم (السطرالأول من الصفحة 142).

نراه يدعو إلى الفتنة من جديد لأنه لم يكتف بأنهار الدم التي سالت خلال حرب التحرير حيث يقول في ذلك أن الحركة الوطنية الجزائرية لم تستطع التقاط أنفاسها من جديد ولم تقاوم الضربات القاسية التي وجهتها إليها جبهة التحرير التي كانت تسيطر كليا على المحيط المباشر للمدن الكبرى (السطرالثالث من نفس الصفحة).

6) يتساءل الكاتب لماذا نجحت جبهة التحرير، وقبل أن يتيح للقارىء المثقف ويترك له فرصة للرد على سؤاله يجيب نيابة عنه.

هل كان ذلك فقط لأنها جرؤت على اطلاق الرصاصة الأولى، يا له من تفسير بسيط لمحلل بارع!!! هكذا وبكل بساطة يقول لنا أن ما نردده يوميا على شفاهنا وما يتعلمه أطفالنا في كتب التاريخ وما اعترف به العدو نفسه من أن الجبهة هي التي فجرت الثورة، هكذا وبكل بساطة يطلق عليها كلمة التبسيط ويتجاهل الحقيقة تجاهلا تاما، بل نراه يقارن بين هذا (التبسيط من وجهة نظره طبعا) وبين القوة والتعقيد فيما يخص ما قامت به الحركة الوطنية من مآثر وأمجاد وما نال أفرادها من اعدامات وتنكيل بدعوى أن جدارا من الصمت قد لف الموضوع بكامله؟

ليتك لو اكتفيت بهذا السرد الغير المنطقي والغير منهجي وأنت أستاذ الصربون المثقف والسياسي المحنك ليتك لم تواصل تجريداتك السياسية وعبثك

الأدبي حيث تقول في السطر17 من الصفحة 142 : يجب التسليم بأنه كانت هناك رغبة بوحدة المقاومة (أي رغبة المسيطرين على الثورة حسب تفكيره سواء في مصر أو في فرنسا) وهو لعمري تناقض غريب لا يمكن لأي إنسان أن يتجاوزه أو يتحدث عنه فما بالك وحربي يتحدث عن الأسطورة والواقع .

تناقض صارخ عندما يدعي أن البعض في مصر وفرنسا كان يرى في جبهة التحرير الوطني بديلا عن الحركة الوطنية الجزائرية، وأن جبهة التحرير أداة عصرية علمانية بعيدة عن العروبة والإسلام.

التناقض الصارخ يبرز من خلال نقطتين اثنتين :

أولا: نداء أول نوفمبر لا يحث على العلمانية ولا على الابتعاد عن العروبة والإسلام بل على العكس من ذلك .

ثانيا: استخفافه بمصر وفرنسا وجعلهما في سلة واحدة فكيف ذلك، فمصر لا تقبل بغير العروبة والقومية العربية... ولا فرنسا تقبل بالإسلام وهي الدولة الأشد تمسكا بالمسيحية ولسنا في حاجة إلى التذكير بالحروب الصليبية التي قادتها فرنسا ضد صلاح الدين أولا ولسنا نحن كذلك في حاجة للتذكير بمواقف الناصرية من القومية العربية فكيف اذا تلقى مصر وفرنسا في تأييدها لجبهة التحرير الوطني ؟

7) يلصق السيد حربي صفة الشيوعية بحزب جبهة التحرير الوطني ودون أن أجادله في هذا الموضوع فاني أحيله ليقرأ نص الرسالة التي كتبها الشهيد(بوشمعة لخضر) قبل إعدامه بلحظات أحيله إلى قراءتها ليستفيد منها فيما (يخص الشيوعية والشيوعيين) ليستفيد من رسالة رجل عرف مكانة الثورة وقيمتها وعرف كيف يصنف الثورة الجزائرية سياسيا في اللحظات الأخيرة من حياته (أنظر الملحق) .

أي جدلية وأي كلام يمكن أن نصدقه ونعتمد عليه في مراجعنا من خلال صفحات كتابه الـ 361 صفحة . يذهب السيد حربي بعيدا عندما يتحدث عن حزب جبهة التحرير وكأني أراه يتحدث عن حزب جديد أنشيء اليوم في كاليدونيا أو في نيكاراغوا أو كأنه يتحدث عن تجمع عمالي جديد في إحدى

المناطق الفرنسية عندما يظفي الصبغة التروتسكية على الحركة الوطنية والسياسية على حزب جبهة التحرير الوطني فيقول في السطر الأخير من الفصل الحادي عشر:

«ليست المساعدات التي وجدتها الحركة الوطنية الجزائرية لدى بعض التروتسكيين هي التي توضح الجدال»، إلى أن يقول في السطر الأخير: «هذا التحالف يساهم في الواقع في جعل الحركة الوطنية الجزائرية سلالية» .

8) وتحت عنوان اجتماع عقداء الداخل (1958/12/6) وفي السطر الرابع يقول:

انعقد الاجتماع في شمال قسنطينة بالولاية الثانية إلى أن يقول وقد اعتبر العقيد (علي كافي) أن اجتماع الولايات مناورة من جانب "كريم" نفذها عميروش وأكد أنه حل رموز الرسائل المتبادلة بين الرجلين بهذا الصدد وفي الواقع أن مصالح إشارة الولاية الثالثة لم تعد تعمل وكانت رسائلها تمر عبرالولاية الثانية .

لم يشأ أن يذكر بالتحديد من هو الشخص الذي وشى بمثل هذه المعلومات الخاطئة والذي اتهم بالباطل أشخاصا عرفوا بالوطنية والبطولة لا لشيء إلا لتشويه الثورة، فعلى سبيل المثال فقط (على كافي) لم يحضرالاجتماع فمن أين له أن يعرف وأن يطلع على الخلل الذي أصاب مصالح الإشارة التابعة للولاية الثالثة وأخبر جماعة الخارج بذلك ونال عن المجهود الذي قام به ما يتمناه.

9) في السطر 21 من الصفحة 306 يتحدث عن الولاية الرابعة حديث الرجل الجاهل بالأمور الذي لا يعرف حقيقة الأشياء والذي يتشدق بالباطل في حين أن سطوره تقطر سما، يقول في تناقض عجيب:

في إقليم "أورليون فيل" والجزائر توجهت الحركة الاجتماعية لشغيلة المزارع الأوروبية منذ شهرجوان نحو طرق جديدة ليس بدون تخبطات ورغم عناد الهيئة المؤقتة وتحت ضغط قائد الولاية الرابعة تجاوبت هذه الأخيرة مع مطالب تلك القاعدة واتخذت تدبيرا يمنع كل شراء لمزارع أو محلات أو منقولات عائده للأوروبيين، لكن الدسائس البورجوازية التي سهلها فساد كوادر الولاية بدأت أقوى ، ففي 9 سبتمبر أعاد مجلس الولاية الرابعة إرساء حرية البيع والشراء،

وعن هذا الجانب حتى لا يقال عني أني أتفاخر بالولاية الرابعة فإني أحيل الأمر إلى الوثائق الصادرة في هذا الشان وإلى شهود العيان الأحياء .

في الأخير وبعد أن أعدت قراءة الكتاب البالغ عدد صفحاته بالهوامش والفهرس (361) صفحة أعدت قراءته أكثرمن مرة كي لا أقع في أي خطأ وكي لا أسبب في ردي جرحا لصاحبه (وأنا أعرف أنه شديد الحساسية) أقول له ليتك لم تكتب هذا الكتاب كي تبقى بالنسبة للجيل الصاعد ولنا نحن الجيل القديم أسطورة يتردد اسمها من حين لآخرويذكرونك بالرغم من أنك لم تشارك مشاركة فعالة في الثورة المسلحة ولم يكن لك نصيب فيها إلا أنهم يتذكرونك لأنك واحد من الأسماء اللامعة التي فصلت على مقاسها بذلة تناسب جميع المناسبات لتظهر بها في المحافل والاجتماعات ومن بينها محافل كتابة التاريخ وتبقى أسطورة من بين الأساطير التي نجهل عنها الشيء الكثير لأنها بدت مجهولة ووصلت إلى قمة السلطة ثم انتهت مجهولة...



من اليسار الواقفون: – أرسلان – علال (من موزاية) – العقيد سي امحمد بوقرة – العقيد صالح زعموم – يحي بوسماحة (من البرواقية) – مصطفى بن الحاج رابح (من المدية) – محمود (شهيد) رئيس منطقة – نصير (شهيد)، آخرهم توفيق من القليعة (شهيد).

الجالسون: – بومدين العربي (توفي بعد الاستقلال) – لعروسي (مازال حيا) – العقيد الطيب الجغلالي (شهيد) – حسان بوديسة من المدية (جامعي) – العقيد على ملاح المدعو سى شريف (شهيد) – كلاش من المدية

الفصل الثالث عشر
جهاز مخابرات الثورة وعلامات استفهام
«LE M.A.L.G»

1 - جهاز مخابرات الثورة والأجهزة المضادة «LE M.A.L.G»

لا مندوحة لي في آخر هذه الصفحات من مذكراتي إلا أن أذكر بعض المعلومات ذات الارتباط الوثيق بجانب من جوانب ثورتنا التحريرية وهو جانب المخابرات.

إن في بداية كل حرب وطيلة اشتعالها وبعد استتباب الأمن فيها... لا يتوقف دور المخابرات ولا يكل بل هي الحرب المشتعلة أبداً وان كانت في الظل.

حكمتنا فرنسا طيلة سنوات الاستعمار بالاعتماد على أجهزة استخباراتها التي لم يتوقف نشاطها على متابعة ومراقبة أنشطة الجماهير وتحركاتها... بل وعلى الدس عليها، وزرع بذور الخلاف والتمزق بين أفرادها مستغلة جميع معطيات التفجير الديني والعرقي (الاثني) والطبقي.. لكن عمل الثورة الخلاق وأسلوبها العنيف في رسم الحدود أمام الجميع... أعاد خلط الأوراق أمام العدو وأبرز قيماً جديدة متطورة وصهر المجتمع على أسس قوية.. الأمر الذي أفشل الكثير من تحركات المخابرات الفرنسية.. لكن هل كان لثورة التحرير جهاز مخابرات يتصدى للعدو؟ وما هو تنظيمه وامكانياته ودوره الثوري؟ وكيف كان يتصدى لمخططات الأجهزة الفرنسية في الثورة...؟.

من المعلوم أن للثورة جهاز مخابرات أطلق عليه اسم «المالق» «LE M.A.L.G» وقد تأسس خارج الثورة وأن مؤسسه هو عبد الحميد بوصوف الذي ظل أهم شخصية مشرفة عليه إلى أن استرجعنا سيادتنا...

وأقرر منذ البدء أن هذا الجهاز لم يؤد دوره الذي تأسس من أجله داخل الثورة بل كان وسيلة تصفية حسابات بين قادة الخارج... وطعنة لبعض قادة الداخل واجهت شخصيا جهاز «المالق» يوم أن عثرت على رسالة الشهيد

بوشمعة لخضر وهي الرسالة الوحيدة التي سلمت من العبث والتمزيق وكان الشهيد مسؤول جهاز أمن الولاية الرابعة في الثورة... اشتملت الرسالة على عبارات تحذرنا من الوقوع لقمة سائغة لجهاز المخابرات الذي لا يعترف بحدود ولا توقفه صعاب... وهو الشهيد الذي وقع ضحية هذا الجهاز ودفع حياته ثمنا...

وقد أطنب الصحفي والكاتب الفرنسي "Yves Courrière" إيف كوريار في الحديث عن جهاز المخابرات الجزائرية... وان كان جل ما ذكره مجرد دعاية للبعض وتغميط حق البعض الآخر ومبالغة تصب كلها في هدف تقزيم الثورة... وإظهارها كأنها شريط بوليسي محبوك القصة متكامل الأحداث...

اجتهد "إيف كوريار" كثيرا في الوصول إلى قادة الولاية الرابعة والحصول على معلومات يحشو بها كتبه العديدة عن الثورة لكنه لم يفلح... فلجأ إلى ضعاف النفوس الذين راحوا يحدثونه عن الثورة من صنع خيالهم ووحي تطلعاتهم الشخصية...

في الوقت الذي كانت أجهزة المخابرات الفرنسية تعربد داخل الوطن وتكيد لقادة الثورة وتغتال البعض وتغالط البعض كما جرى في الولاية الثالثة مع قصة "الزرق" "Les bleues"... وتقتفي آثار المخلصين وتمد القوات المسلحة بدقائق المعلومات التي تحصلت عليها بالتعذيب أو عبر شراء الذمم ... والابتزاز...الخ . في هذه الظروف كان جهاز مخابرات الثورة "المالق" غارقا حتى النخاع في معارك هامشية بين من هم في قيادة الخارج...

صرح الجنرال "سيمون " بعد اندلاع ثورتنا في قسنطينة فقال : «ان منطقة الأوراس هي فعلا عرين الثورة إلا أن الأوراس سيصبح مقبرة لهذه الثورة».

كان الجنرال واثقا مما يقول ويدرك أن أجهزة مخابراته ممسكة بخيوط المؤامرة... ولم تطل الأيام حتى دبرت عملية اغتيال قائد منطقة الأوراس وأحد أكبر الأدمغة المفكرة والمنفذة لثورة التحريرالشهيد البطل مصطفى بن بولعيد... وقد ترتب عن موته مصاعب لا تحصى سواء في منطقة الأوراس أو خارجها وبقيت ندوب تصفية كبار الثورة إلى اليوم من أكبرالكوارث على مستقبل الجزائر الثائرة والمستقلة على حد سواء.

ومن مخططات جهاز المخابرات الفرنسية ان احد الصحفيين الفرنسيين جاءنا إلى الولاية الرابعة وادعى أنه من أصل مجري.. وأنه ظل سنوات عديدة يحاول الوصول إلى قلب الثورة ويجتهد في التعرف على المجاهدين لينقل إلى العالم قضيتهم ويحسس الرأي العام الدولي بما يكابده الشعب الجزائري تحت نير الآلة الاستعمارية.. أتقن الصحفي دوره بحيث أفلح في إيهامنا بأنه صحفي مجري محايد من اللفيف الأجنبي.. دفعته رسالته الإعلامية وواجبه الإنساني لأن يتجشم المصاعب والحياة بيننا في الجبال والأودية.. ليشهد الحقيقة ويبلغها للرأي العام الدولي.. بكل أمانة إعلامية.

صدقنا زعمه.. ووجدنا فيه ضالتنا.. واعتبرنا وجوده بيننا تضحية كبيرة وفرصة يعلمنا فيها بما يجري في السياسة الدولية في تلك الظروف العصيبة التي كنا نعيش انفصالا كاملا عن العالم الخارجي.. طلب الينا الصحفي أن نطلق عليه اسما عربيا وكان "جلول " وأكد لنا أنه من محترفي التصوير الفوتوغرافي.. لاقت هذه المهنة هوى في نفوسنا.. وكان عزيز على قلب المجاهد أن تلتقط له صورة مع رفاقه تحت ظل شجرة أو على حافة نهر.. فالصورة هي وسائل استمرارنا على قيد الحياة بطرق أخرى.. كان الصحفي لا يرفض طلب المجاهد بل كان يصورنا بمحض إرادته ويوزع علينا صورنا..لكن كان يحتفظ بأصل الصورة.. انصهر الصحفي انصهارا تاما في حياتنا وصار يقاسمنا الأتعاب والمأكل والإقامة رغم قسوة الحياة.. ويتظاهر بالمحبة والعطف والتقدير لعملنا الثوري، ويصفه بالتاريخي والتحريري.. وكان يسجل كل ما يراه ويدقق في أسلوب كل منا ويستقي أسرارنا بدافع الفضول والمعرفة.. مستعملا جميع الطرق حتي اذا ألم بجميع أسرارنا.. استغل أول هجوم كاسح للعدو ضدنا فاختفى.. وقد ظننا أنه قتل في المعركة الشرسة.. فحزنا عليه أشد الحزن.. وبحثنا جادين عن عنوان عائلته بالمجر حتى نتأكد من مصيره واقترح بعضنا أن نعزي عائلته بعد أن اعتقدنا أنه مات في ذلك اليوم المشهود...

استمرت الثورة إلى أن حققنا النصر وكدت أنسى إلى الأبد "جلول" الصحفي ولما خرج علينا الجلاد الفرنسي الجنرال "ماسو بمذكراته وقد حملها أجمل الصفحات عن ذاك الصحفي المزعوم ... أيقنت يومها أنه جاسوس دسته أجهزة

استخبارات العدو في صفوفنا.. وكان يمدها بجميع أسرارنا العسكرية والتنظيمية والسيكولوجية وعلاقتنا بالجماهير وأسماء المجاهدين والمسبلين الذين كنا على صلة بهم..ولم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها في تقريره المخابراتي.

ودس جهاز استخبارات العدو جاسوسا آخر في صفوف المجاهدين في منطقة تنس بحجة أنه مراسل صحفي أيضا وقد أتقن الجاسوس دوره أفضل إتقان وركز في مهمته الاستخبارية على نقطة خطيرة جدا هي تقليد دور القائد في جيش التحرير في كلامه ومأكله وملبسه وبساطة حياته واستقامته وتضحياته ولا سيما الكشف عن سر تعلق المجاهد بقائده وحبه الأبوي له... ولما استبد بالمعلومات الضرورية غادرنا إلى مركز قيادته... ومن يومها... بدأ بعض قادة الجيش الفرنسي يقلدون نفس الأسلوب وكان خير متقن لهذا الدور "الجنرال بيجار" الذي كان يجمع المظليين ورجال القوات الضاربة ويقوم بينهم خطيبا على طريقة ضباط ثورة التحرير في بساطة وإقناع، وهدوء، ملقنا إياهم مبادئه الوطنية والتضحية من أجل الحرية والمثل العليا... وكثيرا ما امتدت أصابعه لتعبث بأزرار قميصه قائلا لجنوده : «أنظروا إنه قميص بسيط مما تلبسون...»، بل وكان يتقدمهم أحيانا في تنفيذ العمليات... ليوهمهم بأنه شديد الحرص على حياتهم وشجاع يقاتل المجاهدين بعقيدة ووطنية خالصة... وهو بذلك يؤصل فيهم قيما قتالية جديدة لاعهد للجيوش الكلاسيكية بها من قبل...

وذات يوم أرسل الجنرال بيجار رسالة إلى زوجه حملها شكواه وعذابه في ليالي الصقيع وما يكابده من خوف على حياته وأتعاب تنوء بها الجبال... موضحا حالته النفسية قبل بداية كل معركة... وهي شهادة اعتراف من أحد أصلب جنرالات العدو وأكثرهم فاشية... وما ذاك إلا شعور إنساني يصدر عن طبيعة الإنسان الضعيف.

ومن الخطير أنه ما إن استردت الجزائر استقلالها حتى هرع بعض ضعاف النفوس إلى الجنرال بيجار وصافحوا يده الملوثة وترجوه أن يقص عليهم بطولاته في حربه ضد الجزائر وفتحت له وسائل إعلامنا الوطني(*)، أبوابها ليروي، من خلالها أحداث الثورة من وجهة نظره الاستعمارية الحاقدة على الجزائر لأجيالنا الصاعدة...

(*) يقصد الكاتب هنا، أسبوعية «الجزائر الأحداث» قبل أكتوبر 88 عندما أرسلت لـ - محرر زي لمحاورة بيجار. (الناشر)

2 – **جهاز المخابرات وعلامات استفهام ؟.**

– إن بنية جهاز "المالق" أو جهاز مخابرات ثورة التحرير لم تقم على أسس غير سليمة لأن هذا الجهاز نذر نفسه منذ البدء لمهمة غير وطنية.. بحيث تأسس لأغراض غير أغراض مقاومة أجهزة العدو وتفكيك مخططاتها ومقارعته على أرض الثورة كما أن عملية اختيار رجال الجهاز كانت خاضعة لمقاييس محددة غير مقاييس الكفاءة والإخلاص للمبادىء.

اختار جهاز"المالق" بعد تحريات عديدة.. الطالب بوخروبة محمد الذي سيصبح فيما بعد العقيد هواري بومدين.. اختاره أو اصطفاه من بين مئات الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الوطن العربي وفي كافة بلدان العالم لتوفر شخصيته على جملة من الشر وط والمواصفات الخاصة.. وجرى تدريبه مع غيره.. قبل أن يأتوا به على متن الباخرة المعروفة (ديانة) التابعة لأسطول المملكة الأردنية.. وهنالك بإحدى ثكنات الثورة المتواجدة بالأراضي المغربية تم تدريب بوخروبة وتلقينه دور المناورة وحروب الظل.. وقد تأثر بسلوك معلمه عبد الحميد بوصوف في التآمر والدس والاطاحة بغيره وراح يتدرب على مختلف الأساليب البوليسية إلى أن استولى على عرش السلطة.

وقد شهد بوخروبة.. معارك جهاز المالق في المتاجرة بالسلاح وتكديس المعدات والتجهيزات العسكرية في الحدود الغربية والشرقية.. لقد كان نوع الأسلحة والمعدات من العصرية والحداثة بحيث يستحيل على أي كان اقتناءها من معامل الأسلحة الأمريكية.. الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بوجود أياد خفية تيسر الطريق.. أمام البعض لاختراق غابة جهاز الاستخبارات الأمريكية (CIA) والاستئثار بما في المعامل الأمريكية من تجهيزات الكترونية وأسلحة عصرية.. كان حلم المجاهد في الداخل الحصول على قطعة سلاح.. أوحذاء أوقشابة تقيه جحيم الصقيع فكان عليه أن ينتصر على عدوه القوى.. ويفتك منه سلاحه ومؤونته ليكمل مشوار التحرر.. كنا نقاتل بخطة طارق بن زياد: العدو أمامنا والجوع والعراء والشر وراءنا.. لكن كان سلاحنا الايمان بالله وبالقضية العادلة..

ومن حقنا أن نسأل جهاز "المالق" اليوم عن الهدف من تكديس تلك الأسلحة الكبيرة المتطورة وراء حدود الوطن دون التفكير في إدخالها إلى ساحات المعركة والاحتفاظ بها إلى ما بعد الاستقلال... ؟

إن الرجل الذي كشف ألاعيب جهاز "المالق" ومناوراته هو المرحوم (طوالبة عبد اللطيف) كان طوالبة في زيارة إلى الخارج وبالتحديد إلى المغرب الأقصى وصادف أن رأى فصلا بين جنود الثورة وضباطها في الأكل والإقامة ... فثار ضد هذا السلوك المنافي لأخلاقيات الثورة ورفض أن يتناول وجبته في مطعم الضباط... أغاض سلوكه قادة "المالق" فعمدوا إلى اعتقاله وتأديبه... وقد كان مسؤول سجون "المالق" وقتها المسمى رابح يملك صلاحيات واسعة جدا... ويتصرف بحريات لا حدود لها وقد ثبت رسميا أنه كان عميلا لدى المخابرات الفرنسية فنفاه مسؤولو جهاز "المالق" ليستقر في مدينة طنجة المغربية...

تمكن طوالبة من الفرار من سجنه بمساعدة بعض الشرفاء الذين غلبوا على أمرهم من قبل جهاز "المالق"... والتحق بالولاية الرابعة رفقة الدكتور فارس في ظروف لا تطاق... وفور وصوله كتب طوالبة عبد اللطيف تقريرا مفصلا عن ممارسات جهاز "المالق " في الحدود الجزائرية المغربية... وعن دوره غير الوطني وممارسته في تعذيب واغتيال المجاهدين الشرفاء... وقد كان لصدمته هذه أثر خطير أدى به إلى التفكير في حل منفرد مع العدو... ودفعه إلى تنفيذ مخططه مع بعض رفاقه الذين خططوا ونفذوا عملية «الإليزي» الشهيرة... غير عابئين بنتائجها على المستوى الوطني وما تسببه من انحراف في وحدة الثورة وإضعاف لمركزها التفاوضي مع العدو... فلولا جهاز "المالق" بانحرافه الخطير ودوره المشبوه ما كان لجماعة الولاية الرابعة أن تنحرف ويأتي عملها كانعكاس شرطي لفعل سابق... إن أزمة الإليزي لم تبدأ على قمة ربوة في الجزائر وانما بدأت في زنزانات جهاز "المالق" ومكاتبه في مدينة وجدة المغربية... إن التآمر على الثورة جاء من بين جنبات أولئك الذين كانوا يفكرون في مرحلة ما بعد الاستقلال بعيدا عن مخاطر الموت الذي كان يترصد الثوار في كل ثانية...

كانت الثورة في الداخل تعاقب المجاهدين لأبسط الأسباب حفاظا منها على سلامة الخط الثوري وضمانا لطهر صفوفها... فكانت تكفي سيجارة يشعلها

بعضنا بعد صدور أوامر تحريم التدخين حتى يجدع أنف المدخن أو أن ينفذ فيه حكم الإعدام إذا زنى... في الوقت الذي كان فيه ضباط الخارج يرفلون في نعيم البذخ والترف ويغدقون على عناصر "المالق" الأموال والأوسمة بحيث كان هؤلاء العناصر يرسلون في حافلة خصوصية مكيفة من وجدة إلى مدينة الدارالبيضاء مرة كل أسبوع للترفيه والاستجمام وكم كانت زياراتهم الصالونات الليلية وعيادتهم الحانات للعربدة والمجون... محفوفة بالأخطار... في مناطق موبوءة وملغمة بجواسيس المخابرات الفرنسية "والأنتربول".

لقد تمكنت المخابرات الفرنسية أن تتسلل إلى صفوف أولئك الشباب في لحظات الخمر والهذيان... وتغتصب من أفواههم معلومات قاتلة . بحيث تمكنوا من معرفة العدد الإجمالي الدقيق للجاهدين الذين يغادرون الحدود المغربية باتجاه الداخل، ونوعية الأسلحة التي يحملونها وأرقامها والطرق التي يسلكونها وأسرار الاتصال وقد تمكنت بذلك قوات العدو من إبادة أكثر من مائة مجاهد دفعة واحدة... ولم تنج من المجزرة المنظمة إلا فصيلة واحدة (25 مجاهد) بعضهم مازال على قيد الحياة إلى اليوم يذكرون عجائب وأهوال تلك الكمائن التي كانت تنصبها لهم قوات العدو بدقة وإتقان مستغلة جميع معلوماتها التجسسية ...

أدركنا بما لدينا من معلومات.. خطر التجسس على مصير الثورة فاعتمدنا على أنفسنا ووضعنا منهجا وقائيا في إطار جهاز يتولى شؤون الأمن داخل حدود ولايتنا ... وينسق بطريقة سرية مع الولايات المجاورة لنا... ومن بين المهمات الناجحة التي نفذها هذا الجهاز...هي انتقاء أفضل العناصر من المجاهدين وإقناعهم بدور التجسس على العدو داخل صفوفه... وذلك بعد أن أخضعناهم إلى تمارين دقيقة تتعلق بسلوكهم داخل ثكنات العدو... وبكيفية الحصول على المعلومات مع مراعاة الأولوية والخطورة... ومنحناهم وثائق مزورة مكنتهم من دخول ثكنات العدو على أنهم عملاء... مطاردون من قبل جيش التحرير ونشيع في القرى والمداشر خبر خيانتهم وعمالتهم... وكانوا عيوننا الحارسة داخل قلاعه الحصينة... إن المجاهد وجواج عبد القادر الذي مازال على قيد الحياة ما فتئ يتذكر تفاصيل تلك المرحلة وطريقة تجنيده وزرعه في صفوف العدو... وقد نجا بأعجوبة لما اكتشف أمره الأعداء... بعد أن أخبر عنه أحد المحافظين السياسيين في ولايتنا وكان هو الذي كلفه بتلك المهمة الصعبة؟ .

إن ضحايا جهاز "المالق" من المجاهدين المخلصين كثيرون.. في المغرب وتونس ومصر الخ.. فقد جرى اغتيال خيرة المجاهدين لأنهم رفضوا الانقسام... وثورة القصور والمهرجانية السياسية تحت أضواء أجهزة الكاميرا... وكان من ضحاياها الشهداء لعموري وعبان رمضان، وطوالبة عبد اللطيف... وآخرون... ألم يكن بالإمكان سجن هؤلاء الرجال أو معاقبتهم عقابا آخر لا يرقى إلى درجة الاغتيال الجبان...؟ ومهما كانت أسباب الاختلاف معهم أيعقل أن يعدم بطل كلعموري أو عبان...؟ أو أن يدفع بالعقيد لطفي ورفيقه لأن يموتا ميتة فيها من السيبة والإهمال ما يحمل على الشك والريبة...؟ امتدت يد جهاز "المالق" لتغتال أحد الجزائريين في القاهرة... وادعت كذبا أنه انتحر بأن رمى نفسه من الطابق الخامس في العمارة ... لكن جهاز المخابرات المصرية الذي كان على بينة من تجاوزات بعض رؤوس "المالق" اكتشف الحقيقة ووضع المجرمين أمام الأمر الواقع.

كان بإمكان جهاز المالق أن يقدم خدمات جليلة للثورة في الداخل والخارج لو لم يرتبط بدعم مراكز نفوذ بعض قيادة الخارج ... ولم يتورط أعضاؤه في تصفية رجال الثورة والتجسس عليهم... إن الدعايات المغرضة التي أفشوها بحق وبدون حق عن تجاوزات بعض القادة في الداخل... من ذلك ما أشيع عن القائد عميروش بأنه أمر بقتل عشرات المجاهدين في مؤامرة دبرتها له مخابرات العدو بالدس والمؤامرة... هذه الدعاية وإن صح بعضها فله ما يبرره... لأنه ليس بامكان أي قائد في الداخل تحيط به الأخطار من كل جهة وتتربص به المؤامرة على الثورة من كل صوب أن يتسع له المجال فيحاكم المتهمين في هدوء ويتثبت في أمرهم، ومن أين له أن يعرف حقيقة المخلص من العميل.. ؟ ان الجرم كل الجرم أن يغتال المالق مجاهدي الثورة على أرض أخرى باسم تهم شخصية لا تمت إلى الثورة بصلة...

أليس من واجبنا اليوم أن نسأل من المجرم...؟ ومن تحق عليه إدانة التاريخ... أهم أولئك الذين امتلكوا القوة باسم الثورة ووضعوها في قتل إخوانهم المجاهدين...؟ أم رجل جاهد في ظروف لا تطاق... فاخطأ وأصاب وكان خطؤه واصابته في سبيل إرضاء الله والثورة، إلى أن استشهد على قمة جبال الجزائر... ولم يعرف عميروش يوما بذخ القصور... وتقاعس الصالونات... وكانت أقرب إليه من لمس الوريد لو أراد ؟

تطورت علاقة رجال المالق مع جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) لتصبح علاقة صفقات مربحة ومتاجرة بمعلومات خطيرة... وما الصفقات الاقتصادية الخيالية مع شركة استغلال النفط الأمريكية في الجزائر (EL PASO) البازو، الا أحد ثمرات قرصنة رجال المالق ضد أمن الثورة وثروات الجماهير الشعبية.. كشف الطالب الجزائري مقداد الحافظ أثناء بحثه وتنقيبه في وثائق خاصة بالطاقة النووية بمعهد الدراسات الاستراتيجية كشف معلومات سرية تؤكد أن الولايات المتحدة الامريكية نابت عن الحكومة الفرنسية في البحث والتنقيب عن البترول وتحديد نقاط تواجده في الصحراء، نظرا لما لديها من وسائل رصد المعادن وحفر وتكرير مادتها وميزتها في توظيف الأجهزة الالكترونية المتطورة... وقد تمكن الأمريكان من معرفة مصادر الطاقة في صحرائنا وتحديد أماكن تواجده في جوف الأرض... لكنهم أخفوا كل هذه المعلومات عن الحكومة الفرنسية التي كانت تخوض حربا ظالمة ضد الشعب الجزائري... واحتفظوا بها إلى ما بعد استرجاع السيادة الوطنية بالتنسيق مع بعض رجال المالق الذين تولوا القيام بدور المفاوض في الاتفاقيات مع شركة البازو الأمريكية...

إن جهاز المالق ضليع في تعامله مع جهاز المخابرات الأمريكية والتنسيق مع دوائره... الأمر الذي دعم تحركاته في الترصد وتصفية الكثير من قادة الثورة... ومكنه من امتلاك قدرات تجسسية بأدوات متطورة وأجهزة حديثة كان بإمكانه أن يخص بها الثورة ورجالها فيتصدون لمخططات أجهزة الاستخبارات الفرنسية التي كانت ترتع بحرية في حقل الثورة على كافة التراب الوطني وخارجه.

الخـاتمـــة

يلاحظ القارىء أني لم أضع بين يديه كتابا مؤسسا على منهجية علمية مرسومة الأبعاد ومدروسة المحتوى، وإنما طرحت عليه بعض انشغالاتي وهمومي العامة كما عشتها وعاينتها بعفوية المجاهد ابن القرية... وصدق المناضل الذي لا يعتقد أن السياسة هي احتراف الوصول إلى الكرسي والاستدامة فيه، مهما كانت الوسيلة التي توصله لهذه الغاية... وإنما السياسة هي مواصلة رسالة الجهاد التي فطرت عليها بأسلحة مغايرة...

إذن لا أدعي أني أخرجت إلى الناس كتابا في التاريخ أو السياسة أو الاجتماع... ولكن كل ما أصبته من غرضي إنما حررت إرادتي من عقدة الصمت... فألقيت بعض ما في نفسي من تراكم التجربة التي عشتها مع رفاق درب التحرر وعشاق الشهادة ، إن في مرحلة الثورة المسلحة أو ما بعدها... وسجلت لطلائعها المثقفة الواعية بعض ملاحظاتي ومعاناتي وآرائي... على تعلاتها، أملا أن تكون لهم مادة أولية.. ومقدمة بسيطة إلى جانب محاولات عديدة لرجال جيلي ممن عاشوا نفس المرحلة وواجهوا نفس الامتحان الصعب.

إن سنة الله في خلقه أن يرث الخلف السلف، وأن يأخذوا عنهم مايفيد وينفع ليجعلوه منطلقا إلى أهدافهم التقدمية.

ولا أحسب أن أعز شيء على طالب الحقيقة التاريخية من أن تقدم له شهادة أو وثيقة... أو معاناة صادقة... ولو كانت شخصية وغيرممحصة... لأن ذلك يجعله في مأمن من الفراغ القاتل والشك المريب... ناهيك إذا كانت هذه الوثيقة أو الشهادة من مجاهد أو مناضل عاين الأحداث أو كان من صانعيها... فكل محاولة وطنية على تواضعها وبساطتها تعد كنزا لا يفنى لعقول المستقبل ومكتبات الأجيال الصاعدة... وتعتبر ترسا واقيا لهذه الأجيال من حملات

التشويه والتحريف المعادية.. التي تريد بدعايتها هدم مالم تستطع هدمه بالسلاح والجيوش الجراره...

أعتذر لدى القارىء من فرط ما علق بهذه الصفحات المتواضعة من تكرار وأخطاء وذاتية.. وعدم الالتزام الصارم بمنهجية محددة في الأسلوب والمحتوى.. وأعد القارىء بأني رغم وعيي بضعفي... سأحاول أن أقدم الجزء الثاني من هذه المحاولة في وقت لاحق علني بذلك أخفف من وطأة الضمير على نفسي وأفي بالوعد الذي ضربته على نفسي مع الشهداء والمخلصين من أبناء هذا الشعب العربي المسلم.

وما توفيقي إلا بالله فهو خيرموجه وخير نصير.

لخضر بورقعة

الجزائر سبتمبر 1990



صورة لمجزرة قام بها رجال الحَرْكَة (القومية) ضد المواطنين في شلالة العذاورة (المنطقة الخامسة بالولاية الرابعة).

الملاحق

ملحق 1 .

قيادة الولاية الرابعة تنتقد الحكومة المؤقتة وجهاز مخابراتها

هذه ترجمة للرسالة التي بعث بها سي لخضر بوشمعة ، مسؤول جهاز الاتصالات والأخبار (المالق) بالولاية الرابعة، إلى أعضاء الحكومة المؤقتة .

وهي رسالة طويلة كتبها الشهيد سي لخضر بوشمعة في شكل تقرير انتقد فيه أعضاء الحكومة المؤقتة وعناصر المالق.

ونظرا لكون الرسالة تحتوي على انتقادات شديدة اللهجة، ارتأينا نشرها وترجمتها إلى اللغة العربية إلى جانب النسخة الأصلية، وهي النسخة الوحيدة الموجودة عند سي لخضر بورقعة (توجد نسخة مصورة من هذه الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة).

عندما تلقى السيد عباس فرحات هذه الرسالة من طرف الشهيد سي لخضر بوشمعة كان يعتقد أن صاحبها هو السيد لخضر بورقعة! وذات يوم، التقى السيد فرحات عباس بسي لخضر بورقعة خلال اجتماع الحكومة المؤقتة وقال عباس لأعضاء الحكومة: «هذا السيد - يقصد بورقعة - هو الذي شتمنا وانتقدنا في رسالة وجهها لنا...» .

وهكذا اعتقد عباس فرحات بأن بورقعة لخضر هو الذي بعث هذه الرسالة .

ومن هذه الواقعة يبدو أن رئيس الحكومة المؤقتة كان لا يفرق بين الرائد بورقعة لخضر ومسؤول الاتصالات والأخبار سي لخضر بوشمعة (الناشر) .

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

الولاية الرابعة

إلى الحكومة المؤقتة

منذ ستة سنوات خلت تقريبا اختار عدد قليل من الوطنيين الجزائريين طريق الجبال من أجل استرجاع حرية هذا الوطن وكرامته، كان هؤلاء الوطنيون بدون إمكانيات مالية لكنهم كانوا مسلحين بإيمان قوي وبروح التضحية الكاملة، متجاوزين بذلك حدود التصور الإنساني ومنطق الأشياء، انها ثورة الشعب مستبعد في سبيل الحصول على حقوق الإنسان الأساسية من حرية وكرامة وعدالة في ظل التقدم والاستفادة المشروعة من ثرواتنا.

وما لبثت هذه الشعلة أن انتشرت، ترعاها وتغذيها، ملايين النفوس المتحمسة من أجل إنجاز هذه المهمة النبيلة، وبأسرع ما يمكن أخذت تتدفق على الوطن موجة عارمة من الأمل توقظ الضمائر وتحول آهات المضطهدين إلى صوت جعلنا نستشف فجر التحرير اللامع منذ السنة الأولى من الكفاح.

ومنذ ذلك الحين شاهدنا العملاق الفرنسي يترنح عدة مرات، غير أن آمالنا في النجاح لم تكن لتتحقق بصفة كاملة.

لقد استشهد رواد الثورة واختفى عدد كبير من الرفاق وما زالت أرواح ديدوش وبن المهيدي وبن بولعيد وزيروت تحوم على الجبال، لكن الفراغ الذي تركوه وراءهم كان من الاتساع بحيث جعل الأعباء تتراكم على كواهلنا. وشيئا فشيئا تغير وجه ثورتنا تغيرا يعرف اتجاهه جميع المجاهدين.

لقد عشنا كل حدث وكل مرحلة من مراحل هذا التغيير في الجراح التي في أجسادنا، وفي نزاعاتنا وخيبة آمالنا وفي مصاعبنا ونداآتنا التي لم تجد من يستجيب لها.

فلنقدم الحساب مع بداية السنة السادسة من الكفاح: لقد دفع الشعب الجزائري الباسل الضريبة، في السجون والمحتشدات ما انفكت تجلجل بآهات إخواننا المناضلين فليس هناك عائلة واحدة لم تبك واحدا من ذويها، ولم يبق منزل ولا كوخ لم يعرف الحرب بما تحمله في طياتها من بؤس ودموع وآلام، ولم تنج من فداحة القمع أية فئة ولا طبقة: بن زرجم والعربي التبسي، وجميلة والآلاف بل مئآت الآلاف من المواطنين أغنياء وفقراء، نساء وأطفالا وشيوخا، هؤلاء جميعا استجابوا لنداء التضحية في سبيل الحرية وشرف وطننا العزيز.

فهل نحن بحاجة إلى ذكر المآثر السامية والأعمال البطولية التي قام بها الفدائيون الجزائريون؟.

إن عددا لا يحصى من قبور الشهداء تملأ قمم ووهاد التراب الوطني العزيز.

لقد كتب جيش التحرير الوطني بدمه صفحات من التاريخ ستسجل بين أروع صفحات الحروب التحريرية، وبذل الشعب والمجاهدون كل ما في وسعهم بذله والعالم أجمع يشهد على ذلك، اننا نعلل مختلف عوامل النصر بإرادة الشعب، ودعمه المعنوي والمالي، وطاعته العمياء للمبادئ الثورية، بالإضافة إلى ما يتحلى به جنود جيش التحرير الوطني من روح قتالية تثير الإعجاب واستعدادها دائما للتضحية القصوى.

إن العديد من الشعوب الشقيقة لا تبخل علينا بدعمها المعنوي والمادي وفي كل مرة يكون النجاح في متناولنا نضيع فرصة النصر الحاسم، لماذا؟ إن الشرعية التي تمنحها لنا مشاركتنا الدائمة في مختلف ميادين المعركة والشرعية التي تركها لنا الرواد

الذين اختفوا، تعطينا الحق وتفرض علينا واجب البحث والتشديد بمختلف الوسائل، عن الأسباب المؤدية إلى إضعاف الطاقة العسكرية للثورة .

لقد نظرنا في دور الشعب والمقاتلين في الكفاح فلم نجد تفسيرا خطيرا أولا يمكن إصلاحه.

علينا اذا بالبحث عن التقصير أو الخيانة في الهيئات المعتبرة كأجهزة قيادة الثورة والتي ما انفكت تمارس نشاطاتها خارج التراب الوطني وان كان القيام بالثورة وبالواجب يمكن أن يسوقنا خارج ميدان القتال، للاضطلاع بمهام يمكن ويجب ان تكمل انتصارات العمل المسلح...

إن تمثيل الشعب الجزائري المكافح أمام العالم الخارجي، مهمة ثقيلة تستلزم رجالا نبلاء ذوي شجاعة من بين المجاهدين يبرهنون على قدراتهم الثقافية والأخلاقية .

بيد أن عددا كبيرا منا أصبح يعرف منذ وقت طويل أن أعضاء قيادات منظماتنا الخارجية فقدوا أهلية تمثيل كفاحنا ومنذ وقت طويل جاء المقاتلون العائدون من الخارج وبعض الإخوان الذين عرفوا بفضل مسؤوليات هؤلاء الناس عن كثب بالدليل القاطع على أن الحكومة المؤقتة وحاشيتها قد حادت عن الصراط المستقيم .

فالهيأة العليا للثورة أصبحت عبارة عن شرذمة من المغامرين ومن ذوي الطموح غير المشروع الذين ينتفعون بكفاحنا لا يترددون أمام الاغتيال والاختطاف والرشوة والابتزاز لإشباع غريزة السيطرة وتكوين شخصية مناسبة لهم. فالبعض يعبث بأموال الثورة أمام الملإ، بينما يقتات يتامى الحرب في الونشريس والقطاع الشرشالي بالأعشاب والبعض الآخر غارق في اللامبالاة وعدم الاكتراث والجهل والصمت مما يجعله شريكا في الجريمة أسوة بالآخرين .

ولكي نفهم جيدا النتائج التي نريد الوصول إليها، يجدر بنا التذكير ببعض الأحداث والقرارات المؤسفة وانعكاساتها على مجرى كفاحنا. ففي صائفة 1956 تلقى الشعب والمجاهدون بشيء من الذهول التعليمات الأولى المتعلقة بإضراب الأيام الثمانية التي ظهرت علامات الفشل منذ الأيام الأولى للإضراب، وتخلى المضربون عن تعليمات القيادة، وجاءت نهاية الإضراب لتكريس الهزيمة السياسية والنفسية وحل معظم تنظيماتنا عبر الجزائر وبالعاصمة خاصة، الأمر الذي انتزع منا حظوظ دعم وتيرة الكفاح بالدرجة التي تجبر فرنسا على التفاوض، وهكذا أضعنا أفضل الأوراق الرابحة التي كانت بيد الثورة، مما جعل العدو يتعنت في مواقفه، والنزاع يطول مع كل ما يحمل من نتائج وخيمة معهودة : أي مئات الآلاف من القتلى .

إن المسؤوليات لم تحدد أبدا، بل أن المسؤولين المعنيين بتلك الأخطاء تحصلوا عل مزيد من الترقية.

وكذلك الشان بالنسبة للإضراب عن الدراسة، هذه البدعة الحقيقية التي تقررت اعتباطيا، وبدون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستقبال المضربين والاستفادة العقلانية الكاملة من الطلبة الشبان .

وإذا كان قسم كبير من العدد الهزيل، الذي التحق بصفوفنا قد سقط في ميدان الشرف، فكثيرون هم الذين لم يعودوا يؤمنون بالنصر من جراء خيبة الأمن والضياع الناجم عن النقائص وقلة التفهم .

وكانت نتيجة هذا الخطأ ما يلاحظ في صفوف الطلبة من تحفظ على الالتحاق بجيش التحرير الوطني.

ويتسم عمل قيادة الخارج على الصعيد الدبلوماسي بديماغوجية إجرامية ففي الوقت الذي يتهم عمرأو صديق بالخيانة العظمى نجده على رأس وفد في زيارة للصين.

إن الشعب والجيش لا يمكن أن ينسيا هاته الإهانة التي ألحقت بشهدائنا، ومن العبث تعداد التصريحات المتناقضة والمضرة والتي تثير الغضب، وكانت نتيجتها المباشرة مزيدا من الضرر بقضيتها، فلنذكر على سبيل المثال شعارات مثل: "البترول لن يمر" في حين أنه بعد بضعة أشهراحتفل (دبري) وأصدقاؤه بتوصيل أنابيب البترول إلى بجاية!

ولا تتحرج الحكومة المؤقتة، عشية انقلاب مناهض للثورة في الجبال، من التأكيد بنوع من اللاوعي الجنوني على إرادة الشعب بمواصلة النضال عشر سنوات أخرى، لكن الخيانة الصارخة نلاحظها في الميدان العسكري، لأن جميع المجاهدين يرونها ويشعرون بها.

ففي1957 ولم يكن خط موريس قد مد بعد، لم نستطع أبدا الحصول على الأسلحة التي كانت تتعرض للتلف بمخازنها في الشرق والغرب [*]، لقد كان الحصول على الأسلحة وتوزيعها يتم لصالح الولاية الخامسة، التي كان قادتها يمنعون عبور وحداتنا المكلفة بنقل السلاح بحجة أنهم يتكفلون بالنقل بأنفسهم .

وبالفعل كانت آلاف القطع الخفيفة والمدافع الرشاشة الموجهة إلى جبال الوسط، تضيع في الطريق، هذه القضية الخطيرة المتمثلة في السرقة أثناء الحرب، لم تر النور أبدا رغم كل مساعينا وقد كان هذا العمل الاجرامي سببا مباشرا في موت آلاف المجاهدين العزل من ولايات الوسط، وآلاف من الشباب الذين ذهبوا إلى تونس بحثا عن أسلحة سرقها منهم وحوش مجرمون، هؤلاء الوحوش المجرمون هم قادة الولاية الخامسة بالأمس

(*) يقصد تونس والمغرب - الناشر.

بوصوف وبومدين والذين يمسكون اليوم بمقاليد الأمور في الحكومة المؤقتة مع شركائهم كريم بلقاسم وعمر أوصديق .

وقد التزمنا الصمت لحد الآن حفاظا على وحدة الثورة، وعلى أمل أن يزول هذا المرض، وأن ينهض رجال نزهاء لتصفية هولاء المغامرين، وما زلنا لحد الآن نتحفظ على كشف بعض المظاهر وبعض الحقائق المنافية للأخلاق والتي تعني الفاصين المقيمين بالخارج، لكن السكوت في الساعة الراهنة يعني المشاركة في الخيانة التي تخرب ثورتنا، لقد تفاقم المرض وكل تأخر من شأنه أن يقلص من حظوظ حماية الحقوق التي اكتسبناها طيلة خمس سنوات من التضحيات .

فالماضي السياسي الغامض لبعض الخونة في الخارج وميولهم السياسية الحالية وأساليب الخيانة التي استعملوها للوصول إلى غاياتهم، بالإضافة إلى الموقف الراهن للشيوعيين الجزائريين بالتنسيق الكامل مع الحكومات الاشتراكية أو شبه الا شتراكية كل ذلك لا يمكن إلا أن يثبت قناعتنا في هذا الصدد. لقد بسطت المادية الملحدة رقابتها اليوم على المنظمة الخارجية هذه المادية المغرضة المنافقة التي قاومها العديد من الشهداء، لقد نبهنا في كثيرمن المرات إلى محاولات تفريغ الجبال من قبل الشيوعيين، وبعد القضاء على هذه المحاولات في المهد أبعد المناضلون الحمرأو المتعاطفون معهم إلى الخارج، وقد كشفت عملية رقف استنطاق مناضل شيوعي تسلل إلى صفوفنا فيما بعد النقاب عن أساليب الشيوعيين وتعليماتهم وأهدافهم: انتشويه المنظم لسمعة إطارات الجبهة وسياستها، وضرب معنويات المجاهدين، والإضعاف المادي لجيش التحرير بمختلف الوسائل وحتى بتسريب معلومات إلى العدو إذا اقتضى الأمر، المهم هو تحقيق هدف تخريب الثورة من الداخل، وتمكين العناصر الشيوعية من الوصول إلى مراكز القيادة كأمر ضروري في نظر الجماهير، وبعد فشل هذا المخطط في الداخل اتجه الشيوعيون إلى الخارج حيث نجح مشروعهم في اتجاه الرأس المتعفن الذي يبدو سهل المنال.

لقد استطاع قادة العصابة الحالية تحييد كل معارضة والظهور بمظهر المدافع الصالح عن القضية الجزائرية، وذلك بتوظيف غضب البعض تارة وجهل البعض تارة أخرى، وايقاع آخرين في الخطإ، وخنق الرجال النزهاء بواسطة تشويه سمعتهم.

وفي الساعة الراهنة وبعد معرفة وسائل وأهداف الثورة المضادة ومصدرها الحقيقي، يحق أن نتساءل عن الأسباب والظروف الدقيقة لتصفية بن بلة وبن مهيدي، وعبان وبن بولعيد وغيرهم من المسؤولين الذين اختفوا في ظروف غامضة .

إن كفاحنا وانتصاراتنا لم يكن ممكنا إلا بفضل الاندفاع (الصوفي) لشعبنا المهدد بالمسخ، وثورته من أجل الحفاظ على التقاليد المداسة وبعث لغته المحاصرة ودينه المشوه

وشرفه المدنس، لكن بعد خمس سنوات من الكفاح العنيف والتضحيات الجسيمة ها هو الشعب الجزائري وجيش التحرير مهددان مرة أخرى من طرف الأمبريالية الجديدة الملحدة التي وضع مرتشو المنظمة الخارجية أنفسهم في خدمتها .

إن هذه الأمبريالية لا تقل خطورة عن سابقتها لأنها تستهدف أيضا الخضوع إلى قوى خارجية بل ربما كانت أخطر لأنها لا ترمي إلى استبعاد الأجسام وحسب بل كذلك إلى خنق النفوس وكل القيم الروحية.

ان جزائرنا الشهيدة المنهكة بضياع خيرة أبنائها الذين سقطوا تحت ضربات الخيانة، لن تلبث أن تسقط فيما يعانيه الشعب العراقي البائس حاليا من تمزقات وجرائم، فالكفاح النفسي مهم في الحرب التي تخوضها وكل ثوري عليه أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، لا سيما إذا كان يتحمل مسؤوليات كبيرة، فأعمالنا وتصرفاتنا وأقوالنا ينبغي أن تكون مدروسة وموجهة بالمبادىء المقدسة للثورة .

فكم من الجزائريين وجنود جيش التحرير الذين أنزل بهم شديد العقاب رغم مواقفهم الشجاعة أحيانا، لانهم حادوا عن مبادئ الأخلاق، أو ضعفوا في القتال أو أضاعوا سلاحهم أو ارتكبوا أخطاء في التقدير كانت سببا في موت بعض الإخوان لكن ما أكثر ما حاد الغاصبون بالخارج عن مبادىء الأخلاق والشرف والثورة .

إن الجيش الفرنسي رغم قوته الجبارة وأساليبه اللاإنسانية لم يلق من الأذى بجيش التحرير طيلة خمس سنوات، ما ألحقه به خونة الخارج في سنة من التسيير المدمرة، وعليه فإن هؤلاء الأشخاص يستحقون الموت والخزي الوطني .

ان عدالة الشعب ستعرف عاجلا أو آجلا كيف تقتص من هؤلاء المجرمين، وهناك بلاء آخر خطر ينبغي التنديد به يكمن وراء هؤلاء الخونة للأمة، لأنه يدعم ويغطي ويزكي الأعمال الشريرة الصادرة عن الغاصبين أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وهذا البلاء هو من صنع أفراد أو حكومات أجنبية تدعي أنها شقيقة لنا في العرق والدين، وتزعم أنها صديقة لقضيتنا ، لكنها مع ذلك شاركت بطريقة أو بأخرى في المؤامرة الكبرى على الثورة بسبب ترددها وعلاقتها الاقتصادية والدبلوماسية مع فرنسا، إن أعمالهم أو قلة أعمالهم الإيجابية تكذب أقوالهم، إن تضامنهم ليس في المستوى الذي تفرضه عليهم صفتهم كعرب وكمسلمين في حالة الجهاد .

لقد أصبح كفاحنا مجرد وسيلة للبروز أمام الرأي العام وتكوين شخصية ومكانة دولية لكسب تعاطف الشعوب.

إنهم يتباكون على بؤس ومعاناة الشعب الجزائري في الصحافة والاذاعات، لكن لحد الآن مازال الشعب الجزائري الشهيد يكافح وحده أعظم دولة استعمارية

ومسيحية في العالم، ليس في سبيل تحرره فقط، بل من اجل شرف الشعوب العربية والإفريقية ونهضة الإسلام، مقدما بذلك درسا لمجاهدي الصالونات. وأبطال المآدب وحفلات الاستقبال...

إننا لم نعد نقبل أن يظل المليون من شهدائنا مجرد شعار إ شهاري، والآن وقد فقعت الدملة من العبث أن نتوقف طويلا عند الادانات، فما وقع وقع، ويتعين علينا أن نفكر في الوسائل والأسلوب الذي ينبغي اتباعه لإيجاد مخرج من المسدود الذي أوقعتنا فيه السياسة المدمرة للحكومة المؤقتة .

ومن الأكيد أن العديد من مقاتلينا ومناضلينا يتساءلون مثلنا في الوقت الراهن عن تحقيق أهدافنا، ترى ما هي وسائلنا بالتحديد؟ هل يمكن أن نطلب بمثل هذه الوسائل مزيدا من الجهد من الشعب ومن جيش التحرير الوطني؟ وإلا فما هو الطريق الذي ينبغي اتباعه لضمان وترقية حقوقنا في تقرير المصير المعترف بها لشعبنا؟

إن قادة الجيش بالداخل كانوا دائما على أتم الاستعداد لمواجهة العدو حتى في الساعات الصعبة من كفاحنا، رغم قوة العدو الضخمة، والخيانة الداخلية والخارجية.

فسمعة الجزائر الشهيدة، ومصلحة الأمة العليا، هي القضية الوحيدة، والهدف الوحيد لجهود هؤلاء الصحفيين.

إن اطلاعنا على واقع الأمور وبصفتنا مسؤولين على المجاهدين، لم يعد يسمح لنا أبدا أن نضحي بعد الآن بجزائري واحد، وبناء عليه ينبغي أن نوقف المعركة العسكرية فورا وندخل المعركة السياسية خدمة للمصلحة العليا للشعب والجيش. وفي الوقت الراهن فإن موقعنا يسمح لنا بمعرفة ما يمكن إنجازه وما مدى تأثير التصريحات التضامنية الصادرة عن جماعة الخارج والبلدان الصديقة. ومن الواضح أن النظام الاستعماري القديم هو بصدد الزوال من على سطح المعمورة كلها. ومن المؤكد أن جيش التحرير الوطني ساهم بقدركبير في ذلك .

وهناك استعمار آخر لا يقل خطورة ونذالة عن الاستعمارالقائم، لأن يراهن على الشهداء، وعلى بؤس الشعوب وآلامه، وهذا الاستعمار يتمثل في ديكتاتورية البدع والطمرح المريض المموه بضرورات كاذبة كالوحدة العرقية والأيديولوجية أو الدينية والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى نظام سياسي أساسه عبادة الشخصية والعقم الاقتصادي والاجتماعي أي إلى حرية وهمية واستقلال مستلب. -

لقد عانينا كثيرا لهذا يجب أن نعمل على تهيئة الظروف المواتية لنجعل من وطننا قوة حقيقية، وبديهي أن قوة أي بلد يطمح إلى الاحترام وتبوؤ مكانة مرموقة بين

الأمم، لا تكمن في الخطب الجميلة ولا تتوقف على بضعة أسراب من طائرات الميغ وإيليوشين السوفياتية. إن القوة الحقيقية تكمن في المقدرة على مواجهة مختلف المشاكل التي تطرح نفسها على كل بلد مستقل.

القيادة، التنفيذ، مواجهة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، في كل هذه الميادين ستعرف بلادنا، نظرا لموقعنا الاستراتيجي وثرواتنا الطبيعية وقضية التعايش بين الطوائف، عددا من التحولات والتطورات المعقدة والعاجلة لذا يتعين علينا لمواجهة هذه المصاعب أن نكوّن عددا كبيرا من الكفاءات لاحتلال المناصب السياسية والتنفيذية في جميع فروع النشاط الوطني، وستكون مرحلة التكوين والتربية أشد مرحلة من معركتنا السياسية، ويجب أن نحرص في هذا الصدد على وضع برنامج تكوين للإطارات السامية والتقنية تستفيد منه الشبيبة الجزائرية بمختلف فئاتها الاجتماعية، وفي نفس المرحلة علينا أن نحرص كل الحرص على وضع الكفاءات في مواقع تحمل المسؤولية في مختلف أقسام إدارة البلاد، بدون تمييز سياسي بين هذا وذاك، إنها مهمة صعبة تستوجب طول النفس، وتعبئة جميع الوطنيين سواء كانوا داخل التراب الوطني أو خارجه :

ولا شك أن النجاح سيكون حليفنا إذا تمسكنا بوحدتنا وبالثقة المتبادلة بيننا.

إن سلوكنا اليوم مثل الأمس نابع من المصلحة الحقيقية للشعب الذي عانينا في سبيله معاناة كبيرة، هذا هو طريق العقل، طريق الحرية الحقيقية والسيادة العملية على الصعيدين الوطني والدولي .

22 مارس 1960 (*)

سي لخضر بوشمعة

الولاية الرابعة

(*) الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة، والنسخة الأصلية موجودة لدى الكاتب - الناشر.

الملحق . 02
تأثير ضباط المكتب الثاني من خلال
عمليات غسل الدماغ

هذا الملحق يحتوي على رسالتين بعث بهما السيد عمي عبد القادر، الأولى إلى قيادة الولاية الرابعة أي إلى السيد سي لخضر بورقعة والثانية إلى صديقه خالد .

في الرسالة الأولى يحاول الجندي عمي عبد القادر أن يبرر وجوده ضمن «الخدمة العسكرية» داخل الجيش الفرنسي بعد إلقاء القبض عليه خلال المعركة.

والرسالة الثانية تثبت (حسب اعتقادنا مدى نجاح المكتب الثاني في عملية غسل الدماغ، بحيث نلاحظ، من خلال الرسالة التي بعث بها عمي عبد القادر إلى صديقه سي خالد، كيف تراجع كاتب الرسالة عن مبادئه وندم عن مشاركته في الثورة . .

وللقارىء وحده أن يحكم من خلال الرسالتين - الناشر .

الرسالة الأولى :
إلى الإخوة في مجلس الولاية الرابعة 04
أو في مجلس الناحية 02 الولاية 04
الاخوة الأعزاء

بعد تتبعي لإضراب الجوع الذي جرى تنفيذه في 1956 من قبل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين «U.G.E.M.A».

التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني في بداية عام 1957 وقد اشتغلت تدريجيا : جنديا في الكتيبة "حمدنية" وكاتب قطاع ثم كاتب منطقة وكاتب ناحية وأخيرا كاتب الولاية الرابعة في الوقت الذي كان على رأس قيادتها الوجه القديم الذي ظل محفورا في ذاكرتي العقيد سي امحمد. وأثناء هجوم 59 الشهير كان العقيد سي امحمد قد سقط في ميدان الشرف تمكنت من أداء مهمتي الشاقة التي لم تسلم لي من قبل مسؤولية قائلها: وهي الحفاظ على مجموعة مركز حراسة الولاية 4، وإنقاذ العتاد "TRANS" وكذلك وثائق مركز القيادة 45 وأربعين مليون فرنك كان قد عهد بها إليّ الشهيد سي امحمد الذي كان وقتها قائد الولاية ، وأثناء الاشتباك مع القوات الاستعمارية لقي الملازم الأول الاخ عبد النور الناحية الأولى ، الولاية الرابعة الشهادة في غمرة بطولة نادرة وأسر جنديين فرنسيين بمركز قيادة الولاية الرابعة (انظر المراسلات

الموجهة إلى C.O.M الشرق سنة 1959) وكان أحدهما قد توفي والثاني جرح، كما صدرت الينا الأوامر بقتلهما لمجرد حدوث أي اشتباك مع العدو في ذلك الوقت كان عمري لا يتجاوز سبعة عشر سنة.

بعد تجاوز هذه الوضعيات الصعبة وأداء مهامي فيها كاملة تقدمت بسرعة بطلب للقائد سي محمد ليعفيني من مثل هذه المسؤوليات وينقلني لأداء مهمة بالقطاع الثاني المنطقة الثانية الناحية الثانية، لكن بعد سبعة أشهر من ذلك وفي 20 فبراير 1960 على التحديد وقعت أسيرا على بعد كيلومتر واحد شرق (المدية) حيث انفجرت عبوة ناسفة 75 على بعد مترين مني أثناء الاشتباك فأدت إلى إحداث جروح خطيرة بجمجمتي ووجهي حيث مازالت آثارها شاهدة إلى اليوم. ؟

أوافيكم بهذه التدقيقات الصغيرة والتي ربما تبدو لكم جزئية جدا لكنها ذات قيمة في إبراز الأسباب التالية:

1 - لقد راجت ادعاءات بأني لم أسجن ولكني لجأت إلى العدو وذلك ليس صحيحا ! وبإمكاني أن أثبته بالطريقة الآتية :

أ - أن مناضلة قديمة تدعى (الحضرية) عمرها ستون سنة تقريبا جرت الاشتباكات بقربها بإمكانها تقديم صورة للأحداث والظروف التي أسرت فيها إنها مازالت على قيد الحياة والحمد لله توجد حاليا بالبليدة.

ب - كنت جريحا في غرفة الانعاش، بعدها جرى نقلي إلى مستشفى المدية وعالجت عدة أيام كما رآني عدة مناضلين وبإمكانهم أن يشهدوا على الحقيقة .

ج - بعد خروجي من المستشفى نقلت إلى الزنزانة، عذبت وأهنت أكثر من شهرين وتمكنت من داخل زنزانتي الاتصال بعدد من الاخوة السجناء، مثلي من بينهم: سي علال مختص (تقني) سابق في-TRANS- الاتصالات السلكية بمركز قيادة الولاية الرابعة والذي نقل بعد ذلك إلى سجن وهران ومازال على قيد الحياة بفضل الله وبإمكانه أن يوافيكم بصورة عما كانت عليه حالتنا النفسية والجسمية .

بإمكاني أن أزعم أن نهايتي في الجهاد كانت مشرفة ومنضبطة وشجاعة أيضا . كان عمري 18 سنة فقط لما استشهد رفيقاي وغنمت بندقية مات 49 من على جثة قومي سقط على مقربة مني، لم أضعف لحظة واحدة لقد قاتلت طويلا وحيدا ضد قوة مدمرة إلى أن حطمت الدبابات البيت الذي كنت فيه وسقطت فاقدا الوعي تحت الأنقاض.. لقد نجوت بأعجوبة.. وقاتلت إلى آخر رمق وأنا اليوم معتز بذلك، إن هذه الذكرى الغريبة المثيرة لهي فرحي الوحيد المتبقي في هذا العالم ولا حق لأحد أن يعرفه...

لاحق لأحد أن ينزع مني هذا الخير. فبعد إيقافي طيلة شهر ونصف الشهر مدة التحقيق في المكتب الثاني لم يحدث أيّ شيء في القطاع الثاني ولا الناحية الثانية فكل ما أعرفه ما فتىء على حاله، إن إخوة آخرين جرى إيقافهم في نفس الناحية ونفس القطاع من بينهم بشير(R.L.R.2.Z2) القائد السابق للناحية الثانية المنطقة الثانية والنقيب السابق عبد

اللطيف وبما أنهم كانوا مسؤولين كانوا يعرفون بدقة برنامج قطاعي وكل المنطقة والناحية، فإن ثمانية وأربعين ساعة لاحقا كان هناك تدخل عدواني بشع ليس فقط بالقطاع الذي كنت فيه ولكن أيضا بكافة الناحية حتى أن المصالح التي لم أكن أعرفها جرى كشفها بما في ذلك مركز قيادة المنطقة الثانية ومركز الذخيرة بالناحية، ومركز الملابس ومركز قيادة القطاع الثالث وأن أسلحة أجهل شخصيا وجودها غنمها العدو(F.M لدجاجة سلمها بشير) انه من الواضح توجد في مفترقات قاعدتنا التحتية بعض الأسرار وبعض المنفرسات التي لا يعرفها القطاعي وعليه لا يمكن أن يبوح بها تحت أثر التعذيب...

لقد اتبع المكتب الثاني أثناء استغلاله تلك المعلومات إجراءات "ماكيافلية" بهدف زرع الشك والغموض في الأذهان بحيث كان يحملنا إلى الأماكن مغلولي الأيدي بادين للعيان لكي يرانا المواطنون في الوقت الذي يخفي فيه بدقة مخبريه الحقيقيين لأنه ما زال في حاجة إلى معلوماتهم أما أنا بوصفي معروفا من قبل كل المدنيين بما فيها منطقة العملية أبدو وكأني بحث بكل شيء بل ودليت المحتلين على ذلك المكان وغيره أما بقية نسج مثل هذه الدعاية فسهل تصورها .

إن ضميري مرتاح، وقلبي في أمان على العكس من البعض الذين أسروا وانهاروا (لضعف أمر إنساني) فكانوا سببا بما باحوا به من أسرار ومعلومات في استشهاد عدد من الإخوة أو تحطيم قاعدتها التحتية (الأساسية) .

أما فيما يخصني فقد احترمت حرفيا ما عاهدت عليه أمام العقيد سي محمد سنة 1959 عندما أقسمت :

"أقسم بالله وبكتابه الكريم... أن لا أفشي السر ولو في الممات "وبفضل الله تعالى لم أعط أية معلومة صحيحة للعدو لذا فأنا معتز بذلك ولي حججي الدامغة .

كيف تفسرون الذي جرى بعد أسري بالقطاع الثاني في الناحية الثانية بحيث أن عددا من الأشخاص الذين أعرفهم والمنتمين إلى المنظمة المدنية في القطاع 2 والناحية 2 لم أبح بأسمائهم ولم يوقفوا...؟ ذلك لأنني كنت الوحيد الذي يعرفهم وأعني بهم: نور فضيل خبير جهاز راديو لاسلكي بالمستشفى العسكري بالمدية وزوجته وابنته وكل عائلته التي تمثل أهم مصدر للأدوية والمعلومات بالنسبة للقطاع الثاني وكذلك محرور محمد عامل في مخيم الصنوبر مخبر القطاع الثاني، والممرضة الأوربية الشيوعية بمستشفىالبليدة وممرضتان أخريتان مسلمتان إحداهما تسمى (هدى) هؤلاء هم الذين يزودوننا بكميات معتبرة من الأدوية وبالأجهزة إلخ... إن الأشخاص الذين جئت على ذكرهم الآن مازالوا على قيد الحياة وفي نفس الأماكن وبإمكانهم أن يدلوا بشهاداتهم، لقد نجوت بأعجوبة من الموت والأغتيالات التي كانت تهدد كل سجين في أقبية المكتب الثاني، وضعوني في مركز إقامة طيلة أربعة أشهر و بعدها خيروني بين أداء الخدمة العسكرية وبين البقاء في السجن فاخترت الخدمة العسكرية ظنا مني بهذه الطريقة أن أكون نافعا لبلدي، أن رجلا ميتا أو سجينا لا ينفع في شيء. بعد أشهر

قليلة أحالوني على R.I 6ème فوضعت مخططي وحددت أهدافي: بأن أقتل بعض الضباط المسؤولين على جرائم الجيش الفرنسي وألوذ بالفرار، أو بكل بساطة أفر بأسلحتي وأهرب معي كمية وثائق هامة من المكتب الثاني بل لقد دخلت فعليا في عملية اتصال مع أحد الإخوة الذي صار من أشد الأعزاء علي ومازلت إلى اليوم أحتفظ برسالة منه يمكن أن أعدها وثيقة... وهو سي خالد L.R.2 الذي سقط في حقل الشرف بالبليدة.

لكن هنالك عامل لم أضعه في الحسبان.. وهو أني كنت معروفا بدقة من قبل المواطنين وأن ارتدائي زي العدو جعل لغو العامة وإشاعاتهم في تناقض وتعددت الأقاويل حول شخصي ووضعيتي.

إن استشراء هذه الإشاعات كان في وقت لا يملك فيه جيش التحرير معلومات دقيقة عن الحقيقة الكاملة، وهذا من شأنه أن عمل على تأكيد ما كان يشاع ويدعم المعلومات التي وصلت إلى جيش التحرير أثناء عمليات العدو في القطاع الثاني حيث أعلنت بصوت عال: «فإذا كان هذا ما تصوروا في القطاع الثاني فإنني من الآن سأتحول إلى الجهة الأخرى» وهي تقريبا الأطروحة التي يملكها جيش التحرير عني، ومن ذلك الوقت ظهرت فكرة الانضمام التي قلتها بأعلى صوتي، ومنذ شهر تقريبا وقع خليط من الكذب والنقمة علي ووضع مخطط لتصفيتي جسديا وأخشى ما أخشاه رغم كل الذي تحملت وأديت من أعمال جليلة أن أغتال دون أن تكون لي فرصة تبرير ساحتي والدفاع عن نفسي وشرح ما جرى بأنه قد وقع لبعض الذين سبقوني.

ان بعد الاستشهاد البطولي لسي محمد وخالد لم يفصل أي شخص بإمكاني أن أثق به حقيقة، باستثناء سي لخضر(*) قائد الولاية والذي أعرفه جيدا وأقدره كثيرا. إني حائر النفس منهوك مثبط العزيمة لا سلوى لي إلا البكاء في صمت على فراش بالليل. لقد بقيت على هذه الحالة البائسة 18 شهرا طيلة الخدمة العسكرية، ورأيت إخوانا أعرفهم جرى اعتقالهم، رأيتهم في نفس الظروف النفسية كالتي كنت عليها في زنزانتي، لم أستطع أن أقدم لهم معونة بل كنت شغوفا لأرى كيف كانوا يتصرفون...

هذا ما يؤرقني فعلا في وضعية كهذه، أن كثيرا منهم ضربوا وطرحوا أرضا.. ومن أجل إنقاذ حياتهم (وهو أمر إنساني لا ألومهم عليه) أدلوا للعدو بمعلومات كانت سببا مباشرا في قتل كثير من الجنود وتدمير منظمتنا وقد قلت بشأن هؤلاء ما كنت أفكر فيه فأفرغت ما كان بقلبي، لكن طيلة الوقت الذي كنت فيه عسكريا حافظت على كرامتي وحددت مبادئ والتزمت حدودي فبقيت منضبطا، إذ لا أحد بإمكانه أن يحي إلا بإذن الله، لم أكن سببا في موت أحد بعون الله. لم أنهب ولم أسرق ولم أغتصب بعون الله، لم أدس على حدود الله...

(*) يقصد سي لخضر بورقعة صاحب هذه المذكرات - الناشر.

نظرا لذلك ولوضعيتي تمكنت من أداء واجبي تجاه الشعب، هذا الشعب الجزائري الصغير الذي قاسى أكثرمن شعوب العالم كلها وتحمل تبعات أخطائنا كلها. له وحده الحق في الإشفاق علي، هذا الشعب وحده يستطيع أن يملي علي خدماته وأكون له خادما لأنه يستحق ذلك عن جدارة وهو الأولى به من أي كان في العالم. تجاه شعبي أعتقد أني وفيت واجبي.

أطلق سراحي في 30 نوفبر 1961 بالتدقيق وإثر ذلك باشرت العمل لإعالة والدتي التعيسة التي تعمل هي بدورها لإطعام صغارها لقد سرى في نفسي الأمل بعد الاعلان عن توقيف القتال ولم أتوقف عن محاولة الاتصال بمسؤول الولاية أو بمسؤول الناحية لكي أشرح له كل ماجرى لكن قد تجاهلني الجميع كما لو كانوا يحذرون جانبي أو لم يعرفوني جيدا وفي يوم 12 جوان 62 جاء ستة أشخاص مسلحين إلى بيتي حوالي الساعة 10.30 ليلا وبعد أن فتشوه بدقة انصرفوا، وبفضل الله تعالى كنت غائبا ليلتها. إن مثل هذا التصرف لم يكن مضمون الجانب وإني الآن كما لو كنت سابقا وانتهيت إلى قناعة بأن لا عدالة في هذا العالم، أفكر الآن في الذهاب إلى فرنسا بأمل الالتحاق بالمعهد العسكري بستراسبورغ إذ بإمكاني نظرا لمستواي التعليمي وعلاقاتي الشخصية خلال سنة إن شاء الله أن أصبح ضابطا عاملا، كما آمل في الالتحاق بعد ذلك بالجيش الجزائري لأني أعتقد أن الأشياء ستتراكم وستكون الحكومة الجزائرية في موقع صلب . لم يعد بإمكاني ملاقاة أحد، كما كان يتهيأ لي قبل اليوم، لقد حقرت وأصبحت أخشى أن أموت في لا مبالاة تامة رغم أني بريء وأترك أسرتي وحيدة في هذه الحياة لا أحد يعيلها ماديا أو معنويا. لقد فقدت الثقة بالجميع ولم أعد أصدق أحدا إلا الله .

لم تعد هناك عدالة ولم يعد هناك أمل إن هاجس الهجرة يعذبني وقد أبكاني ليال بأكملها.

أدعوكم بكل بساطة أخوتي أعضاء مجلس الولاية أن تراسلوني في أقرب وقت ممكن وتعربوا عن رأيكم في شخصي وفي شهادتي التي قدمت وأرجو أن تمنحوني تاشيرة مرور إلى تونس إذا أمكن لأني على أتم الاستعداد للتخلي عن موضوع التحاقي بالمدرسة العسكرية وأذهب إلى تونس... وهناك سأكون مستعدا لأي موقف ولو كان الحكم بالإعدام شريطة أن أكون هناك، لأنه يتهيأ لي أن الأمور بتونس تسير في اتجاه أكثر عادية وأرغب في أن يشار على خطتي بالالتحاق بالمعهد العسكري إن سلبا أو إيجابا وأفضل أن يشجعوني عليها.

ذلك كل ما لدي أن أقوله

وأدعوكم لأن تتقبلوا عواطفي الثورية وإخلاصي العميق

أخوكم عمي عبد القادر

الرسالة الثانية :
أخي - العزيز خالد

إني لفي وضعية تدعو إلى الحيرة، في وضعية لم يدر بخلدي أن أتصورها، انه لأمر خارج حدود التفسير، أحس بأني بعيد عن الندم الذي كان يجب أن يعتريني .

لكي أتحدث طويلا معك أعتقد أن ذلك مرده إلى الصداقة التي بيننا، فأنت الوحيد الذي كنت أتجاذب معه أطراف الحديث وتتبادل وجهات النظر بكل إخلاص، وإن وضعيتي الحالية تجري محاكمتها بشدة في أوساط المجاهدين وتنتقد ، ومهما كان الأمر فقد أحببت دائما أن أكون رجلا حرا، رقد قاتلت من أجل ذلك، ورغم سني فإن وضعيتي الحالية بعد موازنتها وبحثها قبلتها من نفسي، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يؤثر علي إنما أنت الذي كنت وما تزال صديقي بل صديقي الحقيقي. لك أن تحاكمني كالآخرين. إن جملة من العوامل والغرائز التي يصعب شرحها والتي سأعلق عليها لك أنت دون سواك نظرا لحجم الود الكبير بيننا أرجوك لا تمزق هذه الرسالة اقرأها موضوعيا أعد قراءتها مرة أخرى وحاول أن تفهمني وأنا على يقين أنك ستفلح .

أنت تعرف ما هي الأفكار والمثل العليا التي دفعتني إلى الالتحاق بالجهاد هذه المثل التي مكنتني من تحمل أعباء ثلاث سنوات جهاد لم تكن كلها سهلة، تحملت فيها تضحيات جسام .

مازالت هذه المثل معي إلى اليوم فقد تغيرت الحالة العامة ستبدو لك رسالتي هذه مجوجة لأن لي فيض من الأفكار والأشياء، أود شرحها لكن يصعب ذكرها بانتظام. إن حياتي الثورية تعرفها ولا داعي لتذكيرك بها لقد كنت مخلصا وشابا متعصبا قاتلت حتى الدقيقة الأخيرة بل بفكرة الموت، ثم لحظة غريبة حد الإثارة لا تصدق انتابتني لقد رأيت نفسي أضيع وحدي وأقاتل قوى مدمرة تلبستني فكرة الموت حتى كدت أنسى وبقيت على مبدإ واحد هو القتال القتال حتى النهاية .

من هنا بدأت الأمور عندي. لم أمت، إن آخر نظرة كانت لدي هي رؤية دبابة تطلق النار ولم أنتبه بعد إلا وأنا ممدد على فراش في المستشفى يغمرني ضباب كثيف في عالم شبه مفارق (جد غريب).

إذا تهوسنا بفكرة الموت من الصعب أن نلقى أنفسنا على قيد الحياة، إن شيئا تكسر داخل الذات وتلاشى فتتحول على أثرها إلى سلبيين وشبه سعداء لا نسترد ارادة الدفع إلى الأمام، لقد عشت أياما في شكل من السعادة الحيوانية غير واع، كما لو

كنت مخدرا إلا أني كنت على يقين من شيء واحد... شيء ما تدمر في نفسي لا أعرفه أظنه أمرا إنسانيا ولقد تحدثت مع جرحى آخرين عن هذه التجربة ووجدت لديهم نفس الانطباع، وذات صباح كان علي أن أغادر المستشفى، لكن إلى السجن، معافى نعم لكنني سجين، هي مجرد كلمة لكنها تعني أشياء عديدة، وتجربة جديدة لعلها الأقسى. لقد تحولت في الأيام الأولى من سجني إلى نوع من حيوان فضولي يأتيه الناس للفرجة والملامسة تقريبا ثم تتهاطل علي الأسئلة ثم الأسئلة ودائما أسئلة إلى حد لم أعرف معه الراحة إن وجوها من حولي منحنية علي وعيونا وآذانا صاغية تسجل دائما دون انقطاع، حقا لحظات مقرفة ربما بسبب العزلة الكبيرة التي نعيشها لقد لعبت فيها الورق الذي يبدو لي أكثر أولوية من غيره، وتحدثت. آه ليس بطبيعة الحال كثيرا، عن معلومات عامة يعرفها المكتب الثاني حق المعرفة أكثر مني تحملت 15 يوما، برئت خلالها جراحي وأقبلت على الحياة بشهية لكن تغيرا غامضا وقع في بداية هذه المدة ثم بدأ يتطور مع الأيام ومن وقتها تضاءل إحساسي بأني سجين، طبعا أن أفكاري ظلت دائما معلقة داخل نفسي لكن المأساة هي هذا المصير الذي أخفق ، بكل تأكيد فإني لا أقاسمهم أفكارهم، لكن الحياة عادت، إلى مجاريها الطبيعية وبدأت أشعر أني في وضعية تكاد تكون جيدة بل أن حياتي أصبحت على قدر من القيمة التي لم تكن لها من قبل، أصبحت سعيدا بالحياة والفضل في ذلك يعود لله الذي أنقذ مصيري من الهلاك بحيث لم أعد أرغب في العودة إلى الجهاد فرغم أن بإمكاني الهرب لم أفعل ربما الارهاق والتعب أخذا مني مأخذهما لا أدري، كل ما أذكره أني راغب في الحياة أراني أتحدث كثيرا عن الجزئيات لكني حريص لأن تفهمني لأن هذه الأمور من الصعب كتابتها، نعانيها (نحسها) وكلما حاولنا التعبير عنها تبدو لنا فقر الكلمات التي هي عاجزة عن حمل كل أفكاري من منطلق تلك اللحظة وجدت نفسي تقريبا حرا إلى أن تحققت هذه الحرية كاملة اليوم، إن الأحكام التي أتحمل تبعتها، إنما التي أطلقها على نفسي، وقد جاءت هذه الأحكام وحدها فرحة بهذه الحرية المنقوصة . حرية روحية، لقد تمكنت من رؤية أشياء كبيرة تأكدت منها بمحض الصدق لم تكن مزيفة ولا مموهة، لست ادري هل أحسنت التعبير عن فكري، بل أرجو أن تتيقن بأن هذا التطور الذي جاء بطيئا لم يكن بتوجيه من أحد بل إنه من صميمي ولكي تفهمني من الافضل أن أعطيك صورة عن وضعيتي الحالية، إن جوهر فكري لم يتغير، بل وجد صيغا أخرى للتعبير، قد يتبادر إلى ذهنك أني تعرضت لعملية (غسل المخ) أو أني مأخوذ بالدعاية الفرنسية (ليست هناك أخوة بيننا وبينهم) كما أني لا أسعى إلى إقناعك بل أترك لك الحكم بعد قراءة هذه الرسالة فأعتقد أنك جد ذكي لكي تكشف من خلال هذه الأفكار أنني لم أتنكر لشيء (لم أخن) ولم أقع في حبال غسل المخ واستمرار الدعاية

الكلاسيكية التي حسب رأيي يمكن مجابهتها بقوة وتفادي تأثيرها، بالنسبة لي فإن مرحلة الوهم جرى تجاوزها وأريد فقط أن أكون واقعيا في إطار الوضوح دون حسابات ومغالطات وأن أعي الأمر بمنطق سليم وحقيقي. إن الثلاث سنوات التي قضيتها في الجهاد بروح المثالي المخلص عشتها بكثافة وتركت في نفسي ذكريات مقابل تضحيات قدمتها بإرادة راضية دفاعا عن أفكاري.

أخشى أن تكون هذه الواقعية غير كافية ومحبطة أيضا.. . أخشى أن تجعل مني مرفوضا... وعنده ما العمل؟ هل لا نقبله؟ أنبتى منه أم نلفيه؟ وهل في هذه الأحوال لا أكون جبانا؟ ومنافقا نفسي وشعبي؟ ألا يكون هذا الموقف نهاية النذالة؟ هل يكون بعدها لي الحق أن أزعم بأني مجرد رجل موضوعي؟ وأن لي شخصية وأفكارا؟ أعتقد أن هنا يجب أن تتدخل عزتي وأكون في مستوى مسؤولياتي وأتخذ موقفا شجاعا لمجابهة هذا الواقع وأفهم أن تضحياتي أتت بثمارها وأنه من قبيل المحال متابعة الحرب وترك الشعب يشقى ويدفع دون جدوى ثمن الانغلاق السلبي والاشتراك في الجريمة مقابل قائمة الموتى التي تزداد طولا باستمرار. سوف لن أخجل من اتخاذ هذا الموقف بل على العكس. إنني أعتنق مثالا جديدا وأؤدي واجبا عندما أصيح بالحقيقة مناديا كل الشباب أن لا ينطلقوا خلف السراب فيتهورون ويندمون كما ندمت من قبل.

من الأفضل أن أحتفظ بخيبتي وتجربتي التي عشتها والنضج الذى توصلت إليه وأن لا أشرك في كل ذلك غيري كي لا أكون أنانيا أو مجرما.

من ناحية أخرى لا أتنكر لثلاث سنوات قضيتها مجاهدا بل أني فخور بها وأزعم أن نهايتي كمجاهد كانت جد مشرفة رغم رؤيتنا الخاطئة للجهاد لأننا لم نكن نرى إلا جانبا واحدا من الشيء. لقد تحدثت بحرية مع جموع الناس وقد حيرتني أفكار بعض الضباط الفرنسيين، فبعد حوارات طويلة تبين لي بما يشبه الصدق أننا في النهاية نتوصل إلى نتيجة واحدة مع فارق في الأساليب لكن تفضل في إطار الموضوعية أفكارهم تحسن الدفاع عن نفسها، لقد توصلت إلى التساؤل (التالي) هل بالإمكان كما في كل الحروب بشيء من الإخلاص التوصل إلى تفاهم ليس فيما يخص وقف إطلاق النار فقط بل وفي (التصالح) والاتفاق؟.

أنت تعرف أني موضوعي في أفكاري وأقسم لك اليوم أني صادق بعينين مفتوحتين وأمامي فرصة كبيرة لرؤية جانبي الشيء.

أظن أن خمس سنوات في صراعنا الحربي لم تذهب سدى، بل إنها على العكس من ذلك قد حددت النقاط والأحداث في مشكل كان يجب أن يطرح وهنا يكمن فيما أظن تطوري لأن خمس سنوات كافية والأمراليقين فيما أرى هو لابد من صبر كبير وتريث

للوصول إلى تليين بعض المواقف. إن الوضع الحالي لا يمكن معه ربح وقت ولا يجوز الذهاب فيه بسرعة، والعامل الأول في التطور كما نرغب فيه إنما عامل الوقت لأني على يقين إذا ما استمررنا على هذه الوتيرة، فإننا لن نربح بل ستكون الحقيقة يصعب تقديمها وكثير منا لن يفهمها. إن هذه الحرب لن تكون إلا مرحلة أولى أو مقدمة ويفضل القسط الأكبر للإنجاز وعندها ستحتاج إلى إرادة أكبر وتضحيات أعظم، في هذه الزاوية أنظر إلى أولئك الذين سقطوا «استشهدوا»، وإلى كل القيم التي ضاعت لأننا سنكون في حاجة ماسة إليها.

إن المستقبل غيرمؤكد ما عدا موضوع العمل الكبير المطروح للإنجاز، أكرر بأن حكمي يتعلق بهذه اللحظة. وعليه من الأفضل التوقف والانطلاق ابتداء من الصفر. ومهما كان الأمر والنهاية فيجب تحقيق هذا العمل في أقرب وقت ممكن.

هذا كل ما أردت أن أقوله ولك الحكم. لم أغير موقعي ولكن تطورت فقط في رؤيتي والشيء الذي يهمني هو حبي لرؤيتك ولا أقترح عليك حلا انهزاميا ولكن أؤكد عليك بأن لون الديكور ليس كما أقنعوك بسواده أنظر اليوم كيف أنا حر، بإنسانيتي... ذلك شيء كبير.

أخي العزيز خالد احتفظنك أصنع ألف أمنية لكي ألقاك ثانية يوما من الأيام وأشرح لك بصوت مسموع لأني أخشى رغم كل صدق إرادتي أن لا أكون وفقت فيما أقول أو بالأحرى فيما أردت أن أحسسك به، أرجو أن ترد على رسالتي.

عمي عبد القادر SP-87-193-AFN

P.S je ne suis pas militaire

الملحق، 03

مصاليون ينضمون إلى الجبهة ويعترفون بـ...

هذه الوثيقة احتفظ بها سي لخضر بورقعة ضمن مئات الوثائق التي هي بحوزته منذ سنوات الثورة، وهي وثيقة نشرت في نشريات الحكومة المؤقتة الصادرة في تونس آنذاك.

الوثيقة هي اعتراف لجماعة من المسؤولين المصاليين الذين غادروا الحركة الوطنية الجزائرية المصالية

«M.N.A» ويعترفون بتعاون حركتهم مع الاستعمار الفرنسي. ويعد هذه الوثيقة تأتي وثيقة ثانية عثر عليها المجاهدون في مكاتب المكتب الثاني وهي تحمل أسماء للعديد من العملاء المصاليين حسب ما قاله لنا سي لخضر بورقعة .

الحكومة المؤقتة

للجمهورية الجزائرية

وزارة الأخبار

تونس

- جمع من المسؤولين المصاليين -

ينضمون إلى جبهة التحرير الوطني -

"جانفي 1959"

إننا جماعة من مسؤولي «الحركة الوطنية الجزائرية» التابعة لمصالي الحاج قررنا الانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني بعد التفكير الطويل مراعاة لمصلحة وطننا المكافح من أجل استقلاله .

لقد اتخذنا هذا القرار ونحن شاعرون بمداه، لكن علينا أن نشرح هذا العمل:

أولا: إلى المناضلين الذين كنا مسؤولين عنهم حتى يفهموا المأساة التي كانت تعانيها ضمائرنا، ويرجعوا إلى طريق الثورة الجزائرية الحقة .

ثانيا: إلى الإطارات التي مازالت تعمل داخل "الحركة الوطنية الجزائرية" حتى يعينهم قرارنا على التغلب على التردد الحالي .

وأخيرا: إلى الذين يحكمون علينا من الخارج، والذين أدانونا على عمل لم نتبين أنه ضد مصلحة الشعب الجزائري إلا في الأحداث الأخيرة.

فطالما اعتقدنا أن حركتنا يجب أن تعمل على استقلال الجزائر بالتوازي مع جبهة التحرير الوطني. نعم لقد عرفنا مبكرا تفوق جبهة التحرير الوطني في ميدان الكفاح

المناهض للاستعمار، لكن بدا لنا ان «الحركة الوطنية الجزائرية» تستطيع بدورها ان تساهم في الكفاح .

وكان يبدو لنا أن جبة التحرير الوطني و (الحركة الوطنية الجزائرية) حركتان سياسيتان، تغذيهما مشاعر وطنية، وتقودان معركة واحدة ضد الاستعمار المشترك. وقد كنا نعتقد أن الخلاف الموجود بينهما ،إنما هو خلاف على الزعامة فقط، ولا يتناول أهداف الكفاح ذاتها .

وأول مرة ظهر فيها التشكك داخل المكتب السياسي «للحركة الوطنية الجزائرية» كان بمناسبة قضية "بلونيس" ، عندما علم بعض أعضاء المكتب أن الجنرال «سلان» هو الذي يتولى تسليح رجال "بلونيس"، ومدهم بالمال من ميزانية الحرب الفرنسية ونقلهم في سيارات العدو، وانهم كانوا يحاربون "تحت العلم المثلث" .

آنذاك طلب هؤلاء الأعضاء الإيضاحات اللازمة، فأجيبوا بواسطة "بلهادي" الناطق باسم «مصالي» أن هناك مباحثات جارية مع الحكومة الفرنسية ورفض مصالي أن يحكم على "بلونيس" بحجة أنه يجهل محتوى اتفاقيات "لاكوست - بلونيس".

فاقترح بعض أعضاء المكتب إيفاد مبعوث إلى "بلونيس"، يتولى عند رجوعه كتابة تقريرمدقق عن الوضعية . ولتحقيق هذا الغرض اتصل "بلهادي " أشهر طويلة مع "غي موللي " بواسطة المسمى "لينيك" الذي تبين فيما بعد أنه من قسم الجوسسة.

وأخيرا فهم المكتب السياسي أن الحكومة الفرنسية لا تريد أن يقع الاتصال مع "بلونيس". وفيما بين ذلك ظهرت خيانة هذا الأخير إلى العموم، إلا أن "مصالي " رفض مرة أخرى أن يحكم على "بلونيس" الذي اشتهر بأنه الساعد الأيمن لمصالي في الجزائر.

آنذاك تبلور مرقفنا داخل المكتب السياسي.

ومنذ 20 أوت عندما شنت جبهة التحرير الوطني هجوماتها الواسعة ضد المراكز البترولية في فرنسا، اعترف بعض إطاراتنا بأن الجبهة تقود حقا كفاحا ثوريا ناجعا. وطلبت تلك الإطارات أن تقوم بالعمل المباشر في الجهات التي توجد فيها «الحركة الوطنية الجزائرية»، وسائلها المسلحة ضعيفة.

لكن الإدارة (أي مصالي وعيسى بن عبد اللي والأمين بلهادي وابن الصيد، إلى حد ما) رفضت معتذرة دائما بحجة الاتصالات الجارية.

وفعلا فإن الاتصالات لم تنقطع مع حكومات: موللي، وبورجيس مونوري، وغايار، وديغول. وكانت الصحفية "كلود جيرار"، هي التي تتولى الاتصالات مع الديغوليين، و "دي شيزال " يتولى الاتصال مع الحزب الاشتراكي .

وقد بلغ من تدخل هؤلاء في شؤون "الحركة الوطنية الجزائرية" إلى درجة أن(موريس كلافيل) سمح لنفسه بأن يكتب للجنرال دي غول رسالة باسم مصالي، مما أجبر هذا الأخير أن يذكر دي غول أن الناطق باسمه هو (بلهادي) الذي نص على وجوده في باريس.

ثم جاء تشكيل "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" فوضع المكتب السياسي في مأزق حرج وأثار أكثر الأفكار تشككا. وطلبنا أن تتخذ الحركة الوطنية الجزائرية" موقفا من هذه الحكومة فتؤيدها أو تعارضها لكن (الادارة) رفضت أن تتخذ موقفا علنيا واضحا قائلة، أن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في الواقع هو شيء طيب لا يمكن إلا أن يعين على استقلال الجزائر ، لأنه يترتب عليه تضامن البلدان التي ستعترف بنا تضامنا أكثر فعالية، ولهذا فلو عارضت حركتنا الحكومة الجزائرية معارضة علنية، فإنها توشك أن تقضي على سمعتها (أي سمعة الحركة المصالية) في الجزائر، وفي البلدان الافريقية – الأسيوية .

فطلبنا من الإدارة أن تذكر لنا، ما هي الأسباب والعوامل التي تقتضي وجودنا بعد20 سبتمبر 1958 بوصفنا حركة منفصلة ومعارضة في الواقع للحركة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ومنذ ذلك الحين اتضحت المعارضة أكبر من ذي قبل. وطلب المعارضون من المكتب أن يحكم على خطاب قسنطينة، لكن مناورات الإمارة حالت دون صدور حكم صريح على خطاب قسنطينة، واختار مصالي أن يختفي وراء تصريح بارد غامض .

وإذا نظرنا إلى الحركة من الناحية التنظيمية نجد أنها جامدة . فكثير من المسؤولين تحطمت معنوياتهم وصاروا يكتفون بجمع الأموال، وتسليمها إلى "مولاي مرباح " .

وكثير من الإطارات مثل: مروك، وبوحافة، ووقواق، أبعدوا لأسباب شخصية وأمور تافهة.

وأصبح التصرف في المال لا يخضع لأية رقابة وطلب بعضنا – بعد أن قضى 18 شهرا في السجن مناقشة التقرير المالي. لكن لم يستطع أي أحد من الذين كانوا مسؤولين عن المالية أن يقدم هذا التقرير المطلوب .

وأمام هذا الإفلاس الكامل لنشاط (الحركة الوطنية المصالية"، وأمام معارضة بعض المسؤولين معارضة جدية، قرر مصالي حل المكتب السياسي وتفويض كامل السلطات إلى (ابن الصيد).

هذه وضعية "الحركة الوطنية المصالية" من الناحية التنظيمية .

ثم اتصلنا بتفاصيل أخرى أقنعتنا أن الاتصالات مع الحكومات الفرنسية المتوالية، لم يكن لها إلا هدف واحد وهو التأثير على "الحركة الوطنية المصالية" واستخدامها ضد

جبهة التحرير الوطني. وفي مقابل ذلك تغض الحكومة الفرنسية النظر عن نشاط "الحركة الوطنية الجزائرية" التي يتنقل مسؤولوها بكل حرية في فرنسا بأوراق تعريف فرنسية.

بل أن بلهادي منذ ثلاثة أشهر تحصل على جواز سفر فرنسي بدعوى السفر إلى الولايات المتحدة، وهو الآن يستعمل هذا الجواز ليتنقل في أوروبا للاتصال مع بعض الشخصيات .

إن تجربتنا المرة الفاجعة تحتم علينا أن نفضح خدام "مصالي "، واتصال الحركة الوطنية المصالية، مع الحكومة الفرنسية، فذلك واجب كل وطني جزائري.

وإننا إذ نعمل ذاك فإنما لاقتناعنا أننا لن نخون الذين كانوا إخواننا بل إننا نساهم في تعزيز الثورة الجزائرية التي ستطرد النظام الاستعماري من وطننا إلى الأبد.

ونظرا لاقتناعنا اليوم بأن نشاطنا كان مناهضا للثورة، وإن مواصلة عملنا داخل "الحركة الوطنية المصالية" ، يكون معناه من الآن الخيانة المقصودة للشعب الجزائري، فقد اخترنا بمحض إرادتنا أن نخضع لأوامر جبهة التحرير الوطني التي تمكنت وحدها من قيادة الكفاح التحريري بلا هوادة ولا ضعف أو تخاذل .

إننا ندعو إخواننا لكي ينضموا إلى صفوف جبهة التحرير الوطني حتى يساهموا - في ظل الشرف والكرامة - في الكفاح الذي يقوده جيش التحرير الوطني فوق تراب الجزائر.

إنه ما يزال في إمكان جميع الجزائريين المخلصين أن يعينوا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في العمل على انتصار المثل الأعلى الذي هو هدف وجودها وهو الاستقلال الوطني.

عن جماعة مسؤولي: «الحركة الوطنية الجزائرية»
نصبة احمد بن عاشور المدعو (القلاوي الاكحل)
من مواليد «لمار» وادي سوف، عضو المكتب السياسي
للحركة الوطنية الجزائرية ومسؤول منظمة الحركة الوطنية في فرنسا

ملحق رقم (1)

المحاكم العسكرية والعقوبات

جبهة التحرير الوطني
جيش التحريرالوطني .
الولاية 4 المنطقة 4
المقررة العامة رقم 18

تلبية لمطالب عدة محاكم عسكرية جعل مجلس الولاية المقررة رقم 18 أساسا لتحديد الغلطات والعقوبات اللازمة. فالمطلوب من مجالس المناطق نشرها على جميع المجالس والوحدات والمراكز العسكرية، وجميع الفروع (الهلال الأحمر، المحونون، المسبلون ،إلخ...) المطلوب من الجميع التنفيذ القاطع للمقررة رقم 18 نظرا للمقررة العامة رقم 2 التي تطلب اجتماع محاكم عسكرية لبحث الغلطات.

نداء إلى الإطارات

أيها الضباط وضباط الصف أعطيت لكم مراتب لتحصيل الانتصارات بدون خسائر. الإطار يلزمه أن يفهم بانه جعل للتسيير. الواجب عليه أن يكون مطاعا، والأحسن أن يحصل على الطاعة الاختيارية ولكن لا يقبل عدم الطاعة. الأوامرالصادرة دائما تكون موزونة حسب الحالة المدروسة وكل تأخير في التنفيذ هو تأخير لنظامنا الحربي ويكون ضررا لقواتنا المكافحة، ولكن من الأحسن احترام الامرعند تعيين صاحب التنفيذ، والمسؤولية المشتركة غيرصالحة وخطتنا ما يلي :

لكل عمل أو مشكلة أوصعوبة يلزم تعيين مسؤول واحد ووسائل موافقة، عدم الطاعة جريمة ضد النظام والوطن تجب محاربتها قطعا، فعلى المسؤول أن يفهم كل ما ينقص من سلطته فهو ضرر لفائدة الجيش ويلزمه سيرة مثالية محمودة. الطاعة الثورية لاتنافي الاخوة بل تقويها غيرأن المزاح "الدسارة" يحطها. "كثرة المزاح تذهب الهيبة". «المزاح في الكلام كالملح في الطعام» .فعلى المسؤولين أن يفرقوا بين الاخوة والمزاح.

نداء إلى الجنود

الجندي الوطني يلزمه أن يفهم ضرورة الطاعة للمسؤولين والأمر مقدس وكل شيء يضر باتحاد الفرج فهو خطر للجماعة، والثورة كونت بيننا روابط مقدسة "والشهداء تركوا لنا إرثا من الواجبات" ولذا يجب علينا أن نتحد ونتحاب ونطيع مسؤولينا.

الطاعة

بعض الجنود يجهلون الطاعة الثورية المطبقة في جيش التحرير. يلزم أن نفهم بأن الحياة الاجتماعية لها قوانين وخصوصا في الجيش الذي يتطلب الاتحاد والسرعة في العمل والطاعة للمسؤولين مع الإيمان بقضيتنا التي هي سبب الانتصار. والرتبة لا تكون عرقلة في وحداتنا، والصبغة الثورية لا تنافي التسيير ولا الطاعة بل تكون الطاعة التامة بيننا. والفوضى جريمة لا يقبلها مجلس الولاية ويحاربها بدون تفريط، وعلى المسؤول أن ينصت إلى مقترحات نوابه، وعلى الجندي أن يعطي اقتراحاته لفائدة الكفاح التحريري، ثم تجب المناقشة على الحاضرين ليحصلوا على النتائج الحسنة. وطاعتنا تكون اختيارية لا جبرية، وهذه الطاعة تنطبق على أناس لهم فكرة نظامية وتضحية «أقوى من جميع الجيوش في العالم». والمناضل المكافح يجب عليه أن يضحي بفكرته لطاعة مسؤوله ، وزيادة على هذا يضحي بنفسه لكي يصل إلى النصر.

المحاكم العسكرية والعقوبات

العقوبات تصدر من المحاكم العسكرية والمحكمة الشرعية كما يلي:

رئيس ومستشارين وكاتب ومحام. يطلب من كل عضو في المحكمة أن يقوم بدوره كما ينبغي وعلى المحامي أن يدافع عن صاحب الغلطة بكل تفنن.

1 - الغلطات

الغلطات ثلاثة أنواع :

1 - الصغيرة :

1 - سب الدين .

2 - الاستماع لصوت البلاد

3 - الإنصات للأسطوانات المنافية للأخلاق

4 - قراءة الجرائد التي تمس معنوية الثورة

5 - التلاهي مثل لعب الكرطة والدمين

6 - الاكاذيب نوعان : - 1 - تغيير الحقيقة، وو.. 2 - كتمانها

7 - العبث بالسلاح وتنظيفه وسط الجماعة

8 - الرشوة بالمال

9 - التفضيل الشخصي

2 - الخطيرة :

1 - عدم تنفيذ المقررات . الطاعة العامة تطلب قبل كل شيء تنفيذ المقررات، يجب على الإطارات ان يضربوا المثل في التفتيش على تطبيقها بذكاء مناسب للأوامرالصادرة. ويلزم درس المقررة ولا يكتف ببعثها كتابة ويلزم تفهيمها للمأمورين في اجتماع .

2 - النعاس في الحراسة .

3 - الشكوى المشتركة تبث داء التفرقة والتحزب ولذا كل طلب أوشكوى تقدم شخصيا.

4 - النسيان أوضياع الوثائق أو السلاح أو الذخائر أو الألبسة في المراكز أو الراحة.

5 - بث السر العسكري في المراكز المدنية أو العسكرية أو أمام من تهمه معرفته.

6 - الخصام بين المسؤولين أمام المأمورين أو المدنيين أو الشعب، يلزم المسؤول المحافظة على سلطته وبها يكون محترما وسلطة الجيش قوية والعكس بالعكس. يلزم كل مشكلة تخص من يهمهم الأمر وتسوى سريا .

7 - التفضيل: كل إنسان يعتبر بأن له قسم أو ناحية أو منطقة أو ولاية قد ارتكب جريمة تقسيم الجهات في الجزائر يكون لأجل الاستراتيجية الحربية يلزم فكرة الوحدة الجزائرية دائما تتقوى ويجب محاربة التفضيل النظامي وأن جيش التحرير الوطني موحد.

8 - الأخلاق الرديئة .

9 - التبذير .

10 - المكاتبة مع العائلة أو المدنيين بدون أمر من النظام .

11 - الدعاية المفشلة غيرمقبولة .

12- عدم كشف من ارتكب جريمة. واجبنا الثوري يدعونا لمحاربة الغلطات والمجاهد الذي يكشف الغلطات يقدم للنظام ويصحح الغلطات ويرجع أخاه إلى الطريق المستقيم.

13 - حادث السلاح بالعبث أو نظافته وسط الجماعة.

14 - التغيير في الأوامر، على المجاهدين أن يطيعوا الأوامر والمكلفين بها.

15 - حكم الإعدام بدون محكمة شرعية مهما كانت درجات الغلطات. الواجب يحتم علينا أن نكون محاكم في كل مرة وفي كل حادثة .

16 - التقارير المزورة لما يخفي الإنسان الحقيقة عن الحالة الحاضرة يكون قد ارتكب جريمة ضد النظام .

17 - الشهادة المزورة مهما كان الغرض فإنها مضادة لثورتنا وديننا.

18 - الفتنة في وحدة أومسؤول أمام وحدة أو مسؤول. إن هذه السيرة تحطم الطاعة وتقلب الأفكار وهي مضادة لسيرة المجاهد.

مشاكل العامة لوحدة أومجلس أوفرع تسوى وتبقى داخلية، والواجب إظهار الحقيقة أثناء الإجتماع. الانتقاد المفيد والإنتقاد الذاتي هو من خصال ثورتنا.

3 - الخطيرة جدا .

1 - الفرار: كل مجاهد يترك وحدته بدون إذن فهو فار. لا يجوز للمجاهد أن يذهب من وحدته بدون أمر مهما كان نوع السبب وهذا أيضا في شأن المسبلين وجميع جنود المراكز العسكرية والفدائيين. فعلى الجندي أن يقدم طلبه باحترام الدرجة في المسؤولية، ويجب أخذ الاحتياطات اللازمة عند فرار الجندي في أقرب وقت، ويجب نشر الخبر بسرعة .

2 - الخيانة ليست محصورة في الانضمام إلى العدو بل منها إفشاء أسرار الجيش ولو بالتعذيب وحينئذ يذهب للجندي الصبغة وشرف المجاهد.

3 - ترك المجروح أو السلاح أو الراية في ميدان المعركة .

4 - أعمال التمييز يعني تكوين أحزاب في صفوف جيش التحرير. الجزائريون الموجودون في جيش التحرير لهم وطنية تدل على حضورهم في الجيش لا فرق بين جميع المسؤولين في نظام واحد وتحت مراقبة المجلس الوطني للثورة الجزائرية. كل فرق مؤسس على اللغة أو الطبقة الاجتماعية أو على التفضيل فهو خطر على نظامنا. التربية ضرورة في هذا الشأن والثورة موحدة لا تقبل التجزئة .

5 - عدم الطاعة غيرمقبولة في الجيش وخصوصا في وقت المعركة . رالطاعة التامة ضرورية في نجاح أعمالنا. التنفيذ قبل كل شيء والطلب من بعد.

6 - الأنضمام إلى العدو مهما كانت الأسباب والمجاهد يحترم قدر الشعب والجيش ويدافع حتى الاستشهاد .

7 - السرقة تؤدي بصاحبها إلى الخيانة.

8 - استعمال اسم الجيش للأغراض الشخصية .

العقوبات

العقوبات مختلفة والمحاكم العسكرية حرة في اختيار العقوبات حسب الغلطات.

1 - عقوبات الغلطات الصغيرة : الزيادة في الحراسة، الزيادة في العمل، حلق الرأس، التوبيخ الخفيف، الدفن في الأرض، التوبيخ العنيف مع التسجيل في الدفتر العسكري .

2 - عقوبات الغلطات الخطيرة: الخفض من المسؤولية، التجريد من الرتبة مؤقتا أومؤبدا .

3 - عقوبات الغلطات الخطيرة جدا: الإعدام بالرصاص بدون تجريد المجاهد من الثياب .

تنبيهات

1 - الطاعة وقت المعركة: المجاهد تجب عليه طاعة المسؤول ويقوم بالتحركات التي تطلب منه مثلا: إطلاق النار، الهجوم، الانتقال من الموضع في وقت الاشتباك، الانسحاب، التفرق إن دعا إليه المسؤول بعدما يكون محل الملاقاة معينا. ويجب على جميع الجنود الوصول إلى المكان المعين في أقرب وقت والاهتمام بالاجتماع في مكان الملاقاة ويأخذ الاحتياطات اللازمة ويجب على المسؤول تبديل الموضع إن وقع جندي أسيرا في يد العدو.

2 - في مدة التفرقة يلزم طاعة المسؤول في الدرجة العالية وطاعة القديم عند تساوي الرتب .

3 - يجب على الجنود الحضور في الاجتماعات السياسية والمطالعة في الجرائد والمناشير العمليات الداخلية والمشاركة في المحادثات تقوي التربية، والتدريب العسكري يكون متتابعا باهتمام، والتربية السياسية للمجاهدين ضعيفة ولهذا يلزمنا الاطلاع على كل ما يصدر من الجبهة في الميدان السياسي ويلزم حفظ القوانين العشرة الأساسية لجيش التحرير والقانون الداخلي والدروس العسكرية والمقررات.

4 - الدوران والانتقال في المراكز ينبه العدو، ويمنع المدنيون من كثرة التحرك في المراكز .

5 - السير ليلا يكون بالصمت وله قوانين يجب احترامها، والتكلم بالفرنسية تقع منه حوادث خطيرة .

6 - السيرة مع الشعب تكون محمودة ويجب على الجندي أن يستأذن مسؤوله في طلب ما يحتاج من الشعب .

7 - مراقبة الرسائل الخاصة دائما موجودة وتكون على يد المسؤول المباشر والمكاتبة هاته مرتين في الشهر.

8 - محاربة الأمية والجهل يكون دائما موجودة في جيش التحرير فعلى المجاهدين أن يوسعوا معرفتهم في لغتهم الغربية.

9 - كل من نزع السلاح لأخيه المجروح قد ارتكب جريمة والواجب أن يترك له سلاحه والمجروح خطيرا يعطي له مسدسا وكل من يذهب إلى المستشفى له سلاحه.

10 - كل مجاهد ينتقل بإذن الولاية أو المنطقة أو الناحية يترك له سلاحه.

11 - يجب احترام الدرجات في الرتبة.

12 - يمنع ترك الجندي أكثر من ثمانية أيام بدون تعيين عمل .

13 - الصحبة والألعاب لا تغير الاحترام .

14 - يلزم التاكيد على نظافة الجسد والثياب وحمل آلة الحلاقة وما ينظف الفم لجميع المجاهدين .

15 - يلزم مراقبة الأكل من المسؤول المعين .

ملحقات

1 - تكرار الغلطة الصغيرة يصيرها كبيرة وتدل على صاحبها أنه مسيء السيرة والخطيرة، تصير خطيرة جدا .

2 - صاحب الغلطة عند انتقاله يجب علينا أن نعينه ليرجع إلى السيرة الحسنة.

عن مجلس الولاية 4

في 18 أكتوبر 58

ملحق رقم 05

ظروف وكيفية استشهاد العقيد (سي امحمد بوقرة)

اختلفت الآراء، وتعددت الإشاعات، وكثرت الأقاويل حول ظروف استشهاد بطل الولاية الرابعة وبطل الجزائر الشهيد (بوقرة) إلى درجة جعلت الكثير من الناس يصدقون كل الإشاعات ويعتبرونها حقيقة لا غبار عليها، والحقيقة التي لا مجال للشك فيها أنّ البطل أغتيل بنفس الطريقة التي أغتيل بها الشهيدان (عميروش والحواس) ولتوضيح ما ذكرته بالأدلة والبراهين أذكر بعض الحقائق التي دونتها آنذاك:

أولا: قبل استشهاد العقيد (بوقرة) بيومين أجرى اتصالا لا سلكيًا مع مقر القيادة العامة في الخارج وأطلعهم -فيما أطلعهم- على سير العمليات في الولاية الرابعة وشرح لهم واقعة معركة "الرقيطة" وأنهى المكالمة على أمل الاتصال بهم مرة أخرى إذا ما دعته الضرورة.

ثانيا: في اليوم التالي للمحادثة الأولى فوجئ العقيد بوقرة بمكالمة لا سلكية عاجلة موجهة إليه من طرف القيادة العامة في الخارج، مما زاد في غرابة الأمر أنّ العادة جرت على أن يكون الاتصال من الداخل إلى الخارج وليس العكس، والأمر المثير للشك والجدل أن الاتصال تمّ عن طريق أرقام وشيفرة كان قد تمّ إلغاؤها نهائيًا بعد أن تمكن العدو من معرفتها، ثمّ أنّ المكالمة المستعجلة لم تطلب منه شيئا ذا قيمة. كل ما في الأمر أنها طلبت أن ينصب كمينا لقافلة عسكرية فرنسية قيل لهم أنها في طريقها من البليدة إلى قصر البخاري وتحمل معها ذخيرة وعتاداً، وحسب زعمهم أنّ معلومات وافية قد وصلت إليهم تنبئهم بتحرك القافلة من مكانها، وأنهوا مكالمتهم معه مؤكدين له باسمه الشخصي أنّ القافلة ستتحرك في تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم الموالي.

من خلال ما تمّ عرضه من وقائع ندرك أنّ جهاز التقاط الصوت عند الأعداء قد تمكن بسهولة من معرفة المتحدثين ومطالبهم وبالتالي تمكن على ضوء تحليل المعلومات والذبذبات الصادرة من جهاز الاستقبال من تحديد مقر القيادة العامة تحديداً كاملاً.

وتمت المكالمة خلال يومي 23، 24 أفريل 1959، وكان القائد يتحاشى دومًا الاتصال بمقر القيادة العامة في الخارج إلا في الحالات الاستثنائية، وإذا ما اتصل بهم فإنّ الاتصال يتم بطريقة سريعة وغير منتظمة ولا يذكر شيئا في حديثه يمكن أن يستفيد منه العدو.

ومما زاد في خطورة الأمر هو استشهاد العقيدين (عميروش والحواس) الأمر الذي جعل القائد (بوقرة) يكثر من الحذر ويكثر من الحيطة إذا لم أقل أنه كان قلقا كثير الشك خاصة عندما يستعمل جهاز الاتصال مع الخارج وهو يشبه الجهاز الذي كان مع العقيد لطفي يوم استشهاده.

والشيء الذي أثار القائد يومها وجعله يفكر مليًا في المغزى والهدف من الاتصال به أنّ ذلك الاتصال المشؤوم وقع بعد يوم من اتصاله بهم ثمّ إنّ المعلومات التي أبلغه بها المسؤولون في القيادة العامة بالخارج معلومات عادية جداً لا تستحق عناء الاتصال باللاسلكي خاصة وأنّ اتصال الخارج بالداخل غير معمول به إلا في أضيق الحدود، في حين أن اتصال الداخل مع الخارج هو المعمول به دومًا، وذلك لسبب بسيط وهو أن القيادة في الجبال قيادة متنقلة غير ثابتة في مكان مستقر، ثمّ أنّ الظروف تفرض على المجاهدين التنقل باستمرار... عكس الجيوش الكلاسيكية في العالم، وعكس ما هو معمول به في الحدود الشرقية حيث تملك القيادة العامة مكاتب ومراكز ثابتة تمكنها من التصنت والاستماع لكل المكالمات التي تصل إليهم من جميع أنحاء الوطن، ثم أنّ المعلومات التي وردت إليه في تلك الليلة معلومات تافهة لا تتطلب العناء أو البحث عن القائد للتحادث معه، ثم من يثبت فعلاً وأنّ قافلة عسكرية ستتحرك في تمام السّاعة العاشرة صباحًا من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) ثمّ أنه لو افترضنا أنّ الخبر المنقول إليه خبر صحيح فإنه من الناحية العسكرية لا يمكن لقيادة تشن حرب عصابات أن تأمر أفواجها بشن هجوم أو نصب كمين للعدو بسرعة متناهية، لأن الجنود غير متواجدين أمام مقر القيادة العامة حيث يوجد جهاز للإرسال، وتعبئتهم ليست بالأمر السهل (وهم يعرفون ذلك تمام المعرفة) وهذا ما جعل القائد سي امحمد بوقرة يعبر ليلتها عن قلقه وغضبه على القيادة العامة، لأنه أدرك -من خلال المكالمة- أنّ القوات الفرنسية قد تمكنت من تحديد مكان القيادة خاصة وأن الاستعمار كان لا يشغله شيء في ذلك الحين قدر انشغاله بالقضاء على قائد الولاية الرابعة، وكان الاستعمار قد ألقى بمناشير غداة اغتيال العقيدين (عميروش والحواس) كتب عليها

إننا نعزيك في موت رفيقيك عميروش والحواس واعلم أنك ستكون القتيل الجديد بعدهما وأننا نأسف عن هذا التأخير المتعمد في حقك !

كانت هذه هي الوضعية التي كان عليها الشهيد يوم تلقيه المكالمة المستعجلة من القيادة العامة بالخارج، وكان الشهيد مقيما في تلك المنطقة التي استشهد فيها منذ يوم 15 مارس 1959، حيث آثر البقاء في تلك المنطقة بعد أن شارك في معركة طاحنة جرت أحداثها قرب جبل اللوح (بأولاد خليفة) وكان القائد قد شارك فيها مشاركة فعالة أذهلت الجميع حيث كان السبّاق إلى إطلاق الرصاص وإلى الزحف إلى الأمام لتطويق العدو، وقد استشهد في تلك المعركة 14 شهيدا جميعهم يتسابقون نحو الاستشهاد الواحد بعد الآخر من أجل حماية محفظة العقيد (أو مكتب الولاية المتنقل) وما تحتويه المحفظة من وثائق وخرائط وملفات، وكان كلما سقط شهيد حمل المحفظة نيابة عنه شهيد آخر إلى أن انتهت المعركة (ولم تقع المحفظة بين أيدي العدو).

وكان القائد قد رمى بمحفظته إلى جندي كان بجانبه إثر إصابة أحد المجاهدين بجروح وكان الجريح من أقرب الناس إلى قلبه وأكثرهم عطفًا عليه نظرا لصغر سنه فحمله القائد وابتعد به عن ميدان القتال ثم عاد مسرعا ليشارك جنوده في المعركة.

بقي القائد معنا في تلك المنطقة وفي يوم 4 ماي 1959 وقبيل منتصف الليل حلت بيننا كتيبة الزبيرية قادمة من منطقة الونشريس بعد أن أدت مهمتها بنجاح تام والمتمثلة في القيام بعمليات عسكرية متعددة لتدعيم الوحدات الموجودة هناك.

اجتمع القائد معهم وتحادث مع كل فرد من أفرادها مستفسرا من كل واحد منهم عن الوضعية العسكرية والاجتماعية وعن المصاعب التي واجهتهم، وكان ليلتها منشرح الصدر رقيق الإحساس إلى درجة كبيرة، وكثيرا ما عانق بعض الجنود أو داعب رؤوسهم وقربها إلى صدره، وفيما نحن على تلك الحالة من الفرح والاستبشار أخبرنا رجال الاتصال أنّ التحركات الواسعة التي شرع فيها العدو منذ يوم 23 أفريل قد وصلت إليهم، عندها أمرني القائد أن أغادر المكان رفقة الكتيبة الزبيرية بعد أن أصبح مستحيلا البقاء معهم في مكان غير آمن، وأوصاني أن لا أعرّض الكتيبة، لأي اشتباك مع العدو إلا في حالة الدفاع عن النفس، لأنّ أفرادها مرهقون، ولأن ذخيرتهم غير كافية، وقال أنه سيعود إلى مقر قيادته كي يفوت على الأعداء فرصة الوصول إليه، وقبل أن أخطو بعض الخطوات توقّف عن السّير وناداني: لخضر يا لخضر، فالتفت إليه فأشار بيده أن أدنو منه... وقفت أمامه فقال هل فهمت ما أمرتك به؟ فقلت له نعم

فهمت ما أمرتني به جيّدا، فقال وهو يحتضنني بعينيه إذا ما حدث وتصادمت مع العدو فاستعمل أسلوب (La guêpe)، "بوزنزل" وحمل يدي بين راحتيه العريضتين وضغط بأصبعيه على ظهر كفي ثم سحب أصبعيه بسرعة وهو يقول هذا ما عليك أن تفعله "أقرص واهرب". وودعني مرة ثانية متوجهًا نحو مقر الولاية في طريقه إلى (أولاد عنتر) من الجهة المقابلة لوادي الشلف واتجهت بدوري رفقة الكتيبة نحو (أولاد بن عيسى)، ولم أكن أعلم وقتها أنني أسمعه للمرة الأخيرة وأودعه آخر وداع.

سلكت طريقا محاذيا لحافة الجبل وتعمدت ذلك كي لا أصطدم بقوات العدو الذين تسلقوا الجبال، وكان يفصلني عن القرية التي نتجه إليها نهر تداعب مياهه الحجارة المترسبة فيه فيصدر عنه خرير رقراق رائع لا يعكس بأية حال نفسيتنا المتوهجة والقلقة، نهر يفصلنا عن قرية هوارة.

حلّ القائد بسرعة بمقر قيادته حيث وجد بعض الجنود ومعهم جهاز الإرسال (سبب البلاء) وهو نفس الجهاز الذي خصصت له المخابرات الفرنسية جزءاً كبيراً في تقريرها الرسمي المؤرخ بتاريخ 30 جوان 1958، بحيث تحدثت عن الجهاز في فقرة طويلة وعن المنطقة التي يوجد فيها وخصت بالذكر قرية (أولاد بوعشرة).

إلا أنّ الجنود أخبروه وأنّ عملية المسح التي يقوم بها جنود العدو مستمرة وأنّ أعدادهم غفيرة وأنّ مهمتهم هو تضييق الحصار على مقر القيادة والقضاء عليه وليس مجرد عملية عادية لتمشيط المنطقة كما كان يحدث دائما. اختار أن يعود إلى المكان الذي افترقنا فيه علّه يجد دليلا يرافقه إلى المكان الذي نحن فيه وفعلا عاد من حيث أتى إلا أن ضوء النهار حال دون أن يبلغ هدفه فبقي في مكانه.

وفيما نحن عند سفح الجبل نسير بخفية سمعنا صوت طلقات الرصاص وكانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا وكنت أشاهد بعيني جنود العدو يزحفون على بطونهم نحو هدف معين كنت أرى ذلك بوضوح وأسمع أيضا أصوات نداءاتهم إلا أننا لم نكن نعلم أنّ المقصود بالهجوم أساسا هو القائد نفسه وليس أحداً غيره.

وكنت أعتقد أنّ القائد موجود لحظتها في مقر قيادته في الشمال الغربي من قصر البخاري وليس أمامنا محاصراً ومطارداً، التزمت بالأوامر الصادرة إليّ من قبله وهي ألاّ أضرب إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك. تابعت المعركة عن بعد وأذكر لحظتها وأني قلت لرئيس الكتيبة (محمود رمضان) إنها معركة مع بعض أفراد الاتصال الذين لم يغادروا المنطقة كما فعلنا، أو ربما أنّ فوجًا عابراً وقع في كمين دون أن يدري، ولم

أتلق الرد الكافي على استفساراتي. وكما بدأ فجأة توقف أيضا فجأة صوت الرصاص فأدركت أنّ المعركة قد انتهت بسرعة لأنّ عدد المجاهدين كان قليلا وإلا لما توقف الرصاص عن اللعلعة.

وفيما كان الجيش الفرنسي ينزل من أعلى الجبل كان من الضروري أن نشتبك معه بأسلوب (La guêpe) "بوزنزل" لأنّ أمرنا قد انكشف، النهر وراءنا والعدو أمامنا والمنافذ كلها مسدودة.

أطلقنا نيران أسلحتنا على العدو كرجل واحد لإرباكه ولشل حركته، وهو ما حصل فعلاً وكان الصيد (ثمينا وسهلا) غنمنا أسلحة وعتادا، وكان عبارة عن 14 قطعة من السلاح ومدفع رشاش في حين قتل عدد كبير من جنود العدو وجرح آخرون، ولم يصب أي فرد من الكتيبة بأذى. وصلنا إلى دوار هوارة وبعد لحظات استراحة واصلنا طريقنا نحو حناشة، وهي تبعد عن مكان الاستراحة بخمسة كيلومترات، وفي تلك الأثناء خططت القوات الفرنسية تخطيطًا كاملاً للانتقام من قتلاها وهو ما حصل فعلاً إذ ما إن بدت أشعة الشمس تطل من الأفق حتى فاجأتنا القوات الفرنسية بشن هجوم كاسح تصدينا له بنفس الأسلوب "اضرب واهرب" وكانت النتيجة لصالحنا، وغنمنا مرة ثانية أسلحة وعتادا، وتمكنا من أسر جندي فرنسي، وفي نفس الوقت نجا أفراد الكتيبة دون أن يصاب أحد منا بجروح سوى شخص واحد ضل طريقه، ولم نكتشف أمره إلا بعد أن منحنا السكان الماء والخبز والقهوة، ومن عاداتنا دائما أن نحصي المجاهدين إثر كل عملية عسكرية كي نعرف (بالأسماء) من استشهد أو جرح، وفوجئت بغياب واحد منا، في حين كان العدد كاملا! طلبت أن يعيدوا الإحصاء مرة أخرى وكانت النتيجة مثل المرة الأولى، العدد كامل إلا أنّ جنديا من أفراد الكتيبة غير موجود وعرفت السر فيما بعدا والسبب أن شخصا طاعنا في السن رأيته يحمل على ظهره ذخيرة وسلاحا من غنائم المعركة، ولم أكن أعرفه من قبل، حيث تبين أنه التحق بنا واندسّ بين صفوفنا دون أن يتفطن إليه أحد، وعن سبب مجيئه قال لنا الشيخ (بن يمينة) كنت مختفيا بين الأشجار في طريق ذهابي من قرية أولاد عيسى إلى قرية أخرى ووجدت نفسي في قلب المعركة فانضممت إليكم وأنني أرفض العودة إلى القرية، كما أنني أرفض الذهاب إلى أي مكان آخر وسأبقى مجاهداً بهذا السلاح الذي غنمته، ولم نجد أي مبرر لعدم قبوله في صفوفنا .

ومن المكان الذي جرت فيه المعركة واصلنا سيرنا بخفية كي لا نصطدم مع العدو مرة أخرى، ثم عرجنا على ممر جبلي غير الممر الأول وعدنا إلى المكان الذي فارقنا منه القائد (سي امحمد) وأمرت أفراد الكتيبة أن ينالوا قسطا من الراحة لأني أدرك أنّ العدو لن يعود إلينا لأنه يواصل بحثه عنّا في المناطق الأخرى، وخلوت إلى نفسي أكتب تقريرا مفصلاً عن المعركتين وعن النتائج التي حققناها وأعلمه بخبر القبض على الأسير، وبحثت عن رجل الاتصال لأسلمه الرسالة فلم أعثر له على أثر فأيقنت أنه قد غادر المكان إثر انتشار القوات الفرنسية. طلبت اتصالا آخر وأمرته أن يحمل رسالتي المستعجلة إلى القائد (سي امحمد) وفيما كنت أناوله الرسالة خيل إليّ أني سمعت (سي امحمد) يحدثني بصوته الحزين عن أهمية المحافظة على أفراد الكتيبة الزبيرية وعن أهمية التكتيك في أسلوب "أضرب واهرب" وعن السبب الذي دعا القيادة في الخارج إلى الاتصال به بواسطة جهاز اللاسلكي، وكنت أسمع صوته بوضوح وكأنه صادر منه حقيقة، وليس من خيال أو عن طيف بعيد، وفيما أنا غارق في تأملاتي عاد إليّ (رجل الاتصال) ليخبرني أنه لقي في طريقه أحد مرافقي القائد (سي امحمد) وهو (قدور البغدادي) حيث وجده دون بقية رفاقه وأعلمه أنّ القائد قد يكون في عداد الأموات، فطلبت منه أن يسرع في إحضار الجندي (قدور) الذي تنحصر مهمته في كونه كاتب الناحية، فجاء إليّ مسرعا وبدون مقدمات قال لي بصوت متهدج تخنقه العبارات، لم يبق من الأفراد المرافقين للقائد (سي امحمد) أي أحد سوى أنا حيث استطعت النجاة، وأني لم أجد أثراً للقائد وأني لا أعلم هل قتل أو أنه لازال على قيد الحياة مختفيًا في أحد الأماكن، أو أنه أسر لدى العدو، وشرح لي باضطراب كيف ولماذا عاد (سي امحمد) إلى هذا المكان دون أن يبقى في مقر قيادته، وأضاف قائلا أنّ القائد كان يرغب في الاتصال بكم والاندماج مع الكتيبة الزبيرية بعد أن شاهد كثافة القوات الفرنسية إلا أنّ ضوء النهار اللعين حال دون وصولنا إليكم خاصة وأننا كنا لجهل مكان تواجدكم بالضبط.

ولم أتمكن من أخذ بقية المعلومات أو استدراجه إلى الحديث عن الواقعة وكيفية استشهاد البطل، لأنّ حالته النفسية لم تساعده على ذكر التفاصيل، حيث كان مضطربًا كثير البكاء، كثير التلعثم، طلبت منه أن يسكت رأفة به وأن يرافقني إلى المكان الذي استشهد فيه البطل ورفاقه، ورافقني بعض الإخوة (لازالوا على قيد الحياة) منهم (بن قربان وجلول وبعض الجنود الآخرين).

والمكان موحش وخالٍ ولا أثر فيه للحياة وصفير الريح يصم الآذان، وهو عبارة عن خلاء شديد الانحدار تحيط به أشجار عالية وممرات صغيرة تتفرع عنه، وتربة سوداء ندية تملأ الرقعة الأرضية، فتشنا المكان حجرا حجرا وشجرة شجرة فعثرت غير بعيد على قشابية القائد وكنت أعرفها تمام المعرفة، نفضت عنها الغبار وأوراق الشجر العالق بها فلم أجد أي أثر يدل على أن صاحبها قد استشهد لا ثقوب فيها ولا دماء، وغير بعيد عنها عثرت على الشاش وكان المرحوم (بوشوشي) يلفه على عنقه وكان أيضا خاليًا من آثار الرصاص أو الدماء، وغير بعيد نظارة ملقاة على الأرض وزجاجها سليم وبجانبها صدرية من الصوف الأخضر كان يملكها (محمد المسبل) وهي الوحيدة المليئة بالثقوب والدماء ومعفرة بالتراب، وهنا وهناك على الأرض خراطيش فارغة وآثار كثيرة لأحذية الجيش الفرنسي وماعدا ذلك لاشيء سوى التراب الأسود والحجارة الصماء، وصفير الرياح وحفيف الأشجار العالية، وبين الأشجار والحشائش عثرت على جثث الجنود المرافقين للقائد بعضهم سقط على وجهه والبعض الآخر استند بجثته على فرع شجرة والبعض الآخر ملقى على ظهره، إلا أنني لم أعثر إطلاقًا على جثة القائد ولا على جثث بقية الضباط المرافقين له وهو ما أعطاني بعض الأمل في أنّ القائد يكون لازال على قيد الحياة أو أنه قد اختفى عن الأنظار يداوي جروحه، وعشنا نترقب ما ستسفر عنه الأحداث من مفاجآت إلى أن كان يوم (8 ماي 1959) عندما حلقت فوق سماء المنطقة طائرات حربية تلقي بمناشير كتب عليها (إن بوقرة قتل وأن أمره قد انتهى)، كان أول ردّ فعل لنا، شن سلسلة من الهجومات والكمائن ضد مراكز العدو وثكناته، وفي أحد الاشتباكات ألقي القبض على (قدور البغدادي) قبل أن نتمكن من معرفة تفاصيل استشهاد البطل، حيث حالت الاشتباكات والمعارك بيننا وبينهم، فلم يتسع الوقت لكي نستكمل معه الحديث عن ظروف المعركة، حاولنا المستحيل كي نعرف المكان الذي نقل إليه أسيراً. وفيما بعد علمنا أنه سجين في محتشد (كامورة) عرفنا ذلك بواسطة عجوز لها في نفس المحتشد أسيران من أولادها تربطهم صداقة متينة بقدور البغدادي وكلهم من مدينة المدية، فأرسل معها رسالة يخبرنا عن مكانه.

كاتبناه بدورنا برسالة نعلمه فيها أننا نود شرحا إضافيًا عن كيفية المعركة التي استشهد فيها البطل وطلبنا منه ذكر بعض التفاصيل. تلقى الرسالة وكتب إلينا بدوره رسالة يوضح فيها ما طلبناه منه، إلا أنّ السلطات الفرنسية اكتشفت أمر الرسالة وعرف

المستعمر حقيقة الأسير وأهميته بالنسبة إلينا، فأعدم في الحال رميًا بالرصاص كي لا يبوح بسره عن كيفية استشهاد القائد.

ولم نعلم بموته إلا بعد مدة زمنية واكتشفنا أيضا أنّ القوات الفرنسية تنقل يوميا الأسرى من المعتقل لتشغيلهم في بناء المراكز العسكرية والحصون وشق الطرقات، وما إن ينتهي الأسير من أعماله التي كلّف بها حتى يعدم رميًا بالرصاص ويتم الإعدام عادة في ممر ضيق يتوسط جبلين، وأخبرنا بذلك أسير تمكن من الفرار قبل لحظات من إعدامه ولازال حيًا إلى اليوم ويدعى (أحمد موسطاش). وتتم عملية الإعدام على الشكل التالي: تقف في المكان المخصص للإعدام شاحنتان عسكريتان وينزل منها الجنود ومعهم الأسير أو الأسرى وفي منتصف الطريق يطلق عليهم الرصاص ويتركون جثثهم في العراء، ويعود الجنود من حيث أتوا وكأنهم لم يرتكبوا جريمة قتل دون محاكمة، والمكان هو قرية (أولاد حمزة) شمال قصر البخاري.

وكان المجاهدون يذهبون فيما بعد لدفن الضحايا كي لا تترك جثثهم في العراء، واكتشفت السلطات الاستعمارية عملية الدفن، فعمدت إلى وضع متفجرات شديدة المفعول تحت جثث الضحايا وما أن يلمس الإنسان الجثة حتى تنفجر وتفجّره، فعمدنا إلى تغيير الأسلوب... بأن يسحب المجاهد جثة المعدوم بواسطة حبل طويل في نهايته عقدة على شكل حلقة تضيق عند الجذب... إلا أنه كثيرا ما يجذب الحبل نصف الجثة أو جزءاً منها نتيجة تطاير وتناثر الجثة في الهواء !!

كانوا يمثلون بالجثث ويعدمون الأسرى ويشوهون الأحياء، في حين أنّ الثورة ومنذ اليوم الأول الذي انطلقت فيه رصاصتها الأولى عمدت إلى المحافظة على الأسرى محافظة تامة.

ويتحدث التقرير الشهري الصادر عن المكتب الثاني والذي توزع منه (في إطار السرية التامة) 25 نسخة لخمسة وعشرين إطاراً من إطارات الجيش الفرنسي على مستوى القطر كله.

يتحدث هذا التقرير عن معاملة الثورة للأسرى، فكتب يوم 30 جوان 1958 مايلي: - أفادتنا بعض المعلومات الواردة إلينا من مصادر عليمة أنّ المسؤولين من ضباط جيش التحرير يشدّدون في أوامرهم الموجهة إلى الجنود للمحافظة على أرواح الأسرى الفرنسيين ويحثهم، على إلحاقهم بسرعة إلى الحدود الشرقية وتسليمهم إلى هيئة الصليب الأحمر الدولي دون أن يعرضوهم إلى هجومات تودي بحياتهم مع احترام

إنسانيتهم، هذا ما جاء في تقريرهم السري، في الوقت الذي يعدمون فيه بلا محاكمة أسرانا، بل ويضعون الألغام تحت جثثهم وهم الذين يدّعون أنهم من بناة الحضارة الإنسانية، وهو ما يدعونا إلى القول أنّ الحضارة الفرنسية (شهادة مزورة).

وصادف أن كان معنا أثناء استشهاد البطل (بوقرة) أسيران من الآباء البيض ألقي عليهم القبض كنوع من رد الفعل على أسر الشيخ (سي إبراهيم) إمام مسجد المدية، والذي أعدم بالرصاص دون محاكمة، لأنه رجل دين يحث الناس في خطبه على الجهاد في سبيل الله، وكان صديقًا للراهبين.

قتلوا الإمام والبديل عندنا هو إطلاق سراح الراهبين عملا بالأصول وبالمثل الإسلامية العليا، وكسبنا من وراء تلك العملية صداقة رجلين من رجال الدين المسيحي، فتعهدا لنا بمد يد المساعدة ما استطاعا إليها سبيلا، وفعلا نفذا ما وعدا به.

وحملا معهما المناشير التي كتبها الدكتور فارس وقاما بتوزيعها على الجنود والمعمرين مبرزين من خلالها فظاعة ما يرتكبه الجيش الفرنسي، لأنهما رجلا دين، فقد طرد الأول إلى إيطاليا في حين فرضت الإقامة الجبرية على الثاني وحرم من مزاولة طقوسه الدينية ومنع من دخول الكنيسة.

وبعد مدة من الزمن ألقي القبض على الدكتور (يحي فارس) ونفذ فيه حكم الإعدام بنفس الطريقة التي أدان بها المستعمر في مناشيره، وفي نفس المكان الذي تحدث في مناشيره وبنفس الأسلوب أيضا أعدم أيضا الدكتور (إسماعيل بوضربة).

إن الدكتور (يحي فارس) من الأطباء الذين تركوا مقاعد الدراسة في جامعة (مونبولي) للالتحاق بالثورة عن طريق المغرب، التي قدم منها إلى الولاية الرابعة سنة 1958 وقد استفادت الثورة من ثقافته وعلمه أيّما استفادة، سواء فيما يتعلق بالعلاج أو بكتابة المناشير التي كان يرد بها على ادعاءات المستعمر وكان من بين قائمة الشهداء (الأطباء) الذين جاهدوا في الولاية الرابعة وهم الدكاترة:

- يحي فارس (استشهد)
- محمد بن سونة (توفي بعد الاستقلال)
- بكير قديري (استشهد)
- إبراهيم تريشين (استشهد)
- محمود خُوشَتْ الجبس جراح أسنان (استشهد)
- علي آيت إدير (استشهد)

- سليم زميرلي (استشهد)
- إسماعيل بوضربة (استشهد)
- الجيلالي رحمون (توفي بعد الاستقلال)
- إسماعيل دهلوق (لا زال حيًا)
- سعيد هرموش (لا زال حيًا)

وهؤلاء إطارات الولاية الرابعة وأعتقد أنه لا توجد ولاية أخرى استشهد فيها مثل هذا العدد من الإطارات المتعلمة وخاصة من الأطباء، إضافة إلى قائمة طويلة من الممرضين والممرضات تجاوز عددهم العشرات، وغيرهم من شهداء الولاية الرابعة وجميعهم من أتباع وجنود الشهيد القائد (بوقرة)...

15 ماي 1959 أطلق الفرنسيون دعاية مسمومة مفادها أن العقيد (بوقرة) قتل بفضل معلومات نقلت إليهم عن مكان تواجده بواسطة بعض المجاهدين من رفاقه واستطاعت الثورة أن تقضي على الإشاعة بسرعة وأن ترد عليها بما يفيد وأن الولاية الرابعة لم تعرف في تاريخها خيانة ولا تآمرا وأنّ القائد قد استشهد بعد أن تمكنوا من حصر مكان تواجده إثر تحليلهم لموجة الذبذبات الصادرة من جهاز الإرسال خاصة بعد أن ذكر إسمه شخصيا في المكالمة واستشهد مع القائد الإخوة الآتية أسماؤهم:

- رشيد بوشوشي (ضابط برتبة نقيب)
- محمد المسبل
- عمار
- دحو
- بوزيان (رئيس المركز) وعشرة آخرين من جنوده.

استشهد القائد وعمره لا يتجاوز 31 سنة، كان طويل القامة غزير الشعر، كث الحاجبين واسع العينين، أنيقا، دائم الابتسام، وكنا نشبهه بجمال عبد الناصر أيام شبابه من حيث طول القامة وشكل الأنف والشارب.

كان متواضعا، شديد التواضع، لم أعرف عنه يوما أنه أهان جنديا أو مواطنا مهما كان غضبه عليه شديدا، يطعم الجنود بيديه ولا يأكل إلا بعد أن يشبع جنوده، يتفقد أحوالهم ويسأل عن أحوال الشعب عامة، وكان يعرف كل صغيرة وكبيرة في الولاية، وكان لا ينام إلا إذا استمع إلى شكاوي المواطنين خاصة أرامل وأبناء الشهداء، وكثيرا ما حلّ مشاكلهم قبل أن ينام، وكان إلى جانب خصاله وصفاته القتالية كثير

العاطفة شفاف الروح يتذوق الشعر والفناء، فاجأته ذات يوم وهو منكب على كتابة تقرير وبجانبه مذياع صغير يذيع أغنية لا أعرف عنها شيئا وهو يدندن مع الأغنية بصوت رخيم عذب، فاحمرّ وجهه عندما شعر بوجودي بجانبه وكأنه قد ضُبط متلبسا بشيء غير طبيعي فقال لي وهو يبتسم على استحياء:

إني لا أملّ مطلقا من سماع هذا الصوت، فهذه مطربة عظيمة أم كلثوم (حلّوفة) ومنذ ذلك اليوم استعملنا كلمة (حلوفة) لكل عمل عظيم، ولكل موقف عظيم ولكل معركة كبيرة كقولنا مثلا هذه معركة (حلوفة) أو هذا كمين (حلوف).

وذلك هو القائد (سي امحمد) السياسي والعسكري والإنسان الذي يفرق بين الواقع والخيال ويعرف قيم الرجال ويعطي لكل ذي حق حقه. عرف عنه الصرامة والجدية منذ أن كان مناضلا في الحركة الوطنية إلى غاية التحاقه بالمنظمة العسكرية السرية التي هيأت للثورة إلى يوم وفاته رحمه الله.

كان الفقيد قد بذل ماله وروحه في سبيل تحرير وطنه مات في ريعان الشباب دون أن يتزوج، همه الوحيد تحرير الأرض والإنسان.

كان براً بوالديه وإخوته عطوفًا عليهم وبقدر ما كان قاسيًا على عدوه كان حنونًا ورؤوفًا على أهله ورفاقه وكل ما قيل بالأمس ويقال عنه اليوم لن يعطيه حقه من التكريم، ونحن نسأل لماذا ونحن في نهاية الثمانينيات ليس له إلى اليوم قبرٌ يضم جسده في حين أن بعض رفاقه جيء بجثمانهم من أماكن متعددة لماذا بقي وحده نسيًا منسيًا لا نعرف أين دفنت جثته؟ وتكريم جثة المقاتل يعني تكريم الوطن والأمة والتاريخ، بماذا نفسر مطالبة بعض الدول -التي لا تعترف بقيم أو تقاليد- باستعادة جثة جندي سقط في معركة غير متكافئة مقابل ما يعادل مئة أسير، إذاً لا يكفينا اليوم أن نكتب أو نحاضر أو نعلق صور (سي امحمد) أو نسمي باسمه الشوارع والساحات أو نقيم له التماثيل أو نقف للترحم على مكان استشهاده في المناسبات أو نسمي باسمه أطفالنا... لا يكفي ذلك ولن يرضى عنا الشهيد إذا لم ندفن رفاته في قبر يكون مزاراً للعام والخاص إسوة بما فعلوه مع أبطال الجزائر الآخرين، فليس بكثير عليه وعلى الولاية الرابعة أن يهتم المعنيون بأمره ويبحثون عن مكان اختفاء جثته بالطرق الرسمية والدبلوماسية، إذ يكفيه فخراً أنه واحد من الذين صنعوا ثورة نوفمبر وهو الرجل الذي صنع الولاية الرابعة وحافظ عليها من الهزات، وهو الذي جعل منها

قوة يحسب لها العدو ألف حساب وهو الذي أمر بإرسال وحدات وأبطال من الولاية الرابعة لجمع شمل الإخوة في أماكن أخرى كثيرة شهدت خلافات ومشاكل عديدة، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر تحضره جميع الولايات لوضع برنامج ومخطط مضاد لبرامج فرنسا ومخططاتها، وهو الرجل الذي كان نعم الرفيق والصديق لقادة الولايات الأخرى أمثال عميروش والحواس وأوعمران وكريم وديدوش وعبان وبن مهيدي وبن بولعيد وزيغوت وغيرهم...

وهو الرجل الذي وضع روحه على كفه ليلة أول نوفمبر ،جعل من القلة القليلة أبطالا، وهو الذي اهتم بالإنسان ومحيطه قبل أن يهتم بنفسه، وحتى بعد رحيله بقيت الولاية الرابعة بالرغم من كل المحن التي تعرضت لها قاعدة متينة للنضال، رجالها أشداء وجماهيرها متحدة ومعبأة، وفي هذا الشأن يقول تقرير المخابرات الفرنسية وهو يصف الحالة النفسية والسياسية لبعض الرجال في الولاية الرابعة، ويشير إلى ضابط اسمه (حميد) إشارة لا تخلو من معاني التقدير والاحترام، و(حميد) هذا الضابط الصغير السن يحبه الجميع لأنه شجاع وقوي وصامد إلى درجة الاندفاع أحيانًا. وعن اندفاعه خاطبته مرارا واستعملت معه أسلوبًا قاسيًا خوفًا عليه من المفاجآت التي تحدثها اندفاعاته.

هذا الرجل والضابط الشجاع الذي تحدثت عنه التقارير السرية للعدو، كان من صنع الشهيد القائد (بوقرة) وكان التقرير يشير إلى الثوار بكلمة المجاهدين فلم يستعمل أثناء حديثه عن الثورة كلمة (فلاقة) أو الإرهابيين. والفضل في ذلك كله يعود أساسًا إلى القائد الشهيد بوقرة الذي فرض إرادته على المستعمر وفرض احترامه على الجميع.

ولولا حسن تنظيمه وتسييره لشؤون الولاية الرابعة لما قال الجنرال (ماسيو) وهو يتحدث عن الولاية الرابعة: (أستطيع القول أنّ الثورة في الولاية الرابعة هي ثورة طاهرة).

كان بوقرة يحتوي المجاهدين كما تحتوي الشجرة ثمارها وكان دومًا معنا كالنهر مع مجراه، كان الشهيد (سي امحمد) بالنسبة لي أخًا وقائداً ومعلمًا، ولن تبرح صورته خيالي مادمت حيًا، أتمثله كل يوم يحثني على الدعوة لأن أذكّر الذين بقوا على قيد الحياة من رفاق الدرب بمآثر الثورة وأهمية المحافظة على الاستقلال وعلى وصية الجندي الشهيد، وأذكر الأجيال القادمة بعظمة الثورة كي لا تنسى في زحمة الإفرازات اليومية

تضحيات الشهداء، وها أنذا بعد هذا العمر الطويل أفعل ما أمرني به (ڤاندي) ومن خلال كتابي هذا أكون قد طالبت نيابة عنه وعن جميع المجاهدين ونيابة عن معارفه ورفاقه ونيابة عن التاريخ بالبحث الجدي لاكتشاف مكان رفاته ودفنه، في معلم بارز كي لا تبقى صفحة مشرقة خارج مجلد التاريخ !

وفي هذا ردٌ لدين لازال في عنقي في حق رجل علمني معنى الكرامة ومعنى الإنسانية ومعنى الوطنية، وعلمني معنى عزة الموت ووقفة الحياة.

وما يتصف به العقيد من صفات الثورة والخصال النضالية لا يعني ذلك أنّ الثورة لم تعرف ضمن مسيرتها النضالية إلا الإيجابيات والبطولات والعظماء والطاهرين، إنما عرفت أيضا وضمن ما عرفته سلبيات عديدة وهي السلبيات التي مدت في عمر الحرب شهورا طويلة والتي كلفت الوطن ما كلفت من خسائر ودمار.

فكلنا يعرف أن ثورة الجزائر هي ثورة عمال وفلاحين (أي ثورة خطط لها ونفذها في ظروف غير عادية المواطن العادي) ولم تكن ثورة رسل أو أولياء صالحين، أي أنها لم تكن ثورة منزلة من السماء، بل كانت ثورة بشر على الأرض، وضمن التركيبة البشرية للمجاهدين نجد أنّ فيهم أبطالاً وعمالقة وفيهم أيضًا ضعاف النفوس، ومن يدعي أن الثورة الجزائرية طوال مسيرتها الطويلة جداً لم تعرف الأخطاء والصعوبات مثل الذي يخفي رأسه في الرمال اعتقادا منه أنه قد اختفى عن أنظار العدو، ولذا وضمن سنوات النضال الطويلة فقد جرت وقائع وأحداث بعضها منطقي وسليم وبعضها غير طبيعي وغير منطقي بالمرة، والنماذج البشرية أثناء الثورة التي كونت في مجملها جيش التحرير كانت على الشكل التالي:

1 - أناس عاديون جداً ساقتهم الأحداث إلى الثورة فانساقوا معها دون أن يؤثروا في الثورة لا من قريب ولا من بعيد.

2 - أناس نظريون يفضلون النظرية على التطبيق وكان لهم تأثيرهم السلبي على مسيرة الثورة.

3 - إيديولوجيون همّهم الوحيد ترسيخ مفهوم الأيديولوجية وتحويل مسار الثورة نحو اتجاهات مختلفة، وعن هذه النماذج أذكر ما حدث لي ذات مرة حيث جرى نقاش بيني وبين مجاهد (ماركسي العقيدة) انضم إلى صفوف الثورة بعد أن آمن بانتصارها، وهو المسمى (مصطفى سعدون) من مدينة شرشال، إذ سألني ذات يوم: هل تملك أيديولوجية تدافع عنها وتريد تحقيقها؟ فنظرت إليه باستغراب ولم أقل

له شيئا لأني اعتقدت لحظتها أنّ "الأيديولوجية" التي يتحدث عنها هي سلاح جديد لا أملكه ولا أعرف نوعيته! فما كان منه إلا أن بادلني بنظرة استغراب إذ خيّل إليه أنه لا يمكن أن ينضم شخص إلى صفوف الثورة دون أن يكون أيديولوجيا أو مهيكلا داخل تنظيم أيديولوجي !

4 - والبقية التي التحقت بصفوف الثورة من صفوف الشعب آمنوا بالثورة إيمانا لا حدّ له، وهذا النوع من المجاهدين سريع التأثر إلى درجة أنّ بعضهم يتصرف وكأنه شخص مسلوب الإرادة أو فاقد الوعي، ومنهم من قتل بيديه أخويه أو أمه من أجل الثورة وحماية المجاهدين، وهو ما حصل فعلا في إحدى الأماكن في الولاية الرابعة حيث قتل مجاهد أفراد عائلته من أجل حماية الثورة كما ذكرت.

هذه هي الحقيقة كما عشتها والله شاهد على ما أقول !

ملحق رقم 06

جبهة وجيش التحرير الوطني
الولاية الرابعة

إلى الأخ العقيد سي امحمد
تحياتي الوطنية
لقد تنبه العدو إلى خطتنا الهادفة
إلى اقتلاع مركز أولاد احمد
المتقدم يوم 21 افريل 1959
وقام العدو يوم 22 افريل بعملية
واسعة شملت ناحية أولاد عاسب
لشمال قصر البخاري وكانت الحركة
عنيفة أسقطنا طائرة
جنوب الطريق الرابط بين
قصر البخاري والبرواقية وغنمنا

١٩ نسفت عشرة شاحنة
ومدفع رشاش من نوع ٢٤/٢
وقتل فيها ضابط برتبة كبتان
وغنمنا رشاشه وصورة اولاده
وزوجته.
واستشهد من جنودنا ٢٢
وعشرين جندي من بينهم
احمد بن صفوان رئيس الفرقة
الاولى ومحمد السيد العنابي
الذي انظم الينا من مركز قزال
في الشهر الماضي.
واخيرا بعثت لك تقريرا
مفصلا مع الجيلالي ابن عال
واثناء المعركة وزعت الطائرة
على ارض المعركة منشورات موجهة
الى ...

بخصوص استشهاد العقيد
عميروش ومن حواس وصورة
العربي رئيس فرقة الكوماندو
الذي يظهر انه الآن اسير
في يد العدو. والصورة
تبين ذلك [illegible] وبهذا الخصوص
بعثت رسالة الى الجهة
في المنطقة الثالثة لان
الجمال لا تملك [illegible] عاطفة
تحتاج [illegible] مرة اخرى

مع احترامي لك
رئيس المنطقة 2

حرر في 23 افريل 1959

ملحق رقم 07

شهادة «من أجل مليون من الشهداء» (*)

مالك بن نبي - كاتب جزائري

كنا في انتظار المفاوضات التي ستضع كلمة الختام في تلك الصفحة الرائعة والأليمة التي كتبها الشعب الجزائري في التاريخ بدمه الزكي.

وإذا بالصحافة توقظنا ذات صبيحة لتخبرنا بأن المفاوضات قد انتهت بمدينة «إيفيان» وكأننا مررنا بمنطقة ظلام أخفت مؤقتا عن الأنظار بعض الحقائق التي م يكن الاستعمار يرغب أن يعلمها الشعب الجزائري.

ولكن هذا الشعب سيدعى على أي حال لتقرير مصيره، وهو يعلم أي ثمن فادح قد دفع لاكتساب هذا الحق.

ولو كان الموت هو المرجع الوحيد لتقدير هذا الثمن فلا شك أن شهادة المقبرة الهائلة التي تجمعت فيها رفاة مليون من الشهداء، لكافية لتقديره، ولإلزام كل جزائري بأن يقوم بواجبه كشاهد حتى لا يذهب سدى هذا الثمن الفادح.

وربما شعرت بهذا الالتزام أكثر من غيري لأنني عندما نزلت القاهرة سنة 1956 لأضع قلمي وشخصي في خدمة الثورة، أبت الأقدار إلا أن تضعني منها موضع الشاهد لأسباب سأعلنها يوم يحاسب الشعب الجزائري كل فرد من الذين كانوا بالقاهرة -هذه الفترة- عن أعماله.

وعليه فمن واجبي أن أقوم بدور الشاهد بكل إدراك لمسؤوليتي في هذا الدور.

(*) النسخة الخطية الأصلية لهذه الشهادة زودنا بها الباحث الجزائري المقيم بباريس الدكتور صادق سلام، وقد أدرجناها كوثيقة هامة في هذا الكتاب لصلتها المباشرة بموضوعه. (المؤلف).

وإنني اشعر بهذا الواجب بصورة خاصة في الوقت الذي سيقوم فيه الشعب الجزائري بآخر وأخطر عمله الشوري، إذ هو العمل الذي سيحقق كل نتائج ثورته، أو يعرضها للتلف، إذا ما -لا قدّر الله- لم يكن لديه من المعلومات ما يجعله يتخذ الاحتياطات اللازمة أثناء الاستفتاء وخلال الانتخابات التي تتبعه.

ولو أردت أن أعبّر عن شعوري بكل وضوح للزم أن أكتب كتابا لأصف وضعًا قد يكفي أن نقول عنه أنه فاجأنا بتفاصيله الغريبة من حين إلى آخر، عندما نرى مثلا القاضي لخضري وهو من هو يتكلم للشعب الجزائري من صوت العرب؟ أو نرى عبد الرحمن العلاوي يتولى في دمشق الإشراف على حسابات الثورة !... إلخ إلخ ! إلخ...

وهذا الوضع هو الشيء الذي يجب اليوم على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته حتى لا يضع بناءه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال على أرض تغوص فيها الأقدام في الخيانة والمكر، واللامسؤولية، ومن حقه أن يعرفه قبل أية انتخابات مزعومة يستعد لها كل زعيم للانتصار على غيره للاستيلاء على مصير الشعب الذي سيبقى هكذا في أيد تتقاذفه من الحكيم بن جلول إلى مصالي الحاج، ومن هذا إلى فرحات عباس وفرانسيس، ومنهما إلى بن خدة وبوالصوف، ومنهما إلى زعيم آخر، كل يلعب ويعبث كيفما شاء بمقدرات الشعب ومعنوياته على الطريقة التي يريدها الاستعمار ويؤيدها علنا أو خفية !

يجب أن ينتهي هذا الوضع المخزي، ولن ينتهي أبدا على يد أي زعيم يرغب في إبقاء هذا الوضع لحسابه[1] وإنما سينتهي على يد الشعب نفسه على شرط أن يعرف الحقيقة التي اتفق إجماع الزعماء على إخفائها.

ولهذا نقترح عقد مؤتمر شعبي عاجل بالمقبرة التي تضم جثمان مصطفى بن بولعيد وأن يشكل هذا المؤتمر على الفور لجانا تختص كل واحدة منها بالتحقيق في نقطة من النقاط الآتية وهي مُلزمة بتقديم تقريرها في وقت معين قبل إجراء أية انتخابات في الوطن :

---

(1) وهذا ما تؤكده تجربتنا الأخيرة، حيث أننا حاولنا أن نبلّغ هذه الشهادة إلى الشعب عن طريق مجلس الثورة عندما كان مجتمعا بطرابلس، وقد أبلغناها بهذا لأحد الزعماء كي يعلنها لهذا المجلس ولكن الزعيم تفضل بكتمانها لأنه لا يريد أن يعرف الشعب واقعه.

1 – تحقق عن الظروف المريبة التي تكونت فيها بالعاصمة (الجزائر) منذ شهر أفريل 1955 قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس وتؤكد انفصالها بلقبها المستعار (ZAA) أي القيادة المستقلة لمنطقة العاصمة.

ومن المعلوم أن هذا السلوك يخالف تماما مبدأ «وحدة القيادة» الذي يجب التمسك به في الحروب العادية وفي الحروب الثورية على وجه الخصوص، حيث يؤدي كل ازدواج في القيادة إلى تبديد الطاقات الثورية حتى على فرض أن تصدر كل قيادة نفس التوجيهات التي تصدرها الأخرى بينما رأينا قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة «بالأوراس»، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أغسطس 1956 وتأسيس مجلس التنسيق والتنفيذ (CEE) الذي عبَّر تأسيسه عن قلب النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تقرير أولوية الجانب السياسي على الجانب العسكري في قيادة الثورة وتوجهها، أو بعبارة أخرى وضع مصير بن بولعيد وإخوانه المجاهدين تحت سلطة السيد فرحات عباس وفرانسيس وبن خدة إلخ... حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير (ALN) وأصبحت بيد أولئك السياسيين الذين كوّنوا نقابة لرعاية مصالحهم أطلقوا عليها إسم «جبهة التحرير» (FLN) لإغراء الشعب بالألفاظ.

ومن تتبع بإمعان تاريخ هذه الفترة قد لاحظ بدون أي شك التغيرات العميقة التي حدثت في جهاز الثورة كله حتى يستطيع المؤرخ الخبير أن يعبر عن الوضع الجديد بأنه كان في الحقيقة حركة ضد الثورة توجهها من بعيد أيدي خفية من «باريس» و «العاصمة»، حركة مُقَنَّعة تفاجئنا أحيانا بتفاصيلها الغريبة مثل التي ذكرنا والتي لم نذكرها عندما يُنَصَّبُ على وجه المثال رجل كاليزيد الذي أذعرني جهله (يوم اكتشفت ذلك في مناسبة معينة) في منصب وزير استعلامات !؟

فهذا الوضع الغريب هو الذي يزحف الآن إلى حلبة الانتخابات المقبلة ليصبح الوضع الشرعي في الجزائر المستقلة.

2 – تحقيق عن الظروف المريبة التي وجد فيها حتفهم أولئك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى «مصطفى بن بولعيد»، «عباس لغرور»،

«يوسف زيغود»، «بن مهيدي» «عميروش»، «الكولونيل محمد الباهي»، «عبد الحي» إلخ... !

وربما يكشف التحقيق عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أبريل 1955، والذين كانوا يهدفون بكل وضوح إلى الاستيلاء على مقالبد الثورة كما يبدو ذلك أيضا في اختطاف بن بلة[1].

3 - تحقيق عن تصرف القيادة التي كونها مؤتمر الصومام من وجهتين:

أ - أن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع أو يعطله على الأقل.

ب - وعلى العكس نرى القيادة الجزائرية تعطل في هذه الفترة بالذات تموين الجيش في الداخل بالسلاح والذخيرة، بل تبطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه نظراً لبناء «خط موريس».

ومن الواقع نرى النشاط الثوري كله يخمد منذ مؤتمر الصومام ونرى الوحدات المقاتلة التي كانت تقف في وجه الاستعمار في الداخل تسحب بالتدريج على الحدود شرقا وغربا كأنما إرادة خفية تُنشئ بذلك موقفا يتيح للقوات الاستعمارية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1954 - 1955، حتى أنه يمكننا أن نقرر للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها القوات الثورية بجبل «أرقو» في خريف 1956. وبعدها سيصبح جيش التحرير الظافر الذي كان قوة الشعب الضاربة في معاركه الخالدة مجرد قوة استعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود...

4 - تحقيق عن الظروف المريبة التي انضم فيها بعض القواد الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير، ولماذا وقع انضمام بعضهم مثل المدعو "الكومندان إيدير" عن طريق قيادة العاصمة عوض أن يكون عن طريق

---

(1) دون أن يجعلنا قولنا هذا مرتبطين بأي زعيم من الزعماء، وإنما نقوله لمجرد إجلاء الحقيقة للتاريخ.

قيادة جبل «اوراس». بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم بمدينة «خنشلة».

ومما يلاحظ أن هؤلاء الضباط تناولوا مناصب مرموقة في جيش التحرير، وهي المناصب التي جردوا منها أصحابها الذين استحقوها لخدمتهم في صفوف الثورة منذ اليوم الأول، بل نرى أصحابها قد قتلوا في مؤامرات اغتيال شنيعة، مثل مصطفى الأكحل الذي اغتاله جهارا السيد بوصوف بالقرب من مدينة الكاف التونسية، وبعضهم جرد من منصبه وترك وشأنه بلا زاد ولا راحلة في شوارع تونس أو الرباط.

5 - تحقيق عن اغتيال المرحوم «عميرة علاوة» في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة «بالقاهرة» لأنه اكتشف أثناء مهمة توجه فيها إلى «بيروت» اتصالات مريبة تخص السيد فرحات عباس.

6 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة مع الطلبة الجزائريين في الخارج لوضعهم تحت تصرف جهاز نقابة جبهة التحرير (FLN) حتى أن الطالب الجزائري فقد شخصيته وأصبح آلة يوجهها السيد كريم بلقاسم لمصالح معينة، بحيث فقد الطالب كل استعداد للقيام بواجبه، وقيد فعلا نشاطه بصورة لم يكن يعرفها حتى أيام الاستعمار.

7 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة في أموال الثورة من وجهتين:

- من الوجهة الفنية لعقد المقارنة بين الميزانية التي خصصتها هذه الحكومة للجيش والميزانية التي تخصصها للجهاز السياسي.

- ومن الوجهة الأخلاقية للكشف عن التكاليف التي كانت هذه الحكومة تخصصها لأعضائها في السنوات الأخيرة.

8 - تحقيق عن كيفية تشكيل مجلس الثورة، وهل هو في صورته الراهنة يحقق تمثيلا كافيا للشعب الجزائري ولكافة مناطق الوطن تمثيلا حقيقيا.

9 - تحقيق عن الدوافع التي دفعت السيد بن خدة إلى الدخول في مناقشات ديبلوماسية بمدينة الرباط من أجل ربط الشعب الجزائري بفكرة «المغرب الكبير» دون مراجعة الشعب في الأمر أولا. والمعلوم أن حكومة ثورية مؤقتة ليس لها إلا أن تواجه مشكلات الثورة العاجلة.

ملخص:

وملخص شهادتي هو أنه يجب علينا أن لا نترك الشعب يخوض معركة انتخابية في الظلام الكثيف الذي يخفي على بصره الحقيقة المؤلمة التي أحاطت بثورته، والتي يحاول الزعماء -كل على شاكلته- إخفاءها إلى الأبد، والتي تتجلى في ذلك الواقع الذي كشفته لنا الأيام، وهو أن أيام الحداد والبؤس التي عاشها الشعب خلال الثورة كانت أسعد أيام زعمائه، أولئك الذين صرفوا دماءه في ولائمهم حيث تعكب الشانابانيا والويسكي كما يتصرف تماما أمراء العرب في بترول بلادهم لتشييد قصور ألف ليلة وليلة...

ويجب أن نضيف إلى هذا أنه لم تصعد من فم عالم أو مثقف جزائري أثناء هذه المأساة المحزنة أية صرخة استنكار لإيقاظ الشعب لواجبه، بل كان كل واحد حريصا على أن يأخذ مقعداً في وليمة الزعماء، أو ينتظر دوره... بحيث يجب على كل جزائري صاحب ضمير أن يبلغ الشعب هذه الشهادة حتى يكون على بيّنة من الأخطار التي تهدد الحقوق والحريات المقدسة التي مات من أجلها مليون من أبنائه الشهداء وليكون على بصيرة من الأطماع الحقيرة التي تزحف نحو ثمرة ثورته لتجنيها من يده.

ملاحظة: الوثيقة بدون تاريخ ولكنها يبدو -من خلال النص- أنها كُتبت في الفترة ما بين الإعلان عن توقيف الحرب يوم 19 مارس 1962 والاستفتاء عن تقرير المصير الذي وقع يوم 3 يوليو 1962.

(المؤلف)

ملحق رقم 08

منشور من الولايه الرابعه بعنوان «هل سينكرون ذلك؟»

(C O P I E)

FRONT DE LIBERATION NATIONALE

Wilaya IV

LE NIERONT-ILS ?

ARMEE DE LIBERATION NATIONALE

Lecteurs, prenez un registre du format le plus grand que vous puissiez trouver, munissez-vous d'un stylo et essayez - si vous le pouvez ? - de dresser un bilan même approximatif des exploits de l'armée française. Vous serez étonnés d'apprendre :

I°) Que l'importance de l'armement récupéré permettrait à la France de subvenir en canons, mortiers, mitrailleuses, fusils de guerre et fusils de chasse aux besoins non pas seulement de sa propre armée mais aussi de toutes les armées européennes et ..., corporations de chasse.

2°) Que le nombre des moudjahidines "tués" dépasse le million ! (alors que, d'après les évaluations des "experts militaires" français, les effectifs de l'A.L.N. ne dépasseraient pas 30.000 hommes). Que faut-il croire ? C'est au point que l'auteur de ces lignes se demande s'il n'a pas été lui-même tué... sur le papier. Décidément les frustres "spécialistes" des services de déformations du petit caporal R. Lahonte ont perdu et les sens de la mesure et le sens du ridicule. Demandons-leur plutôt de nous expliquer pourquoi la radio et la presse française sont-elles devenues tellement avares d'informations militaires alors que les combats font rage à travers la wilaya ?

Pourquoi n'ont-ils soufflé mot de CETTE SERIE DE BATAILLES qui se sont déroulées entre le 25/II/57 et le 2I/I2/57 : I°) Dans le djebel Dirah le 25/II/57 :9I soldats tués et 35 blessés. 5 morts et 7 blessés dans nos rangs. Nous avons récupéré: I F.M. BAR, 2 Mat 49, 6 Garant, 15 V.B.; 2 T-6 abattus par notre D.C.A. 2°) A Béni-Sermane, aux abords de Hammam-Mélouane, 2 journées d'accrochage, les 28 et 29/II/57 : plus de 150 paras tués, I hélicoptère Sikorsky abattu; armement important récupéré. 3°) Dans l'Ouarsenis, le 8/I2/57 : un important convoi entièrement détruit; lourdes pertes françaises, entre autres 2 Officiers tués; I avion de chasse T-6 abattu. Aucune perte à déplorer dans nos rangs; nous avons récupéré des Mat, des carabines, des chargeurs de F.M. et 2 postes E.R. 4°) Au douar Bouhlel (Sud de Gouraya) le 5/I2/57 : 70 soldats tués, un grand nombre d'autres blessés; de notre côté, I mort. Nous avons récupéré : 2 fusils Garant avec 30 chargeurs pleins, I mitraillette Thompson avec 8 chargeurs, I tromblon de fusil Garant avec 8 V.B., I pistolet 9m/m avec 2 chargeurs, I2 chargeurs de F.M. et d'importants documents. 4 prisonniers dont I chef de compagnie et I caporal-chef. 2 Algériens ont rejoint nos rangs avec armes et bagages. 2 T-6 abattus par notre D.C.A. et 2 autres tombés par accident. I moudjahed est tombé au champ d'honneur. 5°) A Béni-Ali, au Sud-Ouest de Gouraya, le II/I2/57 : 30 soldats tués et plusieurs blessés; 2 blessés graves dans nos rangs. Nous avons récupéré I F.M. BAR. 6°) A El-Hamch, au Sud-Ouest de Médéa, le II/I2/57 : I2 camions G.M.C. incendiés, leurs occupants tués et, parmi eux, I capitaine et I lieutenant. 2 morts dans nos rangs. Récupération de Mat, Garant, Thompson et d'un poste E.R. 300; au cours du combat des Algériens ont rejoint nos rangs et retourné avec enthousiasme leurs armes contre les ennemis du peuple. 7°) A Sidi-Charef, au Sud-Ouest de Marceau, le I9/I2/57 : plus de 80 soldats tués dont l'Etat-major du bataillon qui a eu son P.C. détruit. Dans nos rangs, I mort et quelques blessés. 8°) Au Nord de Hammam-Righa, le 2I/I2/57 : I2 soldats tués et leurs armes récupérées. C'est bien en vain que les colonialistes, pour rassurer leur opinion publique, jettent un voile pudique sur leurs pertes et font état des vertus extraordinaires des ... réseaux de barbelés. Pourquoi n'enserreraient-ils pas chacun de leurs soldats d'une solide ceinture de barbelés ? Celle-ci lui éviterait peut-être de se voir arracher son arme. Car personne n'ignore plus que le grand arsenal de l'A.L.N. n'est autre ... que l'armée française.

ملحق رقم 09 وثيقة فرنسية سرية حول تمركز قواتنا في نواحي موقورنو (1958)

A

REFERENCE :- Note n° 668/4.2.B.-Commandement Régional, du 1er Juin 1956.-

FICHE de RENSEIGNEMENTS

N° 2 5 2 / 4.PR.

COMPAGNIE DE MEDEA

Heure de transmission :
Moyen de transport: Poste Militaire

ORIGINE	Brigade de BERROUAGHIA (Fiche n° 343/4, du 11 Décembre 1958).
SOURCE	Inf.Permanent - D.L. - 1.
VALEUR	C / 3.
DATE du RECUEIL	11 Décembre 1958.
ANALYSE du RENSEIGNEMENT	

Le douar Mongorno serait infesté de rebelles, dans la région comprise entre MOUDJEBEUR à BOUACHRA (4 à 5 Compagnies).

Ces bandes seraient très bien armées et posséderaient des mitrailleuses et des mortiers.

Quelques déserteurs de l'Armée Française seraient parmi ces rebelles.

L'intention de ces rebelles, serait d'attaquer le P.K. 40 ou harceler le centre de BRAZZA.

MESURES PRISES :- Autorités habituelles avisées.

DESTINATAIRES :-

- Gal.Cdt.Gie.X° RM (7 ex) ALGER
- Col.Cdt.X°Légion (3 ex) ALGER
- Chef d'Esc.Cdt.Grpt.Gie. MEDEA
- Cdt.zsa, exerçant pouvoirs civils dans Dépt.(Préfect) MEDEA
- Cdt.ZSA & 20°DI(EM-2°Bureau) MEDEA
- Cdt.Secteur MEDEA à DAMIETTE
- Cdt.Poste SSDN/FA/G MEDEA
- Cdt. le D.O.P.-Z.S.A. MEDEA
- Commissaire de la P.J. MEDEA
- Commissaire de la P.R.G. MEDEA
- Cdts.Compagnie de Gie. BOGHARI AUMALE - BLIDA et AFFREVILLE.
- Cdts.Brigade de la Compagnie.

A MEDEA, le 11 Décembre 1958.

Le Capitaine [illegible], Commandant la Compagnie de Gendarmerie de MEDEA.

ملحق رقم 10

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني — الولاية الرابعة / المنطقة الثالثة

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها

1) تعليمات عامة للجنة

أولا: فيما يخص السياسة: 1) مدارسة الأركان للمراقبة وتوجيه الشعب وتعميمه في الميدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي. تكوين الأركان بعد تحصيل التعاليم النظرية والعملية فيما يخص الثورة الجزائرية. 2) الاجتماعات العمومية لتهذيب الشعب وتثقيفه في المساجد وأمكنة الاجتماع الأخرى فيما يخص السياسة. مواضيع البحث: أ) الثورة الجزائرية. معنى هذه الكلمة وأهدافها: الاستقلال السياسي والاقتصادي. والرقي الاجتماعي والإصلاح الزراعي. ب) تقرير المصير وما معناه. ج) الواجبات المستعجلة. تسخير جميع القوات المشاركة المختلفة للعموم في البناء. التضامن الفعلي المستمر مع المعوزين من يتامى الحرب والمنكوبين وأصحاب خيمات حشد السكان واللاجئين والفقراء. كل ذلك مع الهدوء الكامل والنظام والتيقظ التام.

ثانيا. فيما يخص الاقتصاد: 1) نظرا للإصلاح الزراعي الذي سيطبق يجب منع المعمرين والخونة من شراء الأراضي. 2) شراء العقار مأذون بيعه مع فرض ضريبة معينة (مذكورة في الفصل الموالي الآتي تفصيله) 3) تشجيع إنشاء مؤسسات ذات نفع عمومي يقصد بها رفع مستوى الإنتاج القومي. ولا يسعى الإنسان بقصد الانتفاع المستعجل والفائدة الشخصية. 4) الشعبي لمقاطعة المؤسسات التي بيد [illegible] خاصة ذوي النوايا الخبيثة وذلك للتغلب عليهم ومنعهم من وسائل تخريب الاقتصاد الجزائري 5) اختيار الأيدي العاملة لتسيير مؤسسات جديدة

٢- يجعل بحق المالية في جمع الأموال وهنا يجب الأشكال التي تفادي الشبه
الأخير وإلى الشعب المنصوص عليها. في المعاملات بين المسلمين
تجب عليها ضريبة قدرها عشرون بالمائة تدفع أنصافا بين
المتعاقدين. وإذا كانت المعاملة بين أوروبي ومسلم
فهذا الأخير وحده صاحب يدفع ذلك العدد أي عشرين في المائة.
ويجب التفكير في تخفيض مبلغ الاشتراكات التي تدفعه
الطبقات الضعيفة وذلك عند ما يأذن به المدخول الجديد
في الميزانية. منها تدفع جميع مصاريف المنظمة في المدن
وما فضل منها فشيء يدفع ويسلم إلى السلطة العليا.
٣- ولا بد هنا من استعمال سجلات حسابية لإحصاء المدخول
والخروج
التعاليم الاجتماعية - ٤- الإعانات. الإسعافية الكاملة
فيها تخص أيام حرب التحرير - أ- أبناء وعائلات الشهداء
المعوزون - ب- المعطوبون ومن لا يتمتع بصحة كاملة
من رجال جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني.
ت- الفروبيون الذين طلعهم من المناطق الجبلية سابقا
الآن جيشون في ضواحي المدن.
٢- الإسراع في تطبيق المؤتمر الخاصة بتأسيس النقابات
٣- مكافحة البطالة بالتعاون الوثيق مع المسؤولين المحليين
للاتحاد العام للعمال الجزائريين - أ- أحصاء البطالين
ب- تشغيلهم في الإدارات والمؤسسات المختلفة
ت- إنشاء وظائف جديدة بتركيز رؤوس أموال جزائرية
في مؤسسات منتجة (أنوسا ذكر مثلا)
ث- استخدام البطالين بوجه الرضى وبصفة مؤقتة في
أشغال نافعة للعموم مع ضمان قوتهم وإيوائهم أو وجه
تأليف جيوش تكلف بتجديد البنايات في الأرياف.

ج الإعانة لعائلات ذوي البطالة

ح. الثقافة الاجتماعية. تأسيس مراكز للثقافة الاجتماعية يمقدار مركز لكل قسم جهوي على حسب أهمية المدينة والقصد منها معالجة المشكلات العقول وارشادهم وتعليمهم لوسائل الثقافة وتربية الأطفال انشاء جوقة من الممرضات والممرضين والمساعدات وجوق الاغاثة المستعجلة. وهذه المراكز تستعمل عند الحاجة كمستشفيات لاغاثة الجرحى والمرضى الذين لا يمكن نقلهم الى المستشفيات العامة والخاصة.

د. انشاء لجان لاستقبال الاجانب (من المغرب وتونس وغيرهما) والسعي في إيوائهم وتشغيلهم حتى يندمجوا في المجتمع.

ه. تنظيم الحركة الكشفية - إحداث الشعور الوطني عند المراهقين واعطاؤهم فيه منظمات تمكنها من تنمية هذا الشعور الوطني مثل منظمة الهلال الاحمر الجزائري ولجان الاستقبال والاسعاف ومدارس تعليم الشؤون المنزلية او الطبية والتشجيع على التفوق في جميع الميادين.

سادسا. فيما يخص القضاء. أ. تأليف لجنة العدالة السعي فور الاستقلال في تكوين هذه اللجنة من بعض الفقهاء يساعدهم رجال من الحركة. وبوجه عام يجب اجبار الناس على التوجه في محاكماتهم امام الشرع الا لاستعمال الغير الملزوم به والذي يستلزم مصاريف باهضة... ب. التعاون والتوفيق مع ~~ـــ~~ ادارة الشرطة.

سابعا. ادارة الشرطة. يتعين انشاء ادارات شعبية للشرطة بنسبة مركز لكل قسم جهوي يتضمن: أ. محل مناسب بالاجهزة اللازمة لايواء الحراسة الشعبية العاملة ومحل لسجن الخارجين للقانون او للاعداء الذين هم تحت النظر في انتظار الحكم عليهم.

ب. رئيس مركز ابن خادم لشعبة البوليس

ت. كاتب للتحرير التقريرات وتنشر في حركة للقسم الجهوي

وترتيبات أدوار الحراسة والنظام الداخلي والمذكرات الخاصة بالفصل في المركز. ت- جماعة من الشركيين الشعبيين مجهزين بكمية من الأسلحة (تقدم قائمة حاجيات الإدارة فيما يخص تلك الأسلحة للمجلس المنطقة. ومن الملاحظ هنا تدبير وسائل لإيواء الشركيين المحتاجين والغير المتزوجين في تقدم تقارير إدارة الشركة بصفة منتظمة وتكون مما يجري فيها التفتيش والمراقبة لتصحيح مضمونها
ج- مهمة الشركيين هي حفظ النظام - والحراسة وتدابير الحذر والتفتيش والقضاء بالترجيح والتعجيل على العناصر المضرة الملقى عليها القبض جزاء لكلاب الخيانة. ومكافحة النهب والسرقة والعهر إلخ - والكيفية في ذلك. توجيه اللوم - الوعد والإرشاد - ضرب الخطية. ونهاية السجن. ويجب إحالة قضية المسجونين بسرعة الى لجنة العدالة
٢- الاستعلامات العامة. جمع المعلومات التي تحصل عليها أصحاب الشركة في عرض التقرير الإجمالي أمر ترتيب الشركة والاستعلامات على السلطة العليا - تقرير أسبوعي والقضايا المستعجلة يجب أن تبلغ عزما لمن له النظر
٣- الاتصال باللجنة العملية لوقف الفقدان الخاصة بالمنطقة الثانية (قسم البليدة والمدية) بالعمل على ما عسى أن يقع من الحوادث (توجد أوراق مطبوعة خاصة في هذا الشأن)

سابعا الثقافة الجديدة بنيان محلات التعليم والمدارس

١- بعث روح جديدة بدل في المدارس الموجودة بالسعي لدى الإدارة التي لها النظر في ذلك
٢- تنظيم الطلبة بالمشاركة الوثيقة مع نقابة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (انظر المذكرة الخاصة بنقابة الطلبة. ترتيب دروس للاجئين (من الجزائر ووهران) كلما أمكن ذلك استخدام الطلبة في مهمة التعليم.

٤- انشاء دروس للكبار بالمساجد لمكافحة ما يسمى من تأثير
بعض مظاهر الثقافة الغربية (مثل المجلات والكتب المصورة
التي لا توافق الاخلاق الاسلامية والموجهة الى الكبار والصغار
ومثل الاسطوانات الغنائية والافلام السينمائية الخ...
٥- تنظيم اوقات الفراغ للكبار تنظيما سليما الذي يحول دون
التردد على المقاهي والخمارات. مكافحة عدم الاشتغال)
والتعاطي للرياضة.
٧- تنظيم اوقات فراغ الشبان وتوجيههم مثلا الى
الكشافة مع تدريبهم تدريبا سياسيا مناسبا لسنهم.
٨- انشاء مكتبات تحتوي على كتب مفيدة في الادب الجزائري
والاجنبي.

الإعلام

مصلحة الدعاية والاخبار: اتخاذ محل مناسب ووسائل
مادية. آلات للكتابة بالعربية والفرنسية وآلات
للطبع وما يلزم به ذلك من ورق وأوراق خاصة وحبر الخ.
٢- تعيين مسؤول عن هذه المصلحة يكون ذا خبرة بالعربية
والفرنسية (في الادب والسياسة)، يجب على هذا المسؤول
ان يتصل بموظفيه بمسؤولي تحرير المنشورات والوسائل الصالحة
للاعلان بها على الجدران:
٣- فيما يخص المقالات السياسية المحضة يجب ان تكون تلك
المنشورات وغيرها مقبولة وموافقا عليها من طرف مجلس
الولاية - ب- واما المسائل المحلية الصرفة المكذبة
للعدو او الموجهة اليه جوابا على امور معينة فللاذن
فيها من رئيس القسم بصفته عضو المنطقة.
٤- الاستخدام ما يخص الكتابة بالماكينة. استعمال مطبعة
المنشورات وما طبع عليها من اوراق اعلانية وخصوصا المكتب
وتلك الماكينة ربما يتغير استعمالها في كامل الولاية.

خامساً اجتماعات المسؤولين بين اجتماعات الخلايا الأحد...
تكون متوالية ومنظمة على الأقل مرتين في الأسبوع. و...
الناتجة عن تلك الاجتماعات تتضمن الاقتراحات
والتقريرات التي تعرض على الشبكة العليا. والسلام
حرر يوم 14 ... 1984
بالنيابة عن مجلس المنطقة بورقطة الأخضر
الضابط من درجة ليوتنا يوسلمان الساحلي

ملحق رقم 11

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

الولاية الرابعة
المنطقة الثانية

استعمال مقررات هامات.

I. عسكري:

أ. تقسيم الجنود على افواج صغار، وجمعهم في الأوقات اللازمات للأعمال الهامات

ب. كل الفدائيون الذين يعملون في السهول والجبال يلزمون مناطق التي لا تحمل أكثر من اربعة جنود في الواجب ان الفدائيون يكونون مرسلات مستورة، ولا يلتحقوا فيها الا الذي [illegible] والجنود يكونون لهم نجدة في [illegible] ذلك [illegible]

[illegible]

س. يجب على المراكز الفدائيين ان يكون مراكز عندهم في المنطقة المحرومة، متطرفين ولا يعرفهم من المسؤولين. الى المشتغلين بالمهمة.

٢. سياسي:

أ. نظام الشعب حسب مجهودتنا (الدستور، جمعيات، عائلات، شخصيات). اجتماعات، اجباريات اسبوعيات، من طرف المحافظين السياسيين. تدخيل النظام "سياسيا حكوميا" في كل مكان (في البادية والمدون). مراقبة من المسؤولين عن المحافظين. تأكيد عن الشعب لسمع "صوت الجزائر الحرة" (تونس. الرباط. صوت العرب. بغداد. ليبيا. سوريا).

وتسييرها في التدريب العسكري تدخل بنائج الهامة.

د. اختيار المسؤولين العسكريين بين الشجعان، المشهورين الناشطين، النظاميين، الطائعين. الغير القادرين سيوضعون بجانب وبدون تخيير. عند خسائر كانت للفدائيين لاسباب المسؤولين الذين هم غير قادرون، توسيع الفكر عند المسؤولين العسكريين

ذ. مراقبة حارة من طرف المسؤولين. في ما يخص السلاح الموضوع عند المستكلفين باللجنة (عدد الاسلحة وجدت محفوظة في مخابئ) هذا الرجال سيكون سريون، والسرية تكون تامة حارة.

ر. كل الاجتماعات المعطية للجنود، سيراقبهم المسؤولين مرتين في الاسبوع على الأقل. وبعد كل عمالية تستلزم الانتقادات والانتقادات الذاتية.

ز. استشار الفدائيين في [illegible] الأعلى في [illegible] تحصيل الأشياء العسكرية بالقوة.

س. اعتدال العماليات العسكرية خلف المناطق: مثال كل ناحية تجعل عشر عماليات في كل شهر (فدا. لغم - تخريب.) كي لا تكون القوات الكبرى للعدو في النواحي المتمركزة.

ج. الحالة المادية للجنود: كل الجنود يكون تحملها الملبسة والاحذية الغالية. تنويع الغذاء، وتكثير المواد المقوية.

ح. كل منطقة تستلزم مراكز التدريب في مصلحة اللغام، السلاح الخياطة، التمريض، ولننظر للنتائج.

خ. تدريب عسكري باستمرار حسب وسائل حرب العصابات الموجودة في دفتر "مفيد الفدائي"، ومقررات مهم الفدا. نظامها.

الجمهورية الجزائرية

جيش التحرير الوطني — الولاية الرابعة — أركان الحرب العامة

أبطال أمجاد يستشهدون في سبيل الجزائر

أماناني الجهاد والدين والوطن الحاج سي محمد !

ستبقى على ممر الأيام والليالي ذكراك الماجدة وتضحياتك الخالدة مرسومة في قلوبنا إلى الأبد، ستكون مصباحا منيرا لنا في مشاورنا ودليلا مرشدا في مستقبلنا،

وتستواصل جعل ذكرك في قلوبنا ثورتنا العارمة مستمدين من قوتك قوة ومن بأسك بأسا جديدا طالما جعلتنا نفطئ بجاها باهرا ونصرا مبينا، ولن ننسى أبدا كلماتك الخالدة التي كنت تحب نشرها في صفوف أبطال جيش التحرير الوطني "بطش العدو والقضاء عليه" فكن مطلبنا أيها المجاهد العظيم أننا نجعل من هذه الكلمة مبدأ مهوله به وخطة مرسومة متبوعة.

لن ننسى أبدا تواضعك الذي عرفت به وأخلاقك الكريمة التي كانت روح كل ما يصدر عنك من أعمال وقرارات في شأن إخوانك المجاهدين، ولن ننسى تفانيك في حب جيشنا المنتصر وفي محبتك لشعبنا الكريم الذي كان يحس تقديرك وتقديرك خصالك الفريدة في نوعها، ولن ننسى أبدا ابتسامتك الطيبة وجبينك الوضاح وهيأتك السمحة الذي جعل منك أخا ومربيا رؤوفا لا يمكن نسيانه على أبد الآبدين وإن ذكاءك النفاذ الذي كنت تلك به أعوص المشاكل وإرادتك القوية التي كنت تلاقي بها دوما النار في هجوم الأفواج المسلحة المجاهدة في تراب الولاية الرابعة كلها جعلت منك كما صنا قوة ناطحة على أذناب الاستعمار وسلسلة الاضطهاد الباهظة عليه.

Populations du Département
De MEDEA

le gouvernement a tenu sa promesse et crée le département de MEDEA
pour établir l'ordre dans votre département, il vous envoie les soldats de la 20°D.I.
ces soldats étaient hier en Kabylie partout, ils ont
Puni les assassins
aidé les braves gens
protégé les marchés

Habitants du département
de **Médéa :**
les soldats de la 20°D.I.
viennent à vous en amis !
ALLEZ A EUX EN AMIS !

يا سكّان عمالة المدية

-الدولة وفت وعدها وبدعت عمالة المدية
-لتجعل الامن في عمالتكم وجّهت اليكم عسكر متاع ديفيزيون وهذوا العسكر كانوا البارح في بلاد القبايل
في كل مضرب عاقبوا القتّال وعاونوا الناس الملاح وحموا الاسواق
يا سكّان عمالة المدية
عسكر متاع ديفيزيون جاوا اليكم كاحباب اتوا اليهم كاحباب

احدى المناشير الموزعة على أهالي المدية



من اليمين الى اليسار،

الواقفون: سعيد حمدين، أيام قبل نزولة الى العاصمة – المؤلف – الهادي (محافظ سياسي)

الجالسون: ضابط من ناحية الساحل استشهد فى وسط مدينة بوفاريك سنة 1961 – شهيد.



من اليمين الى اليسار:
– جمال بناي، دخل العاصمة سنة 1960 ضابط من المنطقة السادسة
– علي الجزائري، مسؤول ناحية متيجة والساحل، استشهد في أواخر سنة 1960
– مجاهد شهيد

الفهـــــرس

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

شرخ في البومدينية، من تمرد الطاهر الزبيري

الفصل التاسع:

قصتي مع رجال مخابرات بومدين:

الفصل العاشر:

هذا الكتاب

«...استمتعتُ كثيراً بقراءة كتاب **«شاهد على اغتيال الثورة»** للرائد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة، عاش الحرب من أولها إلى آخرها. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.

.. والكتاب مليء بالقصص الشيّقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزي حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحَرْكَة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليبعثن بها إلى المجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 14 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي.»

من التقديم

بقلم الفريق سعد الدين الشاذلي

قائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

النـــاشـــر

ردمك: ISBN: 9961-67-113-9